

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وقف لله تعالى)

وَمَنْ أَرَادَ طِبَاعَتَهُ إِنْتِعَاءَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُرِيدُ بِهِ عَرْضاً مِنَ الدُّنْيَا ، فَقَدْ أُذِنَ لَهُ فِي ذَلِكَ وَجَزَى اللَّهُ خَيْراً مَنْ طَبَعَهُ وَقَفّاً لِلَّهِ ، أَوْ أَعَانَ عَلَى طَبِيعِهِ ، أَوْ تَسَبَّبَ لِطَبِيعِهِ وَتَوَزَّيْعِهِ عَلَى إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ .

وَسَمِّيَتْهُ (مِصْنَحَ الْأَفْكَارِ لِلتَّاهِبِ لِإِدَارِ الْقَرَارِ)
خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبد العزيز المحمَّد السَّليمان

المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض

سابقاً

الجزء الثاني

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ

طُبِعَ عَلَى نَفَقَةٍ مَنْ يَتَنَفَّيْ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْراً وَغَفَرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَنْ يُعِينُهُ طِبَاعَتَهُ أَوْ يُعِينُ عَلَيْهَا أَوْ يَتَسَبَّبُ لَهَا أَوْ يُشِيرُ عَلَى مَنْ يُؤْمِلُ فِيهِ الْخَيْرَ أَنْ يَطْبَعَهُ وَقَفّاً لِلَّهِ تَعَالَى يُوزَّعَ عَلَى إِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ .

اللهم صلي على محمد وعلى آله وسلم
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فوائد عَظِيمَةُ التَّفَعُّ جَدًّا لِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى :

(١)

اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ يَعْمَلَانِ فِيكَ فَاعْمَلْ فِيهِمَا أَعْمَالًا صَالِحَةً تَرْبِحَ وَتَحْمَدَ الْعَاقِبَةَ
الْحَمِيدَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(٢)

الْمَلَائِكَةُ يَكْتُبَانِ مَا تَلْفَظُ بِهِ فَاحْرَصْ عَلَى أَنْ لَا تَنْطِقَ إِلَّا بِمَا يَسُرُّكَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ .

(٣)

إِغْلَمْ أَنَّ قِصَرَ الْأَمَلِ عَلَيْهِ مَدَارٌّ عَظِيمٌ وَحِصْنُ قِصَرِ الْأَمَلِ ذِكْرُ الْمَوْتِ
وَحِصْنُ حِصْنِهِ ذِكْرُ فَجَاءَةِ الْمَوْتِ وَأَخْذُ الْإِنْسَانِ عَلَى غِرَّةٍ وَغَفْلَةٍ وَهُوَ فِي غَرَرٍ
وَقُتُورٍ عَنِ الْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ . فَاحْفَظْ هَذِهِ الْفَوَائِدَ وَأَعْمَلْ بِهَا تُفْلِحَ وَتَرْبِحَ إِنْ شَاءَ
اللَّهُ .

شعرا :

مُنَايَ مِنَ الدُّنْيَا عُلُومَ أَبْثُهَا	وَأَنْشُرْهَا فِي كُلِّ بَادٍ وَحَاضِرٍ
دُعَاءَ إِلَى الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ الَّتِي	تُنَاسَى رِجَالٌ ذَكَرَهَا فِي الْمَحَاضِرِ
وَقَدْ أَبْدَلُوهَا بِالْجُرَائِدِ ثَارَةً	وَيُلْفَازُهُمْ رَأْسُ الشُّرُورِ الْمَنَاقِرِ
وَمِذْيَاعِهِمْ أَيْضًا فَلَا تُنَسِّ شَرَّهُ	فَكَمْ ضَاعَ مِنْ وَقْتٍ بِهَا بِالْخَسَائِرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُلاحَظَة :

لا يُسَمَحُ لِأَيِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَخْتَصِرَهُ أَوْ
يَتَعَرَّضَ لَهُ بِمَا يُسَمُّوهُ تَحْقِيقًا لِأَنَّ الْإِخْتِصَارَ
سَبَبٌ لِتَعْطِيلِ الْأَصْلِ وَالتَّحْقِيقَ أَرَى أَنَّهُ إِيْتِهَامٌ
لِلْمُؤَلِّفِ ، وَلَا يُطْبِعُ إِلَّا وَقْفًا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مَنْ
يَنْتَفِعُ بِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

(فَائِدَةُ عَظِيمَةُ النَّفَعِ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ)
مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً أَفْضَلَ مِنْ أَنْ
عَرَّفَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَفَهَّمَهُ مَعْنَاهَا ، وَوَفَّقَهُ
لِلْعَمَلِ بِمُقْتَضَاهَا ، وَالِدَّعْوَةَ إِلَيْهَا .

أَشْرَفُ الْأَشْيَاءِ قَلْبُكَ ، وَوَقْتُكَ ، فَإِذَا أَهْمَلْتَ
قَلْبُكَ ، وَضَيَّعْتَ وَقْتُكَ ، فَمَا بَقِيَ مَعَكَ ، كُلُّ
الْفَوَائِدِ ذَهَبَتْ ، فَاتَّبِعْ لِنَفْسِكَ »

فائدة عَظِيمَةُ النَّفْعِ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللهُ لِلْعَمَلِ بِهَا ، قَالَ
بَعْضُ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُ اللهُ ، مَنْ تَفَكَّرَ فِي قِصْرِ الْعُمُرِ
الْمَعْمُولِ فِيهِ ، وَفَكَّرَ فِي امْتِدَادِ زَمَانِ الْجَزَاءِ الَّذِي
لَا نِهَآيَةَ لَهُ ، اخْتِطَفَ اللَّحْظَةَ وَالذَّقِيقَةَ مِنْ عُمُرِهِ
وَأَنْتَهَبَهَا وَعَبَّأَهَا فِي الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ ، وَزَاحَمَ
وَسَاقَى إِلَى كُلِّ فَضِيلَةٍ ، لِأَنَّهَا إِذَا فَاتَتْ لَا تُدْرِكُ أَبَدًا ،
وَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ ، وَلِلَّهِ أَقْوَامٌ وَفَّقَهُمُ اللهُ مَارَضُوا مِنْ
الْفَضَائِلِ إِلَّا بِتَحْصِيلِ جَمِيعِهَا فَهُمْ يُبَالِغُونَ فِي كُلِّ
عِلْمٍ يُقَرِّبُهُمْ إِلَى اللهِ ، وَيَجْتَهِدُونَ فِيهِ ، وَيُثَابِرُونَ
عَلَى كُلِّ فَضِيلَةٍ ، فَإِذَا ضَعُفَتْ أَبْدَانُهُمْ عَنْ بَعْضِ
ذَلِكَ قَامَتِ النِّيَّاتُ نَائِبَةً ،

إِنْتَهَى

اسْمَعْ يَا مُضَيِّعَ الزَّمَانِ فِيمَا يَنْقُصُ الْإِيْمَانَ ، وَمُعْرِضاً عَنْ
الْأَرْبَاحِ وَمُتَعَرِّضاً لِلْخُسْرَانِ ، لَقَدْ سُرَّ بِفِعْلِكَ الشَّامِتُ .
يَا مَنْ يَفْرَحُ بِالْعِيدِ لِتَحْسِينِ لِبَاسِهِ ، وَيُوقِنُ بِالْمَوْتِ وَمَا اسْتَعَدَّ
لِبَاسِهِ وَيَغْتَرُ بِإِخْوَانِهِ وَأَقْرَانِهِ وَجُلَاسِهِ ، وَكَأَنَّهُ قَدْ أَمِنَ سُرْعَةَ
اِخْتِلَاسِهِ .

يَا غَافِلاً قَدْ طُلِبَ ، وَيَا مُحَاصِماً قَدْ غُلِبَ ، وَيَا وَائِثاً قَدْ
سُلِبَ ، إِيَّاكَ وَالْدُنْيَا فَمَا الدُّنْيَا بِدَائِمَةٍ ، لَقَدْ أَبَانَتْ لِلنَّوَاطِرِ عُيُوبَهَا ،
وَكَشَفَتْ لِلْبَصَائِرِ غُيُوبَهَا ، وَعَدَّدَتْ عَلَى الْمَسَامِعِ ذُنُوبَهَا ، وَمَا مَرَّتْ
حَتَّى أَمَرَتْ مَشْرُوبَهَا .

فَلذَاتُهَا مِثْلُ لَمْعَانِ الْبَرْقِ وَمُصِيبَتُهَا وَاسِعَةُ الْخَرْقِ ، سَوَتْ
عَوَاقِبُهَا بَيْنَ سُلْطَانِ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ ، فَمَا نَجَا مِنْهَا ذُو عُدَدٍ ، وَلَا
سَلِمَ فِيهَا صَاحِبُ عُدَدٍ ، مَزَقَتْ الْكُلَّ بِكَفِّ الْبُدْدِ ثُمَّ وَلَّتْ فَمَا
الْوَتُّ عَلَى أَحَدٍ .

قَالَ ﷺ « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ مِنْهُمْ رَجُلٌ دَعَا امْرَأَةً
ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ » .

اسْمَعْ يَا مَنْ أَجَابَ عَجُوزاً هَتَمًا عَمِيّاً صَمّاً جَرَباً سَوْدَاءَ شَوْهَاءَ
مُقْعَدَةً عَلَى مَرْبَلَةٍ وَلَكِنْ غَلَبَتْ عَلَيْكَ مَحَبَّتُهَا عُرِضَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ
بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَباً فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا .

مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارِ مَسَرَّةٍ فَتَخَوُّنِي مَكْرَماً لَهَا وَخِذَاءَ عَا
بَيْنَا الْفَتَى فِيهَا يُسَرُّ بِنَفْسِهِ وَبِهَالِهِ يَسْتَمْتِعُ اسْتِمْتَاعاً
حَتَّى سَقَتْهُ مِنَ الْمَنِيَةِ شُرْبَةً وَحَمَتُهُ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ رِضَاعاً

فَقَدْأَ بِمَا كَسَبَتْ يَدَاهُ رَهِينَةً لَا يَسْتَطِيعُ لِمَا عَرَّتْهُ دِفَاعًا
لَوْ كَانَ يَنْطِقُ قَالَ مَنْ تَحْتَ الثَّرَى فَلْيُحْسِنِ الْعَمَلَ الْفَتَى مَا اسْطَاعَا

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِيهَا وَقَوِّهَا وَأَهْلِمْنَا ذِكْرَكَ
وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا حُبَّ أَوْلِيَائِكَ وَنُغْضِ أَعْدَائِكَ وَأَتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي
الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٧٦ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ مَا هَذَا التَّكَاسُلُ عَنِ الطَّاعَاتِ وَزَرْعُ الْأَعْمَارِ قَدْ دَنَا
لِلْحَصَادِ وَمَا هَذَا التَّبَاعُدُ وَمُدُّ الْأَيَّامِ قَدْ قَارَبَتْ لِلنَّفَادِ ، وَمَا هَذَا التَّغافلُ
والتَّكَاسُلُ عَنِ إَعْدَادِ الزَّادِ لِيَوْمِ الْمَعَادِ .

تَزَوَّدْ لِلَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ
فَإِنَّ الْمَوْتَ مِيقَاتُ الْعِبَادِ

يَسْرُكَ أَنْ تَكُونَ رَفِيقَ قَوْمٍ
لَهُمْ زَادٌ وَأَنْتَ بِغَيْرِ زَادٍ

عِبَادَ اللَّهِ أَيْنَ الْحَسَرَاتُ عَلَى قَوْتِ أَمْسِ أَيْنَ الْعِبَرَاتُ عَلَى مُقَاسَاتِ
الرَّمْسِ أَيْنَ الْأَسْتِعْدَادُ لِيَوْمٍ تَذْنُو فِيهِ مِنْكُمْ الشَّمْسُ ، « وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ
الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ » .

يَا مَنْ مَشِيئُهُ أَتَى وَشَبَابُهُ إِضْمَحَلَّ وَخَبَى، مَتَى تَتَضَرَّعُ إِلَى مَوْلَاكَ
وَتَقِفُ بِالْبَابِ ، أَمَا اعْتَبَرْتَ بِالرَّاحِلِينَ مِنَ الْأَقَارِبِ وَالْجِيرَانِ وَالزَّمَلَاءِ

وَالْأَحْبَابُ ؛ أَمَا قَرَعَ سَمْعَكَ ﴿إِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَزِينَتُهُ
وَقَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ الْآيَةُ .

كَيْفَ حَالُكَ إِذَا بَلَغَتِ الرُّوحُ التَّرَاقِي وَقَطَعَتِ الْحَسَرَاتُ وَالنَّدَمُ
غَلَائِقَ الْأَكْبَادِ وَوُضِعَتْ فِي بَيْتِ الظُّلْمَةِ وَالذُّودِ وَالْوَحْدَةِ وَلَا وَلِيَّ لَكَ مِنَ
اللَّهِ وَلَا نَاصِرَ وَضُوعِفَ الْعَذَابُ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ .

كَيْفَ أَنْتَ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ وَكُلُّ إِنْسَانٍ
الزِّمَ طَائِرُهُ فِي عُنُقِهِ يَوْمَ النُّشُورِ وَحُرِّرَ الْحِسَابُ بَيْنَ يَدَيِ سَرِيعِ الْحِسَابِ
عَالِمِ السِّرِّ وَالْخَفِيَّاتِ وَالْجَلِيَّاتِ وَنُصِبَ الْمِيزَانُ ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ
بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿

اللَّهُمَّ أَيْقِضْ قُلُوبَنَا وَنَوِّرْهَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا
وَقَوِّمْنَا وَارْزُقْنَا الْمَعْرِفَةَ بِكَ عَنْ بَصِيرَةٍ وَالْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا
لِطَاعَتِكَ وَامْتِثَالِ أَمْرِكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِلْإِذْنِ وَلِلْجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٧٧ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ اِمْتَلَأَتِ الْأَرْضُ مِنَ الشَّرِّ وَوَسَائِلِهِ . وَضَجَّتْ وَمَا فِيهَا
مِمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَعَاصِي الْإِنْسَانِ وَإِنْ شِئْتَ فَرَزْتُ أُنِي جِهَةً مِنْ جِهَاتِ
الْعَالَمِ تَرَى مَا يَتَقَطَّعُ لَهُ قَلْبُكَ حَسَرَاتٍ افْتَتَنَ النَّاسُ بِزُخَارِفِ الدُّنْيَا
فَاسْتَوَلَتْ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَمَلَكَتْهَا فَتَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ وَأَصْبَحَتِ الْمَعَاصِي
أَمْرًا مَأْلُوفًا عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ وَغَلِبَ الْمُسْتَقِيمُونَ عَلَى أَمْرِهِمْ فَلَمْ

يَسْتَطِيعُوا إِزَالَتَهَا فَتَمَادَى الْمُجْرِمُونَ عَلَى انْتِهَاكِ الْأَدَابِ فَتَفَاقَمَ الْخُطْبُ ثُمَّ تَفَاقَمَ إِلَى أَنْ التَّهَبَّتِ الدُّنْيَا بِالمَوْبِقَاتِ خَفَّ الزَّنَى الَّذِي هُوَ مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ حَتَّى صَارَ الْغَيُورُ الْمُنْكَرُ لَهُ الْمَقْبُحُ يُسَمَّى رَجْعِيًّا لَا يَعْرِفُ الْحُرِّيَّةَ مَعَ أَنَّ الزَّنَى مِنْ بَيْنِ الْمَعَاصِي عَارٌ تَسْوَدُّ لَهُ الْوُجُوهُ ، وَتَتَكَبَّرُ لَهُ الرُّؤُوسُ ، وَتَتَهَدِّمُ بِهِ بُيُوتُ الْمَجْدِ الْعَالِيَةِ ، وَهَانَ التَّعَامُلُ بِالرَّبِّ مَعَ أَنَّهُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْمَعَاصِي قَدْ تَوَعَّدَ اللَّهُ فَاعِلَهُ الْمُسْتَمِرَّ عَلَى التَّعَامُلِ بِهِ بِالْحَرْبِ وَقَارَفَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الْمُسْكِرَاتِ مَعَ أَنَّ الْخَمْرَ أُمُّ الْخَبَائِثِ وَهَذِهِ شَهَادَةُ الزُّورِ قَدْ هَانَتْ مَعَ أَنَّهَا مِنْ عَظَائِمِ الذُّنُوبِ وَهَذِهِ فَاحِشَةُ اللُّوَاطِ قَدْ انْتَشَرَتْ انْتَشَارَ الْوَبَاءِ ، مَعَ أَنَّ الْقُرْآنَ يَحْكِي عَنْ أُمَّةٍ كَانَتْ تَفْعَلُ ذَلِكَ أَنَّهَا خُسِفَ بِهَا ، وَأَمْطَرَتْ عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ وَأَمَّا الْأَرْضُ فَهَانَ اغْتِصَابُهَا مَعَ أَنَّ الْمُغْتَصَبَ يَكُونُ طَوْقًا لِمُغْتَصِبِهِ فِي دَارِ الْإِنْتِقَامِ ، وَأَمَّا الْأَمْوَالُ وَالْأَعْرَاضُ فَحَدَّثَ عَنْ الْاسْتِخْفَافِ بِهَا وَانْتِهَاجِهَا وَلَا حَرَجَ وَهَذَا الْغِشُّ قَدْ صَارَ عَادَةً لَا يَكَادُ يَسْلِمُ مِنْهُ مُعَامِلٌ مَعَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا » وَهَذَا خَلْقُ اللَّحِيَةِ قَدْ أَصْبَحَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ كَأَنَّهُ وَاجِبٌ مَعَ أَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِغْفَائِهَا هَذَا وَأَضْعَافُ أَضْعَافِهِ حَاصِلٌ فِي هَذَا الْعَصْرِ الْمَظْلَمِ الَّذِي عَادَتْ فِيهِ غُرْبَةُ الدِّينِ .

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوقِظَ وَلَا تَنَا فَيَأْخُذُوا عَلَى أَيْدِي السُّفَهَاءِ مِنَّا وَيُزِيلَ مَا حَدَّثَ مِنْ هَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ ، وَأَنْ يُوقِفَنَا وَجْمِعَ الْمُسْلِمِينَ لَطَاعَتِهِ ، وَيَتَوَفَّانَا مُسْلِمِينَ ، وَيُلْحِقَنَا بِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ ، وَيَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَرْحَمَنَا بِرَحْمَتِهِ أَنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٧٨ موعظة

عِبَادَ اللَّهِ ذَنْبُ اللَّوَاطِ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ يُغْضِبُ رَبَّ الْعِبَادِ إِنَّهَا
لَفَاحِشَةٌ يَضِيقُ بِهَا الْفَضَا وَتَبِيعَ لَهَا السَّمَاءُ وَيَحِلُّ بِهَا الْبَلَاءُ فَكَشَفُ
حَالٍ ، وَسُوءُ مَالٍ ، وَدَاءُ عَضَالٍ وَقُبْحُ أَعْمَالٍ وَعَيْبُ دُونِهِ سَائِرُ الْعُيُوبِ ،
عَيْبٌ تَمُوتُ بِهِ الْفَضِيلَةُ ، وَتَحْيَا بِهِ الرَّذِيلَةُ وَتَتَفَتَّتْ عَلَى أَهْلِهَا الْأَكْبَادُ ،
وَتَذُوبُ مِنْ أَجْلِهَا حَيَاةُ الْقُلُوبِ ، فَعَمَلٌ مُسْبُوبٌ ، وَوَضْعٌ مَقْلُوبٌ ،
وَفَاعِلٌ مَلْعُونٌ ، وَمَفْعُولٌ بِهِ عَلَيْهِ مَغْضُوبٌ ، وَخُلُقٌ فَاسِدٌ ، وَشَرَفٌ
مَسْلُوبٌ ، وَعِرْضٌ مُمَزَّقٌ ، وَكَرَامَةٌ مَعْدُومَةٌ ، وَزُهْرِيٌّ ؛ وَجَرَبٌ ، دُؤُ
أَلْوَانٍ ، وَقَدَرٌ وَانْتَانٌ ، وَوَسَاخَةٌ دُونَهَا كُلُّ وَسَاخَةٍ ، اللَّهُمَّ إِنَّ فِي هَذِهِ
الْفِعْلَةِ الشَّيْئَةِ مِنَ الْخِزْيِ وَالْعَارِ مَا لَا تُطِيقُهُ الطَّبَاعُ السَّلِيمَةُ ، كَانَتْ أُمَّةٌ
قَدِيمٌ عَصَرُهَا ، بَاقٍ ذِكْرُهَا ، كَثِيرٌ شَرُّهَا تَسْكُنُ بَيْنَ الْجَبَارِ وَالشَّامِ ،
تَرْتَكِبُ هَذِهِ الْفَاحِشَةَ الشَّيْئَةَ ، وَالْجَرِيمَةَ الْفَظِيحَةَ عَلَنًا ، فِي نَوَادِيهِمْ
وَيَذَرُونَ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ أَزْوَاجٍ ، وَلَا يُبَالُونَ بِمَنْ يَغْتَبُ عَلَيْهِمْ ، وَيُشْنِعُ
عَلَيْهِمْ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ اللُّؤَامِ ، فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ لُوطًا عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِينَا
أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ فَدَعَاهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ ، وَتَرَكَ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ
وَحَذَرَهُمْ مِنْ فِعْلِ فَاحِشَةِ اللَّوَاطِ ، وَبَالَغَ فِي انذَارِهِمْ ، وَتَحذِيرِهِمْ ،
وَكَانَ الْجَزَاءُ وَالْجَوَابُ مِنْهُمْ عَلَى هَذِهِ النَّصِيحَةِ أَنْ قَالُوا « أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ
مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ » وَمَقْصُودُ هَؤُلَاءِ الْأَشْقِيَاءِ بِهَذَا الْوَصْفِ
السُّخْرِيَّةِ ، وَالتَّهْكِيمِ ، بِلُوطٍ وَمَنْ مَعَهُ ، وَهَذَا كَمَا يَقُولُهُ الْفُسَّاقُ وَالْمَرْجَةُ
الْمُعَاصِرُونَ ، لِيَغْضِرَ الصُّلَحَاءُ إِذَا أَنْكَرُوا عَلَيْهِمْ ، وَوَعُظُّوهُمْ ، أَخْرِجُوا
عَنَّا هَذَا الْمُتَدِينِ ، أَوْ هَذَا الْمُتَزَهِّدُ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ .

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ

بِهِنَّ قُلُوبٌ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَائِبِ

فَقَلِبَتْ مَدِينَتَهُمْ وَاتَّبَعُوا بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ مُسَوَّمَةٍ عِنْدَ اللَّهِ
لِلْمُسْرِفِينَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُ أَتَذَرُنِي لِمَاذَا ذَكَرَ اللَّهُ أَخْبَارَهُمْ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ
وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ إِنَّهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ لِنَعْتَبِرَ بِمَا أَصَابَهُمْ ، وَنَحْذَرَ كُلَّ
الْحَذَرِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ الْحَالِ ، وَتُبْحِ الْفِعَالِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَمَا
هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ « سُبْحَانَ اللَّهِ كَيْفَ يَقَعُ ذِكْرُ عَلَى ذِكْرٍ وَهُوَ يَعْلَمُ
أَنَّ اللَّهَ جَلٌّ وَعَلَا يَرَاهُ . وَقَدْ نَهَاهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي ذَلِكَ مِنْ مُخَالَفَةِ الْعَقْلِ ،
وَالدِّينِ ، وَمَا فِيهِ مِنْ مَرَضٍ خَطِيرٍ ، وَشَرٍّ مُسْتَطِيرٍ ، وَخِزْيٍ ، وَعَارٍ ،
هَذَا بِالْحَقِيقَةِ فِعْلٌ تَتَرَفَّعُ عَنْهُ طِبَاعُ الْكِلَابِ . وَالْبِغَالِ ، وَالْحَمِيرِ بَلْ
وَالْقِرَدَةِ وَالْخَنَازِيرِ ، وَمَا ظَهَرَ لِلرَّوَاطِ فِي أُمَّةٍ إِلَّا أَذِلَّتْ وَأُخْزِيَتْ ، وَسُلِبَ
عِزُّهَا ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ إِهْلَاكَ قَرْيَةٍ فَسَقَ فِيهَا الْمُتْرَفُونَ فَاسْتَحَقَّتْ
الْخَرَابَ وَالذَّمَّارَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا
فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ فَانْتَبَهُوا أَيُّهَا الْأَخْوَانُ
وَتَنَاصَحُوا وَاحْفَظُوا أَوْلَادَكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَسْتَوْثُونَ عَنْهُمْ وَعَنْ هَمَالِكُمْ
لَهُمْ أَحْرَصُوا عَلَيْهِمْ فَوْقَ حِرْصِكُمْ عَلَى أَمْوَالِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَنْجُوا مِنَ التَّبْعَاتِ
وَتَسَلَّمُوا مِنَ الْعُقُوبَاتِ جَعَلَنَا اللَّهُ وَآيَاكُمْ مِمَّنْ إِذَا خُوِقَ بِاللَّهِ نِدَمٌ وَخَافَ
وَرَزَقْنَا وَآيَاكُمْ مِنَ الْإِنَابَةِ وَالْأَنْصَافِ مَا يُلْحِقُنَا بِصَالِحِ الْأَسْلَافِ وَغَفَرَ لَنَا
وَلَكُمْ وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٧٩ موعظة

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ النَّاسَ لَمْ يُقَدِّرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَلَمْ يَعْرِفُوهُ الْمَعْرِفَةَ
الَّتِي تَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ ، وَلَوْ عَرَفُوهُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةَ وَقَدَّرُوهُ مَا صَدَّقَ
الْعَقْلُ أَنَّ يَكُونُوا بِهِذِهِ الْحَالِ ، إِنَّ الْعَارِفَ بِاللَّهِ تَعَالَى يَخْشَاهُ ، فَتَعَقُّلُهُ
هَذِهِ الْخَشْيَةُ عَمَّا لَا يَنْبَغِي مِنَ الْأَفْعَالِ كَيْفَ لَا رَهَذَا الْقُرْآنُ يَقُولُ ﴿ إِنَّمَا
يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ الْعَارِفُ بِاللَّهِ تَعَالَى لَا يَجْرُؤُ أَنْ يُحَرِّكَ
لِسَانَهُ بِكَلِمَةٍ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسْمَعُ السِّرَّ وَالنَّجْوَى ،
وَلَا يَجْرُؤُ أَنْ يَسْتَعْمِلَ عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِهِ فِي عَمَلٍ لَيْسَ بِحَلَالٍ ، لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ
أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرَاهُ مَهْمَا اخْتَفَى وَاجْتَهَدَ فِي الْاخْتِفَاءِ ، وَكَذَلِكَ لَا يَقْدُمُ
وَيَعْزِمُ عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ ، لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ بِوَعِيدِ اللَّهِ عَلَى مَنْ
اجْتَرَأَ وَأَنْتَهَكَ الْمَحْظُورَاتِ ، الْعَارِفُ بِاللَّهِ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ لَا يَنْطَوِي عَلَى
رَذِيلَةٍ كَالْكِبَرِ وَالْعُجْبِ وَالْحَقْدِ وَالنَّفَاقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الرَّذَائِلِ
الْمَمْقُوتَاتِ ، لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ أَنَّ مَا فِي قَلْبِهِ لَا يَخْفَى عَلَى مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ
شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ، فَلَا يَسْتَرْجِحُ حَتَّى يَكُونَ بَاطِنُهُ
كَظَاهِرِهِ مُطَهَّرًا مِنَ الْفَوَاحِشِ ، وَكَذَلِكَ لَا يَتَعَامَلُ بِالرُّبَا وَيَتَّبِعُ كُلَّ الْبُعْدِ
عَنِ الرِّبَا وَنَحْوِهِمَا مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ ، وَكَذَلِكَ لَا تَسْمَعُ مِنْ فَمِهِ عِنْدَ
نُزُولِ الْبَلَاءِ إِلَّا الْحَسَنَ الْجَمِيلَ ، فَلَا يَغْضَبُ لِمَوْتِ عَزِيزٍ أَوْ فَقْدِ مَالٍ ،
أَوْ مَرَضٍ شَدِيدٍ ، لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ غَضَبَهُ يَتَوَجَّهُ إِلَى الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ اللَّطِيفِ
الْخَبِيرِ ، وَلَا يَصْدُرُ مِنَ الْعَارِفِ بِاللَّهِ حَسَدٌ لِمَخْلُوقٍ عَلَى مَا أَوْلَاهُمْ مِنْ
نِعْمَةٍ ، لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ أَنَّ اللَّهَ قَسَمَ النِّعَمَ بَيْنَ عِبَادِهِ وَلَيْسَ لِقِسْمَتِهِ رَادٌّ ، وَكَذَلِكَ
الْعَارِفُ لَا يَتَأَسُّ مِنْ زَوَالِ شِدَّةٍ مَهْمَا تَعَقَّدَتْ وَاسْتَحْكَمَتْ ، وَلَا يَتَأَسُّ مِنْ

حُصُولِ خَيْرٍ مَهْمَا سَمَا وَابْتَعَدَ ، لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ أَنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا بِيَدِ اللَّهِ الَّذِي إِذَا أَرَادَ شَيْئًا قَالَ لَهُ كُنْ فَكَانَ ، الْعَارِفُ بِاللَّهِ لَا يُقْنَطُ الْمُؤْمِنُ الْعَاصِي مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَلَا يُؤْمِنُ الْمُحْسِنُ ، لَكِنَّهُ يَرْجُو لِلْمُحْسِنِ وَيَخَافُ عَلَى الْمِيسِيٍّ ، الْعَارِفُ بِاللَّهِ لَا يَغْشَى مُؤْمِنًا ، وَلَا يُسِيءُ إِلَى الْجَارِ وَقَسَّ عَلَى ذَلِكَ الْبَاقِي مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهَذَا الْمَوْضُوعِ : اللَّهُمَّ جُدْ عَلَيْنَا بِكَرَمِكَ ، وَأَفِضْ عَلَيْنَا مِنْ نِعَمِكَ ، وَتَعَمَّدْنَا بِرَحْمَتِكَ الْوَاسِعَةِ وَعَامِلْنَا بِرَأْفَتِكَ ، وَوَفَّقْنَا لِحُدُودِكَ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٨٠ « موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ أَمَامَكُمْ يَوْمَ لَا كَالَيَامَ يَوْمٌ فِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ وَالشَّدَائِدِ وَالْكَرُوبِ مَا يُشَيِّبُ الْوَالِدَانَ وَتَذْهَلُ فِيهِ الْمُرْضِعَةُ عَمَّا أَرْضَعَتْ يَوْمَ يَتَغَيَّرُ فِيهِ الْعَالَمُ وَيَنْتَهِي نِظَامُهُ الَّذِي نَرَاهُ .

فَتُنْثَرُ الْكَوَاكِبُ وَتَتَسَاقَطُ وَتُطَوَّى السَّمَاءُ كَطَيِّ السَّجْلِ لِلْكِتَابِ يُرِيلُهَا اللَّهُ وَتُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَتُمَدُّ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَقُومُ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ .

وَجِئْنِيذُ يُخْشَرُ الْكَافِرُ أَعْمَى لَا يُبْصِرُ أَصَمٌّ لَا يَسْمَعُ أَبْكَمٌ لَا يَنْطِقُ يَمْشِي عَلَى وَجْهِهِ لِيَعْلَمَ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْإِهَانَةِ وَيَكُونُ أَسْوَدَ الْوَجْهِ أَزْرَقَ الْعَيْنَيْنِ فِي مُنْتَهَى الْعَطَشِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّمْسِ إِلَّا مِقْدَارُ مِيلٍ .

إِذَا ذَاكَ يَقِفُ مَبْهُوتًا ذَاهِلَ الْعَقْلِ شَاخِصَ الْبَصَرِ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ تَرَابًا ثُمَّ

يُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النَّارِ وَيُسَلَّكُ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَبَعْدَ دُخُولِهِ فِيهَا لَا يَخْرُجُ مِنْهَا أَبَدًا وَلَا يَزْدَادُ إِلَّا عَذَابًا وَلَا يُفْتَرُ عَنْهُ .

إِنْ اسْتَغَاثَ يُغَاثُ بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ وَيَذِيبُ الْأَمْعَاءَ وَيُحْرِقُ الْجُلُودَ تُحِيطُ بِهِ النَّارُ مِنْ كُلِّ جِهَاتِهِ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ كُلَّمَا نَضِجَ جِلْدُهُ بَدَلُ جِلْدًا غَيْرَهُ .

وَكُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ مِنْهَا قُمِعَ بِمَقَامِعٍ مِنْ حَدِيدٍ كُلُّ هَذَا الْعَذَابُ يُعَانِيهِ وَلَا يَمُوتُ « وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ » لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا وَسَوَاءٌ صَبَرَ أَمْ لَمْ يَصْبِرْ هُوَ خَالِدٌ فِي جَهَنَّمَ خُلُودًا لَا انْتِهَاءَ لَهُ أَبَدًا .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى بَقْرَسٍ يَجْعَلُ كُلَّ خَطْوٍ مِنْهُ أَقْصَى بَصَرُهُ فَسَارَ وَسَارَ مَعَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

فَأَتَى عَلَى قَوْمٍ يَزْرَعُونَ فِي يَوْمٍ وَيَحْصُدُونَ فِي يَوْمٍ كُلَّمَا حَصَدُوا عَادَ كَمَا كَانَ فَقَالَ يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تُضَاعَفُ لَهُمُ الْحَسَنَةُ بِسَبْعِمِائَةٍ ضَعْفٍ وَمَا أَنْفَقُوا مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ .

ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ تَرْضَخُ رُؤُوسُهُمْ بِالصَّخْرِ كُلَّمَا رُضِخَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ وَلَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ قَالَ يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَنَاقَلَتْ رُؤُوسُهُمْ عَنِ الصَّلَاةِ .

ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ عَلَى أَدْبَارِهِمْ رِقَاعٌ وَعَلَى أَقْبَالِهِمْ رِقَاعٌ يَسْرَحُونَ كَمَا تَسْرَحُ الْأَنْعَامُ إِلَى الضَّرِيعِ وَالزُّقُومِ وَرَضِفَ جَهَنَّمَ قَالَ مَا هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ قَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يُؤَدُّونَ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَمَا اللَّهُ بِظَلَامٍ

لِلْعَبِيدِ .

ثُمَّ أَتَى عَلَى رَجُلٍ قَدْ جَمَعَ حُزْمَةً عَظِيمَةً لَا يَسْتَطِيعُ حَمْلَهَا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَزِيدَ عَلَيْهَا قَالَ يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا قَالَ هَذَا رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِكَ عَلَيْهِ أَمَانَةُ النَّاسِ لَا يَسْتَطِيعُ آدَاءَهَا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَزِيدَ عَلَيْهَا .

ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ تُقْرِضُ شِفَاهُهُمْ وَالسِّنْتُهُمْ بِمَقَارِضٍ مِنْ حَدِيدٍ كُلَّمَا قُرِضَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ قَالَ يَا جِبْرِيلُ مَا هَؤُلَاءِ : قَالَ خُطَبَاءُ الْفِتْنَةِ .

ثُمَّ أَتَى عَلَى جُحْرِ صَغِيرٍ يَخْرُجُ مِنْهُ ثَوْرٌ عَظِيمٌ فَيُرِيدُ الثَّورُ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ حَيْثُ خَرَجَ فَلَا يَسْتَطِيعُ قَالَ مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ قَالَ هَذَا الرَّجُلُ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ الْعَظِيمَةِ فَيَنْدُمُ عَلَيْهَا فَيُرِيدُ أَنْ يَرُدَّهَا فَلَا يَسْتَطِيعُ .

ثُمَّ أَتَى عَلَى وَادٍ فَوَجَدَ رِيحاً طَيِّبَةً وَوَجَدَ رِيحٌ مِسْكٍ مَعَ صَوْتٍ فَقَالَ مَا هَذَا قَالَ صَوْتُ الْجَنَّةِ تَقُولُ يَا رَبُّ اثْنِي بِأَهْلِي وَبِمَا وَعَدْتَنِي فَقَدْ كَثُرَ غَرَسِي وَخَرِيرِي وَسُنْدُسِي وَإِسْتَبْرَقِي وَعَبَقْرِي وَمُرْجَانِي وَفَضَّتِي وَذَهَبِي وَأَكْوَابِي وَصَحَافِي وَأَبَارِيقِي وَفَوَاكِهِي وَعَسَلِي وَمَائِي وَلَبَنِي وَخَمْرِي اثْنِي بِمَا وَعَدْتَنِي .

قَالَ لَكَ كُلُّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ وَمُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ وَمَنْ آمَنَ بِي وَبِرُسُلِي وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَمْ يُشْرِكْ شَيْئاً وَلَمْ يَتَّخِذْ مِنْ دُونِي أُنْدَاداً فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ سَأَلَنِي أُعْطِيَتْهُ وَمَنْ أَقْرَضَنِي جَزَيْتُهُ وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيَّ كَفَيْتُهُ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا لَا خُلْفَ لِمِيعَادِي قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ فَقَالَتْ رَضِيتُ . ثُمَّ أَتَى عَلَى وَادٍ فَسَمِعَ صَوْتاً مُنْكَرًا فَقَالَ يَا جِبْرِيلُ مَا هَذَا الصَّوْتُ قَالَ

هَذَا صَوْتُ جَهَنَّمَ تَقُولُ يَا رَبُّ اثْنَيْنِ بِأَهْلِيَّ وَبِمَا وَعَدْتَنِي فَقَدْ كَثُرَتْ سَلْسِلِي
وَأَغْلَالِي وَسَعِيرِي وَحَمِيمِي وَغَسَاقِي وَغَسْلِينِي وَقَدْ بَعْدَ قَعْرِي وَاشْتَدَّ حَرِّي
اثْنَيْنِ بِمَا وَعَدْتَنِي قَالَ لَكَ كُلُّ مُشْرِكٍ وَمُشْرِكَةٍ وَخَبِيثٍ وَخَبِيثَةٍ وَكُلُّ جَبَّارٍ لَا
يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ قَالَتْ قَدْ رَضِيتُ رَوَاهُ الْبَزَارُ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ - أَوْ غَيْرِهِ -
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ ج ٤ ص ٥٤ فِي كِتَابِ صِفَةِ الْجَنَّةِ
وَالنَّارِ .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ « وَلَيْلٌ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ
يَهْوِي فِيهِ الْكَافِرُ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ قَعْرَهُ .

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ فِي قَوْلِهِ سَأَرْهَقُهُ صَعُودًا » قَالَ :
« جَبَلٌ مِنْ نَارٍ يُكَلِّفُ الْكَافِرَ أَنْ يَصْعَدَهُ فَإِذَا وَضَعَ يَدُهُ عَلَيْهِ ذَابَتْ فَإِذَا رَفَعَهَا
عَادَتْ وَإِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ عَلَيْهِ ذَابَتْ فَإِذَا رَفَعَهَا عَادَتْ يَصْعَدُ سَبْعِينَ خَرِيفًا ثُمَّ
يَهْوِي كَذَلِكَ رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ وَقَالَ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَوَاعِدَ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِنَا وَشَيِّدْ فِيهَا بُنْيَانَهُ وَوَطِّدْ فِيهَا أَرْكَانَهُ
وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا بِطَاعَتِكَ وَامْتِثَالِ أَمْرِكَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي
الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٨١ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ نَحْنُ فِي زَمَنٍ لَا تُسَيِّئُ إِذَا عَدَدْنَا أَكْثَرَ أَهْلِهِ مِنْ ضُعْفَاءِ الْمَتَدِينِينَ
الَّذِينَ غَلَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَذَاهِنَةُ ، وَالتَّمَلُّقُ ، وَالْكَذِبُ ، رَاجِعُ حَالِ السَّلَفِ
الْمُؤْمِنِينَ حَقًّا وَانْظُرْ حَالَنَا الْيَوْمَ ، تَعَجَّبُ مِنَ الْفَرْقِ الْمُبِينِ .

كَانَ هَذَا الْمَالُ بِأَيْدِيهِمْ بِكَثْرَةٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَدُورُ عَلَيْهِ الْحَوْلُ ، لِأَنَّهُمْ
نَصَبَ أَعْيُنِهِمْ قَوْلَهُ تَعَالَى ﴿ وَانْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ
فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ وَقَوْلُهُ
تَعَالَى ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

مُطْمَئِنِّينَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ
الرَّازِقِينَ ﴾ كَانُوا أَذَا وَصَلَ إِلَيْهِمُ الْمَالُ يُصِيبُهُمْ قَلَقٌ حَتَّى يَتَصَدَّقُوا بِهِ عَلَى حَدِّ
قَوْلِ الشَّاعِرِ :

قَالَتْ طَرِيقُهُ لَا تَبْقَى دَرَاهِمُنَا
وَمَا بِنَا صَلَفٌ فِيهَا وَلَا خَرَقٌ
لَكِنْ أَذَا اجْتَمَعَتْ يَوْمًا دَرَاهِمُنَا
ظَلَّتْ أَلَى طُرُقِ الْمَعْرُوفِ تَسْتَبِقُ
لَا يَأْلَفُ الدَّرْهَمُ الْمَضْرُوبُ صُرَّتْنَا
لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقُ
آخِر :

أَلَمْ تَرَى أَنَّ الْمَالَ يُهْلِكُ أَهْلَهُ
إِذَا جَمَّ آتِيهِ وَسُدَّتْ طَرِيقُهُ
وَمَنْ جَاوَزَ الْمَاءَ الْغَزِيرَ مَسِيلُهُ
وَسُدَّتْ مَجَارِي الْمَاءِ فَهُوَ غَرِيقُهُ

وجاء الإسلام ودار الندوة بيد حكيم بن حزام فباعها من معاوية بمائة
ألف درهم فقال له عبد الله بن الزبير بعت مكرمة قريش قال : ذهبت
المكارم إلا من التقوى يا ابن أخي إني اشتريت بها داراً بالجنة أشهدك أني

جَعَلْتُ ثَمَنَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، تَأْمَلُ يَا أَخِي سِيرَةَ الرِّجَالِ الَّذِينَ عَرَفُوا الدُّنْيَا
حَقِيقَةً لَعَلَّكَ تَقْتَدِي بِهِمْ فَتَرْجِعَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ .

وَكَانُوا إِذَا عَرَضَ لَهُمْ أَحَدٌ وَأَبْدَى لَهُمْ اِحْتِيَاجَهُ يَرَوْنَ غَفْلَتَهُمْ عَنْهُ مِنْ
النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ الْفَاحِشَاتِ عَلَى حَدِّ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَتَرَكْنِي مُوَأَسَاةَ الْأَخْلَاءِ بِالَّذِي
تَنَالُ يَدِي ظُلْمٌ لَهُمْ وَعُقُوقُ

وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ أَنْ أَرَى
بِحَالِ اتِّسَاعِ وَالصَّدِيقِ مُضَيِّقِ

أَيْنَ هَذَا وَأَيْنَ حَالُنَا الْيَوْمَ وَقَدْ بَخَلْنَا بِحَقِّ الْمَالِ الزَّكَاةَ وَهِيَ حَقُّ الْفُقَرَاءِ
وَالْمَسَاكِينِ ... الخ .

وَكَانُوا إِذَا فَاتَتْهُمْ تَكْبِيرَةُ الْأَحْرَامِ مَعَ الْإِمَامِ رُبَّمَا غَشِيَ عَلَيْهِمْ مِنْ
أَلَمِ هَذَا الْمَصَابِ الْعَظِيمِ وَكَانُوا يُعْزُونَ مَنْ فَاتَتْهُ تَكْبِيرَةُ الْأَحْرَامِ وَمِنْ
بَابِ أَوْلَى وَأُخْرَى مَنْ فَاتَتْهُ الْجَمَاعَةُ أَوْ الْجُمُعَةُ وَيَنْذُرُ وَجُودَ ذَلِكَ مِنْهُمْ

أَيْنَ هَذَا مِنْ حَالِ مُجْتَمِعِنَا الْيَوْمَ الَّذِي تَرَى الْكَثِيرَ مِنْهُمْ يُجَافِي
عَلَيْهِ الْبَابَ وَيَشْرَبُ الشَّايَ أَوِ الدُّخَانَ أَمَا الْخَبَائِثُ وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ .

وَكَثِيرٌ مِنَ الَّذِينَ يُصَلُّونَ مَعَ الْجَمَاعَةِ تَجِدُهُمْ يَخْرُصُونَ عَلَى الْاِتْيَانِ
إِذَا ظَنُّوا أَنَّهَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ وَيُقَصِّدُونَ النَّقَارِينَ الَّذِينَ لَا يَتَرَكَّدُونَ فِي
الصَّلَاةِ وَلَا يَطْمَئِنُّونَ فِيهَا وَلَا يَتِمَكَّنُ الْمَأْمُومُ مِنْ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ الَّتِي لَا
صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِهَا وَلَا يَتِمَكَّنُ مِنَ الْاِتْيَانِ بِالشَّهَادَةِ كَامِلًا .

فَإِنْ ذَلَّ هَذَا عَلَى شَيْءٍ فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ لَا يَفْهَمُونَ الصَّلَاةَ وَلَا

الْمَقْصُودَ مِنْهَا وَلَوْ فَهِمُوهَا تَمَاماً لَصَارَتْ قُرْةً أَعْيَيْنَهُمْ وَلَا اسْتَرَاخُوا بِهَا
وَاسْتَعَانُوا بِهَا عَلَى الدِّينِ وَالْدُنْيَا .

وَكَانُوا أَيْ السَّلَفُ مِمَّنْ يَحْنُ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ يَتَمَتُّعُونَ بِهِ فِي كُلِّ
عَامٍ ، وَلِذَلِكَ تُعَدُّ لِأَحَدِهِمْ أَرْبَعِينَ حِجَّةً ، وَأَزِيدُ ، أَيْنَ هَذَا مِمَّنْ
يُسَافِرُونَ إِلَى بِلَادِ الْكُفْرِ بِلَادِ الْحُرِّيَةِ مُحْكَمَةِ الْقَوَانِينِ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ
وَأَهْلِهِ .

وَمَعَ ذَلِكَ يُبْعَثُونَ الْفُلُوسَ الْعَظِيمَةَ ، الَّتِي سَيَنَاقِشُونَ عَنْهَا دَاخِلَةً
وَخَارِجَةً ضِدَّ مَا عَلَيْهِ آبَاؤُهُمْ مِنْ هِجَرٍ إِنْ جَاءَ مِنْ بِلَادِ الْكُفْرِ غَيْرَ مُهَاجِرٍ
قَالَ ﷺ أَنَا بَرِيءٌ مِنْ مُسْلِمٍ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ وَقَالَ مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكِينَ
وَسَكَنَ مَعَهُمْ فَإِنَّهُ مِثْلُهُمْ . بَلِّغْ يَا أَخِي مَنْ يَذُرُّونَ عَلَى الْكُفَرِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ .

وَكَانَ السَّلَفُ يَشْتَاقُونَ إِلَى الصِّيَامِ ، وَبَعْضُهُمْ يَصُومُونَ سِتَّةَ أَيَّامٍ مِنْ
شَوَّالٍ ، وَثَلَاثَةً مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ، وَيَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، وَالْخَمِيسِ ، وَبَعْضُهُمْ يَصُومُ
كَصِيَامِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، يَوْمٌ يَصُومُ ، وَيَوْمٌ يُفْطِرُ .

أَمَّا نَحْنُ فَيَا لَيْتَهُ يَسْلَمَ لَنَا رَمَضَانٌ مِنَ الْمَفْسِدَاتِ وَالْمَنْقَصَاتِ وَهِيَ هَاتِ .
وَكَانَتِ الْمَسَاكِينُ لَا تَهْمُهُمْ يَسْكُنُونَ فِيهَا تَيْسَرٌ .

عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ أَنَّهُ حَضَرَ رَجُلًا يَبْنِي دَارًا وَهُوَ يُعْطِي الْعُمَّالَ الْأَجْرَةَ
فَمَدَّ يَدَهُ فَأَعْطَاهُ دِرْهَمًا فَطَرَحَ الدِّرْهَمَ فِي الطِّينِ فَتَعَجَّبَ الرَّجُلُ وَقَالَ كَيْفَ
تَطْرَحُ الدِّرْهَمَ فِي الطِّينِ .

فَقَالَ أَعْجَبُ مِنِّي أَنْتَ لِأَنَّكَ طَرَحْتَ كُلَّ دَرَاهِمِكَ فِي الطِّينِ يَعْنِي
ضَيَعْتَهَا فِي الْبِنَاءِ ، وَمُرَّ عَلَيَّ بَنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْعَلَاءِ بْنِ زِيَادٍ فَرَأَى
سَعَةَ دَارِهِ فَقَالَ لَهُ مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسَعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ إِلَيْهَا فِي

الآخرة كُنْتَ أَحوج .

وكان نوح عليه السلام في بَيْتٍ مِنْ شَعْرِ أَلْفِ سَنَةٍ فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْتَ بَيْتًا مِنْ طِينٍ تَأْوِي إِلَيْهِ قَالَ أَنَا مَيِّتٌ فَلَمْ يَزَلْ فِيهِ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا وَقِيلَ إِنَّهُ قَالَ بَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ كَثِيرٌ عَلَى مَنْ يَمُوتُ .

وقال أبو هريرة بثس بيت الرجل المسلم بيت العروس يُذَكِّرُ الدُّنْيَا وَيُنَسِّيُ الْآخِرَةَ ، وكان لِشَقِيقِ الْبَلْخِيِّ خُصٌّ يَكُونُ هُوَ وَدَابَّتُهُ فِيهِ فَإِذَا غَزَا هَدَمَهُ وَإِذَا رَجَعَ بَنَاهُ . بلغ يا أَخِي أَهْلُ الْفُلُلِ وَالْعِمَائِرِ وَقُلْ عَنْ قَرِيبٍ سَتَسْكُنُونَ فِي مَسْكَنٍ ثَلَاثَ أَذْرَعٍ فَقَطْ وَيُسَدُّ عَلَيْكُمْ فِيهِ لَا تَخْرُجُونَ مِنْهُ إِلَّا مَعَ النَّاسِ * يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفُضُونَ *

شعراً :

تبني المنازلَ أعمارُ مُهَدَّمَةٍ

مِنَ الزَّمانِ بِأَنْفاسٍ وَساعاتٍ

آخر :

أَمَّا بُيُوتُكَ فِي الدُّنْيَا فَوَاسِعَةٌ

فَلَيْتَ قَبْرَكَ بَعْدَ الْمَوْتِ يَتَسِعُ

كَأَنُوهَا إِذَا سَمِعُوا الْمَوْعِظَةَ ، أَوْ مَرُّوا بِحَدَادٍ يُوقِدُ نَاراً ، صَبَقُوا وَرُبَّمَا مَكَّثُوا بِلَا وَغْيٍ ، أَيَّاماً ، أَوْ أَشْهُراً مُتَتَالِيَاتٍ ، وَقَدْ سَمِعَتْ بِأَنْاسٍ قَتَلَتْهُمْ الْمَوَاعِظُ أَمَّا نَحْنُ فَتَتَلَّى عَلَيْنَا الْآيَاتُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَلَا كَأَنَّهَا مَرَّتْ قُلُوبَنَا مِنْ الْأَنْهَمَاكِ بِالْدُّنْيَا وَالْغَفْلَةِ أَصْبَحَتْ لَا تُؤَثِّرُ فِيهَا الْعِظَاتُ .

كَأَنُوهَا يَتَعَاوَنُونَ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَلْتَفُّونَ كُتْلَةً وَاحِدَةً وَيَأْخُذُوا عَلَى يَدِ السَّفِينَةِ أَمَّا نَحْنُ فَتَنْبِطُ وَنَقُولُ لِمَنْ يُرِيدُ الْمُسَاعَدَةَ مَا أَنْتَ بِمُلْزَمٍ اِتْرَكْهُمْ .

كَانُوا يَنْصَحُونَ أَهْلَ الْمَعَاصِي ، وَيَنْهَجُرُونَهُمْ ، إِذَا أَصْرُوا عَلَى
الْمَعَاصِي وَلَوْ كَانُوا بِمَنْ لَهُمْ مَنَزِلَةٌ وَمَكَانَةٌ فِي قُلُوبِ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا
وَكَانُوا لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَا يَمُومُ وَهَمُّهُمْ عَالِيَةٌ وَأَنْفُسُهُمْ رَفِيعَةٌ لَا
يَخْشَوْنَ إِلَّا اللَّهَ لَا يَتَمَلَّقُونَ وَلَا يَذَاهِنُونَ وَلَا يَخْضَعُونَ إِلَّا لِلَّهِ قَالَ
بَعْضُهُمْ :

قَالُوا نَرَى نَفَرًا عِنْدَ الْمُلُوكِ سَمَوًا
وَمَالَهُمْ هِمَّةٌ تَسْمُومُوا وَلَا وَرَعٌ
وَأَنْتَ ذُو هِمَّةٍ فِي الْفَضْلِ عَالِيَةٌ
فَلَمْ تَظْمِئْتَ وَهُمْ فِي الْجَاهِ قَدْ كَرَعُوا
فَقُلْتُ بَاعُوا نَفُوسًا وَاشْتَرَوْا ثَمَنًا
وَصُنْتُ نَفْسِي فَلَمْ أَخْضَعْ كَمَا خَضَعُوا
قَدْ يُكْرَمُ الْقِرْدُ إِعْجَابًا بِخُسْتِهِ
وَقَدْ يَهَانُ لِفَرْطِ النَّخْوَةِ السَّبْعُ
هَذَا الَّذِي كَانَ مِنْ سَلَفِنَا الْكَرَامِ نَحْوِ أَهْلِ الْمَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ .

أَمَّا نَحْنُ فَفَتَرَكْنَاهُمْ وَنَقُولُ ذُنُوبُهُمْ عَلَى جُنُوبِهِمْ ، وَرُبَّمَا جَالَسْنَاهُمْ ،
وَوَاكَلْنَاهُمْ ، وَعَظَّمْنَاهُمْ ، كَمَا تَسْمَعُ الْكَثِيرُ يَقُولُونَ لِلْمُجَاهِرِ بِالْمَعَاصِي
كَشَارِبِ الدُّخَانِ ، وَحَالِقِ اللَّحْيَةِ ، وَمُسْتَعْمِلِ آلَاتِ اللَّهْوِ ، يَا مُعَلِّمُ يَا
أُسْتَاذُ يَا سَيِّدُ وَالْوَاجِبُ هَجْرُهُ لِيَرْتَدَعَ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِمَا وَفَّقْتَ إِلَيْهِ الْقَوْمَ وَأَيِّقْظَنَا مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ وَالنَّوْمِ وَأَرْزُقْنَا
الِاسْتِعْدَادَ لِذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي يَرْبَحُ فِيهِ الْمُتَّقُونَ اللَّهُمَّ وَعَامِلِنَا بِإِحْسَانِكَ وَجُدْ
عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ وَامْتِنَانِكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

يُحْزَنُونَ اللَّهُمَّ ارْحَمْ ذُلَّنَا بَيْنَ يَدَيْكَ واجْعَلْ رَغَبَتَنَا فِيهَا لَدَيْكَ ، وَلَا تُحْرِمْنَا
بُذُنُونَا ، وَلَا تَطْرُدْنَا بِعُيُونِنَا ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مَنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

٨٢ « موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ كُلَّنَا وَلِلَّهِ الْحَمْدُ قَدْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ،
وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَرَسُولًا ، وَبِالْقُرْآنِ إِمَامًا ، وَبِالْكَعْبَةِ قِبْلَةً وَبِالْمُؤْمِنِينَ إِخْوَانًا
وَتَبَرَّأْنَا مِنْ كُلِّ دِينٍ يُخَالِفُ دِينَ الْإِسْلَامِ ، وَأَمَّا بِكُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللَّهُ ،
وَبِكُلِّ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللَّهُ ، وَبِمَلَائِكَةِ اللَّهِ ، وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَبِالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَبِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ اللَّهِ ، عَلَى ذَلِكَ
نَحْيًا ، وَعَلَيْهِ نَمُوتُ ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ أَنْشَاءُ اللَّهِ مِنَ الْأَمِينِينَ الَّذِينَ لَا خَوْفَ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ .

ثُمَّ اعْلَمُوا مَعَاشِرَ الْإِخْوَانِ إِنَّهُ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا لَزِمَهُ أَنْ يَرْضَى
بِتَذْوِيرِهِ ، وَاخْتِيَارِهِ لَهُ ، وَبِمَرْقُضَائِهِ ، وَأَنْ يَقْنَعَ بِمَا قَسَمَ لَهُ مِنَ الرِّزْقِ ،
وَأَنْ يُدَافِعَ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَيُحَافِظَ عَلَى فَرَائِضِهِ ، وَيَجْتَنِبَ مَحَارِمَهُ ،
وَيَكُونُ صَابِرًا عِنْدَ بَلَائِهِ ، مُوْطِنًا نَفْسَهُ عَلَى مَا يُصِيبُهُ مِنَ الشَّدَائِدِ ، بَعِيدًا
كُلَّ الْبُعْدِ عَنِ نَارِ الْجَزَعِ ، الَّتِي تَتَأَجَّجُ فِي قَلْبِ كُلِّ امْرِئٍ يَجْهَلُ بَارِئَهُ
وَمَوْلَاهُ .

فَإِنْ رَأَيْتَ نَفْسَكَ أَيُّهَا الْأَخُ تُرِيدُ أَنْ تَجْزَعَ عِنْدَ مُلِمَّةٍ ، فَقِفْ أَمَامَهَا
مَوْقِفَ النَّاصِحِ الْقَدِيرِ ، أَفْهَمَهَا أَنَّهَا هِيَ السَّبَبُ فِيمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ
بَلَاءٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ .

وإن لم تُصَدِّقْ فافْقَرُ عَلَيْهَا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ فَإِنَّهَا إِذَا سَمِعَتْ ذَلِكَ وَجَّهَتْ اللُّومَ إِلَى نَفْسِهَا عَلَى مَعَاصِيهَا ، وَهَدَأَتْ مِنْهَا الثُّورَةَ الثَّقِيلَةَ .

وَأَفْهَمَهَا أَنَّ لَيْسَ بَيْنَهَا وَلَا بَيْنَ رَبِّهَا عَدَاوَةٌ ، فَإِنَّهُ بِعِبَادِهِ الرَّءُوفُ الرَّحِيمُ ، وَأَفْهَمَهَا أَنَّ الْبَلَايَا قَدْ تَلَزَّمُ الْعَبْدَ حَتَّى يُصْبِحَ مَغْفُورَةً ذُنُوبُهُ كُلُّهَا ، صَغِيرُهَا ، وَالْكَبِيرُ ، وَأَفْهَمَهَا أَنَّ نَتِيجَةَ ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَ الْبَلَايَا يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي أَمْنٍ مَوْلَاهُ الْكَرِيمُ .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُصِيبْ مِنْهُ ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ الْحَدِيثَ .

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَزُلُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ ، وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، أَفْهَمَ نَفْسَكَ كُلَّ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهَا آلامَ الْبَلَايَا ، وَرُبَّمَا جَعَلَهَا مِنَ الْمَحْبُوبَاتِ .

وَأَفْهَمَهَا أَنَّ اللَّهَ وَعَدَ الصَّابِرِينَ أَنَّ يَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَأَفْهَمَهَا أَنَّ اللَّهَ حَكِيمٌ فِي كُلِّ تَصَرُّفَاتِهِ ، وَقُلْ لَهَا إِنَّ الْجَزَعَ لَا يَرُدُّ مَا نَزَلَ مِنَ الْبَلَاءِ أَبَدًا ، بَلْ مَا دَبَّرَهُ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ لَا بُدَّ مِنْ وَقُوعِهِ فَلَا فَائِذَةَ فِي الْجَزَعِ وَالْحُزَنِ ، وَقُلْ إِنَّ عَاقِبَةَ الْجَزَعِ وَالتَّسَخُّطِ النَّارُ ، وَعَاقِبَةُ

الصَّبْرَ وَالرِّضَا بِمَا قَضَاهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ .

وَقُلْ إِن شِمَاتَةَ الْأَعْدَاءِ فِي الْجَزَعِ ، وَغَيْظَهُمْ فِي الصَّبْرِ ، الَّذِي
يَتَأَكَّدُ لَزُومُهُ عَلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ .

وَتَأَكَّدُ وَاطْمَئِنَّ أَنَّهَا إِذَا سَمِعَتْ مِنْكَ كُلَّ ذَلِكَ رَضِيَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ كُلَّ
الرِّضَا ، وَلَزِمَتْ الْأَدَابَ ، فَتَعِيشُ كُلَّ حَيَاتِهَا تَرَوْحُ وَتَغْتَدِي فِي جَنَّةِ
رِضَاهَا ، مَهْمَا بَرَحَتْ بِهَا الْبَلَايَا وَالْأَوْصَابُ ، وَبِذَلِكَ مَعَ تَوْفِيقِ اللَّهِ تَعَالَى
تَجْمَعُ بَيْنَ سَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهَكَذَا تَكُونُ عَوَاقِبُ الصَّابِرِينَ الْأَبْطَالِ .

اللهم اھمنا ذکرک ووفقنا للقیام بحقک ، وخلصنا من حقوق
خلقک ، وبارک لنا فی الحلال من رزقک ، ولا تقضحنا بین خلقک ، یا خیر
من دَعاہ داع وافضل من رجاء راج یا قاضی الحاجات ، ومجیب الدعوات ،
ھب لنا ما سألناہ ، وحقق رجاءنا فیما تمنیناہ ، یا من یملک حوائج السائلین
ويعلم ما فی صدور الصّامتین اذقنا برد عفوک وحلاوة مغفرتک واغفر لنا
ولوالدینا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والمیتین برحمتک یا أرحم الراحمین
وصلی اللہ علی محمد وعلی آلہ وصحبہ أجمعین .

۸۳ « موعظة »

فَيَا أَيُّهَا الْمُهْمِلُونَ الْغَافِلُونَ تَيْقَظُوا فَإِلَيْكُمْ يُوجَّهُ الْخَطَابُ وَيَا أَيُّهَا
النَّائِمُونَ انْتَبِهُوا قَبْلَ أَنْ تُنَاخَ لِلرَّحِيلِ الرِّكَابُ قَبْلَ هُجُومِ هَادِمِ اللَّذَاتِ
وَمُفَرِّقِ الْجَمَاعَاتِ وَمُذِلِّ الرِّقَابِ وَمُشْتَتِ الْأَحْبَابِ فَيَا لَهُ مِنْ زَائِرٍ لَا يَعُوقُهُ
عَائِقٌ وَلَا يُضْرَبُ دُونُهُ حِجَابٌ ، وَيَا لَهُ مِنْ نَازِلٍ لَا يَسْتَأْذِنُ
عَلَى الْمُلُوكِ وَلَا يَلْحُ مِنْ الْأَبْوَابِ ، وَلَا يَرْحَمُ صَغِيرًا وَلَا يُوقِرُ كَبِيرًا وَلَا يَخَافُ

عَظِيمًا وَلَا يَهَابُ إِلَّا وَإِنَّ بَعْدَهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ مِنَ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ ،
وَوَرَاءَهُ هَوْلُ الْبَعْثِ وَالْحَشْرِ وَأَحْوَالِهِ الصَّعَابِ مِنْ طُولِ الْمَقَامِ وَالْإِزْدِحَامِ
فِي الْأَجْسَامِ وَالْمِيزَانِ وَالصِّرَاطِ وَالْحِسَابِ ،

٨٤ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ اتَّقُوا اللَّهَ وَبَادِرُوا بِالتَّوْبَةِ قَبْلَ أَنْ يُغْلَقَ عَنْكُمْ الْبَابُ ،
وَابْتَدِرُوا الْأُوبَةَ قَبْلَ أَنْ يُرَخَّى دُونَكُمْ حِجَابُهَا ، وَانْتَهِزُوا فُرْصَ الْحَيَاةِ فَقَدْ
اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَتَضَاعَفَ اقْتِرَابُهَا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ
حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴾ يَا عِبَادَ اللَّهِ تَذَكَّرُوا مَوَاقِفَ الْخَلَائِقِ
بَيْنَ يَدَيِ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ فِي يَوْمٍ يُحَرَّرُ فِيهِ الْحِسَابُ ، وَأَعِدُّوا لِلْحِسَابِ
صَوَابَ الْجَوَابِ ، فَلَا بُدَّ أَنْ يُطْلَبَ مِنْكُمْ عَلَى كُلِّ مَسْأَلَةٍ جَوَابُهَا ،
وَاجْتَنِبُوا التَّسْوِيفَ ، فَإِنَّ سُيُوفَ الْمِنَّةِ قَاطِعَةٌ ، يَا مَعْشَرَ الْمُسْوَفِينَ أَظَنَنْتُمْ
أَنْكُمْ فِي الدُّنْيَا مُخَلَّدُونَ ، وَأَنْتُمْ مَعَ الْعَاصِينَ قَاعِدُونَ ، كَمْ مَرَّتْ بِكُمْ
مَوَاسِمُ الطَّاعَاتِ ، وَأَنْتُمْ عَنْ اسْتِغْلَالِهَا بِالْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ رَاقِدُونَ ، فَمَا
فَمَا بِأَنَّكَ أَتَيْتَ الْغَافِلَ تُسَارِعُ فِي مُتَابَعَةِ هَوَاكَ ، مَعَ أَنَّكَ فِي الْعِبَادَةِ مُتَكَاسِلٌ ، وَتَتَلَيَّ
عَلَيْكَ آيَاتُ مَوْلَاكَ وَأَنْتَ عَنْهَا مُعْرِضٌ إِعْرَاضَ الْجَاهِلِ تَسْمَعُ الْمَلَاهِيَّ فْتَمِيلُ
إِلَيْهَا بِقَلْبِكَ وَتُبْصِرُ الْمُنَاهِيَّ مِنْ تَلْفِزِيُونَ وَفِدْيُو وَسِينَاءِ وَسَافِرَاتِ وَضُورِ فَلَا
تَتَحَرَّكَ وَلَا تَتَمَعَّرُ ، هَلْ أَنْتَ مُكَذِّبٌ بِالتَّحْرِيمِ ، أَوْ مُتَشَكِّكٌ فِي الْبَعْثِ وَعَذَابِ
الْقَبْرِ وَالْحِسَابِ وَالصِّرَاطِ وَالْمِيزَانِ ، يَا مُؤْمِنَا يَوْمَ الْحِسَابِ تَهَيَّأْ لِلْمُحَاسَبَةِ ، وَنَا
مُدْعِنًا بِحُقُوقِ الرَّبِّ اسْتَعِدَّ لِلْمُطَالَبَةِ وَنَا طَوِيلَ الْأَمَلِ كَمْ أَمَالٍ أَصْبَحَتْ
خَائِبَةً ، فَكَأَنَّكَ بِالْمَوْتِ وَقَدْ نَزَلَ بِسَاحَتِكَ وَنَزَلَتْ فِي الْقَبْرِ مَعَ عَمَلِكَ وَحُشِرَتْ
وَعُرِضَتْ عَلَى عَالَمِ سِرِّيَّتِكَ وَعِلَانِيَّتِكَ وَكَأَنَّكَ بِالْحَشْرِ وَالنَّشْرِ وَالْحِسَابِ بَيْنَ
يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَكَأَنَّكَ بِالْأَهْوَالِ وَالْمَخَافِ وَقَدْ أَحَاطَتْ وَاشْتَدَّ الْخَوْفُ

والوجلُ وكأنَّكَ بالبحيمِ وقد سَعِرَتْ وبالجنةِ وقد أُرِلِفَتْ ، فَالْبَدَارَ قَبْلَ
انقضاءِ الأعمارِ .

تَجَرَّدَ مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ إِنَّمَا خَرَجْتَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَنْتَ مُجَرَّدٌ
وَتُبِّ مِنْ ذُنُوبٍ مُؤَبَّاتٍ جَنَيْتَهَا فَمَا أَنْتَ فِي دُنْيَاكَ هَذِي مُخَلَّدٌ
وَفَقْنَا اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ لِلْفَوْزِ بِدَارِ الْقَرَارِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَأَلِهِ وَسَلَّمَ .

موعظة : عِبَادَ اللَّهِ مَا نَدِمَ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ فِي أَيِّ وَقْتٍ كَانَ ، وَلَا عَادَتْ
الطاعاتُ عَلَى صَاحِبِهَا إِلَّا بِالْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ فِي كُلِّ آتٍ ، وَالْعَصَاةُ فِي كُلِّ
زَمَنٍ هُمْ الْمَمْقُوتُونَ مَهْمَا ابْتَسَمَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا وَقَضَوْا فِيهَا بَعْضَ مَا رِيَبِهِمْ ،
وَمَهْمَا هَامُوا بِحُبِّهَا وَأَحْكَمُوا أَسَالِيبَ جَمْعِهَا ، فَإِنَّ الدُّنْيَا لَا تَبْتَسِمُ لِفَاسِقٍ
إِلَّا لِتَسْحَقَهُ ، وَلَا تَفْتَحُ ذِرَاعَيْهَا لِمُقْبِلٍ عَلَيْهَا إِلَّا لِتُحْرِقَهُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى
﴿ فَلَا تَغْرَنَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرَنَكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ فَمَاذَا غَرَّكَ فِيهَا أَثَرُهَا
الْمُسْكِينُ ، إِنْ كَانَ الَّذِي غَرَّكَ فِيهَا كَثْرَةُ النُّقْدَيْنِ أَوْ مَا نَابَ مِنْأَبْهَمَا مِنْ
أَوْرَاقٍ ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ حَضَبَاؤُهَا اللَّوْلُؤُ ، وَتُرَائِبُهَا الرُّعْفَرَانُ ، وَيَنَاوُهَا الذَّهَبُ
وَالْفِضَّةُ ، وَالْدَّرُّ وَالْيَاقُوتُ ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي غَرَّكَ مِنْهَا فَوَاكِهُهَا وَمَطْعُمَاتُهَا
وَمَا حَوَتْ مِنْ مَتَاعٍ ، فَإِنَّ فِي الْجَنَّةِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا
خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ ، وَإِنْ كَانَ الَّذِي غَرَّكَ جَمَالُ نِسَائِهَا ، فَإِنَّ فِي الْجَنَّةِ
﴿ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ ، لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴾ ﴿ وَكَوَاعِبُ
أَتْرَابٍ ﴾ لَوْ ظَهَرَ بَنَانُ إِحْدَاهُنَّ عَلَى الدُّنْيَا لَأَصْأَتْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ فِي خَدِّهَا أَصْفَى مِنَ الْمِرْآةِ ، وَتُسَرُّ بِمُشَاهَدَتِهَا سُرُورًا لَا
يَعْلَمُ قَدْرَهُ إِلَّا اللَّهُ ، لَا تَنْظُرُ إِلَّا إِلَيْهَا وَلَا تَنْظُرُ إِلَّا إِلَيْكَ ، لَا تَتَكَلَّمُ إِلَّا بِمَا

يَسْرُكَ ، تَأْمُرُهَا فَتَخْضَعُ ، وَتُحَدِّثُهَا فَتَسْمَعُ ، إِذَا تَكَلَّمْتَ أَطْرَبْتَ ، لَا تَفْتَخِرْ عَلَيْكَ بِحُسْنِهَا وَجَمَالِهَا ، وَلَا تَمُنْ بِجَمِيلِ صُنْعِهَا ، لَا تَنْفَرُ مِنْكَ وَلَا تَغْضَبُ ، وَلَا تَلْهُو عَنْكَ وَلَا تَضْحَبُ ، الْجَمَالَ كِسَاؤُهَا ، وَالْكَمَالَ رِداؤُهَا ، وَالْوُدَّ وَالْوَفَاءَ مِنْ طَبْعِهَا ، لَا يَغْلُو صَوْتُهَا عَلَى صَوْتِكَ وَلَا تَجْتَهِدُ إِلَّا فِي مَرْضَاتِكَ ، هَادِئَةٌ ، سَاكِنةٌ رَاضِيَةٌ بِتِلْكَ وَأَمْثَالِهَا لِلْمُؤْمِنِينَ الْمُعْلُومِينَ ، مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ ، لَقَدْ فَازَ وَاللَّهِ مَنْ اجْتَهَدَ فِيمَا يُنْجِيهِ ، وَخَابَ مَنْ أَتَعَبَ نَفْسَهُ فِيمَا يُخْزِيهِ ، وَأَنْتُمْ الْآنَ فِي فُسْحَةٍ مِنْ أَجَلِكُمْ ، وَصِحَّةٍ مِنْ أَيْدَانِكُمْ ، وَاكْتِمَالٍ مِنْ عُقُولِكُمْ ، وَآخِرُ الْأَجَلِ غَائِبٌ عَنْكُمْ ، وَلَا تَذَرُونَ كَيْفَ حَالِكُمْ بَعْدَ يَوْمِكُمْ فَسَارِعُوا ﴿ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَفْقِدَ الْبَدَنُ صِحَّتَهُ ، وَيَقُولَ الْحَقُّ كَلِمَتَهُ ، فَيَنْقُضِي الْأَجَلَ ، وَيُخْتَمَ عَلَى الْعَمَلِ ، فَلَا يُنْقِصُ فِيهِ وَلَا يَزَادُ ، وَلَا يُعَدَّلُ فِيهِ شَيْءٌ إِلَى الْمَعَادِ ، تَقُولُ لِيَتَنِي أَطَعْتُ ، وَمَا هِيَ بِنَافِعَةٍ ، وَلِيَتَنِي مَا عَصَيْتُ ، وَلَيْسَتْ بِدَافِعَةٍ ، إِذَا قَاضَيْعُ النَّاسِ وَأَخْسَرُهُمْ صَفْقَةً مَنْ سَوَّفَ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ ، وَأَشَدُّهُمْ خُسْرَانًا مَنْ لَمْ يُبَادِرْ فِي التَّوْبَةِ مِنْ ذَنْبِهِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ وَفِي الْحَدِيثِ « أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ وَانصُرِ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ . وَاجْعَلْ كَلِمَتِكَ هِيَ الْعُلْيَا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَاخْذِلِ الْكُفْرَةَ وَأَعْوَانَهُمُ وَالْمُلْحِدِينَ وَالْمُبْتَدِعِينَ وَأَصْلِحْ مَنْ فِي صَلَاحِهِ صَلَاحُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِكَ

مَنْ فِي هَلَاقِهِ صَلَاحٌ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَوَلَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ خِيَارَهُمْ
يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ وَلَمْ شَعْنَهُمْ وَاجْمَعْ شَمْلَهُمْ وَوَحِّدْ كَلِمَتَهُمْ وَأَنْصُرْهُمْ عَلَى
مَنْ خَالَفَهُمْ وَاحْفَظْ بِلَادَنَا مِنَ الْفَسَقَةِ وَالْمُجْرِمِينَ وَأَصْلِحْ أَوْلَادَنَا وَإِشْفِ
مَرْضَانَا وَعَافِ مَبْتَلَانَا وَارْحَمْ مَوْتَانَا وَحِذْ بِأَيْدِينَا إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَاعْصِمْنَا مِنْ
كُلِّ شَرٍّ وَاحْفَظْنَا مِنْ كُلِّ ضَرٍّ وَاعْفِرِ اللَّهُمَّ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ إِنَّكَ قَرِيبٌ مُجِيبُ اللَّهُمَّ لَا
تَجْعَلْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمًّا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمٍ وَلَا إِلَى النَّارِ مَصِيرًا وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا
بُذُنُونًا مِنْ لَا يَخَافُكَ فِينَا وَلَا يَرْحَمُنَا وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا وَلَا
تَسْلُبْ نِعْمَتَكَ عَنَّا وَكُنْ مَعَنَا حَيْثُمَا كُنَّا يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٨٥ (موعظة)

الاخلاصُ مِنْكَ مَصُونٌ فِي الْقَلْبِ يُنْبِئُهُ رَحْمَةُ عَلَى حَامِلِهِ ، الْعَمَلُ
صُورَةٌ وَالْإِخْلَاصُ رُوحٌ ، إِذَا لَمْ تُخْلِصِ الْعَمَلُ لِلَّهِ وَحْدَهُ فَلَا تَتَّعَبُ ، لَوْ
قَطَعْتَ الْمَنَازِلَ لَمْ تَكُنْ حَاجًّا إِلَّا بِشُهُودِ الْوُقُوفِ بِالْمَوْقِفِ ، وَلَا تَغْتَرَّ بِصُورَةِ
الطَّاعَاتِ .

كَانَ أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِي إِذَا تَحَدَّثَ فَرَّقَ قَلْبُهُ وَجَاءَ الدَّمْعُ قَالَ مَا أَشَدَّ
الزُّكَامَ .

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمَ إِذَا مَرِضَ يَجْعَلُ عِنْدَ رَأْسِهِ مَا يَأْكُلُ الْأَصِحَّاءُ
كَيْلًا يَتَشَبَّهُ بِالشَّاكِينِ .

وَكَانَ ابْنُ أَبِي لَيْلَى يُصَلِّي فَإِذَا أَحَسَّ بِدَاخِلِ نَامٍ عَلَى فِرَاشِهِ .

وَكَانَ النَّخَعِيُّ يَقْرَأُ فِي الْمُصْحَفِ فَإِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ أَحَدُ غَطَاهُ .

وَكَانَ الْوَاحِدُ مِنَ السَّلَفِ تَأْتِيهِ الْعَبْرَةُ وَالْخُشُوعُ فَيَقُومُ خُشْيَةً أَنْ يُفْطَنَ لَهُ .

وكان بعضهم يُصلي ويُبكي وإذا جاءه زائر غسل وجهه عن الدموع
لثلاثين له .

كل هذا من الاخلاص بَلَّغَ يا أَخِي مَعَشَرَ الْمَرَاتِين الذين إذا سَاهَمُوا في
مَشْرُوعٍ دِينِي نَشَرُوا أَسْمَاءَهُمْ في الجرائد والمجلات والإذاعات والذين
يُعَدُّونَ كَمْ حَجُّوا مِنْ سَنَةٍ وهم ما سُئِلُوا ويقولون نَحْنُ نَعْتَمِرُ كُلَّ سَنَةٍ وأهلنا
وأولادنا ونَجْلِسُ بالحرم .

وَيُهْمِلُ عَائِلَتَهُ وَلَا يُحَافِظُ عَلَيْهِمْ وَلَا يَدْرِي أَيْنَ يَذْهَبُونَ في الليل والنهار
ورُبَّمَا حَصَلَ لَهُ بِسَبَبِهِمْ إِثْمٌ عَظِيمٌ لِأَن سَيِّئَةَ الْحَرَمِ عَظِيمَةٌ لَيْسَتْ كَغَيْرِهَا .
وربما كان مع ذلك المأكَل والملبس والمركب حرام نسأل الله العفو
والعافية في الدنيا والآخرة .

وهذه المسائل قَلٌّ مَنْ يَتَّبَعُهَا مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِمْ .
فالرياءُ مِنْ أَصْعَبِ الْأَشْيَاءِ وَأَخْفَاهَا وَضَرَرُهُ عَظِيمٌ وَقَدْ يُجِبُّطُ الْأَعْمَالُ .
فَيَنْبَغِي لِلنَّاسِ أَنْ يَجْعَلَهُ دَائِمًا نَصَبَ عَيْنَيْهِ فِي الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّيَامِ
والحج وسائر الأعمال .

اللَّهُمَّ قَوِّنَا بِالْيَقِينِ وَامْنَحْنَا التَّوْفِيقَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

٨٦ موعظة

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ أَصْبَحَ النَّاسُ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا أَهْمٌ عِنْدَهُمْ بِكَثِيرٍ مِمَّا
يَتَعَلَّقُ بِالْآخِرَةِ ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ مَشْغُولِينَ
شُغْلَ الْعَاشِقِينَ الْمُسْتَغْرِقِينَ ، كَأَنَّهُمْ مَا خُلِقُوا إِلَّا لَهَا ، وَأَمَّا الدِّينُ فَلَا
يَخْطُرُ عَلَى بَالِهِمْ ، وَإِنْ خَطَرَ فَطِيفٌ يَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ، أَثَرُ بَعْضُهُمْ

عَلَى بَعْضٍ فِي هَذَا الْإِنْتِهَاكِ الْعَظِيمِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الشَّيْطَانَ بَلَغَ فِي
 تَهْوِينِ الدِّينِ عِنْدَهُمُ الْغَايَةَ وَمِمَّا يَدُلُّكَ عَلَى ذَلِكَ أَنَّكَ تَرَى الشَّخْصَ يَرْتَدُّ
 عَنِ الدِّينِ فَلَا يُسْأَلُ وَلَا يُنَاقَشُ ، وَلِذَلِكَ نُزِعَتْ الْبَرَكَةُ مِنْ أَعْمَارِنَا وَأَعْمَالِنَا
 وَأَمْوَالِنَا وَأَوْلَادِنَا ، وَأَصْبَحْنَا وَقَدْ ضَرَبَ الذُّلُّ عَلَيْنَا سُرَادِقَهُ وَنَحْنُ كَأَنَّا لِسْنَا
 مِنَ الْأَحْيَاءِ ، أَمَّا عَدَمُ الْبَرَكَةِ فِي أَعْمَارِنَا ، فَلَأَنَّ أَحَدَنَا يَمُرُّ عَلَيْهِ الشَّهْرُ
 وَالْعَامُ لَا تَرَى لِحَيَاتِهِ مِنْ أَثَرٍ ، فِي الْأَصْلَاحِ وَتَوَجُّهِهِ الْمُنْحَرِفِينَ ، وَالْقِيَامِ
 التَّامِّ الْمُثْمِرِ بِالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالسَّعْيِ فِي إزَالَةِ مَا يَمَسُّ
 الدِّينَ مِمَّا حَلَّ فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ وَالْمَفَاسِدِ وَالشُّرُورِ ، وَلَوْ
 سَأَلْتَ أَحَدَنَا هَلْ لَكَ مِنْ حَيَاتِكَ أَثَرٌ نَافِعٌ لَتَلَجَّلَجَ فِي الْكَلَامِ ، يَنْظُرُ وَرَاءَهُ
 فَلَا يَرَى أَثَرًا ، وَيَتَبَيَّنُ لَهُ أَنَّ الْأَيَّامَ مَرَّتْ سُدًى تَتَلَوُّهَا الْأَيَّامُ ، هَذَا مِنْ
 عَدَمِ الْبَرَكَةِ فِي أَعْمَارِنَا وَأَمَّا عَدَمُ الْبَرَكَةِ فِي أَعْمَالِنَا فَلَأَنَّ أَحَدَنَا مَا دَامَ
 مُسْتَقِظًا يَتَحَرَّكُ وَلَا تَنْقَطِعُ أَقْوَالُهُ وَلَا أَفْعَالُهُ ، وَلَكِنَّهَا تَدُورُ بَيْنَ حَرَامٍ أَوْ
 مَكْرُوهٍ ، أَوْ عَبَثٍ لَا يَلِيقُ أَنْ يَصْدُرَ مِنَ الرِّجَالِ ، فَتَجِدُ الْكَذِبَ وَالنَّمِيمَةَ
 وَالْقَدْفَ وَالْغِيْبَةَ وَالتَّمَلُّقَ وَالنِّفَاقَ وَالرِّيَاءَ وَتَعْظِيمَ الْعَصَاةِ الْمُجَاهِرِينَ بِهَا
 وَنَحْوَ ذَلِكَ ، وَأَمَّا عَدَمُ الْبَرَكَةِ فِي أَمْوَالِنَا فَلَأَنَّ أَحَدَنَا يَكُونُ عِنْدَهُ الْمَالُ
 الْكَثِيرُ فَتَرَاهُ يُبْعِثُهُ فِي سَبِيلِ شَهَوَاتِهِ وَمِلَذَّاتِهِ الْفَاجِرَةِ أَوْ يَكْتِنِزُهُ وَلَا يُخْرِجُ
 مِنْهُ الزُّكَاةَ ، وَإِنْ عَرَضَتْ عَلَيْهِ مَشْرُوعًا دِينِيًّا فَرَّ مِنْكَ مَذْعُورًا فَلَا يُبْرِكُ
 تَكُونُ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَالِ ، وَأَمَّا عَدَمُ الْبَرَكَةِ فِي أَوْلَادِنَا فَلَأَنَّهُمْ فِي
 صِبْغِهِمْ يَكُونُونَ شَيَاطِينَ يُتَعَبُونَ فِي التَّرْبِيَةِ أَبَاءَهُمْ وَأُمَهَاتِهِمْ ، فَإِذَا شَبُّوا
 شَغِلُوا بِشَهَوَاتِهِمْ عَمَّا يَجِبُ عَلَيْهِمُ لِلْوَالِدَيْنِ مِنْ صُنُوفِ الْبِرِّ وَأَكْثَرُهُمْ يَكُونُ
 طُولَ حَيَاتِهِ حَرْبًا عَلَى وَالِدَيْهِ يُرِيهِمَا أَنْوَاعَ الْإِهَانَاتِ ، وَالْأَذَايَا وَأَيُّ بَرَكَةٍ
 فِي أَوْلَادِ هَذَا حَالِهِمْ مَعَ وَالِدَيْهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ نَزْعَ الْبَرَكَةِ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ

عَقُوبَةً لَنَا عَلَى إِقْبَالِنَا عَلَى الدُّنْيَا وَإِعْرَاضِنَا عَنِ الدِّينِ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ وَقْرَ مَحَبَّتِكَ فِي قُلُوبِنَا وَاشْرَحْ صُدُورُنَا وَنَوِّرْهَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَقُوزُ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ فِي جَنَاتِ النَّعِيمِ يَا حَلِيمٌ وَيَا كَرِيمٌ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٨٧ (موعظة)

عباد الله - الدنيا مَلَأَى بالمصائب والآلام ، والأحزان والأسقام غناها فقر وعجزها ذل . والآجال فيها معدودة والأعمار محدودة ، قال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ .

نعيمها إلى فناء وعيشها إلى انقضاء متاعها قليل ، وحسابها طويل - الخلود فيها لا يكون لإنسان والبقاء الدائم لا يكون إلا للديان الذي يقول : ﴿ كُلٌّ مِنْ عَلَيْهَا فَأَنْ يُبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ .

فالسعيد مَنْ اسْتَعَدَّ لِيَوْمِ الرَّحِيلِ ، وَجَهَّزَ نَفْسَهُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ لِسَفَرٍ طَوِيلٍ ، وَتَفَكَّرَ فِيمَنْ سَبَقُوهُ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا حَقَّ بِهِمْ مَهْمًا حَاوَلَ الْفِرَارَ ، وَالْأَمْرُ بَعْدَ ذَلِكَ إِمَّا نَعِيمٌ مُقِيمٌ أَوْ شِقَاءٌ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ .

فِيَا مَنْ بَنَيْتَ الْأَمَالَ وَقَصَّرْتَ فِي الصَّالِحِ مِنَ الْأَعْمَالِ ، تَنَبَّهْ لِلْمَوْتِ ، فَإِنْ نَسِيَانَهُ ضَلَالٌ مُبِينٌ ، كَمْ مِنْ صَدِيقٍ لَكَ مَاتَ فِي رَيْعَانِ شَبَابِهِ ، وَكَمْ شَيَّعَتْ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ مِنْ أَحْبَابِهِ ، تَذَكَّرْ يَا مَغْرُورٌ سَاعَةَ الْإِحْتِضَارِ وَخُرُوجِ الرُّوحِ .

والأولادُ حولَكَ يَبْكُون والنِّساءُ تُنوح ، يُنادِيكَ وَلَدُكَ ، أُنْتِ إِنِّي بَعْدَكَ
مِسْكِين ، وتَصْرُخُ الزَّوْجَةُ يا زَوْجِي إلى أَيْنَ الرَّحِيلَ وَهَلْ مِنْ رَجْعَةٍ أَوْ غِيَابِكَ
طَوِيل .

فَتَغْرِغُرُ عَيْنَاكَ بِالْذُّمُوعِ وَيُلْجِمُ مِنْكَ اللِّسَانُ ، وَتُحَاوِلُ النُّطْقَ فَيَتَعَذَّرُ
عَلَيْكَ الْكَلَامُ ، وَتَطْلُبُ النِّجَاةَ وَلَكِنْ ﴿ جَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا
كَنتَ مِنْهُ تَحِيد ﴾ .

إِذَا عَلِمْتَ هَذَا يَا أَخَا الْإِسْلَامِ ، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ أُنْبَائِكَ مِنْ
بَعْدِكَ . ذُلٌ بَعْدَ عِزٍّ ، وَحِرْمَانٌ بَعْدَ حَنَانٍ يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَبْنَاءِ مَعَ آبَائِهِمْ
فَيَحْزَنُونَ ، وَيَذْكُرُونَ عَطْفَ أَبِيهِمْ فَيَبْكُونَ ، لَيْلُهُمْ نَهَارٌ ، وَنَهَارُهُمْ لَيْلٌ .

أَعْيَادُهُمْ أَتْرَاحٌ وَأَحْزَانٌ ، وَأَفْرَاحُهُمْ هُمُومٌ وَأَشْجَانٌ ، يَتَلَفَتُونَ عَلَى
أَحْبَابِ أَبِيهِمْ وَأَصْدِقَائِهِ ، عَلَّهُمْ يَجِدُونَ عِنْدَهُمُ الْحَنَانَ وَيَسْتَهْوُونَ ضَمَّةً أَوْ
قُبْلَةً كَمَا يَفْعَلُ الْآبَاءُ بِالْغِلْمَانِ وَالْوِلْدَانِ .

فَإِنْ كُنْتَ يَا مُسْلِمٌ فِي حَيَاتِكَ بَارَأَ بِمَنْ فَقَدُوا آبَاءَهُمْ ، عَطُوفًا عَلَى
الْيَتَامَى . تَمَسَّحُ دُمُوعُهُمْ بِخَيْرِكَ ، وَتُعَامِلُهُمْ كَوَلَدِكَ تُدْخِلُ السُّرُودَ عَلَى
قُلُوبِهِمُ الْحَزِينَةَ بِمَا تَقْدِّمُهُ لَهُمْ مِنَ الْهَدَايَا وَالْإِحْسَانِ ، وَمَا تُظْهِرُهُ لَهُمْ مِنْ حُبٍّ
وَعَطْفٍ وَرِعَايَةٍ وَحَنَانٍ ، إِنْ فَعَلْتَ هَذَا فِي حَيَاتِكَ فَأَبْشِر .

فَإِنْ أَوْلَادُكَ بَعْدَكَ فِي أَمَانٍ ، تَحْنُو عَلَيْهِمُ الْقُلُوبُ ، وَيَرَعَاهُمْ عَلَامُ
الْغُيُوبِ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا
خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ .

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ : إِنْ رِعَايَةُ الْيَتِيمِ مِنْ وَاجِبَاتِ الدِّينِ ، وَإِنْ إِهْمَالُ
شَأْنِهِ وَإِذْلَالُهُ وَقَهْرُهُ مَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ وَأَكَلَ مَالَهُ يُغْضِبُ الدِّيَانَ ، وَيُوجِبُ

الحَرَمَان . قال الله تعالى ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ وقال سبحانه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا ﴾ .

إِنْ مِنْ رِعَايَةِ الْيَتِيمِ تَنْمِيَّةُ مَالِهِ ، وَإِصْلَاحُ حَالِهِ بِالتَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيمِ وَالتَّهْذِيبِ وَالتَّقْوِيمِ . قال تعالى : ﴿ وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ ﴾ .

وَإِنْ احتَاجَ الْيَتِيمُ أَوْ الْأَرْمَلَةُ إِلَى مُسَاعَدَةٍ تَعُودُ عَلَى مَصْلَحَتِهِ فَيَنْبَغِي لَوْلِيهِ أَنْ يَسْتَعِينَ بِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ يَمُنُّ لَهُمْ قَدَمٌ ثَابِتٌ فِي ذَلِكَ وَعَرْقٌ أَصِيلٌ لَانِهِمْ أَحْرَى مِنْ غَيْرِهِمْ فِي النِّفْعِ . وَاحْذَرِ الثَّامَ وَالبُخْلَاءَ .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِسَبِيلِ الطَّاعَةِ ، وَثَبَّتْنَا عَلَى اتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِنْ عَرَفِ الْحَقِّ وَأَضَاعِهِ ، وَأَخْتِمْ لَنَا بِخَيْرٍ مِنْكَ يَا كَرِيمُ ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .
شِعْرًا :

سَلِ الْفَضْلَ أَهْلَ الْفَضْلِ قَدْماً وَلَا تَسَلْ
عَلَى مَنْ نَشَأُ فِي الْفَقْرِ ثُمَّ تَمَوَّلَا
فَلَوْ مَلَكَ الدُّنْيَا جَمِيعاً بِأَسْرَهَا
تُذَكِّرُهُ الْأَيَّامُ مَا كَانَ أَوْلاً

آخر :

تَجَنَّبْ يُّوتاً شُبِعَتْ بَعْدَ جُوعِهَا
فَإِنَّ بَقَاءَ الْجُوعِ فِيهَا مُخْمَرُ
وَأَوِي يُّوتاً جُوعَتْ بَعْدَ شُبْعِهَا
فَإِنَّ كَرِيمَ الْأَصْلِ لَا يَتَغَيَّرُ

آخر:

إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَرْجُوَ أَمْرًا حَسُنْتَ أَحْوَالُهُ بَعْدَ ضُرِّكَ كَانَ قَاسَاهُ
فَنَفْسُهُ تِيكَ مَا زَادَتْ وَمَا نَقَصَتْ وَذَلِكَ الْفَقْرُ فَقْرٌ مَا تَنَاسَاهُ

قَالَ فِي الْفَتْحِ قَالَ شَيْخُنَا فِي شَرْحِ التِّرْمِذِيِّ لَعَلَّ الْحِكْمَةَ فِي كَوْنِ
كَافِلِ الْيَتِيمِ يُشَبِّهُ فِي دُخُولِهِ الْجَنَّةِ أَوْ شُبَّهَتْ مَنْزِلَتُهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ
بِالْقُرْبِ مِنْ مَنْزِلَةِ النَّبِيِّ لِكَوْنِ النَّبِيِّ شَأْنُهُ أَنْ يُنْعَثَ إِلَى قَوْمٍ لَا يَعْقِلُونَ
أَمْرَ دِينِهِمْ ، فَيَكُونُ كَافِلًا لَهُمْ وَمُعَلِّمًا وَمُرْشِدًا .

وَكَذَلِكَ كَافِلُ الْيَتِيمِ يَقُومُ بِكَفَالَةِ مَنْ لَا يَعْقِلُ أَمْرَ دِينِهِ بَلْ وَلَا دُنْيَاهُ
وَيُرْشِدُهُ وَيُعَلِّمُهُ وَيُحَسِّنُ أَذْيَهُ أَنْتَهَى ، قُلْتُ وَكَثِيرًا مَا يَفْعَلُ بَعْضُ النَّاسِ
ذَلِكَ الْإِحْسَانَ زَمَنًا وَيَتْرُكُهُ وَلَا يُتِمُّ إِحْسَانَهُ وَيَبْغِضُهُمْ يُرْحَبُ بِذَلِكَ أَوَّلُ
الْأَمْرِ وَلَا يَثْبُتُ عَلَى ذَلِكَ وَقَلِيلٌ مَنْ يُتِمُّ كَلَامَهُ وَيَثْبُتُ عَلَى جَمِيلِهِ
وَإِحْسَانِهِ وَالتَّوْفِيقُ بِيَدِ اللَّهِ وَقَدِيمًا قِيلَ :

وَمَا كُلُّ هَآوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ وَمَا كُلُّ فَعَالٍ لَهُ بِمُتَمِّمٍ

آخر:

فَأَكْثَرُ مَنْ تَلَقَّى يَسْرُكَ قَوْلُهُ وَلَكِنْ قَلِيلٌ مَنْ يُسْرَكَ فِعْلُهُ

آخر:

وَفِي النَّاسِ مَنْ أُعْطِيَ الْجَمِيلَ بِدَيْهَةٍ وَظَنَّ بِفِعْلِ الْخَيْرِ لَمَّا تَفَكَّرَا

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
« السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ وَمَالِكٌ وَغَيْرُهُمَا وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِهَذَا الطَّوَّافِ الَّذِي تَرُدُّهُ اللَّقْمَةُ

وَاللَّقْمَتَانِ ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ ، وَلَكِنَّ الْمِسْكِينَ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ ، وَلَا يُفْطِنُ لَهُ فَيَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ « متفق عليه .

وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ عَالَ ثَلَاثَةَ مِنْ الْأَيَّامِ كَانَ كَمَنْ قَامَ لَيْلَهُ وَصَامَ نَهَارَهُ وَغَدَا وَرَاحَ شَاهِراً سَيْفُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَكُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ أَخَوَيْنِ كَمَا أَنَّ هَاتَيْنِ أُخْتَانِ » وَالصَّحَّ أَصْبَغِيهِ السَّبَابُ وَالْوُسْطَى رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا شَكَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسْوَةَ قَلْبِهِ فَقَالَ « امْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ وَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ » رَوَاهُ أَحْمَدُ وَرِجَالُهُ رَجَالُ الصَّحِيحِ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْلِيغَيْرِهِ ، أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ » وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَرَوَاهُ مَالِكٌ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُسْلِمٍ مُرْسَلًا .

وَرَوَاهُ الْبَزَّازُ مُتَّصِلًا وَلَفْظُهُ قَالَ « مَنْ كَفَلَ يَتِيمًا لَهُ ذَا قَرَابَةٍ أَوْ لَا قَرَابَةَ لَهُ فَأَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ » وَضَمَّ أَصْبَغِيهِ « وَمَنْ سَعَى عَلَى ثَلَاثِ بَنَاتٍ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ وَكَانَ لَهُ كَأَجْرِ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَائِمًا قَائِمًا »

وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ .

٨٨ « موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ سُورَةُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَعْبُرُونَ الْقَنَاظِرَ وَيَأْمُنُونَ الْعَوَائِرَ فَذَلِكَ يَوْمٌ عِيدِهِمْ وَمَادَامُوا فِي دَارِ الْغُرُورِ فَلَا غِبْطَةَ وَلَا سُورُورَ .

وَأَيُّ سُورُورٍ لِمَنِ الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَاصِيَتِهِ وَالذُّنُوبُ رَاسِخَةٌ فِي آيَاتِهِ وَالنَّفْسُ تَقُودُهُ إِلَى هَوَاهَا وَالْدُنْيَا تَتَزَيَّنُّ فِي عَيْنِهِ بِمُشْتَهَاهَا .

وَالشَّيْطَانُ مُسْتَبِطٌ فَقَارَ ظَهْرَهُ لَا يَفْتُرُ عَنِ الْوَسْوَسةِ فِي صَدْرِهِ وَنَفْسِهِ
وَمَالِهِ بَعْرُضِهِ لِلْحَوَادِثِ وَلَا يَذَرِي فِي كُلِّ نَفْسٍ مَا عَلَيْهِ حَدِثٌ .
قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِنِّي بُلِيتُ بِأَرْبَعٍ مَا سُلِّطُوا إِلَّا لِأَجْلِ شِقَاوَتِي وَعَنَائِي
إِبْلِيسَ وَالْدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالْهَوَى كَيْفَ الْخِلَاصُ وَكُلُّهُمْ أَعْدَائِي
وَمِنْ وَرَائِهِ الْمَغِيرُ وَمَسْأَلُهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ وَيَتَوَسَّدُ التُّرَابَ إِلَى يَوْمِ النُّشُورِ
﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ يَوْمٌ لَا يُبْلَغُ وَصْفُ أَهْوَالِهِ وَلَا شَرْحُ أَحْوَالِهِ
مَا لَا يَسَعُ الْمُؤْمِنُ بِهِ أَنْ يَسْتَقِرَّ لَهُ قَرَارٌ وَلَا يَخْلُدُ إِلَى هَذِهِ الدَّارِ وَلَا يَكُونُ لَهُ هَمٌّ
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَّا التَّقَرُّبُ بِأَنْوَاعِ الْقُرْبِ وَاجْتِنَابُ الْفَوَاحِشِ وَالرَّيْبِ وَإِقَامَةُ
الدِّينِ الَّذِي فِي إِقَامَتِهِ النِّجَاةُ وَفِي تَضْيِيعِهِ الْعَطَبُ الْعَظِيمُ .

يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَوْ عَلِمْتَ بِهِوْلَهُ لَفَرَرْتَ مِنْ أَهْلٍ وَمِنْ أَوْطَانٍ
يَوْمُ تَشَقَّقَتِ السَّمَاءُ لَهُوْلَهُ وَتَشَيَّبَ مِنْهُ مَفَارِقُ الْوِلْدَانِ
يَوْمُ عَبُوسٌ قَمَطِرُنٌ شَرُّهُ فِي الْخَلْقِ مُتَشِيرٌ عَظِيمُ الشَّانِ
يَوْمُ يَجِيءُ الْمُتَّقُونَ لِرَبِّهِمْ وَفَدَا عَلَى نُجُبٍ مِنَ الْعِقِيَّاتِ
وَيَجِيءُ فِيهِ الْمَجْرُمُونَ إِلَى لَظِي يَتَلَمَّظُونَ تَلَمَّظَ الْعَطْشَانِ
وَالْجَنَّةُ الْعُلْيَا وَنَارُ جَهَنَّمَ دَارَانِ لِلْخَصْمَيْنِ دَائِمَتَانِ

٨٩ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّمَا يَسَعِدُ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَتَّبِعُوا الْحَقَّ وَيَدْعُوا إِلَيْهِ وَلَا تَأْخُذْهُمْ
فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ وَيَقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ يَنْصَحُهُمْ وَيَعْمَلُوا بِهَا رَاضِيَةً نَفْسُهُمْ
شَاكِرَةً أَلْسِنَتُهُمْ غَيْرَ مُسْتَكْبِرِينَ وَلَا مُتَعَتِّينَ وَلَمْ يُعْمِهُمُ الْهَوَى عَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ
إِذْ ذَاكَ تَكْمَلُ لَهُمُ السَّعَادَةُ وَيَتِمُّ لَهُمُ النَّعِيمُ وَقَدْ فَشَا فِي النَّاسِ دَاءُ الْكِبَرِ

وَاسْتَحْكَمَ وَلَا أَقْصِدُ بِذَلِكَ مِنَ الْكِبَرِ الْخِيَلَاءَ وَالتَّبَخُّرَ فَقَطْ وَإِنَّمَا أَقْصِدُ كِبَرَ
 الْمُتَكَبِّرِ عَنْ قَبُولِ نَصَحِ النَّاصِحِ وَارْشَادِ الْمُسْتَرَشِدِ فَإِنَّ الْأَوَّلَ وَإِنْ كَانَ شَرًّا
 وَلَكِنَّ الثَّانِي شَرٌّ مِنْهُ فَإِنَّ الْمَرْءَ إِذَا لَمْ يَقْبَلْ نَصِيحَةَ النَّاصِحِ كَانَ رَاضِيًا عَنْ
 نَفْسِهِ وَمَتَى رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ عَمِيَتْ عَنْ عُيُوبِهَا فَلَا يُؤْتَرُ فِيهَا نَصَحٌ وَلَا يَنْفَعُ
 مَعَهَا إِرْشَادٌ لَأَنَّ الْغُرُورَ مَتَحَكَّمٌ فِيهَا وَالشَّهَوَاتُ مُحِيطَةٌ بِهَا إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ
 خَيْرًا بَصَرَهُ بِعُيُوبِ نَفْسِهِ فَأَصْلَحَهَا وَاتَّهَمَهَا دَائِمًا بِالنَّقْصِ وَطَالَبَهَا بِالْكَمَالِ
 حَتَّى تَلْتَحِقَ بِالنُّفُوسِ الزَّكِيَّةِ وَالْأَرْوَاحِ الطَّاهِرَةِ وَهَكَذَا كَانَ سَلَفُ الصَّالِحِ
 فَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ رَجِمَ اللَّهُ أَمْرًا
 أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبَ نَفْسِي وَكَانُوا إِذَا أُرْشِدُهُمْ أَخٌ مِنْ إِخْوَانِهِمْ إِلَى عَيْبٍ فِي
 نَفْسِهِمْ فَرَحُوا بِهَذَا التَّنْبِيهِ وَطَهَّرُوا نَفُوسَهُمْ مِنْهُ وَشَكَرُوا مَنْ نَصَحَهُمْ وَجَعَلُوا
 نَصِيحَتَهُ مَنَّةً لَهُ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَأْنَفُوا وَلَمْ يَسْتَكْبِرُوا لِأَنَّهُمْ يَتَّهَمُونَ نَفُوسَهُمْ وَيَرَوْنَهَا
 نَاقِصَةً وَيَسْعَوْنَ إِلَى رِفْعَتِهَا إِلَى أَوْجِ الْكَمَالِ وَبِهَذَا بَلَّغُوا مَا بَلَّغُوا وَنَالُوا مَا نَالُوا
 يَا عِبَادَ اللَّهِ كَيْفَ نَرْضَى عَنْ نَفُوسِنَا وَاللَّهُ جَلُّ وَعَلَا يَقُولُ ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ
 بِالسُّوءِ﴾ عِبَادَ اللَّهِ مَنْ مِنَّا بَلَغَ مِغْشَارَ مَا بَلَغَهُ عُمَرُ فِي كَمَالِ نَفْسِهِ وَقُوَّةِ إِيْمَانِهِ
 وَشِدَّةِ يَقِينِهِ وَقَدْ كَانَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ مَنْ رَأَى مِنْكُمْ فِي اعْجَاجٍ فَلْيَقَوْمَهُ هَكَذَا
 كَانَ ظَنُّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِنَفْسِهِ عَلَى جَلَالَةِ قُدْرِهِ وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ فِي دِينِهِ وَكُلُّ مَا
 كَانَ أَكْبَرَ كَانَ أَقْلُ اعْجَاجًا بِنَفْسِهِ وَكَثُرَ مُطَالَبَةٌ لَهَا بِسُلُوكِ طَرِيقِ الْحَقِّ .

اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيْمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا وَكَرِهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ
 وَالْعِصْيَانَ وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ
 بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ .

٩٠ موعظة

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ أَمَنَّ اللَّهُ عَلَى خَاتَمِ رُسُلِهِ ، وَصَفْوَةِ خَلْقِهِ ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بِأَشْرَفِ الْمَنِينَ ، وَاخْتَصَّهُ بِأَجَلِ النِّعَمِ ، وَأَتَاهُ مِنْ فَضْلِهِ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا سِوَاهُ ، أَدَبُهُ فَأَحْسَنَ تَأْدِيبُهُ ، وَهَذَبُهُ فَأَكْمَلَ تَهْذِيبُهُ ، وَمَنَحَهُ مِنَ الصِّفَاتِ الْجَمِيلَةِ غَايَتَهَا ، وَمِنَ الْأَخْلَاقِ الْكَرِيمَةِ نِهَائَتَهَا ، ثُمَّ أَتَنَى عَلَيْهِ فَقَالَ ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : كَانَ خَلْقُهُ الْقُرْآنُ يَرْضَى بِرِضَاهُ ، وَيَسْخَطُ بِسَخَطِهِ ، وَكَانَ ﷺ أَوْسَعَ النَّاسِ صَدْرًا ، وَأَصْدَقَهُمْ قَوْلًا ، وَالْيَتِّهِمَ جَانِبًا ، وَأَكْرَمَهُمْ عِشْرَةً ، يُؤَلِّفُ النَّاسَ وَلَا يُتَفَرِّهُمُ ، وَيُكْرِمُ كَرِيمَ كُلِّ قَوْمٍ ، وَيُوَلِّيهِ عَلَيْهِمْ ، يَتَفَقَّدُ أَصْحَابَهُ وَيُعْطِي كُلَّ جَلِيسٍ نَصِيحَتَهُ ، حَتَّى لَا يَحْسَبُ جَلِيسُهُ أَحَدًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ ، مَنْ جَالَسَهُ أَوْ قَارَبَهُ بِحَاجَةٍ سَايَرُهُ ، حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُنْصَرِفُ عَنْهُ ، قَدْ وَسِعَ النَّاسَ بَسْطُهُ وَخُلُقُهُ ، فَصَارَ لَهُمْ أَبًا رَحِيمًا . وَصَارُوا عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، لِذَلِكَ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ نَفُورِهَا ، وَتَأَلَّفَتِ الثُّغُوسُ بَعْدَ جُمُوحِهَا ، تَحْقِيقًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) وَكَانَ ﷺ حَلِيمًا مَعَ الْأَذَى ، عَفُوًّا مَعَ الْقُدْرَةِ ، صَبُورًا عَلَى الْمَكَارِهِ ، وَتِلْكَ خِصَالُ أَدَبِهِ بِهَا رَبُّهُ ، فَقَالَ ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ، وَأْمُرِ الْعُرْفَ ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ .

سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ تَفْسِيرِهَا ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْرَمَ النَّاسِ ، وَأَسْخَاهُمْ يَدًا ، وَأَطْيَاهُمْ

نَفْسًا ، مَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ قَطُّ فَقَالَ لَا ، مَنْ سَأَلَهُ حَاجَةً لَمْ يَرُدَّهُ إِلَّا بِهَا ، أَوْ بِمِيسُورٍ مِنَ الْقَوْلِ ، يَجِيبُ دَعْوَةَ مَنْ دَعَاهُ ، وَيَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَلَوْ كَانَتْ كُرَاعًا ، وَيُكَافِيءُ عَلَيْهَا خَيْرًا مِنْهَا ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَشْجَعَ النَّاسِ ، وَأَعْظَمَ النَّاسِ غَيْرَةً وَأَقْدَامًا ، فَرَّ الْفُرْسَانُ وَالْأَبْطَالُ عَنْهُ غَيْرَ مَرَّةٍ ، وَهُوَ ثَابِتٌ لَا يَتَرَحُّ ، مُقْبِلٌ لَا مُدْبِرٌ ، وَلَا يَتَرَحَّزُحُ ، وَكَانَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ أَشَدَّ النَّاسِ حَيَاءً ، وَأَكْثَرَهُمْ عَنِ الْعَوْرَاتِ إِغْضَاءً قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا ، وَكَانَ إِذَا كَرِهَ شَيْئًا عَرَفْنَا فِي وَجْهِهِ وَكَانَ لَا يُخَاطَبُ أَحَدًا بِمَا يَكْرَهُ حَيَاءً وَكِرَمًا .

أَمَّا شَفِيقَتُهُ وَرَحْمَتُهُ وَرَأْفَتُهُ وَلُطْفُهُ بِجَمِيعِ الْخَلْقِ ، فَمَا ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَوْلِهِ ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ، بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ وَأَمَّا تَوَاضُعُهُ - مَعَ عُلوِّ مَنْصِبِهِ وَمَكَانَتِهِ ، وَرَفْعِ رُتْبَتِهِ - فَقَدْ خَيْرُهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ مَلِكًا نَبِيًّا ، أَوْ عَبْدًا نَبِيًّا ، فَاخْتَارَ عَبْدًا نَبِيًّا ، وَكَانَ يَقُولُ « إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ ، أَكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ » وَكَانَ يُجَالِسُ الْفُقَرَاءَ ، وَيَعُودُ الْمَسَاكِينَ ، وَيَجْلِسُ مَعَ أَصْحَابِهِ مُخْتَلِطًا بِهِمْ ، كَأَنَّهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ ، وَكَانَ يَقُولُ « اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا ، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا ، وَاحْشُرْنِي فِي زَمْرَةِ الْمَسَاكِينِ » .

وَأَمَّا عَدْلُهُ وَأَمَانَتُهُ ، وَعِفَّتُهُ وَمُرُوءَتُهُ ، وَوَقَارُهُ وَهَيْبَتُهُ ، وَصِدْقُهُ وَوَفَاؤُهُ بِالْعَهْدِ وَحِفْظُهُ لِلْوَعْدِ ، وَصِلَتُهُ لِلْأَرْحَامِ ، وَعَطْفُهُ عَلَى الْإِيْتَامِ ، فَقَدْ بَلَغَ فِي كُلِّ ذَلِكَ الْغَايَةَ ، وَوَصَلَ إِلَى النِّهَايَةِ وَأَمَّا زُهْدُهُ وَوَرَعُهُ ، فَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنِّي عُرِضَ عَلَيَّ أَنْ تُجْعَلَ لِي بِطَحَاءِ مَكَّةَ ذَهَبًا ، فَقُلْتُ ، لَا

يَا رَبِّ . أَجُوعُ يَوْمًا ، وَأَشْبَعُ يَوْمًا ، فَأَمَّا الْيَوْمُ الَّذِي أَجُوعُ فِيهِ فَاتَضَرَّعُ إِلَيْكَ
وَأَدْعُوكَ ، وَأَمَّا الْيَوْمُ الَّذِي أَشْبَعُ فِيهِ فَأَحْمَدُكَ وَأُثْنِي عَلَيْكَ » وَقَالَتْ ، أُمُّ
الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : إِنَّا كُنَّا آلَ مُحَمَّدٍ لَنَمُكُّ شَهْرًا مَا نَسْتَوْقِدُ
نَارًا ، إِنْ هُوَ إِلَّا التَّمْرُ وَالْمَاءُ ، وَأَمَّا خَوْفُهُ مِنْ رَبِّهِ ، وَطَاعَتُهُ لَهُ فَعَلَى قَدْرِ عِلْمِهِ
بِهِ ، وَلِذَلِكَ قَالَ « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا ، أَرَى
مَا لَا تَرَوْنَ ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ ، أَطُتِ السَّمَاءُ وَحُوقٌ لَهَا أَنْ تَنْطُ مَا فِيهَا
مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ وَاللَّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ
لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا ، وَلَمَّا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفِرَاشِ وَلَخَرَجْتُمْ
إِلَى الصُّعَدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى » . . . وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يُصَلِّي حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ ، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ : أَتَكْلِفُ هَذَا وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ
مَا تَقْدَمُ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأْخُرُ ؟ فَقَالَ « أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا » ؟ هَذَا يَا عِبَادَ اللَّهِ
قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ صِفَاتِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، ذِي الْخُلُقِ الْعَظِيمِ ، وَالْقَدْرِ
الْفَخِيمِ ، فَهَلْ لَكُمْ أَنْ تَتَأَمَّلُوا هَذِهِ الصِّفَاتِ الْجَلِيلَةَ ، وَالْخِصَالَ الْحَمِيدَةَ ،
فَتَمَسَّكُوا بِهَا وَتَسِيرُوا عَلَى نَهْجِهَا ، قَالَ تَعَالَى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ
أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ الْآيَةُ .

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا مَنْ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ يَا ذَا الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ يَا وَاحِدُ أَحَدٌ يَا فَرْدٌ صَمَدٌ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ
تَنْصُرَ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ تَعْلَى كَلِمَةَ الْحَقِّ وَالِدِّينِ وَأَنْ تَشْمَلَ
بِعَنَائَتِكَ وَتَوْفِيقِكَ كُلَّ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وَأَنْ تَمْلَأَ قُلُوبَنَا بِمَحَبَّتِكَ وَمَحَبَّةِ
رُسُلِكَ وَأَوْلِيَائِكَ وَأَنْ تُلْهِمَنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً

وَقَنَا عَذَابُ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٩١ موعظة

عِبَادَ اللَّهِ تَيْقُظُوا فَالْعِبْرُ مِنْكُمْ بِمَرَأَى وَمَسْمَعٍ ، وَطَالَمَا نَادَاكُمْ
لِسَانُ الزَّوْاجِرِ عَنِ الْإِنْتِهَاكِ فِي الدُّنْيَا وَحُطَامِهَا وَالتَّهَالُكِ عَلَيْهَا فَاسْمَعِ .

عِبَادَ اللَّهِ احْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا مِثْلَ مَنْ قَدْ مَحَضُوا لِلدُّنْيَا كُلَّ مَا لَهُمْ مِنْ
أَعْمَالٍ وَأَصْبَحُوا لَا يَقْصِدُونَ بِتَصَرُّفَاتِهِمْ إِلَّا الدُّنْيَا وَأَمَّا الْآخِرَةُ فَلَا تَخْطُرُ لَهُمْ
عَلَى بَالٍ .

أَخَذَتِ الدُّنْيَا أَسْمَاعَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ وَعُقُولَهُمْ بِنَا فِيهَا مِنَ الزَّخَاوِفِ
الْوَهْمِيَّةِ الَّتِي هِيَ مَرَاقِدُ الْفَنَاءِ وَمَرَابِضُ الزَّوَالِ وَقَوَاتِلُ الْأَوْقَاتِ .

وَهَلْ هِيَ إِلَّا الْأَلْعَابُ وَالْمَلَاهِي الْمُسَارُ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ اَعْلَمُوا أَنَّمَا
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ الْآيَةُ

وَقَوْلُهُ ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ
كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ وَقَوْلُهُ ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوٌ ﴾ الْآيَةُ ، عِبَادَ اللَّهِ ،
كُلُّ مَا تَرَوْنَ مِنَ الْبَلَايَا وَالْمِحَنِ مِنْ أَجْلِ الدُّنْيَا وَمَالَهَا مِنْ مَتَاعٍ حَقِيرٍ .

عَجَبٌ أَنْ يَكُونَ كُلُّ هَذَا الْاهْتِمَامِ مِنْ أَجْلِ دَارِ الْغُرُورِ وَأَيَّامِهَا
الْمَعْدُودَةِ ، وَكُلُّ مَا فِيهَا مِنْ لَذَائِدَ مَعْلُومٍ أَنَّهَا مُنْغَصَّاتٌ ثُمَّ مُنْتَهِيَاتٌ ذَلِكَ فَوْقَ
أَنَّ الْأَرْزَاقَ فِيهَا قَدْ ضَمِنَهَا اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ الَّذِي مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي
الْأَرْضِ إِلَّا عَلَيْهِ رِزْقُهَا .

وَهَلْ يَشْكُ مُؤْمِنٌ عَاقِلٌ فِي مَا ضَمِنَهُ مَوْلَاهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ لَقَدْ كَانَ
الْأَجْدَرُ وَالْأَوْلَى بِهَذَا الْاهْتِمَامِ حَيَاتِنَا الثَّانِيَةَ لِأَنَّهَا دَارُ الْقَرَارِ وَلِأَنَّهَا إِذَا فَاتَتْكَ
فِيهَا دَارُ الْكَرَامَةِ هَوَيْتَ فِي الْهََاوِيَةِ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي هَلْ أَنْتَ مِنْ فَرِيقِ الْجَنَّةِ أَمْ
مِنْ فَرِيقِ السَّعِيرِ .

فَتَيْقِظْ يَا مَنْ ضَاعَ عُمْرُهُ فِي الْغَفْلَاتِ ! انْتَبِهْ يَا مَنْ يَقْتُلُ أَوْقَاتَهُ عِنْدَ
الْمَلَاهِيِ وَالْمُنْكَرَاتِ .

يَا أَسْفَى عَلَى أَوْقَاتٍ لَا تُبَاعُ بِمَلَأِ الْأَرْضِ ذَهَبًا تُضَيِّعُ عِنْدَ التَّلْفِزِيُونِ
وَالْفِئْدِيُو وَالسَّيْنِمَاتِ وَالْبِكَمَاتِ .

آهٍ عَلَى أَوْقَاتٍ تُقْتَلُ عِنْدَ الْمِذْيَاعِ وَاسْتِمَاعِ أَغَانِيهِ وَمَلَاهِيهِ
الْمُهْلِكَاتِ .

آهٍ عَلَى سَاعَاتٍ تَمْضِي عِنْدَ الْكُرَةِ وَالْمُطْرِبِينَ وَالْمُطْرِبَاتِ .
آهٍ عَلَى أَوْقَاتٍ وَتَفَكِيرَاتٍ تَذْهَبُ فِي قِرَاءَةِ الْكُتُبِ الْخَلِيعَةِ وَالْجَرَائِدِ
وَالْمَجَلَّاتِ .

آهٍ عَلَى أَوْقَاتٍ تَنْقُضِي فِي الْإِقَامَةِ بَيْنَ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .
آهٍ عَلَى أَوْقَاتٍ تُقْتَلُ فِي الْغِيْبَةِ وَالْبُهْتِ وَالتَّمَلُّقِ وَالنَّفَاقِ وَالْمُدَاهَنَاتِ .
آهٍ عَلَى أَوْقَاتٍ تُقْتَلُ فِي الْجُلُوسِ فِي الْأَسْوَاقِ لَا لِمَصْلَحَةٍ دُنْيَا وَلَا دِينٍ
بَلْ لِأُمُورٍ عِنْدَ أَهْلِ الضِّيَاعِ مَعْلُومَاتِ .

آهٍ عَلَى أَوْقَاتٍ تُقْضَى فِي بِلَادِ الْحُرِّيَةِ وَالْفِسْقِ وَالْفُجُورِ .

آهٍ عَلَى أَوْقَاتٍ تُقْتَلُ بِالْحِكَايَاتِ الْمُضْحَكَاتِ وَالتَّمَثِيلِيَّاتِ .

آه على أوقاتٍ تَنْقُضي بَلْغُو الكلامِ والمُعَاذَلاتِ .

آه على أوقاتٍ تَنْقُضي في الاستِمَاعِ لِلْأَغَانِي الخَلِيعَاتِ .

آه على أوقاتٍ تَمْضِي في السُّكْرِ وَشُرْبِ أَبِي الحَبَائِثِ الدُّخَانِ .

آه على أوقاتٍ تُقْتَلُ في ذِكْرِ الحَوَادِثِ وَالْأُمُورِ الْمَاضِيَاتِ الَّتِي لَا تَعُودُ عَلَيْهِمْ بِنَفْعٍ بَلْ رُبَّمَا عَادَتْ بِالضَّرَرِ والنَّكَبَاتِ .

آه على أوقاتٍ تَذْهَبُ سُدَى في النُّومِ وَالْعَقَلَاتِ .

آه على أموالٍ تَفْقُ فِيمَا يُغْضِبُ فَاطِرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ .

آه على أَلْسِنَةٍ لَا تَفْتَرُ عَنِ الْكَلَامِ فِيمَا يَضُرُّ وَلَمْ تَسْتَبِدِلْهُ بِتَمَجِيدٍ وَتَسْبِيحٍ وَتَكْبِيرٍ وَتَهْلِيلٍ بِدِيْعِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ .

آه على أَفْكَارٍ وَأَذْهَانٍ مَضْرُوفَةٍ وَمُشْتَغَلَةٍ طَوْلَ لَيْلِهَا وَنَهَارِهَا فِيمَا فِي الدُّنْيَا مِنْ مَتَاعٍ وَعَقَارَاتٍ وَلَمْ تُفَكِّرْ وَتَلْتَفِتْ وَتَسْتَعِدَّ إِلَى مَا فِي أَمَامِهَا مِنْ أَهْوَالٍ وَشَدَائِدٍ وَعَقَبَاتٍ وَمَا فِي الْآخِرَةِ لِمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ مِنْ أَنْهَارٍ وَثِيَارٍ وَخُورٍ حَسَانٍ طَاهِرَاتٍ .

تَاللَّهِ لَقَدْ فَسَدَتْ أَمْزَجَةُ أَكْثَرِ النَّاسِ حَتَّى أَثَّرَ فَسَادُهَا عَلَى الْأَفْهَامِ لِذَلِكَ رَجَحُوا فَانِيًا مُكَدِّرًا مُنْغَصًّا عَلَى بَاقِي ضَمَنِ صَفْوَةِ مُؤَلِّي الْأَنْعَامِ وَهَذَا هُمْ أَوْلَاءُ كَمَا تَرَى لَا هَمَّ لَهُمْ وَلَا عَمَلٍ إِلَّا لِلدُّنْيَا وَمَالِهَا مِنْ حُطَامٍ قَالَ تَعَالَى ﴿ بَلْ تَوَثُّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ .

عِبَادَ اللَّهِ أَمَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ نَبِيِّكُمْ ﷺ أَنْبَشُوا وَأَمَلُوا مَا يَسُرُّكُمْ فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنْ أَخْشَى أَنْ تُبْسِطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى

مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا فَتَهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتُهُمْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ
وَمُسْلِمٌ وَخَتَامًا :

فَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَعْرِفَ شَرَفَ زَمَانِهِ وَقَدْرَ وَقْتِهِ فَلَا يُضَيِّعُ مِنْهُ لَحْظَةً فِي
غَيْرِ قُرْبَةٍ وَيُقَدِّمُ الْأَفْضَلَ عَلَى الْأَفْضَلِ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ .
فوائد : كُلُّ مَا يَقُومُ بِهِ غَيْرُكَ وَيَحْصُلُ بِذَلِكَ غَرْضُكَ فَإِنْ تَشَاغَلَكَ بِهِ غَبْنٌ
فَاحْشِ لِأَنَّ إِحْتِيَاجَكَ إِلَى التَّشَاغُلِ بِهَا لَا يَقُومُ بِهِ غَيْرُكَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ
وَالذِّكْرِ وَالْفِكْرِ آكُذُّ وَالزَّمُّ وَأَنْفَعُ .
أَعْلَمُ أَنَّ مَا احْتَجَجْتَ إِلَى مُفَارَقَتِهِ وَتَرْكِهِ لِلنَّاسِ فَلَيْسَ لَكَ وَالشُّغْلُ بِهَا
لَيْسَ لَكَ عَبَثٌ .

اللَّهُمَّ يَا جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الصَّدَقِ
وَالنِّيَّةِ الصَّالِحَةِ وَالْإِخْلَاصِ وَالْخُشُوعِ وَالْمُرَاقَبَةِ وَالْيَقِينِ وَالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ
وَالْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانَ وَالْفَهْمَ فِي الْقُرْآنِ وَخُصَّنَا مِنْكَ بِالْمَحَبَّةِ وَالْإِصْطِفَائِيَّةِ
وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ الرَّشِيدِ وَالرِّزْقِ الْهَيِّئِ الَّذِي لَا حِجَابَ بِهِ فِي
الدُّنْيَا وَلَا حِسَابَ وَلَا سُؤَالَ وَلَا عِقَابَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٩٢ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ صَلَاحٌ فِي الْأَرْضِ لِهَذَا أَمَرَ عَزَّ وَجَلَّ بِالطَّاعَاتِ ،
وَهَذِهِ الطَّاعَاتُ تُرْضِي اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَأَنَّهَا شُكْرٌ لَهُ عَلَى نِعَمِهِ الْمُتَوَالِيَاتِ ،
فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَحْتَّ عَلَيْهَا وَأَنْ نَأْمُرَ مَنْ تَرَكَ الطَّاعَةَ أَنْ يَعُودَ إِلَيْهَا إِذَا كَانَتْ مِنْ
فَرَائِضِ الدِّينِ كَالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ ، وَأَنْ نَنْكَرَ عَلَى مَنْ رَأَيْنَاهُ

يَقْتَرِفُ مَعْصِيَةً مِنَ الْمَعَاصِي ، لِأَنَّ الْمَعَاصِي بِكُلِّ أَنْوَاعِهَا شُرُورٌ وَأَضْرَارٌ
وَفَسَادٌ وَلَهَا سُؤْمٌ قَدْ يَعُمُّ الدُّنْيَا وَيَفْعَلُ الْأَفَاعِيلُ الْعِظَامَ فِي بَنِي الْإِنْسَانِ وَمِنْ
آثَارِهَا الْمُضَرَّةُ بِالْقَلْبِ وَالْبَدَنِ : أَنَّهَا إِفْسَادٌ لِلْعَقْلِ فَإِنَّ الْعَقْلَ نُورٌ وَالْمَعْصِيَةُ
تُطْفِئُ نُورَ الْعَقْلِ وَمِنْهَا أَنَّ الْمَعَاصِي مَدَدٌ مِنَ الْإِنْسَانِ يُمَدُّ بِهَا عَدُوُّهُ عَلَيْهِ
وَجَيْشٌ يُقَوِّيه بِهِ عَلَى حَرْبِهِ وَمِنْهَا أَنَّهَا تُوهِنُ الْقَلْبَ وَالْبَدَنَ وَمِنْهَا أَنَّهَا تَزْرَعُ
أَمْثَالَهَا مِنَ الْمَعَاصِي وَمِنْهَا أَنَّهَا تَمْحَقُ بَرَكَاتِ الْعُمْرِ وَمِنْهَا أَنَّهَا تُسَبِّبُ شِمَاتِ
الْأَعْدَاءِ وَمِنْهَا أَنَّهَا تَعَسِّرُ عَلَى الْإِنْسَانِ أُمُورَهُ ، وَمِنْهَا أَنَّهَا تُسَبِّبُ الْوَحْشَةَ بَيْنَ
الْعَاصِي وَبَيْنَ أَهْلِ الْخَيْرِ وَمِنْهَا أَنَّهَا تُذْهِبُ الْحَيَاءَ وَمِنْهَا أَنْ تَسْتَدْعِيَ نِسْيَانَ اللَّهِ
لِعَبْدِهِ وَتَرْكِهِ ، وَمِنْهَا أَنَّهَا تُطْفِئُ مِنَ الْقَلْبِ نَارَ الْغَيْرَةِ وَمِنْهَا أَنَّهَا تُضْعِفُ فِي
الْقَلْبِ تَعْظِيمَ الرَّبِّ وَمِنْهَا أَنَّهَا تُعْمِي بِصِيرَةِ الْقَلْبِ وَتَطْمِسُ نُورَهُ وَمِنْهَا أَنَّهَا
تُسْقِطُ الْجَاهَ وَالْمُنْزِلَةَ عِنْدَ اللَّهِ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ مِنَ الْأَضْرَارِ لِهَذَا يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ
نَنْهِيَ عَنِ الْمَعَاصِي لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَتْ مِنْ كِبَارِ الْمَعَاصِي ، وَلَا تَنْسَ أَنْ بَنِي
إِسْرَائِيلَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ لَمَّا فَقَدُوا الْغَيْرَةَ عَلَى انْتِهَاكِ الْحُرْمَاتِ وَلَا تَنَاهَوْا عَنْ
الْمُنْكَرِ ، وَتَأْمَلْ أَحْوَالَ الْأُمَمِ وَمَا حَلَّ بِهَا مِنَ الْعُقُوبَاتِ بِأَسْبَابِ الذُّنُوبِ قَالَ
تَعَالَى ﴿ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ
الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ
وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا ، وَعَلِّمْتَنَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا
فَهَّمْتَنَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنَّا مُقْصِرِينَ فِي حِفْظِ حَقِّكَ ، وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِكَ ، فَانْتَ
تَعْلَمُ صِدْقَنَا فِي رَجَاءِ رَفْدِكَ ، وَخَالِصَ وُدِّكَ ، اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِنَا مِنْنَا ،
فَبِكِمَالِ جُودِكَ تَجَاوَزْنَا ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ

وصحبه أجمعي .

٩٣ موعظة

الحمدُ لِلَّهِ المستحقِّ لِغَايَةِ التَّحْمِيدِ ، الْمُتَوَحِّدِ فِي كِبَرِيَّائِهِ وَعَظَمَتِهِ الْوَلِيِّ
الْحَمِيدِ ، الْعَنِيِّ الْمُعْنَى الْمُبْدَى الْمُعِيدِ ، الْمُعْطِي الَّذِي لَا يَنْفَدُ عَطَاؤُهُ
وَلَا يَبِيدُ ، الْمَانِعِ فَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعَ وَلَا رَادٍّ لِمَا يُرِيدُ .

خَلَقَ الْخَلَائِقَ وَأَوْضَحَ لَهُمْ أَحْسَنَ طَرِيقٍ ، وَهَدَاهُمْ إِلَى الْأَمْرِ الرَّشِيدِ ،
وَصَوَّرَهُمْ فَأَحْسَنَ صُورَهُمْ ، وَبَشَّرَ مَنْ أَطَاعَهُ بِالْجَنَّةِ وَالتَّعِيمِ وَالتَّخْلِيدِ ،
وَحَذَّرَ مَنْ عَصَاهُ مِنَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ .

وَحَثَّهُمْ عَلَى ذِكْرِهِ وَحَمْدِهِ وَشُكْرِهِ وَوَعَدَهُمْ بِالْمَزِيدِ ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا وَهُوَ
أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ وَأَوْفَى الْوَاعِدِينَ : ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ
عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ .

وَحَكَّمَ عَلَى خَلْقِهِ بِالْفَنَاءِ فَمَا لِأَحَدٍ عَنْهُ مَحِيصٌ وَلَا مَحِيدٌ ، فَكَمْ أَنْكَبَى
الْمَوْتُ خَلِيلًا يَفْرَاقُ خَلِيلَهُ ، وَكَمْ أُيْتِمَ طِفْلًا فَشَغَلَهُ بَيْكَاؤُهُ وَعَوِيلُهُ .

أَوْحَشَ الْمَنَازِلَ مِنْ أَقْمَارِهَا ، وَتَفَرَّ الطُّيُورَ مِنْ أَوْكَارِهَا ، وَعَوَّضَهُمْ مِنْ
لَذَّةِ الْعَيْشِ بِالتَّغْنِيصِ وَالتَّشْكِيدِ .

فَالْمَلِكُ وَالْمَمْلُوكُ وَالْعَنِيِّ وَالصُّعْلُوكُ وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ ، تَسَاوَتْ قُبُورُهُمْ
فِي الْقَفْرِ وَالْبَيْدِ .

فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ أَدْلَ بِالْمَوْتِ كُلِّ جَبَّارٍ عَيْنِدُ ، وَكَسَرَ بِهِ مِنَ الْأَكَاسِرَةِ
كُلِّ جَبَّارٍ صَنِيدِ ، وَأَخْرَجُوا مِنْ سَعَةِ الْقُصُورِ إِلَى ضَيْقِ الْقُبُورِ ، وَقُطِعَ حَبْلُ

أَمِدْهِمُ الْمَدِيدَ .

أَخَذَ بِهِ الْأَبَاءَ وَالْجُدُودَ وَالْأَطْفَالَ مِنَ الْمُهُودِ ، وَأَسْكَنَهُمْ بَعْدَ اللَّيْلِ وَالسَّعَةِ
وَالرَّفَاهِيَةِ مَضِيقَ اللَّحُودِ ، وَعَفَّرَ وَجُوهَهُمْ فِي التَّرَابِ بَعْدَ لَيْلِ الْوَسَائِدِ وَالْفَرَشِ
النَّاعِمَةِ وَالتَّمْهِيدِ وَبَقُوا فِي تَحْتَ الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْوَعِيدِ .

فَيَا بُؤْسَ لِلدُّنْيَا شَدَّ مَا عَنْ ثَدْيِهَا فَطَمَتَهُمْ وَمِنْ سُمِّهَا أَطْعَمَتَهُمْ وَبِيَدِهَا
الْبَاطِشَةَ لَطَمَتَهُمْ ، وَفِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَغِيَابَاتِ الثَّرَى طَرَحَتَهُمْ ، فَقَلَبَتْ قَائِمَ
تِلْكَ الْأَعْيَانِ ، وَطَمَسَتْ تِلْكَ الْوُجُوهَ الْحَسَنَ .

وَأَعْمَتْ تِلْكَ الْأَبْصَارَ ، وَأَصَمَّتْ تِلْكَ الْأَذَانَ وَأَسَالَتْ الْحَدَقَ عَلَى
الْخُدُودِ وَالْوَجَنَاتِ ، وَغَسَلَتْ بِالصَّدِيدِ جَمِيلَ الْقَسَمَاتِ ، وَمَلَأَتْ بِالتُّرَابِ
اللِّهَازِمَ وَاللَّهَوَاتِ .

وَكَسَرَتْ تِلْكَ الضُّوَا حَكَ وَالرَّبْعِيَّاتِ ، وَعَبَّتِ الدِّيدَانُ بِجُسُومِ أَوْلَئِكَ
الْفَتَيَانِ وَالْفَتَيَاتِ ، لَطَالَمَا اغْرُبُوا ضَا حَكِينَ ، وَتَقَلَّبُوا فَاكِهِينَ ، وَبَاثُوا عَلَى
سُرُرِهِمْ مُطْمَئِنِّينَ آمِنِينَ .

فَكَمْ بِهَا مِنْ لِسَانٍ فَصِيحٍ ، طَالَمَا مَا أَنْشَدَ وَخَطَبَ ، وَأَرْهَبَ وَأَرْغَبَ ،
وَمَدَحَ وَأَطْنَبَ ، وَكَمْ مِنْ فَصِيحٍ لِسَانٍ وَعَظِيمٍ يَبَيِّنُ أَخْرَسَهُ الْحَدَثَانِ ،
وَتَحَكَّمَتْ فِي جَسَدِهِ الْهَوَامُ وَالْدِّيدَانُ .

اللَّهُمَّ انْفَعْنَا بِمَا عَلَّمْتَنَا ، وَعَلَّمْنَا مَا يَنْفَعُنَا ، وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا
فَهَّمْتَنَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنَّا مُقْصِرِينَ فِي حِفْظِ حَقِّكَ ، وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِكَ ، فَأَنْتَ
تَعْلَمُ صِدْقَنَا فِي رَجَاءِ رِفْدِكَ ، وَخَا بٍ وَدَّكَ ، اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ بِنَا مِنَّا ،
فَبِكَمَالِ جُودِكَ تَجَاوَزْ عَنَّا ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ،

الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٩٤ موعظة

عِبَادَ اللَّهِ يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ
هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الصَّلَاةَ عِمَادُ الدِّينِ وَأَعْظَمُ
أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ ، وَهِيَ قُرَّةُ عَيْنِ الْمُؤْمِنِ وَطُمَأْنِينُ قَلْبِهِ تَبْدُو
وَاضِحَةً فِي وَقْفِهِ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِ ، وَخُشُوعِهِ وَانكِسَارِهِ ، عِنْدَمَا يَتَّجِهَ إِلَيْهِ
فِي عِبَادَتِهِ ، وَيَقِفُ خَاضِعاً ذَلِيلاً بَيْنَ يَدَيِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ .

عِبَادَ اللَّهِ مَنْ حَافِظٌ عَلَى الصَّلَاةِ فَهُوَ السَّعِيدُ الرَّابِحُ ، وَمَنْ أَضَاعَهَا
فَهُوَ الشَّقِيُّ الْخَاسِرُ ، وَإِنَّ اللَّيْبَ الْعَاقِلَ مَنْ إِذَا حَضَرَ لِلصَّلَاةِ أَقْبَلَ بِقَلْبِهِ
وَقَالِبِهِ ، طَرَحَ الدُّنْيَا وَشُؤْنَهَا وَمَتَعَلِّقَاتِهَا جَانِباً وَتَدَبَّرَ مَا يَتْلُوهُ إِنْ كَانَ وَحْدَهُ
أَوْ إِمَاماً . وَأَنْصَتَ وَأَحْضَرَ قَلْبَهُ إِنْ كَانَ مَأْمُوماً وَتَفَهَّمْ مَا يَسْمَعُ وَابْتَهِلَ
وَتَضَرَّعَ إِلَى مَوْلَاهُ .

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الْخُشُوعَ فِي الصَّلَاةِ هُوَ رُوحُهَا ، وَالْمَحْوَرُ الَّذِي تَدْوَرُّ
عَلَيْهِ سَائِرُ أَفْعَالِهَا ، وَالْخُشُوعُ فِيهَا مَعَ الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ آيَةُ الْإِيمَانِ وَسَبَبُ
الْفَلَاحِ وَأَمَانٌ مِنَ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ . أَلَا وَإِنَّ الصَّلَاةَ بِلَا خُشُوعٍ كَجَسَدٍ
بِلَا رُوحٍ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا « لَيْسَ لَكَ مِنْ صَلَاتِكَ إِلَّا
مَا عَقَلْتَ مِنْهَا » .

وَفِي الْمُسْنَدِ مَرْفُوعاً إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي الصَّلَاةَ وَلَمْ يُكْتَبْ لَهُ إِلَّا
نِصْفُهَا أَوْ ثُلُثُهَا أَوْ رُبُعُهَا ، حَتَّى بَلَغَ عَشْرَهَا ، وَقَدْ عَلَّقَ اللَّهُ فَلَاحَ

المُصَلِّينَ بِالْخُشُوعِ فِي صَلَاتِهِمْ ، فَذَلَّ عَلَى أَنْ مَنْ لَمْ يَخْشَعْ فَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْفَلَاحِ وَلَوْ اعْتَدَّ لَهُ بِهَا ثَوَابًا لَكَانَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ هَكَذَا قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ .

قَالُوا وَأَمَّا الْاعْتِدَادُ بِهَا فِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا وَسُقُوطِ الْقَضَاءِ فَإِنْ غَلَبَ الْخُشُوعُ وَتَعَقَّلَهَا اعْتَدَّ بِهَا أَجْمَاعًا ، وَكَانَتْ السُّنَنُ وَالْإِذْكَارُ عَقِبَهَا جَوَابِرَ وَمُكَمَّلَاتٍ لِنَقْصِهَا ، وَإِنْ غَلَبَ عَلَيْهِ عَدَمُ الْخُشُوعِ فِيهَا وَعَدِمَ تَعَقُّلَهَا .

فَقَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي وَجُوبِ إِعَادَتِهَا وَاجْتِنَاجِهَا بِأَنَّهَا صَلَاةٌ لَا يُثَابُ عَلَيْهَا ، وَلَمْ يُضْمَنْ لَهُ فِيهَا الْفَلَاحُ فَلَمْ تَبْرَأْ ذِمَّتُهُ مِنْهَا ، وَيَسْقُطُ الْقَضَاءُ عَنْهُ كَصَلَاةِ الْمَرَاتِي قَالُوا وَلَآنَ الْخُشُوعُ وَالْعَقْلُ رُوحُ الصَّلَاةِ ، وَمَقْصُودُهَا وَلُبُّهَا ، فَكَيْفَ يُعْتَدُّ بِصَلَاةٍ فَقِدَتْ رُوحَهَا ، وَلُبُّهَا وَيَقِيَتْ صُورَتَهَا وَظَاهِرُهَا .

قَالُوا وَلَوْ تَرَكَ الْعَبْدُ وَاجِبًا مِنْ وَاجِبَاتِهَا عَمْدًا لِأَبْطَلَهَا تَرْكُهُ وَغَايَتُهُ أَنْ يَكُونَ بَعْضًا مِنْ أَبْعَاضِهَا بِمَنْزِلَةِ قَوَاتٍ غُضِبَ مِنْ أَعْضَاءِ الْعَبْدِ الْمُعْتَقِ . فِي الْكُفَّارَةِ ، فَكَيْفَ إِذَا عُدِمَتْ رُوحُهَا وَمَقْصُودُهَا ، وَصَارَتْ بِمَنْزِلَةِ الْعَبْدِ الْمَيِّتِ فَإِذَا لَمْ يُعْتَدَّ بِالْعَبْدِ الْمَقْطُوعِ الْيَدِ يُعْتَقَهُ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كُفَّارَةٍ وَاجِبَةٍ فَكَيْفَ يُعْتَدُّ بِالْعَبْدِ الْمَيِّتِ .

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ الصَّلَاةُ كَجَارِيَةٍ تُهْدَى إِلَى مَلِكٍ مِنَ الْمُلُوكِ فَمَا الظَّنُّ بِمَنْ يُهْدَى إِلَيْهِ جَارِيَةٌ سَلَاءٌ أَوْ عَوْرَاءٌ أَوْ عَمِيَاءٌ أَوْ مَقْطُوعَةٌ الْيَدِ أَوْ الرَّجُلِ أَوْ مَرِيضَةٌ أَوْ دَمِيمَةٌ أَوْ قَبِيحَةٌ حَتَّى يُهْدَى إِلَيْهِ جَارِيَةٌ مَيِّتَةٌ بِلَا رُوحٍ وَجَارِيَةٌ قَبِيحَةٌ فَكَيْفَ بِالصَّلَاةِ الَّتِي يُهْدِيهَا الْعَبْدُ وَيَتَقَرَّبُ بِهَا إِلَى رَبِّهِ تَعَالَى وَاللَّهُ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَلَيْسَ مِنَ الْعَمَلِ الطَّيِّبِ صَلَاةٌ لَا رُوحَ فِيهَا

كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْعِتَقِ الطَّيِّبِ عِتْقُ عَبْدٍ بِلا رُوحٍ .

قَالُوا وَتَعْطِيلُ الْقَلْبِ عَنْ عُبُودِيَّةِ الْحُضُورِ وَالْخُشُوعِ تَعْطِيلٌ لِمَلِكِ
الْأَعْضَاءِ عَنْ عُبُودِيَّتِهِ وَعَزْلٌ لَهُ عَنْهَا فَمَاذَا تُغْنِي طَاعَةُ الرَّعِيَّةِ وَعُبُودِيَّتُهَا وَقَدْ
عُزِلَ مَلِكُهَا وَتَعْطَلُ .

قَالُوا وَالْأَعْضَاءُ تَابِعَةٌ لِلْقَلْبِ تَصْلُحُ بِصَلَاحِهِ وَتَفْسُدُ بِفَسَادِهِ فَإِذَا لَمْ
يَكُن قَائِمًا بِعُبُودِيَّتِهِ فَالْأَعْضَاءُ أَوْلَى أَنْ لَا يُعْتَدَ بِعُبُودِيَّتِهَا وَإِذَا فَسَدَتْ
عُبُودِيَّتُهُ بِالْغَفْلَةِ وَالْوَسْوَاسِ فَأَنْتَ تَصِيحُ عُبُودِيَّةَ رَعِيَّتِهِ وَجُنْدِهِ وَمَادُّهُمْ مِنْهُ
وَعَنْ أَمْرِهِ يَصْدُرُونَ وَبِهِ يَأْتِمِرُونَ .

قَالُوا وَلَآنَ عُبُودِيَّةٌ مَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الْغَفْلَةُ وَالسَّهْوُ فِي الْغَالِبِ لَا تَكُونُ
مُصَاحِبَةً لِلْإِخْلَاصِ فَإِنَّ الْإِخْلَاصَ قَصْدُ الْمَعْبُودِ وَخَذَهُ بِالتَّعَبُّدِ وَالْغَافِلُ لَا
قَصْدَ لَهُ فَلَا عُبُودِيَّةَ لَهُ .

قَالُوا وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ
سَاهُونَ ﴾ وَلَيْسَ السَّهْوُ عَنْهَا تَرْكُهَا وَإِلَّا لَمْ يَكُونُوا مُصَلِّينَ وَإِنَّمَا السَّهْوُ عَنْ
وَاجِبِهَا إِمَّا عَنْ الْحُضُورِ أَوْ الْخُشُوعِ .

وَالصُّوَابُ أَنَّهُ يَعُمُّ النُّوعَيْنِ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَثَبَّتَ لَهُمْ صَلَاةَ وَوَصَفَهَا
بِالسَّهْوِ عَنْهَا ، فَهُوَ السَّهْوُ عَنْ وَقْتِهَا الْوَاجِبِ أَوْ عَنْ إِخْلَاصِهَا وَحُضُورِهَا
الْوَاجِبِ ، وَلِذَلِكَ وَصَفَهُم بِالرِّيَاءِ ، وَلَوْ كَانَ السَّهْوُ سَهْوً تَرْكٌ لَمَا كَانَ
هُنَاكَ رِيَاءٌ أَمْ .

وَبِالتَّالِي فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا مَرَّنَ نَفْسَهُ وَقَلْبَهُ عَلَى التَّفَهُّمِ وَالتَّدَبُّرِ
وَالْخُشُوعِ وَالْحُضُوعِ فِي الصَّلَاةِ انْفَرَسَتْ فِي قَلْبِهِ خَشْيَةُ اللَّهِ وَمَحَبَّتُهُ

وَالرُّغْبَةَ فِيمَا لَدَيْهِ ، وَحَضَرَتْهُ هَيْبَةُ خَالِقِهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَفِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ .

فَإِذَا سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسُهُ أَمْرًا أَوْ زَيْنَ الشَّيْطَانِ سُوءًا تَبَرَّأَ مِنْهُمَا قَائِلًا إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكُنْ فِي صَلَاتِكَ خَاشِعًا خَاضِعًا مُخْبِتًا .

فَإِذَا قُلْتَ اللَّهُ أَكْبَرُ فَاسْتَحْضِرْ عَظَمَةَ اللَّهِ وَأَنَّهُ لَا شَيْءَ أَكْبَرَ مِنْهُ وَلَا شَيْءَ أَعْظَمَ مِنْهُ وَأَنَّهُ مُسْتَحِقُّ لَأَنْ يُعْظَمَ وَيُجَلَّ وَيُقَدَّرَ وَأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُسَاوِيهِ أَوْ يُدَانِيهِ فِي عَظَمَتِهِ .

وَإِذَا قُلْتَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَاسْتَحْضِرْ أَنَّهُ الْمُسْتَحِقُّ لِلثَّنَاءِ وَأَنَّهُ الْمَرْبِيُّ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ التَّرْبِيَةَ الْعَامَّةَ وَالْمَرْبِيُّ لِخَوَاصِّ خَلْقِهِ التَّرْبِيَةَ الْخَاصَّةَ ، وَهِيَ تَرْبِيَةُ الْقُلُوبِ عَلَى الْعَقَائِدِ النَّافِعَةِ ، وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ .

وَإِذَا قُلْتَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ اسْتَحْضِرْتَ لِرَحْمَتِهِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ رَاجِيًا مِنْهُ أَنْ يَجْعَلَكَ مِنْ كَتَبَهَا لَهُمْ فَإِذَا قُلْتَ مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ مَجْدَّتُهُ وَاسْتَحْضِرْتَ لِقُوفِكَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ .

فَإِذَا قُلْتَ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اسْتَحْضِرْتَ أَنَّكَ تَخُصُّهُ وَحْدَهُ بِالْعِبَادَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ ، الْمَعْنَى نَعْبُدُكَ وَلَا نَعْبُدُ غَيْرَكَ وَنَسْتَعِينُ بِكَ وَلَا نَسْتَعِينُ بِغَيْرِكَ .

فَإِذَا قُلْتَ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ اسْتَحْضِرْتَ أَنَّكَ تَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ وَتَسْأَلُهُ أَنْ يَهْدِيَكَ وَيُرْشِدَكَ وَيُوفِّقَكَ إِلَى سُلُوكِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَأَنْ يُثَبِّتَكَ عَلَيْهِ فَهَذَا الدُّعَاءُ مِنْ أَجْمَعِ الْأَدْعِيَةِ وَأَنْفَعُهَا لِلْعَبْدِ وَلِهَذَا وَجَبَ عَلَى

الْعَبْدُ أَنْ يَدْعُوَ بِهِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مِنْ صَلَاتِهِ لِضُرُورَتِهِ إِلَى ذَلِكَ وَهَذَا الصِّرَاطُ هُوَ صِرَاطُ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ .

وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ، وَافْعَلْ فِي بَاقِي صَلَاتِكَ كَمَا فَعَلْتَ فِي أَوَّلِهَا مِنَ التَّدْبِيرِ وَالتَّفْهِيمِ مُحْضِرًا قَلْبَكَ لِمَعَانِي مَا تَقُولُهُ وَمَا تَسْمَعُهُ حَتَّى تُكْتَبَ لَكَ كَامِلَةً .

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مَنْ حَافَظَ عَلَى الصَّلَوَاتِ فِي أَوْقَاتِهَا وَوَظَبَ عَلَى الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَاتِ وَأَدَّاهَا تَأْدِيَةً تَامَةً بِخُشُوعٍ وَخُضُوعٍ ، اسْتَنَارَ قَلْبُهُ وَقَوِيَتْ الصَّلَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ ، وَتَهَذَّبَتْ نَفْسُهُ وَحَسُنَتْ مَعَ اللَّهِ وَالنَّاسِ مُعَامَلَتُهُ ، وَحِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُحَرَّمَاتِ وَكَانَ عَلَى الْبُؤْسَاءِ عَطُوفًا وَبِالضُّعْفَاءِ رَحِيمًا ، وَأَفْلَحَ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ وَكَانَ مِنَ الْمَحْبُوبِينَ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ خَلْقِهِ .

عِبَادَ اللَّهِ النَّفْسُ أَمْرَةٌ بِالسُّوءِ ، وَالشَّيْطَانُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالسَّيْفُ الْقَاطِعُ وَالذُّوَاءُ النَّافِعُ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ وَقَايَةً لِلْإِنْسَانِ مِنْ شَرِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ ، إِنَّمَا هُوَ الصَّلَاةُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ .

عِبَادَ اللَّهِ احْذَرُوا أَنْ تَسْتَهِنُوا بِالصَّلَاةِ وَأَنْ لَا تَهْتَمُّوا لَهَا ، فَإِنَّ هَذِهِ صِفَةُ الَّذِينَ خَلَتْ صَلَاتُهُمْ مِنَ التَّذَلُّلِ وَالْخُشُوعِ كَمَا تَرَوْنَهُمْ يُسْرِعُونَ فِي أَذَانِهَا وَهُمْ عَنْهَا غَافِلُونَ لَا يَعْرِفُونَ لَهَا مَعْنَى وَلَا يَعْقِلُونَ لَهَا سِرًّا وَلَمْ تَشْعُرْ قُلُوبُهُمْ بِحِلَاوَتِهَا وَلَا بِلَذَّةِ الْمُنَاحَاتِ قَدْ مَلَكَتْهُمْ الْوَسَاوِسُ ، وَامْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ بِشَوَاعِلِ الدُّنْيَا وَلَذَائِهَا ، وَاسْتَحَوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنَسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ .

قَالَ تَعَالَى ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ عَمِيَتْ بَصَائِرُهُمْ ، وَتَحَجَّرَتْ ضَمَائِرُهُمْ ، فَأَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ، وَأَهْمَلُوا أَوْامِرَ بَدِيعِ السَّمَوَاتِ وَغَفَلُوا عَنْ وَاجِبِ شُكْرِهِ وَلَمْ يَخَافُوا سَطْوَةَ جَبْرُوتِهِ وَنَطْشِهِ ، وَلَا سُوءَ الْحِسَابِ ، وَلَا نَارَ الْعَذَابِ ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ ﴾ ﴿ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ .

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَحَافِظُوا عَلَى صَلَاتِكُمْ وَقُومُوا لِلَّهِ خَاضِعِينَ خَاشِعِينَ لِتَفُوزُوا بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَتَكُونُوا مِنَ الْمُفْلِحِينَ .

اللَّهُمَّ قَوِّ إِيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ .

اللَّهُمَّ ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَالْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا صِيَانَةَ أَوْقَاتِنَا وَحِفْظَهَا عَنِ الْمَعَاصِي وَوَفَّقْنَا لِشُغْلِهَا بِالْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٩٥ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فَإِنَّ تَقْوَاهُ عُرْوَةٌ مَالَهَا انْفِصَامٌ وَقُدْوَةٌ يَأْتُمُ بِهَا الْكَرَامَ ، وَسِرَاجٌ يُضِيءُ لِلْأَفْهَامِ ، مَنْ تَعَلَّقَ بِهَا حَمَتُهُ بِإِذْنِ اللَّهِ مَحْدُورَ الْعَاقِبَةِ ، وَمَنْ تَحَقَّقَ بِحَمَلِهَا وَقْتَهُ بِإِذْنِ اللَّهِ شُرُورَ كُلِّ نَائِبَةٍ وَالْحَذَرَ مِنْ دَارِ فُرْقَةٍ مَالَهَا أَسْلَافٌ ، وَقَرَارِ حُرْقَةٍ مَالَهَا انْصِرَافٌ ، وَأَنَّى رَجَعَةٍ مَالَهَا إِسْعَافٌ ، فَانْهَضُوا عِبَادَ اللَّهِ فِي اسْتِعْمَالِ مَا يُقَرِّبُكُمْ مِنْ دَارِ

لِقَرَارٍ ، وَاتْرَكُوا كُلَّ مَا يُدْنِيكُمْ مِنْ دَارِ الْبَوَارِ فَإِنَّهَا الْمُصِيبَةُ الْجَامِعَةُ
وَالْعُقُوبَةُ الْوَاقِعَةُ ، يَا لَهَا دَارُ انْقِطَاعِ مِنَ الرَّجَاءِ انْجِلَالُهَا وَامْتِنَاعُ مِنَ
الْفَنَاءِ بَقَاءُ نِكَالِهَا ، وَشِعَارُ أَهْلِهَا الْوَيْلُ الطَّوِيلُ ، وَدِثَارُهُمُ الْبُكَاءُ
وَالْعَوِيلُ ، وَسَرَابِيلُ الْخَزْيِ الْوَبِيلُ ، وَمَقِيلُهُمُ الْهََاوِيَةُ ، وَبُشْسُ الْمَقِيلُ ،
يُقْطَعُ مِنْهُمْ الْحَمِيمُ أَمْعَاءُ طَالَمَا وَلِعَتْ بِأَكْلِ الْحَرَامِ ، وَتَضَعُضُ مِنْهُمْ
الْجَحِيمُ أَعْضَاءُ طَالَمَا أَسْرَعَتْ إِلَى اكْتِسَابِ الْآثَامِ قَدْ كَثُرَ مِنْهُمْ الْإِثْنُ ،
وَحَلَّتْ بِهِمُ الْمَثَلَاتُ فَجَلَدُوهُمْ كُلَّمَا نَضِجَتْ بُدْلَتُ جُلُودًا غَيْرَهَا ، وَكُرِّرَ
عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ ، وَوُجُوهُهُمْ مُسَوَّدَةٌ لِسُوءِ الْحِسَابِ ، وَالزَّبَانِيَةُ تَقْمَعُهُمْ
فَيَذُوقُونَ أَلِيمَ الْعِقَابِ ، يُنَادُونَ إِلَهَا ضَيِّعُوا أَوَامِرَهُ وَارْتَكَبُوا نَوَاهِيَهُ وَنَسُوهُ ،
وَحَقَّ عَلَيْهِمْ فِي الْأَجَلَةِ حُكْمُهُ لَمَّا أَغْضَبُوهُ يَقُولُونَ « رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ
عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ » ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾
فَيُجِيبُهُمْ بَعْدَ حِينٍ إِجَابَةً دَعَوَةٍ ذِي قُوَّةٍ مَتِينٍ ﴿ اخْسَوْوا فِيهَا وَلَا
تُكَلِّمُونَ ﴾ فَحِينَئِذٍ يَنْقُطِعُ عِنْدَهَا وَاللَّهُ تَأْمِيلُ الْمُذْنِبِينَ وَيَجْتَمِعُ التَّنْكِيلُ
عَلَى الْمُذْنِبِينَ وَيَرْتَفِعُ فِي جَهَنَّمَ عَوِيلُ الْمُجْرِمِينَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿ فَإِنْ يَصْبِرُوا
فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُغْثِينَ ﴾ فَيَا لَهَا مِنْ حَسْرَةٍ وَيَا
لَهَا مِنْ نَدَامَةٍ لَا تُشْبِهُهَا نَدَامَةٌ وَيَا لَهَا مِنْ خَسَارَةٍ لَا تُعَادِلُهَا خَسَارَةٌ ﴿ قُلْ
إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ
الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾ .

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ وَانصُرِ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ . وَاجْعَلْ
كَلِمَتِكَ هِيَ الْعُلْيَا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَاخْذِلْ الْكُفْرَةَ وَأَعْوَانَهُمْ وَالْمُلْجِدِينَ
وَالْمُبْتَدِعِينَ وَأَصْلِحْ مَنْ فِي صَلَاحِهِ صَلَاحُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِكَ
مَنْ فِي هَلَاقِهِ صَلَاحُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَوَلِّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ خِيَارَهُمْ

يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ وَلَمْ شَعْنَهُمْ وَاجْمَعْ شَمْلَهُمْ وَوَحِّدْ كَلِمَتَهُمْ وَانصُرْهُمْ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ وَاحْفَظْ بِلَادَنَا مِنَ الْفَسَقَةِ وَالْمُجْرِمِينَ وَأَصْلِحْ أَوْلَادَنَا وَإِشْفِ مَرْضَانَا وَعَافِ مُبْتَلَانَا وَارْحَمْ مَوْتَانَا وَخُذْ بِأَيْدِينَا إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَاعْصِمْنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَاحْفَظْنَا مِنْ كُلِّ ضَرٍّ وَاغْفِرْ اللَّهُمَّ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ إِنَّكَ قَرِيبٌ مُجِيبُ اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا وَلَا إِلَى النَّارِ مَصِيرَنَا وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا بِذُنُوبِنَا مَنْ لَا يَخَافُكَ فِينَا وَلَا يَرْحَمُنَا وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا وَلَا تَسْلُبْ نِعْمَتَكَ عَنَّا وَكُنْ مَعَنَا حَيْثُمَا كُنَّا يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٩٦ مَوْعِظَةٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ غَافِرِ الذُّنُوبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ ، شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّولِ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَهَ الْمَصِيرِ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْبَشِيرُ النَّذِيرُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم أُولَى الْجِدِّ فِي الْعِبَادَةِ وَالتَّشْمِيرِ

عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ قَدْ عَزَمَ عَلَى الرَّجُلِ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ
أَحْسَنَ فَعَلَيْهِ بِالتَّامِّ ، وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ قَرِطٌ فِيهِ فَلْيَخْتِمْهُ بِالْحُسْنَى ،
فَالْعَمَلُ بِالْخِتَامِ ، وَيَأْدُرُوا رَجَمَكُمْ اللَّهُ أَوْقَاتَ شَهْرِكُمْ الْبَاقِيَّةِ ، وَاسْتَدْرِكُوا
مَا مَضَى مِنْهُ بِالْحَسْرَةِ وَالنَّدَمِ ، وَاخْتِمُوهُ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ وَالرُّجُوعِ إِلَى
صَالِحِ الْعَمَلِ .

عِبَادَ اللَّهِ ، كَمْ أَنَا صَلُّوا فِي هَذَا الشَّهْرِ صَلَاةَ التَّرَاوِيحِ وَأَوْقَدُوا
فِي الْمَسَاجِدِ طَلَبًا لِلْأَجْرِ الْمَصَابِيحِ ، وَنَسَخُوا بِإِحْسَانِهِمْ كُلَّ فِعْلٍ
قَبِيحٍ ، وَقَبْلَ التَّامِّ سَكَنُوا الضَّرِيحَ ، وَلَمْ يَنْفَعَهُمُ الْمَالُ وَالْأَمَالُ لَمَّا

نُقِلُوا ، رَحَلُوا عَنِ الدُّنْيَا قَدَمًا قَدَمًا وَتَقَصَّ مَا بَنَوْهُ هَذَا هَذَا ، أَدَارَتْ
عَلَيْهِمُ الْمُنُونُ رَحَاهَا وَأَحَلَّتْ وَجُوهَهُمْ فِي الثَّرَى فَمَحَاهَا .

وَهَذَا حَالُكَ عَنْ قَرِيبٍ فَتَقِظْ يَا قَلِيلَ الزَّادِ ، وَحَادِي رَجِيلِهِ قَدْ
حَدَى تَاهَبَ لِلتَّلَفِ وَتَهَيَّأَ لِلرُّدَى ، ذَهَبَ عَنْكَ شَهْرُ الصَّيَامِ وَوَدَّعَكَ ،
وَسَارَتْ فِيهِ قَوَائِلُ الصَّالِحِينَ ، وَجَهْلَكَ مَنَعَكَ وَالتَّوْبِيخُ مُتَوَقِّرٌ ، فَمَا
أَرْجَعَكَ وَلَا أَرْعَجَكَ وَأَنْتَ تُؤْمَلُ مَنَازِلَ الْعَامِلِينَ بِأَفْعَالِ الْغَافِلِينَ فَمَا
أَطَمَعَكَ .

يَا مَنْ أَصْبَحَ سَاعِيًا إِلَى مَا يَضُرُّهُ سَتَعْلَمُ مَنْ يَأْتِي غَدًا حَزِينًا
مُتَنَدِّمًا ، كَمْ مِنْ صَائِمٍ يَفْضَحُهُ الْحِسَابُ وَالْعَرَضُ ، وَكَمْ مِنْ
عَاصٍ فِي هَذَا الشَّهْرِ تَسْتَعِثُ مِنْهُ الْأَرْضُ ، فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مِنَ الْمَقْبُولِ
مِنَّا فَتَهْنِئِهِ عَلَى تَوْفِيقِ اللَّهِ لَهُ بِحُسْنِ عَمَلِهِ وَيَا لَيْتَ شِعْرِي مِنَ الْمَطْرُودِ
فَتُعْزِيهِ بِسُوءِ عَمَلِهِ ، فَيَا أَيُّهَا الْمَقْبُولُ هَيِّنَا لَكَ بِثَوَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
وَرِضْوَانِهِ وَرَحْمَتِهِ وَغُفْرَانِهِ وَقَبُولِهِ وَاحْسَانِهِ وَغُفْوِهِ وَامْتِنَانِهِ .

وَيَا أَيُّهَا الْمَطْرُودُ بِإِضْرَارِهِ ، وَطُغْيَانِهِ وَظُلْمِهِ وَغُفْلَتِهِ وَخُسْرَانِهِ وَتَمَادِيهِ
فِي عِصْيَانِهِ ، لَقَدْ عَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ وَخَسِرْتَ تِجَارَتَكَ ، وَطَالَتْ
نَدَامَتُكَ ، فَيَا لَهَا مِنْ خُسَارَةٍ لَا تُشَبِّهُهَا خُسَارَةٌ ، لِلَّهِ دُرُّ أَقْوَامٍ حَرَسُوا
بِالتَّقَى أَوْقَاتَهُمْ ، وَتَذَرَعُوا دُرُوعَ الْمُرَاقَبَةِ فِي صَبْرِهِمْ وَجَمَعُوا بَيْنَ الصَّدَقِ
وَالْإِخْلَاصِ فِي ذِكْرِهِمْ ، صَبَرُوا بِالْيَقِينِ عَلَى ظَمِ الْهَوَاجِرِ ، وَبَسَطُوا
أَقْدَامَهُمْ عَلَى بَسَاطِ الدِّيَاجِرِ وَعَمِلُوا لِيَوْمٍ فِيهِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ .

أَقْبَلُوا عَلَى خِدْمَةِ رَبِّهِمْ إِقْبَالَ عَالِمٍ ، وَمَا سَلَكَوا إِلَّا الطَّرِيقَ السَّالِمَ
تَذَكَّرُوا ذُنُوبَهُمْ الْقَدَائِمَ ، فَجَدُّوا التَّوْبَةَ بِصِدْقِ الْعَزَائِمِ ، وَعَدُّوا التَّقْصِيرَ
مِنَ الْعَظَائِمِ ، وَبَدَّلُوا الْمُهْجَ الْكَرَائِمَ ، فَلِذَا جَنَّ اللَّيْلُ فَسَاجِدُ وَقَائِمُ ، وَلَا

يَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَّائِمَةً ، أَيْنَ أَنْتَ وَهُمْ ؟ فَهَلْ تَرَى السَّاهِرَ كَالنَّائِمِ ؟
كَلَّا ، وَلَا الْمُفْطِرَ كَالصَّائِمِ .

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا فَتَحَ لَهُ بَابَ الدُّلِّ
وَالْإِنْكَسَارِ وَدَوَامِ اللُّجُوءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِفْتِقَارِ إِلَيْهِ وَرُؤْيَا عُيُوبِ نَفْسِهِ
وَجَهْلِيهَا وَعُدْوَانِهَا وَمُشَاهَدَةِ فَضْلِ رَبِّهِ وَاحْسَانِهِ وَرَحْمَتِهِ وَجُودِهِ وَبِرِّهِ وَغِنَاهُ
وَحَمْدِهِ . فَالْعَارِفُ : سَائِرٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بَيْنَ هَذَيْنِ الْجَنَاحَيْنِ لَا يُمَكِّنُهُ
أَنْ يَسِيرَ إِلَّا بِهِمَا فَمَتَى فَاتَهُ وَاحِدٌ مِنْهُمَا فَهُوَ كَالطَّيْرِ الَّذِي فَقَدَ أَحَدَ
جَنَاحَيْهِ .

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ الْعَارِفُ يَسِيرُ إِلَى اللَّهِ بَيْنَ
مُشَاهَدَةِ الْمِنَّةِ وَمُطَالَعَةِ غَيْبِ النَّفْسِ وَالْعَمَلِ . وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَيِّدُ
الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ
وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ
بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفُرْ لِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَجَمَعَ
فِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذُنُوبِي بَيْنَ
مُشَاهَدَةِ الْمِنَّةِ وَمُطَالَعَةِ غَيْبِ النَّفْسِ وَالْعَمَلِ .

فَمُشَاهَدَةُ الْمِنَّةِ تُوجِبُ الْمَحَبَّةَ وَالْحَمْدَ وَالشُّكْرَ لِوَلِيِّ النِّعَمِ
وَالْإِحْسَانِ وَمُطَالَعَةُ غَيْبِ النَّفْسِ وَالْعَمَلِ تُوجِبُ لَهُ الدُّلَّ وَالْإِنْكَسَارَ
وَالْإِفْتِقَارَ وَالتَّوْبَةَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَأَنْ لَا يَرَى نَفْسَهُ إِلَّا مُفْلِسًا وَأَقْرَبُ بَابٍ
يَدْخُلُ مِنْهُ الْعَبْدُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى هُوَ بَابُ الْإِفْلَاسِ فَلَا يَرَى لِنَفْسِهِ حَالًا
وَلَا مَقَامًا وَلَا سَبَبًا يَتَعَلَّقُ بِهِ وَلَا وَسِيلَةً مِنْهُ يَمُنُّ بِهَا .

بَلْ يَدْخُلْ عَلَى اللَّهِ مِنْ بَابِ الْاِفْتِقَارِ الصَّرْفِ وَالْاِفْلَاسِ الْمُحْضَرِ
دُخُولَ مَنْ كَسَرَ الْفَقْرَ وَالْمَسْكَنَةَ قَلْبُهُ حَتَّى وَصَلَتْ تِلْكَ الْكَسْرَةُ إِلَى
سُوَيْدَائِهِ فَاِنْصَدَعَ وَشَمَلَتْهُ الْكَسْرَةُ مِنْ كُلِّ جِهَاتِهِ وَشَهِدَ ضُرُورَتَهُ إِلَى رَبِّهِ
عَزَّ وَجَلَّ وَكَمَالَ فَاقَتِهِ وَفَقْرِهِ إِلَيْهِ وَأَنَّ فِي كُلِّ ذَرَّةٍ مِنْ ذُرَاتِهِ الظَّاهِرَةِ فَاقَةً
تَامَةً وَضُرُورَةً إِلَى رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَأَنَّهُ إِنْ تَخَلَّى عَنْهُ طَرْفَةً عَيْنٍ هَلَكَ
وَخَسِرَ خَسَارَةً لَا تُجْبَرُ إِلَّا أَنْ يَعُودَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَيَتَذَكَّرَهُ بِرَحْمَتِهِ
انْتَهَى .

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا مَنْ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ يَا ذَا الْجَلَالِ
وَالْاِكْرَامِ يَا وَاحِدُ أَحَدٌ يَا فَرْدٌ صَمَدٌ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نَسْأَلُكَ أَنْ
تَنْصُرَ الْاِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ تَعْلَى كَلِمَةَ الْحَقِّ وَالَّذِينَ وَأَنْ تَشْمَلَ
بِعَنَائَتِكَ وَتَوْفِيقِكَ كُلَّ مَنْ نَصَرَ الدِّينَ وَأَنْ تَمْلَأَ قُلُوبُنَا بِمَحَبَّتِكَ وَمَحَبَّةِ
رُسُلِكَ وَأَوْلِيَائِكَ وَأَنْ تُلْهِمَنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَنْ تَأْخُذَ بِنَوَاصِينَا إِلَى مَا
تَرْضَاهُ وَأَنْ تَرْزُقَنَا الْاِسْتِعْدَادَ لِمَا أَمَامَنَا وَأَنْ تُهَوِّنَ أَمْرَ الدُّنْيَا عَلَيْنَا وَأَنْ تَغْفِرَ
لَنَا وَلِلْاِدِينَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْاَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

فصل في ذكر بعض الأدعية الواردة

عباد الله اغتنموا هذه الأوقات الشريفة وأكثرُوا فيها من الدعاء فإن الدعاء له أثر عظيم وموقع جسيم .

وهو مخ العبادَة ولا سيما إذا كان بقلب حاضر وصادفا إخبائاً وخشوعاً وانكساراً وتضرعاً ورقة وخشية واستقبل القبلة حال دعائه وكان على طهارة .

وجدد توبة وأكثر من الاستغفار وبدأ بحمد الله وتنزيهه وتمجيده وتقديسه والثناء عليه وشكره ثم صلى على النبي ﷺ بعد ذلك .

ودعا بدعاء مشروع باسم من أسماء الله الحسنی مناسب لمطلوبه .

فان كان يريد علماً قال يا علیم علمني .

وان كان يطلب رحمة قال يا رحمن ارحمني .

وان كان يطلب رزقاً قال يا رزاق اِرزقني ونحو ذلك .

ولم يمنع من الدعاء مانع كأكل الحرام وقطيعة رحم وعقوق ونحو ذلك .

وتَحَرَّى أوقات الإجابة وأتى بأسبابها وهي الاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره والانتهاء عن ما نهى عنه .

فالله أصدق القائلين وأوفى الواعدين قال تعالى ﴿ أدعوني استجب لكم ﴾ .

وقال عز من قال ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان ﴾ .

وقال جل وعلا ﴿ أدعوا ربكم تضرعاً وخفية ﴾ .

وقال تبارك وتعالى ﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف

السوء ﴾ .

وقال تعالى ﴿ وعد الله لا يخلف الله وعده ﴾ .

وقال ﴿ ومن أصدق من الله قيلاً ﴾ .

ومن أوقات إجابة الدعاء إذا اجتمعت الشروط وانتفت الموانع ثلث

الليل الأخير .

ويوم الجمعة عند صعود الامام المنبر أو في آخر ساعة من يومها .

وعند الأذان .

وبين الأذان والاقامة .

وعند نزول الغيث .

وعند فطر الصائم .

وعشية عرفة .

وفي حالة السجود .

وفي ليلة القدر .

وفي أدبار الصلوات .

وفي أدبار النوافل .

وعند ختم القرآن .

وعند البكاء والخشية من الله .

شِعْرًا

دَعِ الْبُكَاءَ عَلَى الْأَطْلَالِ وَالذِّارِ
وَاذْكُرْ لِمَنْ بَانَ مِنْ خَلٍّ وَمِنْ جَارِ
وَأَذِرِ الدُّمُوعَ نَحِيًّا وَابْكِ مِنْ أَسَفِ
عَلَى فِرَاقِ لَيْالٍ ذَاتِ أَنْوَارِ
عَلَى لَيْالٍ لِشَهْرِ الصُّومِ مَا جُعِلَتْ
إِلَّا لِتَمْنَحِينَصِرَ آثَامٍ وَأَوْزَارِ
يَا لَأَيْمِي فِي الْبُكَاءِ زِدْنِي بِهِ كَلْفًا
وَأَسْمَعْ غَرِيبَ أَحَادِيثِي وَأَخْبَارِي
مَا كَانَ أَحْسَنًا وَالشُّمْلُ مُجْتَمِعُ
مِنَّا الْمُصَلِّي وَمِنَّا الْقَائِتُ الْقَارِي
وَفِي التَّرَاوِيحِ لِلرَّاحَاتِ جَامِعَةٌ
فِيهَا الْمَصَائِيحُ تَزْمُو مِثْلَ أَزْهَارِي
فِي لَيْلِهِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ الَّتِي شَرُفَتْ
حَقًّا عَلَى كُلِّ شَهْرِ ذَاتِ أَسْرَارِ
تَنْزِلُ الرُّوحُ وَالْأَمَلَاكُ قَاطِبَةً
بِإِذْنِ رَبِّ غُفُورٍ خَالِقِ بَارِي
شَهْرٍ بِهِ يُغْتَقُ اللَّهُ الْعَصَاةَ وَقَدْ
أَشْفُوا عَلَى جُرْفٍ مِنْ خُطَةِ النَّارِ
نَرْجُوا إِلَهَ مُحِبِّ الْعَفْوِ يُغْتَقِنَا
وَيَحْفَظُ الْكُلَّ مِنْ شَرٍّ وَأَكْثَارِ

وَيَشْمَلُ الْعَفْوَ وَالرُّضْوَانَ أَجْمَعَيْنَا
 بِفَضْلِكَ الْجَمُّ لَا تَهْتِكُ لَأَسْتَارِ
 فَأَبْكُوا عَلَى مَا مَضَى فِي الشَّهْرِ وَاعْتَنِمُوا
 مَا قَدْ بَقِيَ فَهُوَ حَقٌّ عَنْكُمْ جَارِي

اللهم اجْعَلْ قُلُوبَنَا مَمْلُوءَةً بِحُبِّكَ وَالسِّتَنَّا رَطْبَةً بِذِكْرِكَ وَنُفُوسَنَا
 مُطِيعَةً لِأَمْرِكَ وَأَمِنَّا مِنْ سَطَوَتِكَ وَمَكْرِكَ ، اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي دِينِنَا
 وَدُنْيَانَا وَأَخْرَانَا وَأَهْلِنَا وَمَا لَنَا اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنَا وَأَمِنْ رَوْعَاتِنَا وَاحْفَظْنَا مِنْ
 بَيْنِ أَيْدِينَا وَمِنْ خَلْفِنَا وَعَنْ أَيْمَانِنَا وَعَنْ شِمَائِلِنَا وَمِنْ فَوْقِنَا وَنَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ
 أَنْ نَغْتَالَ مِنْ تَحْتِنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٩٧ موعظة

عِبَادَ اللَّهِ يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَا دُمْتُمْ فِي هَذِهِ الدَّارِ فَأَنْتُمْ فِي دَارِ
 الْمُعَامَلَاتِ ، وَأَنْ لَكُمْ دَارًا أُخْرَى أَبَدِيَّةً ، فِيهَا تَسْتَوْفُونَ مَا لَكُمْ عَلَى هَذِهِ
 الْمُعَامَلَاتِ مِنْ جَزَاءٍ ، فَإِنْ أَحْسَنْتُمْ هُنَا أَوْسَأْتُمْ ، كَانَ جَزَاؤُكُمْ هُنَاكَ إِحْسَانًا أَوْ
 إِسَاءَاتٍ ، هَكَذَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ ، وَهُوَ عَلِيمٌ بِكُلِّ الْأَعْمَالِ ، وَعَلَى جَزَائِكُمْ عَلَيْهَا
 قَدِيرٌ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ، فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ، أَحْصَاهُ اللَّهُ
 وَنُسُوهُ) وَقَالَ (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ
 شَيْئًا ، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ، وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) وَقَالَ
 (يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا ، وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا
 يُظْلَمُونَ) مِنْ هَذَا أَقْطَعًا تَعْلَمُ أَنَّ شَأْنَ هَذِهِ الْمُعَامَلَاتِ عَظِيمٌ ، عَظِيمًا لَا يَعْرِفُ قَدْرَهُ

إِلَّا الرَّجُلَ الْعَاقِلَ ، الْبَعِيدُ النَّظَرَ الْحَكِيمُ ، فَإِنْ عَلَيْهَا يَتَرْتَّبُ غَضَبُ اللَّهِ ، وَعِقَابُهُ أَوْ رِضَاهُ ، وَالنَّعِيمُ الْمُقِيمُ ، وَشَيْءٌ هَذَا قَدْرُهُ لَا يَتَوَقَّفُ وَلَا يَتَرَدَّدُ فِي بَذْلِ الْعِنَايَةِ بِهِ رَجُلٌ بَصِيرٌ ، وَهَذِهِ الْمَعَامِلَاتُ تَارَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ ، وَتَارَةٌ تَكُونُ مَعَ عِبَادِ اللَّهِ ، فَأَمَّا الْمَعَامِلَةُ مَعَ اللَّهِ جَلُّ وَعَلَا فَبِأَنْ تَسْمَعَ وَتُطِيعَ فِيمَا أَمَرَ وَنَهَى ، وَأَمَّا مَعَامِلَتُكَ مَعَ عِبَادِ اللَّهِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَبِأَنْ تُحِبَّ لَهُمْ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وَذَلِكَ بِأَنْ تَجْعَلَ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِي مُعَامَلَةِ كَبِيرِهِمْ وَصَغِيرِهِمْ ، أَنْتَ تَكْرَهُ إِسَاءَتَهُمْ لَكَ ، وَتُحِبُّ إِحْسَانَهُمْ ، فَاحْذَرِ إِسَاءَتَهُمْ ، وَعَامِلِهِمْ بِالْإِحْسَانِ ، وَكَمَا تَكْرَهُ أَنْ يَمْسُوا مَالَكَ بِسُوءٍ ، فَلَتَكُنْ أَمْوَالُهُمْ مِنْكَ فِي أَمَانٍ ، وَكَمَا تَكْرَهُ أَنْ يَتَعَرَّضُوا لِأَوْلَادِكَ وَأَهْلِكَ وَشَخْصِكَ بِشَرٍّ ، فَكُنْ لَهُمْ خَيْرَ حَفِيزٍ وَنَصِيرٍ وَكَمَا تُحِبُّ أَنْ يُرِيحُوكَ إِذَا جَاوَزُوكَ ، فَأَرِحْهُمْ عِنْدَ مُجَاوَزَتِكَ لَهُمْ ، وَكَمَا تُحِبُّ أَنْ يَنْصَحُوكَ وَيَصْدُقُوكَ فِي وُعُودِهِمْ وَعُقُودِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ ، فَاسْبِقْهُمْ أَنْتَ إِلَى ذَلِكَ ، وَكَمَا تُحِبُّ أَنْ يَفْرَحُوا لِفَرَحِكَ ، وَيَحْزَنُوا لِحُزْنِكَ ، فَكُنْ أَنْتَ كَذَلِكَ مَعَهُمْ ، وَكَمَا تُحِبُّ أَنْ لَا يَتَكَلَّمُوا فِيكَ إِلَّا بِخَيْرٍ ، فَلَا تَكُنْ أَنْتَ مَعَهُمْ بِضِدِّ ذَلِكَ ، وَقِسْ عَلَى ذَلِكَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَوْضُوعِ ، وَأَمَّا مُعَامِلَتُكَ مَعَ نَفْسِكَ ، فَهِيَ أَنْ تُعَوِّدَهَا دَائِمًا عَلَى الْخَيْرِ بِلا ضَجَرٍ .

اللهم إنا نسألك رحمة من عندك تهدي بها قلوبنا ، وتجمع بها شملنا ، وتلم بها شعنا ، وترفع بها شاهدنا ، وتحفظ بها غائبنا ، وتزكى بها أعمالنا ، وتلهمنا بها رشدنا ، وتعصمنا بها من كل سوء يا أرحم الراحمين .

اللهم يا هادي المضلِّين ويا راحم المذنبين ، ومُقِيلَ عِثْرَاتِ الْعَاثِرِينَ ، نَسْأَلُكَ أَنْ تُلْحِقَنَا بِعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ آمِينَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ .

اللهم يا عالم الخفيات ، ويارفع الدرجات ، يا غافر الذنب وقابل

التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا أنت إليك المصير .
نسألك أن تزيقنا بر عفوك ، وحلاوة رحمتك ، يا أرحم الراحمين ،
وأرأف الرائفين وأكرم الأكرمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه
وسلم .

٩٨ موعظة

إِعْلَمُوا رَحْمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ أَنَّ فِي الْجَنَائِزِ غِبْرَةً لِلْمُعْتَرِينَ وَفِكْرَةً لِلْمُفَكِّرِينَ وَإِيقَظًا
لِلنَّائِمِينَ وَالسَّاهِينَ .

يَنِمُّ الْإِنْسَانُ فِي قِيَامٍ وَقُعُودٍ ، وَتُزُولُ وَصُعُودٍ ، وَتُخَذُ هَذَا وَاتُّرِكَ هَذَا ،
وَاشْتُرِيَ هَذَا وَبِعَ هَذَا ، وَابْنُ هَذَا وَاهِدٌ هَذَا ، وَقَدْ كَانَ وَمَا كَانَ ، وَتَقَدَّمَ هَذَا
وَتَأَخَّرَ هَذَا ، وَغُيِّنَ فَلَانٌ وَفُصِّلَ فَلَانٌ ، وَرَبِحَ فَلَانٌ وَخَسِرَ فَلَانٌ .

إِذْ فَاجَأَهُ الْأَمْرُ الْإِلَهِيُّ وَالْحَادِثُ السَّمَائِيُّ وَالْحُكْمُ الرَّبَّانِيُّ فَسَكَنْتْ حَرَكَتُهُ
وَطَفِئَتْ شِعْلَتُهُ ، وَذَهَبَتْ نَظَرُهُ وَصَارَ كَالْخَشْيَةِ الْمَنبُودَةِ وَالْحَجَرِ الْمَرْمِيِّ .

إِنْ تُودِي لَمْ يَسْمَعْ وَإِنْ دُعِيَ لَمْ يُجِبْ وَإِنْ قُطِعَ أَوْ سُجِبَ أَوْ حُرِّقَ لَمْ
يُمَانِعْ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ ، عِبْرَةٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ وَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ .

وَلَكِنْ حُبُّ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَشَهَوَاتُهَا وَحِجَابُ الْهَوَى غَطَّى الْقُلُوبَ
وَأَعْمَى الْبَصَائِرَ يَمْنَعُ التَّفَكُّرَ فِي الْجَنَائِزِ وَالْإِعْتِبَارَ بِهَا .

فَصَارَتْ لَا تَزِيدُ رُؤْيَاهَا عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا غَفْلَةً وَلَا مُشَاهَدَتُهَا إِلَّا
قَسْوَةً حَتَّى كَأَنَّ الْمَيِّتَ نَائِمٌ يَسْتَيْقِظُ بَعْدَ سَاعَةٍ أَوْ كَأَنَّ الَّذِي يَرَى الْجَنَازَةَ لَا يَكُونُ
مِثْلُهَا وَكَأَنَّ الْمَيِّتَ تَزُلُ بِهِ الْمَوْتُ وَحْدَهُ وَقَصْدُهُ خَاصَّةٌ .

وَلِذَلِكَ تَجِدُ كَثِيرًا مِنَ الْمَشِيعِينَ يَبْتَحثُ فِي مُحَلَّفَاتِهِ نَعْمَ يَعْلَمُ كُلُّ إِنْسَانٍ أَنَّهُ

سَيَمُوتُ لقول الله جل جلاله : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ .

وقد تخالف الناس إلا في الموت فَهُمْ مُتَّفِقُونَ ، ولكن لا يَظُنُّونَ ذلك من قَرِيبٍ قد فَسَحُوا لِأَنْفُسِهِمْ في المدة ومَلُّوا لَهَا في المَهْلَةِ بِدَلِيلٍ مَا يُنْشِئُونَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْقُصُورِ وَالشَّرَكَاتِ ونحو ذلك .

وإن دَارَ على لِسَانِهِ ذِكْرُ الْمَوْتِ عن قريب فهو قول ضَعِيفٍ بِدَلِيلٍ عَدَمِ تَحَرُّكِهِ مِنْ قَبْلِ الْآخِرَةِ وَحَالَتِهِ قَبْلَ رُؤْيَا الْجَنَائِزِ كَحَالَتِهِ بَعْدَ تَنْشِيعِهَا أَكْبَرَ بُرْهَانٍ عَلَى ذَلِكَ وَرُبَّمَا تَحَدَّثُوا بِحَدِيثِ الدُّنْيَا وَضَحِكُوا وَالْمِيتُ يُدْفَنُ .

وقَلَّمَا يَنْكِحِي عَلَى الْجَنَازَةِ إِلَّا أَهْلُهَا وَذَلِكَ لِإِفْرَاقِهَا ، لَا لِنَفْسِ الْمَوْتِ ، كِبَاءِ الطِّفْلِ وَالْمَرْأَةِ الَّذِينَ لَا يَعْقِلَانِ وَ لَا يَعْلَمَانِ ، وَلَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ لَكَانَ بُكََاؤُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا عَلَى مَيِّتِهِمْ لِأَنَّهُ مَاتَ وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ الْمَوْتَ .

بَكَى لِأَن مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ عَشِيرَتِهِ وَقَالَ وَاحِرَبًا وَصَاحَ يَا هَرَبًا
وَبَاتَ فَوْقَ حَشَاهُ لِلْأَسَى لَهَبٌ إِذَا أَرَادَ حُبُوبًا فَارَ وَ التَّهَبَا
وَلَوْ رَأَى بِصَحْبِجِ الْعَقْلِ جِئْنَ رَأَى وَكَشَفَ اللَّهُ عَنْهُ لِلْهَوَى حُجُبَا
لَمَّا رَأَى الدَّهْرَ مَيِّتًا أَوْ أَحْسَ بِهِ إِلَّا بَكَى نَفْسَهُ الْمُسْكِينُ وَاتْتَحَبَا
وَمَنْ رَأَى السُّمَرَ فِي جَنْبِهِ شَارِعَةً أَنَّى يَرَاهَا بِجَنْبِ نَاءٍ أَوْ قَرَبَا
وَطَلَعَةُ الْمَوْتِ إِنْ تَطَلَّعَ عَلَى أَحَدٍ أَرَتْهُ فِي نَفْسِهِ مِنْ هَوْلِهَا عَجَبَا

اللَّهُمَّ اخْتِمِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ أَعْمَارَنَا وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ آمَالَنَا وَسَهِّلْ
لِلْبُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلَنَا وَحَسِّنْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ أَعْمَالَنَا يَا مُنْقِذَ الْعَرْقَى وَيَا
مُنْجِيَ الْهَلَكَى وَيَا دَائِمَ الْإِحْسَانِ أَذِقْنَا بَرْدَ عَفْوِكَ وَأَنْلِنَا مِنْ كَرَمِكَ وَجُودِكَ مَا
تَقَرُّ بِهِ عُيُونُنَا مِنْ رُؤْيَيْكَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ الَّتِي هِيَ آدَابُ الْإِسْلَامِ جَمَالٌ لَا يُوَارِثُهُ جَمَالٌ وَحَظُّ الْإِنْسَانِ مِنْهَا يَكُونُ بِقَدْرِ مَا تَخَلَّقَ بِهِ مِنْ تِلْكَ الْأَخْلَاقِ وَلَمَّا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مُتَخَلِّقًا بِجَمِيعِهَا كَانَ أَجْمَلَ خَلْقِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ .

وَجَاءَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ وَجَاءَ فِي حَدِيثٍ مُرْسَلٍ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الدِّينُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ حُسْنُ الْخُلُقِ .

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ رُكْنُ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا قِيَامَ لِلدِّينِ بِدُونِهِ كَالْوُقُوفِ بِعَرَفَاتٍ بِالنِّسْبَةِ لِلْحَجِّ فَقَدْ جَاءَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ الْحَجُّ عَرَفَةٌ أَيْ إِنَّهُ رُكْنُ الْحَجِّ الْعَظِيمِ الَّذِي لَا يَكُونُ الْحَجُّ إِلَّا بِهِ الْوُقُوفُ بِعَرَفَاتٍ .

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لِلْأَخْلَاقِ مَكَانَةً عَظِيمَةً أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَتَفَاضَلُونَ فِي الْإِيمَانِ وَأَنَّ أَفْضَلَهُمْ فِيهِ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا جَاءَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا قِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ إِيْمَانًا قَالَ « أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا » .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَتَفَاوَتُونَ فِي الظَّفَرِ بِحُبِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْقُرْبِ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَكْثَرَهُمْ ظَفَرًا بِحُبِّهِ وَالْقُرْبِ مِنْهُ الَّذِينَ حَسَنَتْ أَخْلَاقُهُمْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ « إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا » .

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ حُسْنَ الْخُلُقِ أَمْرٌ لَا يَزِمُ وَشَرْطٌ لَا بُدَّ مِنْهُ لِلنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ وَالْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ وَأَنَّ إِهْمَالَ هَذَا الشَّرْطِ لَا يُغْنِي عَنْهُ الصَّلَاةُ وَالصَّيَامُ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ أَحَدَ الْمُسْلِمِينَ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِنْ فَلَانَةُ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ

اللَّيْلِ وَهِيَ سَيِّئَةُ الْخُلُقِ تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا قَال لَا خَيْرَ فِيهَا هِيَ فِي النَّارِ .

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ بِأَنْ يُحَسِّنَ خُلُقَهُ وَهُوَ أَحْسَنُ النَّاسِ خُلُقاً
وَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ « اللَّهُمَّ حَسَّنْتَ خُلُقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي » وَيَقُولُ « اللَّهُمَّ
أَهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ فَإِنَّهُ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ » وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَا يَدْعُو
إِلَّا بِمَا يُجِبُّهُ اللَّهُ وَيُقَرِّبُهُ مِنْهُ .

وَمِنْ ذَلِكَ مَدْحُ اللَّهِ تَعَالَى لِلنَّبِيِّ ﷺ بِحُسْنِ الْخُلُقِ فَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ
« وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » وَاللَّهُ لَا يَمْدَحُ إِلَّا عَلَى الشَّيْءِ الْعَظِيمِ ، وَمِنْ
ذَلِكَ كَثْرَةُ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ بِمَوْضُوعِ الْأَخْلَاقِ أَمْراً بِالْجَيِّدِ مِنْهَا وَمَدْحاً
لِلْمُتَّصِفِينَ بِهِ وَمَعَ الْمَدْحِ الثَّوَابُ ، وَنَهياً عَنِ الرَّدِي مِنْهَا وَذَمٌّ لِلْمُتَّصِفِينَ بِهِ
وَمَعَ الذَّمِّ الْعِقَابُ وَلَا شَكَّ أَنَّ كَثْرَةَ الْآيَاتِ فِي مَوْضُوعِ الْأَخْلَاقِ دَلِيلٌ عَلَى
أَهَمِّيَّتِهَا .

وَبِالتَّالِي فَالْإِكْتَارُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَالْإِقْلَالُ مِنْهَا يَكُونُ جَمَالاً
الْإِنْسَانِ بِنِسْبَةِ ذَلِكَ الْإِكْتَارِ أَوْ الْإِقْلَالِ وَكَذَلِكَ تَرُكُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ شَيْنٌ
لِتَارِكِهَا كَبِيرٌ وَعَلَى قَدْرِ مَا تَرَكَهُ يَكُونُ شَيْنُهُ عِنْدَ الْكَبِيرِ مِثْلَ وَالصَّغِيرِ فَمَهْمَا
أَكْثَرَتْ أَوْ أَقَلَّتْ مِنْ تَرِكِهَا يَكُونُ شَيْنُكَ بِنِسْبَةِ ذَلِكَ التَّقْدِيرِ .

وَلِذَلِكَ أَنْظُرْ إِلَى الْكُفَّارِ حَيْثُ أَنَّهُمْ تَرَكُوهَا كُلَّهَا وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ مِنْ
مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ شَيْءٌ تَجِدُهُمْ فِي قُبْحٍ لَا نِهَايَةَ لَهُ وَلَيْسَ ذَلِكَ الْحُسْنُ

وَالْجَمَالُ فَيَمَنْ اتَّصَفَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ عِنْدَنَا فَقَطْ بَلْ عِنْدَ اللَّهِ بِهِ يَمْدَحُ اللَّهُ
الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّصِفِينَ بِذَلِكَ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ فَاَنْظُرْ أَيُّ نَصِيبٍ نَصِيبِكَ مِنْ تِلْكَ
الْخِلَالِ الْجَسَانِ لَتَعْرِفَ قَدْرَكَ وَفَيْمَتَكَ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ خَلْقِهِ إِنَّ الْأَلَمَ لِيَمْلَأُ

الْجَوَانِحَ عَلَى الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ وَعَلَى عُشَاقِهَا الْفُضْلَاءِ النَّبَلَاءِ مَاتَتْ وَمَاتُوا ،
أَيْنَ أَهْلُ الْأَخْلَاصِ الَّذِينَ يَرَوْنَ الْمَوْتَ خَيْرًا مِنْ حَيَاةِ الرِّيَاءِ .

أَيْنَ أَهْلُ الصَّدَقِ الَّذِينَ يَرَوْنَ قَطْعَ أَلْسِنَتِهِمْ أَخَفَّ عِنْدَهُمْ مِنْ أَنْ يَكْذِبُوا
أَوْ يَتَمَلَّقُوا أَوْ يُدَاهِنُوا أَوْ يُنَافِقُوا أَوْ يَنِمُوا أَوْ يَغْتَابُوا أَوْ يَتَجَسَّسُوا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
لِزُجُونِهِمْ بِالسُّجُونِ .

أَيْنَ الَّذِينَ إِذَا وَعَدُوا صَدَقُوا وَإِذَا عَاهَدُوا وَفَّوْا أَيْنَ أَهْلُ الْعَفْوِ عِنْدَ
الْمَقْدِرَةِ أَيْنَ أَهْلُ الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ .

الَّذِينَ حَلَمُهُمْ مِثْلُ الْجِبَالِ الرَّاسِيَّاتِ أَيْنَ الَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ الْكُرْبَ
لِيُفَرِّجُوها ، أَيْنَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَنِ الرَّبِّ وَمُعَامِلِيهِ أَيْنَ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ الْوَلَاءَ
وَالْبِرَّ وَلَا يَأْلَفُونَ وَلَا يُجَالِسُونَ إِلَّا أَهْلَ الصَّلَاحِ وَيَتَّبِعُونَ كُلَّ الْبُعْدِ عَنْ أَهْلِ
الْمَعَاصِي .

أَيْنَ الَّذِينَ يَبْحَثُونَ عَنِ الْفُقَرَاءِ الَّذِينَ لَا مَوْرِدَ لَهُمْ فَيُنْعِشُوهُمْ بِمَا تَسَّرَ
مِنْ زَكَاةٍ أَوْ صَدَقَةٍ تَطْوِعَ دَرَاهِمَ أَوْ طَعَامٍ أَوْ كُسْوَةٍ . أَوْ يَتَسَبَّبُونَ لَهُمْ فِي
وَطَائِفَ يَكْفُونَهَا بِهَا وُجُوهُهُمْ عَنِ النَّظَرِ لِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ .

أَيْنَ الَّذِينَ يُؤْذُونَ الزَّكَاةَ مُكَمَّلَةً لِمَنْ يَسْتَحِقُّهَا لَا يُحَابُونَ بِهَا وَيَبْحَثُونَ
عَنْ أَهْلِ الْعَوَائِدِ فَإِذَا وَجَدُوهُمْ غَيْرَ مُسْتَحِقِّينَ لَمْ يُبَالُوا بِهِمْ وَلَمْ يُعْطَوْهُمْ
لِعِلْمِهِمْ أَنَّهَا لَا تَبْرَأُ ذِمَّتَهُمْ بِذَلِكَ .

أَيْنَ الَّذِينَ يَبْحَثُونَ عَنِ الْأَرَامِلِ وَالْأَيْتَامِ لِيَجْبُرُوا قُلُوبَهُمْ بِمَا مَنَّ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ بِهِ ، أَيْنَ الَّذِينَ يَهْجُرُونَ الْفَسَقَةَ وَالظَّالِمَةَ وَالْمُجْرِمِينَ حَتَّى وَلَوْ كَانُوا
أَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ .

أَيُّ الرَّجُلِ الْمُهَذَّبِ الَّذِي لَا يَتَلَبَّسُ فِي سِرِّهِ وَلَا فِي عَلَانِيَتِهِ بِحَالٍ
يَسْتَحِي مِنْ أَطْلَاعِ الْعُقَلَاءِ عَلَيْهِ وَلَا يَعْمَلُ عَمَلًا لَا يَرْفَعُهُ عِنْدَ اللَّهِ دَرَجَةً وَلَا
يَقُولُ قَوْلًا غَيْرَ مُفِيدٍ لِسَامِعِهِ فَائِدَةً فِي دِينِهِ وَلَا يُضْمِرُ لِعَدُوِّهِ سُوءًا إِذَا سَأَلَهُ وَلَا
يَتَخَلَّقَ إِلَّا بِكُلِّ خُلُقٍ جَمِيلٍ .

أَيُّ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا النَّصْحَ لِلْمُسْلِمِينَ يُبْعِدُونَ عَنِ الْغِشِّ كُلِّ
الْبُعْدِ ، بَعَثَ أَبُو حَنِيفَةَ بِمَتَاعٍ إِلَى شَرِيكِهِ فِي التَّجَارَةِ حَفْصِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
وَأَعْلَمَهُ أَنْ فِي ثَوْبٍ مِنْهُ غِيَاءٌ وَاسْتَوْفَى الثَّمَنَ كَامِلًا لِثَوْبٍ غَيْرِ كَامِلٍ وَقِيلَ ثَمَنُ
الْمَتَاعِ الَّذِي بَيْعَ ثَلَاثُونَ أَلْفًا أَوْ خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفًا فَأَبَى أَبُو حَنِيفَةَ إِلَّا أَنْ يَبْعَثَ
لِشَرِيكِهِ فِي التَّجَارَةِ يُكَلِّفُهُ أَنْ يَبْحَثَ عَنِ الْمُشْتَرِي وَلَكِنْ لَمْ يَجِدْهُ بَعْدَ الْبَحْثِ
عَنْهُ .

فَأَبَى أَبُو حَنِيفَةَ إِلَّا أَنْفِصَالَ مِنْ شَرِيكِهِ وَتَنَارَكَ بَلْ أَبَى أَبُو حَنِيفَةَ أَنْ
يُضِيفَ الثَّمَنَ إِلَى حُرِّ مَالِهِ وَتَصَدَّقَ بِهِ كَامِلًا مِنْ شِدَّةِ الْوَرَعِ .

وَيُرَوَّى أَنَّهُ كَانَ عِنْدَ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ حُلَّةٌ مُخْتَلِفَةُ الْأَثْمَانِ ضَرْبُ قِيَمَةٍ كُلِّ
حُلَّةٍ مِنْهُ أَرْبَعُمِائَةٍ وَضَرْبُ كُلِّ حُلَّةٍ قِيَمَتُهَا مِائَتَانِ فَمَرَّ إِلَى الصَّلَاةِ وَخَلَّفَ ابْنَ
أَخِيهِ فِي الدُّكَّانِ فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ وَطَلَبَ حُلَّةً بِأَرْبَعُمِائَةٍ فَعَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ حُلَلِ
الْمِائَتَيْنِ فَاسْتَحْسَنَهَا وَرَضِيَهَا وَاشْتَرَاهَا وَمَضَى بِهَا وَهِيَ عَلَى يَدَيْهِ .

فَاسْتَقْبَلَهُ يُونُسُ فَعَرَفَ حُلَّتَهُ فَقَالَ لِلْأَعْرَابِيِّ بِكُمْ اشْتَرَيْتَ فَقَالَ بِأَرْبَعُمِائَةٍ

فَقَالَ لَا تُسَاوِي أَكْثَرَ مِنْ مِائَتَيْنِ فَارْجِعْ حَتَّى تَرُدَّهَا فَقَالَ هَذِهِ تُسَاوِي فِي بَلَدِنَا
خَمْسُمِائَةٍ وَأَنَا ارْتَضَيْتُهَا فَقَالَ يُونُسُ انْصَرِفْ فَإِنَّ النَّصْحَ فِي الدِّينِ خَيْرٌ مِنَ
الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .

ثُمَّ رَدَّهُ إِلَى الدُّكَانِ وَرَدَّ عَلَيْهِ مِائَتِي دِرْهَمٍ وَخَاصَمَ ابْنُ أَخِيهِ فِي ذَلِكَ وَقَالَ أَمَا اسْتَحَيْتَ أَمَا اتَّقَيْتَ اللَّهَ تَرْبِحُ مِثْلَ ثَمَنِهَا وَتَتْرُكُ النُّصْحَ لِلْمُسْلِمِينَ فَقَالَ وَاللَّهِ مَا أَخَذَهَا إِلَّا وَهُوَ رَاضٍ بِهَا قَالَ فَهَلْ رَضِيتَ لَهُ بِمَا تَرْضَاهُ لِنَفْسِكَ .

وَرُوِيَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُكَدِّرِ أَنَّ غُلَامَهُ بَاعَ لِأَعْرَابِيٍّ فِي غَيْبَتِهِ مِنْ الْخَمْسِيَّاتِ بَعْشَرَةً فَلَمْ يَزَلْ يَطْلُبُ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيَّ طُولَ النَّهَارِ لِيُرَدَّ عَلَيْهِ خَمْسَةٌ حَتَّى وَجَدَهُ فَقَالَ لَهُ إِنَّ الْغُلَامَ قَدْ غَلِطَ فَبَاعَكَ مَا يُسَاوِي خَمْسَةَ بَعْشَرَةٍ .

فَقَالَ يَا هَذَا قَدْ رَضِيتُ فَقَالَ وَإِنْ رَضِيتَ فَإِنَّا لَا نَرْضَى لَكَ إِلَّا مَا نَرْضَاهُ لِنَفْسِنَا وَرَدَّ عَلَيْهِ خَمْسَةً ، وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ يُوجَدُ مِنَ الْوَرَعِيِّنَ النَّاصِحِينَ الَّذِينَ يُحِبُّونَ لِأَخَوَانِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ مَا يُحِبُّونَ لِنَفْسِهِمْ نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُكْثِرَ أَمْثَالَهُمْ وَأَنْ يُقَلِّلَ الْغَشَّاشِينَ السَّرَاقِينَ الْمُنَافِقِينَ الْكَذَّابِينَ ، أَيْنَ الَّذِينَ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمَةٌ .

أَيْنَ الَّذِينَ يَحْنُونُ إِلَى بُيُوتِ اللَّهِ حِينَئِذٍ الْأَلْفِ فَارَقَهُ الْأَلْفُ .

أَيْنَ الَّذِينَ لَا يَطِيبُ لَهُمْ مَجْلِسٌ إِلَّا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ وَالْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَسَائِرِ السُّنَنِ أَوْ مَا أُخِذَ مِنْهَا أَوْ مَا هُوَ وَسِيلَةٌ إِلَيْهَا .

أَيْنَ الَّذِينَ إِذَا فَاتَهُمْ قِيَامُ اللَّيْلِ جَلَسُوا يَتَكُونُونَ عَلَى مَا فَاتَ .

أَيْنَ الَّذِينَ دَرَسُوا سِيرَةَ الْمُصْطَفَى وَأَصْحَابِهِ فَكَانَتْهُمْ بَيْنَهُمْ يَتَرَدَّدُونَ .

أَيْنَ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ إِلَى بُيُوتِ اللَّهِ قَبْلَ الْوَقْتِ وَيُسَبِّحُونَ وَيَهْتَلُونَ مَاتَ هَؤُلَاءِ وَبَلِيَّةٌ مِنْ أَكْبَرِ الْبَلَاءِ أَنْ نَقْعَدَ هَذَا الطَّرَازَ فَهَلْ لَكَ يَا أَخِي أَنْ تَسْلُكَ سَبِيلَ هَؤُلَاءِ لِتَكُونَ قُدْوَةً وَمَثَلًا لِلْعَامِلِينَ .

وَتَقُوزُ بِرِضَا رَبِّ الْعَالَمِينَ فَتَحْظَى بِالْفَوْزِ بِسُكْنَى جَنَّاتِ النِّعَمِ الَّتِي
فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ
وَالْفَوَاكِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَإِنْ رَغِبْتَ فِي ذَلِكَ فَاجْتَهِدْ فِي تَحْسِينِ عَمَلِكَ الَّذِي هُوَ
الْمَهْرُ لَذَلِكَ .

فَإِنْ كُنْتَ لِلْمَهْرِ الَّذِي عَزَّ قَادِرًا فَنَافِسْ وَسَابِقْ نَحْوَهَا كُلَّ سَابِقِ
وَإِنْ كُنْتَ مِثْلِي عَاجِزًا فَارْضَ بِالذُّنَا فَبِالذُّونِ يَرْضَى الذُّونُ عِنْدَ الْعَلَاتِقِ
رَعَى اللَّهُ مَنْ أَضْحَى وَأَمْسَى مُشْمَرًا لِنَيْلِ الْمَعَالِي قَاطِعًا كُلَّ عَائِقِ
إِلَى أَنْ عَلَا فَوْقَ الْمَقَامَاتِ فِي الْعَلَا وَنَالَ الْمَنَى مِنْ قُرْبِ مَوْلَى الْخَلَائِقِ

اللَّهُمَّ انْهَجْ بِنَا مَنَاهِجَ الْمُفْلِحِينَ وَالْإِسْنَا خَلَعَ الْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ
وُخْصْنَا مِنْكَ بِالتَّوْفِيقِ الْمُبِينِ وَوَفَّقْنَا لِقَوْلِ الْحَقِّ وَاتِّبَاعِهِ وَخَلِّصْنَا
مِنَ الْبَاطِلِ وَابْتِدَاعِهِ وَكُنْ لَنَا مُؤَيِّدًا وَلَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيْنَا يَدًا وَاجْعَلْ لَنَا
عَيْشًا رَغَدًا وَلَا تُشِمِتْ بِنَا عَدُوًّا وَلَا حَاسِدًا وَارْزُقْنَا عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا
وَفَهْمًا ذَكِيًّا وَطَبْعًا صَفِيًّا وَشِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

١٠٠ موعظة

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الْإِنْسَانَ مِنَّا كَمَا عَلِمْتُمْ مُعَرَّضٌ لِلْأَذَى وَالْإِسَاءَةِ وَالْإِهَانَةِ
وَعَرِضَةٌ لِلْأَخْطَارِ ، وَالْمُهْلِكَاتِ ، فَمَنْحَهُ اللَّهُ قُوَّةً يَدْفَعُ بِهَا الْإِهَانَةَ ، وَيَدْفَعُ
بِهَا الْخَطَرَ ، وَيَنْجُو بِهَا بِإِذْنِ اللَّهِ مِنَ الْهَلَاكِ ، هِيَ قُوَّةُ الْغَضَبِ وَالْحَمِيَّةِ .

وَخَلَقَ الْغَضَبُ مِنَ النَّارِ ، فَتَسَلَّطَ الشَّيْطَانُ عَلَيْنَا مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ
وَرَكِبْنَا وَقْتَ الْغَضَبِ ، حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِي غَضَبِهِمْ حَمَقَى مُتَهَوِّرِينَ ،
وُسُفَهَاءَ طَائِشِينَ .

فَكَرِهَ النَّاسُ الْغَضَبَ لِذَلِكَ ، وَاصْطَلَحُوا عَلَى ذَمِّهِ مُطْلَقًا ، وَهَذَا
خَطَأٌ فَطِيعٌ وَخَلَطٌ لَا يَجُوزُ ، فَلَيْسَ كُلُّ غَضَبٍ مَذْمُومٌ وَلَا كُلُّ حِلْمٍ
بِمَمْدُوحٍ ، وَاللَّهُ جَلٌّ وَعَلَا لَا يَخْلُقُ لَنَا طَبْعًا إِلَّا لِحِكْمَةٍ ، وَلَا يُرَكِّبُ فِينَا قُوَّةَ
الْحَمِيَّةِ وَالْغَضَبِ إِلَّا لِسَبَبٍ وَحِكْمَةٍ .

فَالْأَذَى إِذَا جَاءَنَا لَا يُدْفَعُ إِلَّا بِالْغَضَبِ ، وَالشَّرُّ إِذَا نَالَنا لَا يُدْفَعُ إِلَّا
بِالْغَضَبِ ، وَحِمَايَةُ الدِّينِ وَالْأَعْرَاضِ وَالشَّرَفِ وَالْكَرَامَةِ لَا تُدْفَعُ إِلَّا
بِالْغَضَبِ لِلْحَقِّ ، فَمَنْ فَقَدَ قُوَّةَ الْغَضَبِ بِالْكُلِّيَّةِ ، أَوْ ضَعُفَتْ فِيهِ الْحَمِيَّةُ فَهُوَ
نَاقِصٌ مَحْلُولُ الْعِزِّ ، مَفْقُودُ الْحَزَمِ ، مَعْدُومُ الرَّجُولَةِ .

وَقَدْ اِمْتَدَحَ اللَّهُ غَضَبَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْكُفَّارِ ، وَحَمِيَّتَهُمُ الدِّينِيَّةَ ،
لِمَا لَهُ مِنْ أَثَرٍ فِي اِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ ، فَقَالَ تَعَالَى « أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ
بَيْنَهُمْ » .

وَقَالَ « أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ » وَقَالَ « وَلِيَجِدُوا
فِيكُمْ غِلَظَةً » .

وَأَمَرَنَا بِالْغَضَبِ إِذَا انْتَهَكَتْ حُرْمَةُ الدِّينِ ، وَالْغَيْرَةِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ .
فَقَالَ فِي الزُّنَاةِ « وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ » .

فَمَنْ فَقَدَ قُوَّةَ الْغَضَبِ ، يُصْبِحُ جَبَانًا ، ضَعِيفًا ، وَذَلِيلًا حَقِيرًا لَا يَأْتِفُ

مِنَ الْعَارِ وَلَا يَهُمُّهُ ، وَلَا يَتَأَلَّمُ لِأَذَى السُّفَهَاءِ ، يَتَطَاوَلُ السُّفَهَاءُ وَالْفَسَقَةُ عَلَى حَرَمِهِ ، فَلَا يَغَارُ لِعِرْضٍ ، وَلَا يَغْضَبُ لَشَرَفٍ ، فَيَكُونُ تِسَاءً فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ ، وَجَمَاداً لَا إِحْسَاسَ لَهُ ، وَلَا شُعُورَ .

وَلَيْسَ مِنَ الْجَلَمِ فِي شَيْءٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ جُبْنٌ ، وَخَوَرٌ ، وَذِلَّةٌ وَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ دَيْوُثٌ ، قَالُوا وَمَا الدَّيْوُثُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الَّذِي لَا يَغَارُ عَلَى أَهْلِهِ .

وَقَالَ سَعْدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ وَجَدْتُ مَعَ أَهْلِي رَجُلًا أَمَهْلُهُ حَتَّى آتِي بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَقَالَ ﷺ نَعَمْ ، فَقَالَ كَلًّا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، إِنْ كُنْتُ لِأُعَاجِلُهُ بِالسَّيْفِ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَقَالَ ﷺ اسْمَعُوا إِلَى مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ ، إِنَّهُ لَغَيُورٌ وَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ وَاللَّهِ أَغْيَرُ مِنِّي .

وَإِذَا لَمْ يَغْضَبِ الْإِنْسَانُ لِعِرْضِهِ ، ضَاعَتِ الْأَنْسَابُ ، وَاخْتَلَطَتِ الْأَوْلَادُ ، وَكُلُّ أُمَةٍ تَمُوتُ الْغَيْرَةُ فِيهِمْ لَا بُدَّ وَأَنْ تَضِيْعَ الْعِفَّةُ ، وَالصِّيَانَةُ مِنْ نِسَائِهَا ، وَهَذَا هُوَ الضَّعْفُ ، وَالْخَوَرُ ، وَالْعَجْزُ ، وَالْجُبْنُ ، الَّذِي اسْتَعَاذَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ ، وَكَيْفَ تَذُمُّ رَجُلًا يَغْضَبُ لِدِينِهِ ، إِذَا رَأَى الْمُنْكَرَاتِ ، وَقَدْ أُمِرَ بِمُحَارَبَتِهَا وَكَيْفَ يُصْلِحُ الْمَرْءُ عُيُوبَ نَفْسِهِ ، إِذَا لَمْ يَغْضَبْ عَلَيْهَا ، وَيَسْتَدُ فِي رَدِّهَا عَنْ هَوَاهَا .

أَمَّا الْغَضَبُ الْمَذْمُومُ فَهُوَ الَّذِي يُعْمِي صَاحِبَهُ عَنِ الْحَقِّ ، وَيُفْقِدُهُ بَصَرَ الْبَصِيرَةِ ، وَالْفِكْرَ فَتَأْخُذُهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ، وَيُعْرِضُ عَنِ النَّصْحِ إِذَا نُصِحَ ، وَرُبَّمَا زَادَ هَيْجَانًا ، وَإِذَا رُوجِعَ فِي قَوْلٍ أَرَادَ سُخْطًا وَلِجَاجًا .

وَقَدْ يَحْدُثُ مِنْهُ ضَرَرٌ عَلَى مَنْ حَوْلَهُ ، وَتَجِدُهُ مُتَغَيِّرًا لَوْنُهُ ، مُرْتَعِشَةً

أَعْضَاؤُهُ ، زَائِغًا بَصَرُهُ ، وَكَالْأَعْمَى يَسُبُّ الْجَمَادَ ، وَالْحَيَوَانَ ، وَيَبْطِشُ بِكُلِّ مَا يُصَادِفُهُ ، حَتَّى إِنَّهُ يَتْلَفُ الْأَثَاثَ ، وَالرِّيَاشَ ، وَرُبَّمَا لَا يَشْفِي غَلَّةً ، وَقَدْ يَحْدُثُ مِنْهُ طَلَاقٌ ، وَلَعْنٌ وَسَبٌّ ، وَشْتَمٌ ، فَهَذَا غَضَبٌ مَذْمُومٌ قَبِيحٌ مَرْدُودٌ يَنْتَصِرُ فِيهِ إِبْلِيسُ عَلَى هَذَا الَّذِي لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ كَمَا قِيلَ :

وَمَا غَضَبُ الْإِنْسَانِ إِلَّا حِمَاقَةٌ
إِذَا كَانَ فِيمَا لَيْسَ لِلَّهِ يَغْضَبُ

وَمِثْلُ هَذَا الْغَضَبِ يَهْدِمُ الْجِسْمَ ، وَيُتْلَفُ الصِّحَّةَ ، وَيَحْرِمُ صَاحِبَهُ الرَّاحَةَ وَالْهَنَاءَ وَيَجْعَلُ نَظَرَتَهُ إِلَى الْحَيَاةِ مُظْلِمَةً سَوْدَاءَ فَالْتَفْرِيطُ فِي الْغَضَبِ ضَعْفٌ ، وَالْإِفْرَاطُ تَهَوُّرٌ وَجُنُونٌ ، وَالْمَحْمُودُ مِنْهُ الْوَسْطُ وَالْإِعْتِدَالُ وَالْقَصْدُ الْمَحْمُودُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ غَضَبُكَ لِلدِّينِ فَإِذَا اعْتَدَى قَوْمٌ عَلَى الْإِسْلَامِ بِالطَّعْنِ وَالتَّشْهِيرِ أَوْ التَّشْكِيكِ فِي الْعَقَائِدِ كَمَا يُحَاوِلُ الْمُلْحِدُونَ وَكَمَا يَفْعَلُ الْمُبَشِّرُونَ فَيَجِبُ أَنْ تَغْضَبَ عَلَيْهِمْ انْتِصَاراً لِدِينِنَا وَدِفَاعاً عَنْ شَرْعِنَا .

وَمَنْ الْغَضَبِ الْمَحْمُودِ الْغَضَبُ عَلَى مَنْ تَعَدَّى عَلَى بِلَادِ إِسْلَامِيَّةٍ أَوْ تَعَدَّى عَلَى مُسْلِمٍ أَوْ مَدَحَ غَيْرَ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ أَوْ ذَكَرَ اللَّهَ أَوْ كِتَابَهُ أَوْ مَلَائِكَتَهُ أَوْ رُسُلَهُ بِسُوءٍ أَوْ سَبَّ صَحَابِيًّا أَوْ إِمَامًا مَشْهُورًا بِالتَّقَى وَالْوَرَعِ وَالْإِسْتِقَامَةِ أَوْ طَعَنَ فِي رِجَالِ الدِّينِ لِأَجْلِ دِينِهِمْ أَوْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ أَوْ عَلَى رُسُلِهِ أَوْ أَحَلَّ شَيْئًا مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ أَوْ حَرَّمَ شَيْئًا مِمَّا حَلَّلَهُ اللَّهُ أَوْ اسْتَهَانَ بِكِتَابِ اللَّهِ أَوْ سَنَّهَ رَسُولُهُ ﷺ أَوْ كُتِبَ أَهْلُ الْعِلْمِ الْمُحَقِّقِينَ مِثْلُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَالشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَالْمَوْفَّقِ وَالْمَجْدِ وَأَبِي عُمَرَ وَشَيْخِ الْإِسْلَامِ وَأَبِي الْقِيَمِ وَأَبْنِ كَثِيرٍ وَأَبْنِ رَجَبٍ وَأَبْنِ مُفْلِحٍ وَنَحْوِهِمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ

الْمَشْهُورِينَ بِالْإِسْتِقَامَةِ وَالْبُعْدِ عَنِ الْبِدْعِ وَكَائِمَةِ الدَّعْوَةِ .

وَمِنَ الْغَضَبِ الْمَحْمُودِ الْغَضَبُ عَلَى مَنْ مَدَحَ الْكُفْرَةَ وَالْمُنَافِقِينَ
وَأَثَمَةَ الضَّلَالِ وَالْحِيَارَى كَابِنِ عَرَبِيٍّ وَابْنِ رُشْدٍ وَالْفَارَابِيِّ وَابْنِ سِينَا وَابْنِ
كُلَّابٍ وَالْعَفِيفِ التَّلْمُسَانِيِّ وَابْنِ سَبْعِينَ وَابْنِ الْفَارِضِ وَابْنِ الرَّائِدِيِّ
وَالْكُوْثَرِيِّ وَالْبُوصَيْرِيِّ وَالْمَعْرِيَّ وَنَحْوِ هَؤُلَاءِ مِنَ الْمَلَاَحِدَةِ وَالزَّنَادِقَةِ
وَالْمُبْتَدِعَةِ وَالْفَسَقَةِ وَالظُّلْمَةِ وَأَعْوَانِهِمْ .

وَمِنَ الْغَضَبِ الْمَحْمُودِ الْغَضَبُ عَلَى مَنْ ابْتَدَعَ فِي الدِّينِ بِدْعاً أَوْ
نَشَرَهَا أَوْ دَعَا إِلَيْهَا أَوْ مَدَحَ مُحَلِّلِيهَا أَوْ مَدَحَ الْكُفَّارَ أَوْ مَدَحَ الْمَلَاهِي
وَالْمُنْكَرَاتِ الَّتِي حَطَمَتِ الْأَخْلَاقَ وَقَضَّتْ عَلَيْهَا وَأَتْلَفَتِ الْأَمْوَالَ وَقَتَلَتِ
الْأَوْقَاتَ وَأَوْرَثَتِ الْخَلْقَ أَفَانِينَ الْعَدَوَاتِ وَأَحْدَثَتِ التَّفَرُّقَ فِي الْبُيُوتِ
وَالْقُلُوبِ .

شِعْرَا :

« إِنَّ الْمَلَاهِي أَلْقَتْ بَيْنَنَا إِحْنًا
وَأَوْرَثْنَا أَفَانِينَ الْعَدَوَاتِ »
« وَهَلْ أُصِيبَ شَبَابُ الْيَوْمِ وَانْحَرْفُوا
إِلَّا بِتَقْلِيدِ أَصْحَابِ الضَّلَالَاتِ »
« مِنْ كُلِّ أَهْوَجَ لَا دِينَ وَلَا أَدَبُ
وَلَا حَيَاءٍ وَمَعْدُومُ الْمُرُوءَاتِ »
« يَرَى التَّمَدُّنَ فِي تَطْوِيلِ شَارِبِهِ
وَحَلْقِ لِحْيَتِهِ مِثْلَ الْخَوَاجَاتِ »

« يَقْلُدُ الْكُفَرَ فِي تَطْوِيلِ أَظْفَرِهِ
أَقْبَحَ بِهِ مِنْ سَفِيهِ سَاقِطِ عَاتٍ »

اللَّهُمَّ قَوِّ إِيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِلْهِدَايَةِ وَجَنَّبْنَا أَسْبَابَ الْجَهَالَةِ وَالْغَوَايَةِ اللَّهُمَّ
ثَبَّتْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ وَلَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ
رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

١٠١ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَصَّهُ بِمَزَايَا
لَمْ تَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ وَاخْتَارَ لَهُ أَصْحَابًا خَيْرَةَ النَّاسِ مِنْ خَلْقِهِ ،
وَخَصَّهُمْ بِمَزَايَا لَمْ تَكُنْ لِسِوَاهُمْ مِنَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ ، حَاشَا الْأَنْبِيَاءَ
وَالْمُرْسَلِينَ ، وَأَنْتَى عَلَيْهِمْ ، سُبْحَانَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تَنْبِيْهَا
عَلَى جَلَالَةِ قَدْرِهِمْ ، وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِمْ ، وَعِظَمِ فَضْلِهِمْ ، وَشَرَفِهِمْ . قَالَ تَعَالَى
﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى يَصِفُهُمْ بِشِدَّةِ الرَّحْمَةِ وَلِيْنِ الْجَانِبِ لِبَعْضِهِمْ بَعْضًا
وَشِدَّتِهِمْ عَلَى الْكُفَّارِ الْمُعَانِدِينَ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ
عَلَى الْكُفَّارِ وَرُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ
وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ .

وَقَالَ تَعَالَى يَصِفُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ بِأَفْضَلِ مَا يَصِفُ بِهِ إِنْسَانًا

« لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ . وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، وَلَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ أَصْبَرُ النَّاسِ بَعْدَ الرُّسُلِ عَلَى الْأَذَى فِي اللَّهِ فَلَقَدْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَصَبَّ عَلَيْهِمُ الْأَذَى مِنْ كُلِّ صَوْبٍ ، فَلَمْ يَزِدْهُمْ ذَلِكَ إِلَّا إِيْمَانًا قَالَ تَعَالَى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ﴾ .

﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ﴾ ١ الآية .

وَإِذَا كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَرْفَعَ النَّاسُ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ دَرَجَةً وَأَعْلَاهُمْ مَكَانًا بِشَهَادَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَلَا عَجَبَ أَنْ يُعْلِنَ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِفَضْلِهِمْ وَيُحَذِّرُ مِنْ سَبِّهِمْ وَمَقْتِهِمْ ، وَيَقُولُ فِيمَا رَوَى التِّرْمِذِيُّ « اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِإِبْغَضِي أَبْغَضَهُمْ ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهُ يُوْشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ »

ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ ، فَأَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَشْكُ عَاقِلٌ أَنَّهُمْ هُمُ الَّذِي حَازُوا

قَصَبَاتِ السَّبْقِ ، وَاسْتَوْلُوا عَلَى مَعَالِي الْأُمُورِ مِنَ الْفَضْلِ وَالْمَعْرُوفِ
وَالصِّدْقِ وَالْعِفَّةِ ، وَالكَرَمِ وَالْإِحْسَانِ ، وَالْقَنَاعَةِ ، وَعُلُوِّ الْهِمَّةِ ،
وَالنِّزَاهَةِ ، وَالشَّجَاعَةِ ، وَالتَّقَى وَالتَّوَاضُّعِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ .

فَالسَّعِيدُ مَنْ اتَّبَعَ طَرِيقَهُمْ ، وَاقْتَفَى مِنْهُمْ الْقَوِيمَ ، وَالشَّقِيُّ مَنْ
عَدَلَ عَنْ طَرِيقِهِمْ ، وَلَمْ يَتَحَقَّقْ بِتَحْقِيقِهِمْ ، فَأَيُّ خِطَّةٍ رُشِدِهِمْ لَمْ يَسْتَوْلُوا
عَلَيْهَا ، وَأَيُّ خِصْلَةٍ خَيْرٍ لَمْ يَسْبِقُوا إِلَيْهَا ، لَقَدْ وَرَدُوا يَنْبُوعَ الْحَيَاةِ عَذْبًا
صَافِيًا زَلَالًا . وَوَطَّدُوا قَوَاعِدَ الدِّينِ ، وَالْمَعْرُوفِ فَلَمْ يَدْعُوا لِأَحَدٍ بَعْدَهُمْ
مَقَالًا .

فَتَحُّوا الْقُلُوبَ بِالْقُرْآنِ ، وَالدُّكْرَ وَالْإِيمَانَ ، وَالْقِرَى بِالسَّيْفِ
وَالسَّنَانِ . وَبَذَلُوا النُّفُوسَ النَّفِيسَةَ فِي مَرْضَاةِ رَبِّهِمْ ، فَلَا مَعْرُوفَ إِلَّا مَا
عُرِفَ عَنْهُمْ ، وَلَا بُرْهَانَ إِلَّا مَا يُعْلَمُ مِنْهُمْ كُشِفَ ، وَلَا سَبِيلَ نَجَاةٍ إِلَّا مَا
سَلَكَوهُ وَلَا خَيْرَ سَعَادَةٍ إِلَّا مَا حَقَّقُوهُ وَحَلَّوهُ فَرِضَاؤُنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، مَا تَحَلَّتْ
الْمَجَالِسُ بِنَشْرِ ذِكْرِهِمْ ، وَمَا تَنَمَّقَ الطُّرُوسُ بِعَرَفِ مَدْحِهِمْ وَشُكْرِهِمْ :

وَلَيْسَ فِي الْأُمَّةِ كَالصَّحَابَةِ
بِالْفَضْلِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِصَابَةِ
فَإِنَّهُمْ قَدْ شَاهَدُوا الْمُخْتَارَ
وَعَايَنُوا الْأَسْرَارَ وَالْأَنْوَارَ
وَجَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَتَّى بَانَ
دِينُ الْهُدَى وَقَدْ سَمَا الْأَدْيَانَا

وَقَدْ تَلَّى فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ
مِنْ فَضْلِهِمْ مَا يَشْفِي مِنْ غَلِيلِ

وَفِي الْأَحَادِيثِ وَفِي الْأَخْبَارِ
وَفِي كَلَامِ الْقَوْمِ وَالْأَشْعَارِ
مَا قَدَّرَ بِي مِنْ أَنْ يُحِيطَ نَظْمِي
بِبَعْضِهِ فَاسْمَعْ وَخُذْ مِنْ عِلْمِي

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِيهَا وَقَوِّهَا وَأَهْلِمْنَا ذِكْرَكَ
وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا حُبَّ أَوْلِيَائِكَ وَبُغْضَ أَعْدَائِكَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي
الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ۝ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

١٠٢ موعظة

عِبَادَ اللَّهِ اعْتَادَ النَّاسُ أَنْ مَنْ طَلَبَ شَيْئاً مِنْ نَفَائِسِ الدُّنْيَا لَا يَهْدَأَ
وَلَا يَنَامَ ، بَلْ يَسْعَى لِلْوُصُولِ إِلَيْهِ ، لَيْلَهُ ، وَنَهَارُهُ ، سَعَى النِّسِيطِ
الْهُمَامِ ، وَكُلَّمَا سُدَّ فِي وَجْهِهِ بَابٌ ، قَرَعَ بَاباً آخَرَ ، وَأَنْ تَعَدَّدَ الْأَبْوَابُ ،
كَمَا هُوَ دَأْبُ الْحَرِيصِ الْمِقْدَامِ ، وَكُلَّمَا نَظَرَ إِلَى قَدَرٍ مَا يَطْلُبُ هَانَ عَلَيْهِ
السَّعْيُ ، وَمَا يَلْقَاهُ مِنْ مَصَاعِبٍ وَمَتَاعِبٍ وَالْآمِ وَالْعَجِيبُ أَنَّهُ لَا يَمَلُّ وَلَا
يَسْأَمُ ، وَإِنْ وَاصَلَ السَّعْيَ سِنِينَ ، وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا أَنَّهُ لَا يَنْشِينِي عَنْ
مَطْلُوبِهِ ، وَإِنْ مَسَّ شَرْفُهُ وَأَهْيَنَ ، وَإِنْ اسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ الْوُصُولُ ، اسْتَعَانَ
بِذَوِي الْوِجَاهَةِ الْمُحْتَزِّينَ ، وَلَا يَزَالُ هَذَا يُوَاصِلُ السَّعْيَ حَتَّى يَصِلَ
مُبْتَهِجاً إِلَى مَالِهِ مِنْ مَرَامٍ . أَنْتَ تَطْلُبُ الْجَنَّةَ يَا هَذَا وَهِيَ نَفِيسَةٌ جَدًّا
لِأَنَّهَا لَا تَفْنَى وَلَا تَبِيدُ ، وَلِأَنَّ لَكَ فِيهَا مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ ، وَلَدَّتْ عَيْنُكَ
دُونَ أَيِّ تَقْيِيدٍ ، وَلِأَنَّكَ خَالِدٌ فِيهَا أَبَدًا دُونَ أَنْ يُكَدَّرَ ، بَأْيٍ مُكَدِّرٍ ، ذَلِكَ

الْعَيْشُ الرُّغِيدُ فَهَلْ شَمَّرْتَ عَنْ سَاقٍ وَسَعَيْتَ لِلْوُصُولِ إِلَيْهَا ، كَمَا تَسْعَى
فَقَطْ لِذَلِكَ الْفَائِي مِنَ الْحُطَامِ ، الْمُشَاهِدُ أَنَّكَ لَا تَسْعَى لِتِلْكَ الْجَنَّةِ وَلَا
يَخْطُرُ لَكَ السَّعْيُ إِلَيْهَا عَلَى بَالٍ ، وَلَوْ أَنَّكَ سَاوَيْتَهَا فِي السَّعْيِ إِلَيْهَا بِأَيِّ
مَطْلُوبٍ دُنْيَوِيٍّ لَكُنْتَ مِنْ عُظَمَاءِ الرِّجَالِ ، وَلَكِنْ يَا لِلْأَسْفِ لَمْ يَكُنْ مِنْ
ذَلِكَ شَيْءٌ ، وَالسَّعْيُ لِلْجَنَّةِ لَا يَكُونُ بِالْكَلامِ ، وَلَا بِالْأَمَانِيِّ وَالْأَحْلَامِ ،
وَلَكِنْ بِصَالِحَاتِ الْأَعْمَالِ ، وَهَلْ تَزَهَّدْتَ أَنْتَ فِي شَيْءٍ كَمَا تَزَهَّدْتَ فِي
تِلْكَ الْأَعْمَالِ الْفِخَامِ ، وَلِذَلِكَ أَجْرَى اللَّهُ الْعَادَةَ أَنَّ مَنْ خَافَ شَيْئًا مِنْ
مَوْلِمَاتِ الدُّنْيَا يَبْعُدُ عَنْهُ وَيَفِرُّ ، كُلَّ الْفِرَارِ ، وَيَذْهَبُ هُدُوهُ وَطَمَائِنُتُهُ ،
وَرُبَّمَا ذَهَبَ نَوْمُهُ اضْطِرَارًا لَا اخْتِيَارًا وَلَا يَطْمَئِنُّ بَعْضُ الْأَطْمِئِنَانِ إِلَّا إِذَا
اخْتَرَسَ مِنْهُ بِكُلِّ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ أَعْوَانٍ ، وَأَنْصَارٍ ، يَفْعَلُ كُلُّ ذَلِكَ لِكَلَّا
يَصِلَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَذَى مَا يُكْدِرُ عَلَيْهِ حَيَاتُهُ ، وَصَفَوْهَا جَهَنَّمُ يَا هَذَا أَعْظَمُ
مُخُوفٍ فَهَلْ عَمِلْتَ الْاِخْتِيَاظَ لَهَا كَمَا تَحْتَاطُ لِمُخُوفَاتِ هَذِهِ الدَّارِ .

الَّذِي يَتَبَادَرُ مِنْكَ وَيَظْهَرُ أَنَّ إِيْمَانَكَ بِهَا ضَعِيفٌ ، وَأَنَّكَ لَمْ تَعْمَلْ أَيَّ
اِخْتِيَاظٍ لَهَا ، فَلَوْ كَانَ إِيْمَانُكَ قَوِيًّا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ
يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾ لَسَعَيْتَ جُهْدَكَ فِي الْأَعْمَالِ
الصَّالِحَاتِ ، الَّتِي تَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا وَلَا زَعَجَكَ وَأَقْلَقَكَ وَلَمْ تَهْنَأْ بِنَوْمٍ وَلَا
طَعَامٍ وَشَرَابٍ ، وَأَمَامَكَ تِلْكَ الْعَقَبَاتِ ،

اللَّهُمَّ قَوِّ إِيْمَانَنَا بِكَ وَبِمَلَائِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِلْهِدَايَةِ وَجَنَّبْنَا أَسْبَابَ الْجَهَالَةِ وَالْغَوَايَةِ اللَّهُمَّ
ثَبَّتْنَا عَلَى الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ وَلَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ
رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ

مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

١٠٣ « موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ مَضَى رِجَالٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَانُوا يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ خَشْيَةَ الْعَارِفِينَ الْمَوْقِنِينَ لِذَلِكَ كَانَتْ أَقْوَالُهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ مَوْزُونَةً بِمَا لِلشَّرْعِ مِنْ مَوَازِينَ كَانُوا يَزِنُونَ كَلَامَهُمْ قَبْلَ أَنْ يَلْفُظُوا بِهِ لِأَنَّهُمْ يُوقِنُونَ أَنَّ خَالِقَهُمْ سَمِعَهَا وَشَهِدَ عَلَيْهَا وَهُوَ تَعَالَى خَيْرُ شَاهِدٍ .

كَانُوا إِذَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ يَقِفُونَ فِي مَحَارِبِهِمْ بَاكِينَ مُتَضَرِّعِينَ لَهُمْ أُنِينَ كَأُنِينَ الْمَرْضَى وَلَهُمْ حِينٌ كَحِينِ الثُّكْلَى وَكَانُوا رَبَّمَا مَرُّوا بِالْآيَةِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَجَعَلُوا يُرَدِّدُونَهَا بِقَلْبٍ حَزِينٍ فَاتَّارَتْ عَلَيْهِمْ وَمَرَضُوا بَعْدَهَا مَاتَ أُولَئِكَ السَّلَفُ الصَّالِحُ الَّذِينَ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا .
وَمَاتَتْ تِلْكَ الْخَشْيَةُ وَأَعْقَبَهَا قَسْوَةٌ أَذْهَلَتْ الْعِبَادَةَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ فَصَارُوا يَأْتُونَ وَيَذَرُونَ مَا يَذَرُونَ دُونَ سُؤَالِهِ عَنِ سَخِطِ اللَّهِ وَرِضَاهِ .

وَعَدَتْ جَوَارِحُهُمْ مُطْلَقَةً فِي كُلِّ مَا يُغْضِبُ اللَّهَ وَصَارَتْ أَفْعَالُهُمْ فَوْضَى لَيْسَ لَهَا ظَوَابِطُ وَلَا قِيُودُ الْعَيْنُ تَجُولُ فِي الْمَنَاطِرِ الْمُحَرَّمَةِ مِنْ نِسَاءِ سَافِرَاتٍ إِلَى سَيِّمَاءٍ إِلَى تَلْفِزِيُونٍ إِلَى الْفِذْيُو مُعَلِّمِ الْفَسَادِ إِلَى كُورَةٍ إِلَى مَجَلَاةٍ فِي طَيْهَا الشَّرُورُ إِلَى صُورَةٍ مُجَسَّدَةٍ وَغَيْرِ مُجَسَّدَةٍ إِلَى كُتُبٍ هَدَامَةٍ لِلْأَخْلَاقِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي تَجْرَحُ الْقُلُوبَ .

وَالْفَرْجُ يَسْرَحُ كَمَا شَاءَ إِلَى الْفَوَاحِشِ الدِّينِ ضَعِيفُ وَالْخُلُقُ فَاسِدٌ وَالْأَذُنُ لَا تَسْبَعُ مِنْ سَمَاعٍ مَا يُسَخِطُ رَبَّهَا وَالْبَطْنُ يَسْتَزِيدُ مِنْ سُحْتِ الْأَقْوَاتِ .

وَأَمَّا الْيَدُ فَحَدَّثَتْ وَلَا حَرَجَ فِي تَعْدِي الْحُدُودَ وَأَمَّا اللِّسَانُ فَلَيْلُهُ وَنَهَارُهُ
يَتَحَرَّكُ وَيَتَقَلَّبُ فِي مُنْكَرِ الْقَوْلِ وَزُورِهِ وَلَا كَانَ رَبُّهُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْعَلِيمُ
مَوْجُودٌ وَتَرَاهُ يَطْعَنُ فِي أَغْرَاضِ الْغَوَافِلِ وَيُمَزِّقُ جُلُودَهُمْ فِي السَّبِّ وَالْغِيْبَةِ
وَالْبَهْتِ وَالْكَذِبِ وَلَا يَعْفُ عَنْ عِرْضِ أَيِّ بَشَرٍ .

وَيَخْلِفُ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّاتٍ وَلَا يَهُمُّهُ أَبَرُّ فِي يَمِينِهِ أَمْ فَجَرٌ
وَأَمَّا وَعُودُهُ وَعَهْوُهُ وَعَقُودُهُ فَتُهْمَلُ وَلَا كَأَنَّهُ مُكَلَّفٌ بِاخْتِرَامِهَا فَهَذَا وَأَمْثَالُهُ قَدْ
انْهَمَكُوا فِي الْمَعَاصِي وَتَوَعَّلُوا فِيهَا وَصَارَتْ عِنْدَهُمْ عَادَاتٌ وَشَيْءٌ طَبِيعِيٌّ
مَأْلُوفٌ لَهُمْ .

وَلِذَلِكَ إِذَا مَرَرْتَ بِهِمْ أَوْ مَرَرْتَ حَوْلَ بُيُوتِهِمْ اسْتَوْحَشْتَ مِنْ سَمَاعِ
الْأَغَانِي وَالرَّقْصِ وَالْمُطَرِبِينَ وَالسَّبِّ وَاللَّعْنِ وَالْقَذْفِ وَالِاسْتِهْزَاءِ بِالْدِّينِ
وَأَخَذْتَ فِي الْعَجَبِ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ فِي أَوْقَاتِ التَّجَلِّيَاتِ فِي
حَنَادِسِ الظُّلَمِ يُنَاجُونَ رَبَّهُمْ رَاغِبِينَ فِي رِضْوَانِ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ خَائِفِينَ مِنْ
سَخَطِ الْمُتَنَقِّمِ الْقَهَّارِ مُتَفَكِّرِينَ فِي سُرْعَةِ حُلُولِ الْمَنَآيَا الَّتِي تُسَارِعُ الْأَيَّامُ
وَالْيَالِي فِي اقْتِرَابِهَا وَمُوقِنِينَ بِأَنَّهُمْ مُحَاسَبُونَ عَلَى الْفَتِيلِ وَالنَّقِيرِ وَالْقَطْمِيرِ
عَالِمِينَ بِأَنَّهُمْ مُكَلَّفُونَ بِوَاجِبَاتِ عِبَادِيَّةٍ مَا قَامُوا بِالْقَلِيلِ مِنْهَا وَهُمْ عَنْهَا
مَسْئُولُونَ وَعَلَى مَا قَدُمُوهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ قَادِمُونَ .

وَهَلْ حَالُ هَؤُلَاءِ السُّعْدَاءِ فِي جَانِبِ أُولَئِكَ التُّعْسَاءِ الْأَشْقِيَاءِ إِلَّا كَحَالِ
الْمُصَابِ بِالْجُنُونِ فِي جَانِبِ أَوْفَرِ النَّاسِ عَقْلاً وَأَكْمَلِهِمْ وَقَاراً فَأَكْثَرِيَا أَخِي مِنْ
قَوْلِكَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانَا مِمَّا ابْتَلَاهُمْ اللَّهُ يُعَافِيهِمْ وَلَا يَيْلَانَا قَالَ تَعَالَى « قُلْ
إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ
الْمُبِينُ »

وَكُلَّ كَسْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِيهِ
وَمَا لِكَسْرِ قَنَاءِ الدِّينِ جُبْرَانُ

فَتَنَّبَهُ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ وَاغْلَمْ أَنَّكَ مَسْئُولٌ عَنْ كُلِّ مَا تَعْمَلُ لَا مُهْمَلٌ
كَالْأَنْعَامِ فَانْهَجْ نَهَجَ الْإِسْتِقَامَةِ وَرَاقِبْ رَبَّكَ فِي مَصَادِرِكَ وَمَوَارِدِكَ لِتَقِفَ عِنْدَ
الْحُدُودِ قَالَ بَعْضُ الْمُرْشِدِينَ إِلَى مَعَالِمِ الرُّشْدِ ضَارِباً لِدَلِيلِكَ مَثَلًا .

وَاغْلَمْ أَنَّ الْإِنْسَانَ فِي تَقْلَبِهِ فِي أَطْوَارِ حَيَاتِهِ كَمَثَلِ غَرِيبٍ أَلْقَتْ بِهِ
الْمَقَادِيرُ إِلَى قَوْمٍ اسْتَقْبَلُوهُ بِتَرْحَابٍ وَتَكْرِيمٍ وَكَانَ ذَلِكَ النَّازِلُ فَاقْدِ الْقَوَى غَيْرَ
عَالِمٍ بِمَا عَلَيْهِ الْقَوْمُ مِنَ الشُّؤْنِ وَلَا يَدْرِي مِنْ أَيْنَ أَتَى وَلَا إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ .
فَقَامَ الْقَوْمُ بِوَاجِبَاتِ خِدْمَتِهِ وَإِكْرَامِهِ حَتَّى قَوِيَتْ حَوَاشُهُ وَجَوَارِحُهُ
وَمَدَارِكُهُ وَأَخَذَ يَعْمَلُ كَمَا يَعْمَلُ الْقَوْمُ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ عُقْلَانِهِمْ قَائِلًا يَا هَذَا إِنَّ
هَذِهِ الدَّارَ الَّتِي تَوَطَّنَهَا مُكْرِمُوكَ مَا هِيَ دَارُ إِقَامَةٍ وَلَا هِيَ مَمْلُوكَةٌ لِأَحَدٍ مِنَ
الْخَلْقِ وَلَكِنَّهُمْ أَمْثَالُكَ نُزُلَاءَ مَنْ كَانُوا يَعْمُرُونَ هَذِهِ الدَّارَ قَبْلَهُمْ ثُمَّ رَحَلُوا
وَتَرَكُوهَا وَمَا كَانَ رَجِيلُهُمْ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ وَلَكِنَّهُ كَانَ إِلَى سِجْنٍ ضَيِّقٍ وَمَكَانٍ
مُظْلِمٍ لَوْ أُرْسِلْتَ بِبَصَرِكَ لَرَأَيْتَهُ وَقَدْ فَقَدُوا تِلْكَ الْقَوَى وَتَنَاسَوْا ذَلِكَ النِّعِيمَ .

ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ إِلَى مَكَانٍ قَفَرٍ وَأَعْيَى بِهِ الْمَقْبَرَةَ وَقَالَ لَهُ هَذَا مُرَاحُ الْقَوْمِ
وَمَسْقَطُ رُؤُسِهِمْ وَإِنَّ الطَّرِيقَ الَّتِي تُوصِلُكَ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ هِيَ الطَّرِيقُ الَّتِي
سَلَكَهَا مُكْرِمُوكَ وَإِنَّهَا لَطَّرِيقُ ذَاتِ عِقَابٍ مُهْلِكَةٍ وَلَهَا أَوْحَالٌ مِنْ تَوَرَّطِهَا هَلَكٌ
وَلَا مَخْلَصٌ مِنْ تِلْكَ الْأَوْحَالِ إِلَّا بِتَجَنُّبِ تِلْكَ الْعِقَابَاتِ أَوْ تَجَاوُزِهَا عَدْوًا .

فَإِنْ رُمِتِ السَّلَامَةُ فَسِرْ فَرِيدًا مُتَحَفِّظًا مِنْ تَخَاصُمِ الْقَوْمِ وَتَنَازُعِهِمْ وَمِنْ
مَلَاهِنِهِمْ وَالْعَابِيهِمْ وَلَا تُصْغِرْ لِمَنْ يُنَادِيكَ مِنْ خَلْفِكَ فَإِنَّ الَّذِي يُنَادِيكَ مِنْ

خَلْفِكَ فِي طَرِيقِ النِّجَاةِ هُوَ أَجْهَلُ مِنْكَ بِهَا وَلَا تُخَالِفْ مَنْ نَادَاكَ مِنَ الْأَمَامِ
فَإِنَّهُمْ أَدْرَى مِنْكَ بِمَفَاوِزِ الطَّرِيقِ .

وَايَاكَ أَنْ تَشْتَبِهَ عَلَيْكَ الطُّرُقُ وَأَصْوَاتُ الْمُنَادِينَ فَإِنَّ طَرِيقَ السَّلَامَةِ لَهَا
أَعْلَامٌ وَمَصَابِيحُ نِيرَةٌ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مَرَحَلَةٍ مِنْ مَرَاكِهَا وَأَمَّا بَاقِي الطُّرُقِ فَإِنَّهَا
مُظْلِمَةٌ مُوَحِشَةٌ مُهْلِكَةٌ وَمَا هِيَ إِلَّا طَرِيقٌ وَاحِدَةٌ وَلَكِنَّهَا ذَاتُ شُعَبٍ وَمَسَارِبٍ
كَثِيرَةٍ .

فَاخْذَرْ أَنْ تَتَهَاوَنَ بِنَفْسِكَ كَمَا تَهَاوَنَ الْقَوْمُ بِنُفُوسِهِمْ فَهَلَكُوا وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ فَإِنْ كَانَ النَّازِلُ الْغَرِيبُ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِيَتَعَقَلَ النَّصَائِحَ وَذَا قَابِلِيَّةٍ تَقْبَلُ
الْإِزْشَادَ وَقَفَ عَلَى أَفْوَاهِ الطَّرِيقِ وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ وَاسْتَعْمَلَ فِكْرَهُ وَتَبَصَّرَ فِي أَمْرِهِ
وَتَدَبَّرَ بِمَوَاقِبَ مَا عَلَيْهِ الْقَوْمُ وَأَخَذَ لِنَفْسِهِ بِأَحْوَطِ الْأَحْوَالِ وَأَقْرَبَهَا إِلَى السَّلَامَةِ
وَجَعَلَ عَيْنَهُ مُتَّجِهَةً لِلنَّظَرِ إِلَى مَنَازِلِ الرَّاحِلِينَ الَّتِي لَا أُنِيسَ بِهَا وَلَا جَلِيسَ .

وَتَأَمَّلْ سُرْعَةَ الرَّجِيلِ وَقِصَرَ أَوقَاتِ الْإِقَامَةِ وَتَجَنَّبِ الْأَلْعَابَ وَالْمَلَاهِي
وَسَلِّكَ سَبِيلَ الْمُتَهْتِدِينَ وَإِنْ كَانَ ضَيِّقُ الْحَضِيرَةِ قَاصِرَ النَّظَرِ ضَعِيفَ الْهَمَّةِ
ضَائِعَ الْعَقْلِ سَيِّئَ التَّصَوُّرِ فَاقْدِ الْفِكْرَ خَبِيثَ الْإِسْتِعْدَادِ لِيُثِمَّ الطَّنْعُ لَا يَجْدُ
بُدْأً مِنْ مُنَازَعَةِ اللَّاعِبِينَ وَمُسَابَقَةِ اللَّاهِيْنَ وَتَغَافَلَ عَنْ عَاقِبَةِ أَمْرِهِ وَسُوءِ مَصِيرِهِ
وَتَبَاعَدَ عَنْ صِيَاكِ النَّاصِحِينَ وَأَضْغَى إِلَى مُدَاهَنَةِ الْغَاوِينَ أَصْبَحَ مِنَ
النَّادِمِينَ .

وَمَا ضَرَبْنَا لَكَ هَذَا الْمَثَلَ إِلَّا لِيَتَعَلَّمَ أَنَّكَ أَنْتَ الْغَرِيبُ الَّذِي نَزَلْتَ يَوْمَ
وَلَدْنِكَ أُمُّكَ بِقَوْمِكَ وَأَنْتَ ضَعِيفُ الْقُوَى لَا تَعْلَمُ شَيْئًا كَمَا قَالَ تَعَالَى « وَاللَّهُ
أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » فَفَرَحَ بِكَ قَوْمُكَ وَأَكْرَمُوكَ إِلَى أَنْ قَوِيَتْ الْآتُ

أَعْمَالِكَ وَصِرْتَ تُحْسِنُ الرَّجُلَ وَحَدَكَ .

وَنُرِيدُ بِالرَّجُلِ هُنَا سُلُوكَ إِحْدَى الطَّرِيقَيْنِ إِمَّا طَرِيقَ الْكَمَالَاتِ وَإِمَّا طَرِيقَ النَّقَائِصِ لِأَنَّهُمَا مَسَارِبُ الْمَكْلِفِينَ الَّذِينَ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنَ السَّيْرِ فِيهَا لِلْوُصُولِ إِلَى أَحَدِ الْغَايَتَيْنِ فَإِنَّهُ مَا مِنْ طَرِيقٍ إِلَّا وَلَهَا غَايَةٌ يَنْتَهِي إِلَيْهَا مَسِيرُ سَالِكِهَا .

وَمَا نُرِيدُ بِالرَّجُلِ الْعَاقِلِ الْمُرْشِدِ إِلَّا صَاحِبَ الرِّسَالَةِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَوْ النَّائِبِ عَنْهُ فِي تَبْلِيغِهَا وَمَا نُرِيدُ بِمَنْ يُنَادِيكَ مِنَ الْأَمَامِ إِلَّا السَّلَفَ الصَّالِحَ الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَبَيَّنُّوا لَنَا طَرِيقَ النِّجَاةِ أَوْ الْأَتْقِيَاءِ الْمُقْتَفُونَ لِأَثَارِهِمُ الَّذِينَ ثَبَتَتْ اسْتِقَامَتُهُمْ .

وَمَا نُرِيدُ بِالَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ خَلْفِكَ إِلَّا الَّذِينَ لَا قَدَمَ لَهُمْ فِي طَرِيقِ النُّبُوَّةِ فَلَمْ يَسْلُكُوا سَبِيلَ الْمُهْتَدِينَ بَلْ اعْتَمَدُوا فِي إِرْشَادِهِمْ عَلَى مَقَالٍ لَا حَالَ مَعَهُ وَلَا عَمَلَ وَهَذَا لَا تَصْلُحُ مُتَابَعَتُهُ لَأَنَّهُمْ أَجْهَلُ النَّاسِ بِطَرِيقِ الْاسْتِقَامَةِ .

وَمَا أَهْلُ الْاسْتِقَامَةِ إِلَّا الَّذِينَ رَاقَبُوا قُلُوبَهُمْ وَأَمْسَكُوا السِّتَنَةَ وَطَهَّرُوا أَقْلَاهُمْ فَلَا عَزَمَ لَهُمْ إِلَّا عَلَى أَعْمَالِ الْبِرِّ وَالْمُؤَاسَاةِ وَلَا يَقُولُونَ إِلَّا الْحَقَّ الْمُنْجِيَّ وَلَا يَكْتُبُونَ إِلَّا مَا لَوْ سُئِلُوا عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لأَحْسَنُوا الْإِجَابَةَ وَالَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالْبَكَاءُ وَنَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ الْمُقْتَفُونَ لِأَثَارِهِ ﷺ .

شعرا :

نُورُ الْحَدِيثِ مُبِينٌ فَاذْنُ وَاقْتِسِ
وَاحْذُ الرُّكَّابَ لَهُ نَحْوُ الرُّضَا النَّدَسِ

مَا الْعِلْمُ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ أَوْ أَثَرُ
 يَجْلُو بِنُورِ هَذَا كُلُّ مُلْتَبِسٍ
 نُورٌ لِمُقْتَبِسٍ خَيْرٌ لِمُلْتَبِسٍ
 جَمِئٌ لِمُخْتَبِرٍ نَعْمَى لِمُبْتَلِسٍ
 فَاغْكُفْ بِبَاهِمَا عَلَى طَلَابِهِمَا
 تَمْحُو الْعَمَى بِهِمَا عَنْ كُلِّ مُلْتَبِسٍ
 وَرِدْ بِقَلْبِكَ عَذْبًا مِنْ حَيَاضِهِمَا
 تَغْسِلُ بِمَائِهِمَا مَا فِيهِ مِنْ دَنَسٍ
 وَاقِفْ النَّبِيَّ وَاتَّبَاعَ النَّبِيِّ وَكُنْ
 مِنْ هَدْيِهِمْ أَبَدًا تَذْنُو إِلَى قَبَسٍ
 وَالزَّمْ مَجَالِسَهُمْ وَاحْفَظْ مُجَالِسَهُمْ
 وَانْدُبْ مَدَارِسَهُمْ بِالْأَرْبَعِ الدُّرُسِ
 وَاسْلُكْ طَرِيقَهُمْ وَاتَّبِعْ فَرِيقَهُمْ
 تَكُنْ رَفِيقَهُمْ فِي حَضْرَةِ الْقُدُسِ
 تِلْكَ السَّعَادَةُ إِنْ تُلِمَّ بِسَاحَتِهَا
 فَحُطَّ رَحْلُكَ قَدْ عُوِفْتَ مِنْ تَعَسٍ

وَمَا تُرِيدُ بِمَرَاجِلِ حَيَاتِكَ إِلَّا الْأَطْوَارَ الَّتِي تَتَقَلَّبُ بِكَ فِيهَا الشَّمْسُ كُلَّمَا
 غَرَبَتْ أَوْ أَشْرَقَتْ وَتَتَقَلَّبُ بِكَ إِلَيْهَا اللَّيَالِي وَأَنْتَ لَا تَشْعُرُ فَمَا أَسْرَعَ مُرُورِ
 الشَّمْسِ بِكَ إِلَى نِهَايَةِ أَجَلِكَ وَمَا أَغْفَلَكَ عَنْ عَمَلِهَا فِيكَ .

وَمَا نُرِيدُ بِأَوْحَالِ حَيَاتِكَ إِلَّا مُتَابَعَةَ شَهَوَاتِكَ عِنْدَ بُلُوغِ الْحُلُمِ فَإِنْ لَطَوْرِ
الشُّبُوبَةِ أَوْحَالَ مُهْلِكَةٍ وَهِيَ الشَّهَوَاتُ الْبَهِيمِيَّةُ الَّتِي تَضْطَرُّ الشَّبَابَ الَّذِي
غَلَبَتْ شَهَوَتُهُ عَقْلَهُ إِلَى مُغَارَلَةِ الْغَايَاتِ وَمُعَانَقَةِ الْمَلَاهِي وَتَعَاطِيِ الْمُحَرَّمَاتِ
فَيَصِيرُ فِي أَوْحَالٍ تُنَاسِبُهُ .

وَمَا مِنْ أَحَدٍ يَسْتَطِيعُ تَجَنُّبَ تِلْكَ الْأَوْحَالِ إِلَّا الَّذِي وَفَّقَهُ اللَّهُ فَتَبَاعَدَ عَنْ
ظُلُمَاتِ الزَّيْغِ وَتَنَوَّرَ بِنُورِ الْعِلْمِ الدِّينِيِّ الَّذِي عَلَّمَهُ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ لِرَسُولِهِ ﷺ
وَأَمَرَهُ بِتَعْلِيمِهِ لِلنَّاسِ لِأَنَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ الَّذِي عَلِمَ الدَّاءَ وَدَبَّرَ
الدَّوَاءَ قَالَ تَعَالَى : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ انتهى بتصرف
يسير .

شعرا :

مَثَلٌ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْمَغْرُورُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاءُ تَمُورُ
قَدْ كُوِّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَأُضْعِفَتْ
حَرًّا عَلَى رُؤُسِ الْعِبَادِ تَقُورُ
وَإِذَا الْجِبَالُ تَعَلَّقَتْ بِأُصُولِهَا
فَرَأَيْتَهَا مِثْلَ السَّحَابِ تَسِيرُ
وَإِذَا النُّجُومُ تَسَاقَطَتْ وَتَنَاسَرَتْ
وَتَبَدَّلَتْ بَعْدَ الضِّيَاءِ كُدُورُ
وَإِذَا الْعِشَارُ تَعَطَّلَتْ عَنْ أَهْلِهَا
خَلَّتِ الدِّيَارُ فَمَا بِهَا مَعْمُورُ

وَإِذَا الْوُحُوشُ لَدَى الْقِيَامَةِ اخْضَرَتْ
وَتَقُولُ لِلْأَمْلَاقِ أَتَيْنَ نَسِيرُ
فَيَقَالُ سِيرُوا تَشْهَدُونَ فَضَائِحاً
وَعَجَائِباً قَدْ اخْضَرَتْ وَأُمُورُ
وَإِذَا الْجِنُّ بِأُمِّهِ مُتَعَلِّقُ
خَوْفُ الْحِسَابِ وَقَلْبُهُ مُدْعُورُ
هَذَا بِلَا ذَنْبٍ يَخَافُ لِهَوْلِهِ
كَيْفَ الْمُقِيمُ عَلَى الذُّنُوبِ دُهُورُ

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيكَ وَجَنَّبْنَا أَسْبَابَ سَخَطِكَ وَمَعَاصِيكَ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

١٠٤ « موعظة »

عِبَادَ اللَّهِ نَحْنُ فِي عَصْرِ بَارِكَ اللَّهُ فِيهِ بَرَكَةٌ عَمَّتِ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ
وَكُلَّ مَا لِلْأَرْضِ مِنْ أَنْحَاءٍ مِمَّا نَعْلَمُهُ وَجَهَ بِقُدْرَتِهِ وَإِرَادَتِهِ أَفْكَارَ بَنِي آدَمَ إِلَى مَا
أَوْدَعَهُ فِي خَلْقِهِ مِنْ أَسْرَارٍ تَفُوتُ الْأَحْصَاءَ وَيَسِّرَ لَهُمُ السَّبِيلَ فَوَصِّلُوا مِنْ
التَّرَاقِي فِي الْإِخْتِرَاعِ وَالْإِطْلَاعِ إِلَى مَا يُدْهِشُ الْأَفْكَارَ وَتَزْدَادُ بِهِ عَقِيدَةُ
الْمُؤْمِنِ قُوَّةً فَلَا يَغْتَرِيهِ أَذْنَى شَكٍّ فِي مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ .

أَصْبَحَتِ الدُّنْيَا كُلُّهَا كَأَنَّهَا بَيْتٌ وَاحِدٌ يُكَلِّمُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً مَعَ بُعْدِ
الْمَسَافَةِ وَيُسَافِرُونَ بَرّاً وَبَحْراً فَيَقْطَعُونَ بِالْمَرَاكِبِ الْبَرِّيَّةِ وَالْبَحْرِيَّةِ فِي مُدَّةٍ
يَسِيرَةٍ مَا يَحْتَاجُ إِلَى مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ فِيمَا مَضَى وَتَنْقُلُ تِلْكَ الْمَرَاكِبُ الَّتِي خَلَقَهَا

اللَّهُ لَنَا مِنَ الْأَثْقَالِ بِقُوَّةٍ وَسُرْعَةٍ تَقِفُ أَمَامَهَا الْأَلْبَابُ حَائِرَاتٍ بَلْ لَوْ أَرَادُوا مُسَابَقَةَ الطَّيْرِ فِي السَّمَاءِ لَسَبَقُوهُ بِالطَّائِرَاتِ .

فُسَبِّحَانَ مَنْ أَرْشَدَ عِبَادَهُ إِلَى صُنْعِ هَذِهِ الْمُخْتَرَعَاتِ قَالَ تَعَالَى « وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » .

وَانْظُرْ إِلَى الْكَهْرَبَاءِ وَفَائِدَتِهِ الْعَظِيمَةِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فَقَدْ صَارَ اللَّيْلُ بِأَنْوَارِهِ وَكَأَنَّهُ نَهَارٌ وَمَا فِيهِ مِنْ أَسْبَابِ الرَّاحَةِ وَالْمَنَافِعِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي لَمْ تَحْصُلْ لِمَنْ قَبْلُنَا أَلَيْسَ هَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبَرَاهِينِ وَالْأَدِلَّةِ عَلَى صِدْقِ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ بِقَوْلِهِ « سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ » .

وَعَلَى صِدْقِ مَا أَخْبَرَ بِهِ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ مِنْ أَنَّ الزَّمَانَ يَتَقَارَبُ وَهِيَ أَنْتَ لَا تَمْشِي شَرْقًا وَلَا غَرْبًا إِلَّا وَأَنْتَ تَرَى وَتَسْمَعُ مِنْ تِلْكَ الْأَسْرَارِ مَا تَحَارُّ بِهِ الْأَفْكَارُ فَتَحْنُ الْيَوْمَ تَتَقَلَّبُ فِي كُلِّ أَحْوَالِنَا فِي نَعِيمٍ لَمْ يَطْفُرْ بِهِ عَصْرٌ مِنَ الْأَعْصَارِ حَتَّى إِنَّكَ تَرَى حَيَوَانَ هَذَا الْعَصْرِ فِي رَاحَةٍ وَإِكْرَامٍ لَمْ تَتَمَتَّعْ بِهَا بَنُو الْعُصُورِ الْمَاضِيَاتِ إِنَّ حَقًّا عَلَيْنَا إِذَا كُلُّ هَذَا أَنْ نَكُونَ أَسْبَقَ الْأَجْيَالِ فِي مِيدَانِ شُكْرِ اللَّهِ لِيُبَيِّرَ هُنَّ كُلُّ مَنَا أَنَّهُ يُحْسُ وَيَشْعُرُ بِمَا اخْتَصَّ بِهِ مَوْلَاهُ أ - هـ .

وَلَكِنْ يَا لِلْأَسَفِ لَمْ يَكُنْ مَنَا شُكْرُ هَذِهِ النِّعَمِ وَاسْتِعْمَالُهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَمَرَاضِيهِ وَدَلِيلُ ذَلِكَ مَا تَرَى وَتَسْمَعُ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْمُنْكَرَاتِ الَّتِي تَكَادُ أَنْ تَبْكِي مِنْ فُسُوقِهَا وَازْدِيَادِهَا الْجَمَادَاتُ .

فَيَا لِلَّهِ لِلْمُسْلِمِينَ إِنَّهَا لَتَجْرَحُ قَلْبَ الْمُؤْمِنِ السَّالِمِ مِنْهَا جَرَحًا يُوشِكُ أَنْ يُوصِلَهُ إِلَى الْقَبْرِ اللَّهُمَّ وَفَقْ وَلَاتِنَا لِإِزَالَةِ هَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ وَلِتَأْيِيدِ الْإِسْلَامِ

وَالْمُسْلِمِينَ فِي جَمِيعِ الْجِهَاتِ وَوَفَّقَهُمُ لِلرَّفَقِ فِي رَعَايَاهُمْ وَالنُّصْحَ لَهُمْ
وَسَدَّدَ خَطَاهُمْ .

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا
كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَأَحْمَدُ وَابْنُ
مَاجَةَ .

لَقَدْ صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ فَإِنَّ كَثِيرًا
مِنَ النَّاسِ يُهْمِلُ وَاجِبَ النِّعَمِ عَلَيْهِ فَلَا يَسْتَقْبِلُ النِّعَمَ بِمَا يَجِبُ لَهَا مِنَ الشُّكْرِ
وَلَا يُحَاوِلُ اسْتِيقَاءَهَا بِأَدَاءِ حَقِّ اللَّهِ فِيهَا بَلْ يُعْرِضُ عَنِ اللَّهِ وَيَتَأَيَّ بِجَانِبِهِ وَلَا
يَذْكُرُ هَذِهِ النِّعْمَةَ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عَظَمِهَا إِلَّا حِينَ يَعْذُو عَلَيْهَا الْمَرَضُ فَيُذَبِّلُ
نَضْرَةَ الْعَافِيَةِ وَيَخْطُو بِقُوَّةِ الشَّبَابِ عَلَى غَيْرِ مَوْعِدٍ إِلَى ضَعْفِ الشَّيْخُوخَةِ .

أَمَّا حِينَ يَنْعَمُ الْإِنْسَانُ بِسَلَامَةِ أَعْضَائِهِ وَقُوَّةِ بُنْيَتِهِ وَحِينَ يُحَسُّ الْحَيَوِيَّةَ
تَسْرِي فِي عُرْوَقِهِ فَهُوَ يَنْطَلِقُ فِي شَهَوَاتِهِ خَاضِعًا لَهَا ، وَهُوَ يَظُنُّ نَفْسَهُ الْأَمَرَ
النَّاهِي ، وَخَاسِرًا بِهَا وَهُوَ يَحْسِبُ نَفْسَهُ قَدْ رَجَعَ كُلُّ شَيْءٍ .

وَتَمْضِي بِهِ أَيَّامُهُ وَلَيَالِيهِ وَهُوَ يَرْتَعُ كَالْحَيَوَانِ فِي مَلَذَاتِهِ مِنْ مَأْكُولَاتٍ
وَمَشْرُوبَاتٍ دُونَ تَفْرِيقِ بَيْنِ حَلَالٍ وَحَرَامٍ وَمِنْ غَيْرِ تَمْيِيزِ بَيْنَ طَيِّبٍ وَخَبِيثٍ
فَيُسِيءُ إِلَى نَفْسِهِ وَيَبْخُسُهَا حَقَّهَا إِذْ يُضَيِّعُ طَاقَتَهَا عَلَى الْعَمَلِ النَّافِعِ وَعَلَى
الطَّاعَةِ الْوَاجِبَةِ فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ .

وَبَلَا شَكٍّ أَنَّ الصَّحَّةَ عَرَضٌ لَا يَدُومُ بَلْ يَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ وَأَنَّ الْمَرَضَ
يُقْفِدُ الْإِنْسَانَ مُعْظَمَ طَاقَتِهِ عَلَى الْعَمَلِ بَلْ رُبَّمَا فَقَدَهَا كُلَّهَا وَعَجَزَ فَمِنْ السَّفْهِ
وَالْحُمُقِ إِذَا أَنْ لَا يَغْتَنِمَ الْإِنْسَانُ فُرْصَةَ الصَّحَّةِ وَالْفَرَاغِ مِنَ الشَّوَاغِلِ لِلطَّاعَةِ
وَالْعِبَادَةِ .

وَكُلُّ إِنْسَانٍ يَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ يَوْمٍ يَتَقَدَّمُ بِهِ الزَّمَنُ يَقْصُرُ عُمُرُهُ وَمَقْدِرَتُهُ عَلَى الْعَمَلِ تَضَعُفُ كُلَّمَا خَطَا بِهِ الزَّمَنُ وَمَحْصُولُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ يَقِلُّ كُلَّمَا أَقْعَدَهُ الْمَرَضُ أَوْ أَثْقَلَتْهُ السُّنُونُ فَالْعَاقِلُ الْيَقِظُ يُحَافِظُ عَلَى وَقْتِهِ أَكْثَرَ مِنْ مُحَافَظَتِهِ عَلَى مَالِهِ وَلَا يُضَيِّعُ مِنْهُ شَيْئًا بَلْ يَسْتَعْمِلُهُ فِيمَا يُقَرِّبُهُ إِلَى اللَّهِ وَالذَّارِ الْآخِرَةِ أَوْ مَا هُوَ سَبَبٌ إِلَى ذَلِكَ فَإِنَّ فَاتَهُ شَيْءٌ أَوْ نَسِيَ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِهِ بِاللَّيْلِ قَضَاهُ بِالنَّهَارِ وَبِالْعَكْسِ .

وَلِلَّهِ آيَاتٌ كَوْنِيَّةٌ وَآيَاتٌ قُرْآنِيَّةٌ يَتَمَشَّى الْمُسْلِمُ النَّشِيطُ الْمُبْتَغِدُ عَنْ الْكَسَلِ وَالْعَجْزِ عَلَى ضَوْئِهَا . قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ وَقَالَ : ﴿ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ يُغَشِّي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ﴾ فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْ هَذِهِ عَبَثًا فَالذَّاهِلُونَ عَنْ مَعَانِي هَذِهِ الْآيَاتِ ، الْهَائِمُونَ وَرَاءَ مَنَافِعِهِمُ الْمُعْجَلَةِ حَقَمَى لَا يَتَنَبَّهُونَ مِنْ حِكْمَةٍ وَلَا يَسْتَفِيدُونَ مِنْ دَرَسٍ تَجِدُهُمْ لَا يُبَالُونَ بِإِضَاعَةِ أَوْقَاتِهِمْ فِي غَيْرِ فَائِدَةٍ وَرُبَّمَا أَضَاعُوهَا فِي الْمَعَاصِي .

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ أَهْلَ الضِّيَاعِ لِلْوَقْتِ الَّذِينَ كَانَ أَمْرُهُمْ فُرْطًا وَأَعْمَارُهُمْ سَبْهَلًا لَا يُفَيِّقُونَ مِنْ قَتْلِ أَوْقَاتِهِمْ فِي الْبَطَالَةِ وَعِنْدَ الْمُنْكَرَاتِ مِنْ كُورَةٍ وَفِدْيَةٍ وَتَلْفِزِيُونَ وَمِذْيَاعٍ وَسَيْنَمًا وَوَرَقٍ وَغِيَّةً وَنَمِيمَةً وَتَجَسُّسًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَنَحْوِ ذَلِكَ .

رُبَّمَا أَضَافُوا إِلَى ذَلِكَ الْجِنَايَةَ عَلَى أَوْقَاتِ الْآخِرِينَ فَشَغَلُوهُمْ عَنْ أَعْمَالِهِمْ بِشُؤْنٍ تَافِهَةٍ أَوْ فِيمَا يَعُودُ عَلَيْهِمْ بِالْخُسْرَانِ فَهُوَ لِأَسَاؤِهَا مِنْ جِهَتَيْنِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ إِذْ يُمَضُّونَ أَيَّامَهُمْ فِي غَيْرِ عَمَلٍ وَعَلَى غَيْرِهِمْ حَيْثُ شَغَلُوهُمْ عَنِ الْعَمَلِ وَالْعَجَبُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اعْتَادُوا قَتْلَ الْوَقْتِ إِذَا مَا تَبَيَّنَ فَشْلُهُمْ فِي نَوْبَةِ يَقْظَةٍ رَاحُوا يَتَسَاءَلُونَ عَنْ سِرِّ هَذَا الْفَشْلِ وَيَتَهَمُونَ الْأَيَّامَ تَارَةً وَالْحَظَّ تَارَةً

أُخْرَى ، كَانَهُمْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ مَطْبُوعُونَ عَلَى النَّجَاحِ دُونَ عَمَلٍ وَأَنْ يَجْنُوا ثَمَارَ
مَوَاهِبِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَتَلُوا هَذِهِ الْمَوَاهِبَ .

أَمَّا السَّبَبُ الْحَقِيقِيُّ لِفَشْلِهِمْ فَهُوَ لَا يَخْطُرُ لَهُمْ بِيَالٍ وَلَا يُفَكِّرُونَ فِيهِ
وَذَلِكَ لِضَعْفِ عُقُولِهِمْ .

فَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَتَّعِدَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْكُسَالَى كُلِّ الْبُعْدِ لِثَلَا يُؤْثِرُوا عَلَيْهِ
فِيصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ ضِيَاعِ الْعُمْرِ سُدى وَيَجْتَهِدَ فِي صُحْبَتِهِ ضِدَّ هَؤُلَاءِ
أُنَاسًا أَنْقِيَاءَ مُحَافِظِينَ عَلَى أَوْقَاتِهِمْ لَا يُمَضُّونَهَا إِلَّا فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَمَا أَحْسَنَ مَا
قِيلَ :

فَصَاحِبُ تَقِيٍّ عَالِمًا تَتَنَفَّعُ بِهِ
فَصُحْبَةُ أَهْلِ الْخَيْرِ تُرْجَى وَتُطَلَّبُ
وَإِيَّاكَ وَالْفُسَاقَ لَا تَضَحَبْنَهُمْ
فَقُرْبُهُمْ يُعْجِدِي وَهَذَا مُجْرَبُ
فَإِنَّا رَأَيْنَا الْمَرْءَ يَسْرِقُ طَبْعُهُ
مِنْ الْإِلْفِ ثُمَّ الشَّرُّ لِلنَّاسِ أَغْلَبُ
وَجَانِبُ ذَوِي الْأَوْزَارِ لَا تَقْرَبْنَهُمْ
فَقُرْبُهُمْ يُرْذِي وَلِلْعَرَضِ يَثْلُبُ

وَبِالتَّالِي فَالَّذِي يُرْشِدُنَا إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ يُقَرَّرُ أَوَّلًا أَنْ
صِحَّةَ الْبَدَنِ نِعْمَةٌ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْنَا لِيُرَبِّي فِيْنَا الْوَعْيَ بِقِيَمَةِ الطَّاقَةِ
الْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ فِيْنَا . فَنَسْتَعْمِلُهَا فِيمَا يَعُودُ عَلَيْنَا أَفْرَادًا وَجَمَاعَةً بِالْخَيْرِ
وَالنَّفْعِ .

وَيُقَرَّرُ لَنَا ﷺ ثَانِيًا أَنَّ الْوَقْتَ هُوَ الْحَيَاةُ ، وَأَنَّ مَا نَحْسِبُهُ فَرَاغًا فَتَتَفَنَّنُ فِي

وَسَائِلِ قَتْلِهِ هُوَ الطَّرِيقُ إِلَى التَّقَدُّمِ فَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الْحَيَّ الَّذِي يُقَدَّرُ حَيَاتُهُ يَبْخُلُ فِي الْوَقْتِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ فَارِغاً وَيَجْتَهِدُ فِيهِ فِي الْعَمَلِ الَّذِي يُقَرِّبُهُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى مَرْضَاتِهِ مِنْ صَلَاةٍ وَصَدَقَةٍ وَتَهْلِيلٍ وَتَسْبِيحٍ وَتَكْبِيرٍ وَتَحْمِيدٍ .

وَمِنْ اسْتِغْلَالِ الْوَقْتِ بِأَنْفَعِ الْوَسَائِلِ الْمُدَاوِمَةُ عَلَى الْعَمَلِ وَإِنْ كَانَ قَلِيلاً . وَذَلِكَ أَنَّ اسْتِدَامَةَ الْعَمَلِ الْقَلِيلِ عَلَى تَوَالِي الزَّمَانِ وَاسْتِمْرَارِهِ يَكُونُ مِنَ الْقَلِيلِ كَثِيراً مِنْ حَيْثُ لَا يَجِدُ الْإِنْسَانُ مَشَقَّةً وَلَا ضَجْراً .

وَفِي الْحَدِيثِ إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدُّوا وَقَارِبُوا وَأَبْشُرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ وَالْقَصْدِ الْقَصْدُ .

فَقَدْ خَتَمَ ﷺ هَذَا الْحَدِيثَ بَوَصِيَّةٍ خَفِيفَةٍ عَلَى النَّفُوسِ ، نَافِعَةٍ تُرْشِدُ إِلَى الْمُحَافَظَةِ عَلَى الْوَقْتِ ، حَيْثُ حَثَّ فِيهَا عَلَى التَّكْبِيرِ وَرَغَّبَ أَنْ يَبْدَأَ الْمُسْلِمُ أَعْمَالَ يَوْمِهِ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ مُكْتَمِلَ الْعَزْمِ فَإِنَّ الْجِرْصَ عَلَى الْإِنْتِفَاعِ مِنْ أَوَّلِ الْيَوْمِ يَسْتَبْتَعِ الرُّغْبَةَ الْقَوِيَّةَ فِي أَنْ لَا يَضِيعَ سَائِرُهُ سُدَى .

فَهَذِهِ الْأَوْقَاتُ الثَّلَاثَةُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْحَدِيثِ ، كَمَا أَنَّهَا السَّبَبُ الْوَحِيدُ لِقَطْعِ الْمَسَافَاتِ الْقَرِيبَةِ وَالْبَعِيدَةِ فِي الْأَسْفَارِ الْجَسَدِيَّةِ مَعَ رَاحَةِ الْمُسَافِرِ وَرَاحَةِ رَاحِلَتِهِ وَوُضُوْلِهِ بِرَاحَةٍ وَسُهُولَةٍ فَهِيَ السَّبَبُ الْوَحِيدُ لِقَطْعِ السَّفَرِ الْآخَرَوِيِّ وَسُلُوكِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَالسَّيْرِ إِلَى اللَّهِ سَيْراً جَمِلاً .

فَمَتَى أَخَذَ الْعَامِلُ نَفْسَهُ وَشَغَلَهَا بِالْخَيْرِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الْمُنَاسِبَةِ لَوَقْتِهِ أَوَّلَ نَهَارِهِ وَآخِرَ نَهَارِهِ وَشَيْئاً مِنْ لَيْلِهِ وَخُصُوصاً آخِرَ اللَّيْلِ حَصَلَ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ وَمِنَ الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ أَكْمَلُ حَظٍّ وَأَوْفَرُ نَصِيبٍ وَنَالَ السَّعَادَةَ وَالْفَوْزَ وَالْفَلَاحَ وَتَمَّ لَهُ النَّجَاحُ بِإِذْنِ اللَّهِ فِي رَاحَةٍ وَطُمَأْنِينَةٍ مَعَ حُصُولِ مَقْصَدِهِ

الدُّنْيَوِيَّ وَأَغْرَاضِهِ النَّفْسِيَّةَ .

وَمِمَّا وَرَدَ فِي الْحَثِّ عَلَى صِيَانَةِ الْوَقْتِ مَا وَرَدَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ : شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ
وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ وَحَيَاتَكَ قَبْلَ
مَوْتِكَ .

وَقَالَ ﷺ مَنْ خَافَ أَذْلَجَ وَمَنْ أَذْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ أَلَا
إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ وَرُوِيَ عَنْ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ مَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ وَأَنَا مُضْطَجِعَةٌ مُتَّصِبَةٌ فَحَرَّكَنِي بِرِجْلِهِ ثُمَّ قَالَ يَا بُنَيَّةُ قُومِي أَشْهَدِي رَزَقَ
رَبِّكَ وَلَا تَكُونِي مِنَ الْغَافِلِينَ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْسِمُ أَرْزَاقَ النَّاسِ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ
إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ « إِذْ أَنْ الْجَادِثِينَ أَوْ الْكُسَالَى يَتَمَيِّزُونَ فِي هَذَا الْوَقْتِ
فَيُعْطَى كُلُّ أَمْرٍ حَسَبَ اسْتِعْدَادِهِ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وَحَتَامًا فَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ اللَّيِّبِ أَنْ لَا يُضَيِّعَ أَيَّامَ صِحَّتِهِ وَفَرَاغَ وَقْتِهِ
بِالتَّقْصِيرِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ، وَأَنْ لَا يَثِقَ بِسَالِفِ عَمَلٍ وَيَجْعَلَ الاجْتِهَادَ غَنِيمَةً
صِحَّتِهِ ، وَيَجْعَلَ الْعَمَلَ فُرْصَةً فَرَاغِهِ . فَلَيْسَ الزَّمَانُ كُلُّهُ مُسْتَعِدًّا وَلَا مَا فَاتَ
مُسْتَدْرِكًا اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً
وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

١٠٥ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ نَحْنُ فِي زَمَنِ كُلِّهِ عَجَائِبُ يُعْجِبُ الْعَاقِلُ اللَّيْبُ وَمِنْ
أَعْجَبَ مَا فِيهِ أَنَّ الرِّجَالَ أَصْبَحُوا لَا سُلْطَانَ لَهُمْ عَلَى النِّسَاءِ إِلَّا النَّادِرُ
الْقَلِيلُ ، نَعَمْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَنِ لِلنِّسَاءِ فِيهِ جَبَرُوتُ أَمَامَهُ الرِّجَالُ فِي حَالِ
ضَيْلٍ انْعَكَسَ الْأَمْرُ فَصَارَ الْقَوِيُّ ضَعِيفًا وَالضَّعِيفُ قَوِيًّا فَإِنْ كُنْتَ فِي
شَكٍّ مِنْ ذَلِكَ فَاخْرُجْ وَانْظُرْ فِي الشُّوَارِعِ تَرَى النِّسَاءَ تَجُولُ فِي الشُّوَارِعِ
ذَاهِبَاتٍ أَيْبَاتٍ وَيَتَشَتَّنَّ فِي تَبَخُّرِهِنَّ عَلَيْنَهُنَّ مِنَ الزَّيْنَةِ مَا يُرْغِمُ عَلَى النَّظَرِ
إِلَيْهِنَّ كُلُّ مَنْ لَهُ عَيْنَانِ .

وَلَا تَسْأَلْ عَمَّا يُحْدِثُهُ ذَلِكَ النَّظَرُ فِي نَفُوسِ الشُّبَّانِ وَأَشْبَاهِ الشُّبَّانِ
تَرَاهُ إِذَا لَمَحَهَا أَتْبَعَهَا نَظْرَهُ ثُمَّ جَرَى وَرَاءَهَا لِأَنَّهُ يَفْهَمُ مِنْ هَيْئَتِهَا وَتَشْيِئِهَا
وَتَلَفُّتِهَا فَهَمًّا لَا يُقَالُ لَهُ إِنَّهُ فِيهِ غُلْطَانٌ ، إِنَّهُ يَفْهَمُ أَنَّهَا إِذَا لَمْ تَكُنْ تُرِيدُ مِنْهُ
مَا تُرِيدُ مَا عَرَضَتْ نَفْسَهَا فِي الشَّارِعِ بِذَلِكَ التَّهْتِكِ وَذَلِكَ الْإِزْدِيَانِ وَهِيَ
فِي بَيْتِهَا أَمَامَ زَوْجِهَا الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تَتَجَمَّلَ لَهُ تَكُونُ بِحَالَةٍ تَشْمِزُّ مِنْ
رُؤْيَيْهَا نَفْسُ الْإِنْسَانِ ، تَلْبَسُ لَهُ أَرْدَى الْمَلَابِسِ وَلَا تَمَسُّ طَبِيبًا وَلَا تَعْتَنِي
لَهُ ، فَإِذَا أَرَادَتْ الْخُرُوجَ بَذَلَتْ مِنَ الْعِنَايَةِ فِي تَجْمِيلِ نَفْسِهَا مَا يُلْهَبُ نَارَ
الشُّوقِ إِلَيْهَا فِي نَفُوسِ النَّاطِرِينَ .

وَهَذِهِ حَالَةٌ تَجْعَلُ الْعُيُونَ وَقَفًا عَلَى النَّظَرِ إِلَى تِلْكَ الْأَجْسَامِ وَتَشْغَلُ
الْقُلُوبَ شُغْلًا بِهِ تَنْسَى كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى نَفْسَهَا وَرَبَّهَا وَمَا لَهُ عَلَيْهَا مِنْ
وَاجِبَاتٍ ، وَتَوَجُّهُ الْأَفْكَارِ إِلَى أُمُورٍ دُنْيَايَةٍ يَقْصِدُهَا مِنْ أَوْلِيكَ النِّسَاءِ أَرْبَابُ
النَّفُوسِ الدُّنْيَايَاتِ ، بَلْ وَتَدْفَعُ النَّفُوسَ دَفْعًا تَسْتَعِينُ مِنْهُ الْفَضِيلَةَ وَيَغْضَبُ
لَهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ .

إِنَّ أَوْلَئِكَ النِّسَاءَ زَوَّجَاتُ وَبَنَاتُ وَأَخَوَاتُ رِجَالٍ يَرَوْنَهُنَّ بِأَعْيُنِهِنَّ فِي الشُّوَارِعِ بِتِلْكَ الْحَالِ يَرَوْنَهُنَّ وَلَيْسَ لَهُنَّ مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُفْهِمُ أَنَّهُنَّ مِنْ صِنْفِ الرِّجَالِ ، وَأَمَامَهُنَّ يُجْرِينَ الزَّيْنَةُ الَّتِي يَخْرُجْنَ بِهَا إِلَى تِلْكَ الْمِيَادِينَ الْمَلَأَى بِالْأَنْذَالِ ، وَبَعْضُهُمْ يَسْتَصْحِبُ زَوْجَتَهُ مَعَهُ سَافِرَةً فِي الشُّوَارِعِ وَرُبَّمَا فَهِمَ بَعْضُ الْفُسَّاقِ أَنَّهُ يَتَصَيَّدُ لَهَا وَذَلِكَ يَجْرِي عَلَى أَلْسِنَةِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ .

أَيُّهَا الْأَخُ عَصَمْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنْتَ أَقْوَى عَقْلاً وَأَقْوَى دِيناً مِنَ الْمَرْأَةِ لَا خِلَافَ فِي ذَلِكَ إِنْ لَمْ يَعِصِمَكَ اللَّهُ تَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مِنْكَ مَعَ الْمَرْأَةِ مَا يَكُونُ إِذَا وَقَعَ نَظْرُكَ عَلَى مَا لَهَا مِنْ بَهَاءٍ وَجَمَالٍ فَتَأْكُذُ كُلَّ التَّأْكُذِ أَنْ تَمَنَّى الْمَرْأَةَ أَقْوَى مِنْ تَمَنَّى الرَّجُلِ إِذَا وَقَعَ نَظَرُهَا عَلَى جَمِيلٍ مِنَ الرِّجَالِ وَلَا تَشْكُ أَنَّهَا بَعْدَ رُؤْيَيْهَا الْجَمِيلِ تَتَمَنَّى فِرَاقَكَ إِلَيْهِ وَرُبَّمَا دَعَتْ عَلَيْكَ ، نَحْنُ فِي جَوْ مَوْبُوءٍ بِفُسَادِ الْأَخْلَاقِ ، مَنْ تَعَرَّضَ لَهُ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ مَا يُضِيعُهُ فِي دُنْيَاهُ وَفِي الدِّينِ .

فَصُنْ نِسَاءَكَ عَنِ الْخُرُوجِ إِلَيْهِ إِنْ أَرَدْتَ الْعَافِيَةَ وَالْأَفْلَ تَلُمُ الْإِنْفَسِكَ إِذَا أَصْبَحْتَ فِي عِدَادِ الضَّائِعِينَ وَالضَّائِعَاتِ أَنْتَ تَرَى كُلَّ يَوْمٍ مَا يَكُونُ فِي الطَّرِيقِ لِنِسَاءٍ غَيْرِكَ فَلَا تَشْكُ أَنَّ نِسَاءَكَ يُلَاقِينَ مِثْلَهُ وَأَشَدَّ مِنْهُ وَأَيُّ رَجُلٍ يَرْضَى أَنْ تَخْرُجَ نِسَاؤُهُ لِيَلْعَبَ بِعَافِيَتِهِمْ وَشَرَفِهِمْ مَنْ لَا دِينَ لَهُ وَلَا شَرَفَ وَلَا أَخْلَاقَ ، إِنَّ الْبَهِيمَ يَغَارُ وَمَعَارِكُ ذُكُورِ الْبَهَائِمِ عَلَى إِنَائِهَا مَعْرُوفَةٌ ، فَلَا تَكُنْ أَقْلَ غَيْرَةٍ مِنَ الْبَهِيمِ ، وَلَوْلَا أَنَّنَا نَرَى بِأَعْيُنِنَا مَبْلَغَ ضَعْفِ رِجَالِنَا أَمَامَ النِّسَاءِ مَا صَدَقْنَا أَنْ يَسْتَصْحِبَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ سَافِرَةً رَاكِبَةً أَوْ غَيْرَ رَاكِبَةٍ تَقْدُمُهُ .

أَيُّهَا الْأَخُ أَنْتَ الَّذِي تَلْقَى الْمَشَاقَّ مِنْ حَرٍّ وَبَرْدٍ وَأَنْتَ مَسْغُولٌ بِالكَدِّ
لِأَجْلِ جَلْبِ الرِّزْقِ ، يَكُونُ مِنْكَ ذَلِكَ لِتُطْعِمَ الْمَرْأَةَ وَتَكْسُوَهَا وَتُنْعِمَ عَلَيْهَا
فَفَضْلُكَ عَلَيْهَا كَبِيرٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا
فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ وَأَنْتَ أَرْجَحُ مِنْهَا
عَقْلاً وَأَكْمَلُ دِيناً ، فَمِنْ الْغَلْطِ أَنْ تَكُونَ مَعَهَا كَالْعَبْدِ الْمَمْلُوكِ يُصَرِّفُهُ
مَوْلَاهُ كَيْفَ شَاءَ . وَإِذَا كُنْتَ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ قَوَّاماً عَلَيْهَا فَانْتَ مَسْئُولٌ عَنْهَا
لِأَنَّكَ رَاعِيهَا وَالرَّاعِي مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَانْتَ مُثَابٌّ إِنْ وَجَّهْتَهَا إِلَى
عَمَلٍ الْخَيْرِ وَإِثْمٌ إِنْ سَكَتَ عَنْهَا وَهِيَ تَعْمَلُ أَعْمَالاً لَيْسَتْ مَرْضِيَّةً ، فَانْظُرْ
مَاذَا عَلَيْكَ مِنَ الْإِثْمِ فِي خُرُوجِ زَوْجَتِكَ وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ بَلَايَا مَرِيئَةٍ
وَعِزٍّ مَرِيئَةٍ ، فَحُلْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا تَعْلَمُ أَنَّ فِيهِ ضَرَرٌ عَلَيْهَا وَكُلُّ عَمَلٍ
يُغْضِبُ رَبَّكَ ، وَالَا فَانْتَ شَرِيكَ لَهَا فِي كُلِّ مَا لَهَا مِنْ أَوْزَارٍ . ا هـ .

كُلُّ هَذَا سَبَبُهُ مُخَالَطَةُ رَبَائِبِ الْاسْتِعْمَارِ الَّذِينَ تَشَبَّهُوا بِهِ وَقَلْدُوهُ فِي
الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ ، وَقَلْدَهُمْ كَثِيرٌ مِنْ نِسَائِنَا ، وَصَدَقَ الْمُصْطَفَى صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ يَقُولُ : لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِيرٍ
وَفِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ دَخَلَ حُجْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ وَحَتَّى لَوْ أَنَّ
أَحَدَهُمْ جَامَعَ امْرَأَتَهُ بِالطَّرِيقِ لَفَعَلْتُمُوهُ ، فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ
الْعَظِيمِ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . ا هـ .

اللَّهُمَّ احْفَظْنَا مِنَ الْمُخَالَفَةِ وَالْعِصْيَانِ وَلَا تُوَاخِذْنَا بِجَرَائِمِنَا وَمَا وَقَعَ
مِنَّا مِنَ الْخَطَا وَالنُّسْيَانِ وَاعْفُفْ لَنَا وَلَوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ
مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى
آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

١٠٦ مَوْعِظَةٌ

أَخَوَانِي إِنَّ الْغَفْلَةَ عَنِ اللَّهِ مُصِيبَةٌ عَظِيمَةٌ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾ فَمَنْ غَفَلَ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَالْهَيْئَةِ الدُّنْيَا عَنِ الْعَمَلِ لِلدَّارِ الْآخِرَةِ أَنْسَاهُ الْعَمَلَ لِمَصَالِحِ نَفْسِهِ فَلَا يَسْعَى لَهَا بِمَا فِيهِ نَفْعُهَا وَلَا يَأْخُذُ فِي أَسْبَابِ سَعَادَتِهَا وَاصْلَاحِهَا وَمَا يُكْمِلُهَا وَيُنْسِي كَذَلِكَ أَمْرَاضُ نَفْسِهِ وَقَلْبِهِ وَآلَامُهُ فَلَا يَخْطُرُ بِإِلَهِ مُعَالَجَتِهَا وَلَا السَّعْيُ فِي إِزَالَةِ عِلَلِهَا وَأَمْرَاضِهَا الَّتِي تَوَلُّ إِلَى الْهَلَاكِ وَالْدَّمَارِ وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعُقُوبَاتِ فَأَيُّ عُقُوبَةٍ أَعْظَمُ مِنْ عُقُوبَةٍ مَنْ أَهْمَلَ نَفْسَهُ وَضَيَّعَهَا وَنَسِيَ مَصَالِحَهَا وَدَاءَهَا وَدَوَاءَهَا وَأَسْبَابَ سَعَادَتِهَا وَفَلَاحِهَا وَحَيَاتِهَا الْأَبَدِيَّةِ فِي النَّعِيمِ الْمُقِيمِ وَمَنْ تَأَمَّلَ هَذَا الْمَوْضِعَ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخَلْقِ قَدْ نَسُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَيَّعُوهَا وَأَضَاعُوا حَظَّهَا وَبَاعُوهَا بِشَيْءٍ بَخْسٍ بَيْعِ الْمَغْبُونِ وَيُظْهَرُ ذَلِكَ عِنْدَ الْمَوْتِ وَيَتَجَلَّى ذَلِكَ كُلُّهُ يَوْمَ التَّعَابُنِ « يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ » الْآيَةُ .

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا ﴾ أَنَّهَا لِحَسْرَةٍ عَلَى كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ دُونَهَا كُلِّ حَسْرَةٍ ، هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَيْحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

اللهم انا نسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد ونسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك ونسألك أن تغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

١٠٧ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الْمُؤْمِنَ بِاللَّهِ حَقًّا يَتَّعِدُ عَنِ الْمَعَاصِي كَمَا يَتَّعِدُ عَنِ النَّارِ فَإِذَا زَلَّ مَرَّةً مِنَ الْمَرَاتِ اضْطَرَبَتْ أَعْصَابُهُ وَجَعَلَ قَلْبُهُ يَخْفِقُ وَأَصَابُهُ نَدَمٌ عَظِيمٌ وَكُلَّمَا تَذَكَّرَ تِلْكَ الْهَفْوَةَ احْمَرَّ وَجْهُهُ حَبَلًا وَهَاجَتْ عَلَيْهِ أَحْزَانُهُ وَتَذَكَّرَ عِصْيَانَهُ لِسَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ وَلَا يَزَالُ مُوجِعَ الْقَلْبِ مِنْكَسِرُهُ حَتَّى يُفَارِقَ الدُّنْيَا وَيُورَى فِي التَّرَابِ .

هَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ عَنِ الْمُؤْمِنِ ، وَلَا يُعْرِفُ سِوَاهُ فِي أَهْلِ الْإِيمَانِ لِأَنَّهُمْ يُذَكَّرُونَ تَمَامًا أَنَّهُمْ إِنْ عَصَوْا خَالِقَهُمْ وَرَازِقَهُمْ أَنَّهُمْ سَيَنْدُمُونَ وَيُعَاقَبُونَ إِنْ لَمْ يَتُوبُوا إِلَى مَوْلَاهُمْ ، هَذَا مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ ، وَانْظُرْ مَا عَلَيْهِ أَكْثَرُ النَّاسِ الْيَوْمَ فِي هَذَا الْعَصْرِ الْمُظْلِمِ مِنَ الْجُرْأَةِ عَلَى انْتِهَاكِ مَحَارِمِ اللَّهِ تَتَمَثَّلُ أَمَامَكَ حَالُهُمْ بِحَالَةِ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِثَوَابٍ وَلَا عِقَابٍ تَرَاهُمْ قَدْ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَأَصْرُوا عَلَى مَنَعِ الزَّكَاةِ إِلَّا النُّوَادِرَ مِنْهُمْ تَرَاهُمْ يُطَارِدُونَ النِّسَاءَ فِي الْأَسْوَاقِ وَيَشْرَبُونَ الدُّخَانَ عَلَنًا وَيَحْلِقُونَ اللَّحَا كَذَلِكَ وَيَغْشَوْنَ فِي مُعَامَلَاتِهِمْ تَرَاهُمْ أَمَامَ الْمَلَاهِيِ وَالْمُنْكَرَاتِ لَيْلًا وَنَهَارًا ، تَرَاهُمْ يُوَالُونَ أَعْدَاءَ اللَّهِ وَيُعْظَمُونَ تَرَاهُمْ لَمْ يَكْتَفُوا بِالْمَعَاصِي فِي بِلَادِهِمْ بَلْ يَذْهَبُونَ إِلَى الْبِلَادِ الْأُخْرَى ، بِلَادِ الْفِسْقِ وَالْفُجُورِ وَالْحُرْبَةِ وَيُنْفِقُونَ فِيهَا الْأَمْوَالَ الطَّائِلَةَ فِي مَا يُغْضِبُ اللَّهَ الَّذِي أَغْنَى وَأَقْنَى وَلَكِنْ لِيَعْلَمَ هَؤُلَاءِ الْفَسَقَةُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَغْفُلُ عَنْ أَعْمَالِهِمْ

السَّيِّئَةِ وَسَوْفَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِهَا الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ ، وَلَا تَبْكِي عَلَيْهِمْ لَا هَذِهِ وَلَا هَذِهِ يَوْمَ يَتَجَرَّعُونَ كَأْسَ الْمَمَاتِ ، وَيَشْهَدُ بِهَا عَلَيْهِمَ الْمَلَكَانِ كَاتِبُ الْحَسَنَاتِ ، وَكَاتِبُ السَّيِّئَاتِ ، وَيَشْهَدُ بِهَا عَلَيْهِمَ الْحَفَظَةُ الَّذِينَ يَتَعاقَبُونَ عَلَى حِفْظِهِمْ تَعاقِبَ الْحُرَّاسِ وَيَشْهَدُ بِهَا عَلَيْهِمَ جَوَارِحُهُمُ الَّتِي بَاشَرَتْ فِعْلَ الْمَعَاصِي وَيَشْهَدُ بِهَا خَيْرُ شَاهِدٍ وَهُوَ مَوْلَاهُمْ جَلٌّ وَعَلَا الَّذِي تَسْتَوِي الشَّهَادَةُ عِنْدَهُ وَالْغُيُوبُ ، وَيَشْهَدُ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ كُتُبُ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي كُلُّ مَا فَعَلُوا بِهَا مَكْتُوبٌ حَتَّى إِذَا رَأَوْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي حِسَابٍ فَزِعُوا وَقَالُوا يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ، كُلُّ هَؤُلَاءِ يَشْهَدُونَ عَلَى الْعَاصِينَ بِالْمَعَاصِي فَيُسْجَلُونَ عَلَيْهِمْ مَا قَدَّمَتْهُ أَيْدِيهِمْ وَلَيْسَ لِذَلِكَ نَتِيجَةٌ إِنْ لَمْ يَتُوبُوا إِلَّا غَضَبُ الرَّبِّ عَلَيْهِمْ ، وَالْقَاوُهُمْ فِي دَارِ الْمُجْرِمِينَ الْجَانِينَ جَهَنَّمَ ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا فَلِمَ آذَا يَفْرَحُ الْعَصَاةُ ، وَمِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ الَّتِي لَا تَبْقَى وَلَا تَذُرُ . الَّتِي تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صَفْرٌ .

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِيهَا وَقَوِّهَا وَالْهِمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَأَرْزُقْنَا حُبَّ أَوْلِيَائِكَ وَبُغْضَ أَعْدَائِكَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

١٠٨ مَوْعِظَةٌ

عَبَادَ اللَّهِ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ

لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنَ لَهُ الْجَنَّةَ ، عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى
إِيجَازِهِ لَيَحْتَوِي عَلَى وَصِيَّةٍ ثَمِينَةٍ مِنْ أَبْلَغِ الْوَصَايَا وَأَقِيمِهَا وَأَجَلِّهَا وَأَنْفَعِهَا
فَقَدْ اشْتَمَلَ عَلَى الْأَمْرِ بِحِفْظِ عُضْوَيْنِ عَلَيْهِمَا مَدَارُ عَظِيمٍ حَقِيقَيْنِ
يَتَعَاهِدُهُمَا بِالرَّعَايَةِ وَالْإِسْتِقَامَةِ وَالرَّقَابَةِ وَالصِّيَانَةِ أَلَا وَهُمَا اللِّسَانُ وَالْفَرْجُ
وَلَا شَكَّ أَنَّهُمَا إِنْ أُطْلِقَ سَرَاحُهُمَا فِي الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَاتِ وَطُرُقِ الْغِيِّ
وَالْفَسَادِ كَانَا أَصْلًا لِلْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ وَالشَّرِّ وَالْهَلَاكِ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ وَقِيَ شَرَّ قَبْقَبِهِ وَذَبَذِبَهُ وَلَقَلَقَهُ فَقَدْ
وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ مَنْصُورُ الدَّيْلَمِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ وَالْقَبْقَبُ الْبَطْنُ وَالذَّبْذَبُ الْفَرْجُ وَاللَّقَلَقُ اللِّسَانُ .

فَهَذِهِ الشَّهَوَاتُ بِهَا يَهْلِكُ أَكْثَرُ الْخَلْقِ وَسُئِلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عَنْ أَكْثَرِ مَا يَدْخُلُ النَّارَ فَقَالَ الْأَجُوفَانِ الْفَمُ وَالْفَرْجُ .

فَالْعَاقِلُ مَنْ يُبَيِّنُ مَوَاقِعَ الْكَلَامِ وَيَحْفَظُ لِسَانَهُ مِنَ الْفُضُولِ
وَالْهَذْيَانِ وَلَا يَتَعَدَّى بِفَرْجِهِ زَوْجَتَهُ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَضْمُتْ » إِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ زَلَّاتِ اللِّسَانِ عَظِيمَةٌ
فَزَلَّةٌ مِنْ زَلَّاتِهِ قَدْ تُؤَدِّي بِالْإِنْسَانِ إِلَى الْهَلَاكِ وَالْعَطَبِ وَمُفَارَقَةِ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ
وَأَصْدِقَائِهِ وَجِيرَانِهِ فَلْيَحْذَرِ الْإِنْسَانُ مِمَّا يَجْرِي بِهِ لِسَانُهُ .

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ
وَلَا يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ الْحَدِيثُ .

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ مَرْفُوعًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

أَنَّهُ قَالَ « إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ أَصْبَحَتِ الْأَعْضَاءُ كُلُّهَا تُذَكِّرُ اللِّسَانُ أَيْ تَقُولُ
 اتَّقِ اللَّهَ فِينَا فَإِنَّكَ إِنْ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا وَإِنْ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا وَرُوي أَنَّ
 عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَأَى أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ
 يَمْدُ لِسَانَهُ بِيَدِهِ فَقَالَ لَهُ مَا تَصْنَعُ يَا خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ قَالَ : هَذَا أُوْرَدَنِي الْمَوَارِدَ إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 قَالَ : لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْجَسَدِ إِلَّا يَشْكُو إِلَى اللَّهِ اللِّسَانُ عَلَى حِدَّتِهِ .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ كَانَ عَلَى الصِّفَا يُلَبِّي وَيَقُولُ يَا لِسَانُ قُلْ خَيْرًا
 تَغْنَمْ وَاسْكُتْ عَنْ شَرٍّ تَسْلَمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْدَمَ فَقِيلَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَهَذَا
 شَيْءٌ تَقُولُهُ أَوْ شَيْءٌ سَمِعْتَهُ فَقَالَ لَا بَلْ شَيْءٌ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنْ أَكْثَرَ خَطَايَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ .

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَفَّ لِسَانَهُ
 سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ مَلَكَ غَضَبَهُ وَقَاهُ اللَّهُ عَذَابَهُ وَمَنْ اعْتَدَرَ إِلَى اللَّهِ قَبْلَ
 اللَّهِ عُذْرَهُ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِخْزِنْ لِسَانَكَ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّكَ بِذَلِكَ
 تَغْلِبُ الشَّيْطَانَ . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا رَأَيْتُمُ الْمُؤْمِنَ صَمُوتًا
 وَقَوْرًا فَادْنُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلْقِنُ الْحِكْمَةَ .

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهٍ مِنْ حَدِيثِ خَلَادٍ بَلَفَظَ إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ قَدْ أُعْطِيَ
 زُهْدًا فِي الدُّنْيَا وَقِلَّةَ مَنْطِقٍ فَاقْتَرَبُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلْقَى الْحِكْمَةَ .

وَلَا تَحْسَبَنَّ حِفْظَ اللِّسَانِ قَاصِرًا عَلَى الصُّمْتِ فِي مَوْضِعِهِ أَوْ الْكَلَامِ
 بَلْ يَتَعَدَّى إِلَى حِفْظِهِ مِنْ طَعَامٍ مَشْبُوهٍ أَوْ حَرَامٍ وَأَنَّ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ
 اللِّسَانَ هُوَ الْوَسِيلَةُ لِمَضْغِ مَا يَأْكُلُهُ الْمَرْءُ وَقَذْفِهِ فِي الْمِعْدَةِ بَيْتِ الطَّعَامِ

وَمُسْتَقَرُّهُ وَلِیْصُنَّهُ مِنَ الزَّلَلِ وَالْحَرَامِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِهِ .

وَأَمَّا حِفْظُ الْفَرْجِ فَبِتَرْكِ التَّعَدِّيِّ عَلَى أَعْرَاضِ النَّاسِ وَحُرْمَاتِهِمْ وَوَضْعِهِ فِي الْحَلَالِ فِي الطُّرُقِ الْمَشْرُوعَةِ وَكَفِّهِ عَنِ الزَّنَا وَالْحَرَامِ وَالزَّنَا آفَةٌ وَبَيِّلَةٌ عَلَى الْمُجْتَمَعِ الْإِنْسَانِيِّ وَقَدْ بَيَّنَّا مَضَارَّهُ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوقِظَ وَلَاتَنَا فَيَأْخُذُوا عَلَى أَيْدِي السُّفَهَاءِ مِنَّا وَيُزِيلَ مَا حَدَثَ مِنْ هَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ ، وَأَنْ يُوقِنَا وَجْمِعَ الْمُسْلِمِينَ لَطَاعَتِهِ ، وَيَتَوَقَّانَا مُسْلِمِينَ ، وَيُلْحِقَنَا بِعِبَادِهِ الصَّالِحِينَ ، وَيَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، وَيَرْحَمَنَا بِرَحْمَتِهِ أَنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

١٠٩ موعظة

عِبَادَ اللَّهِ تَغَيَّرَ النَّاسُ فِي أَحْوَالِهِمُ الدِّينِيَّةِ تَغَيَّرًا يُدْهِشُ النَّاضِرِينَ فِي زَمَنِ قَلِيلٍ ، هَذِهِ الصَّلَاةُ الَّتِي هِيَ أَكَدُّ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ وَهِيَ عَمُودُ الْإِسْلَامِ قَدْ أَعْرَضَ عَنْهَا الْكَثِيرُ مِنَ النَّاسِ غَيْرَ مُبَالِينَ بِذَلِكَ جَهْلُوا مَا هِيَ الصَّلَاةُ وَأَيُّ قِيَمَةٍ قِيَمَتُهَا وَمَا مَنَزَلَتُهَا بَيْنَ الطَّاعَاتِ ، وَمَا عَلِمُوا أَنَّهَا الصِّلَةُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ رَبِّهِ وَلِذَلِكَ هِيَ تُطَهِّرُ الْمُصَلِّيَّ مِنْ جَمِيعِ ذُنُوبِهِ إِذَا اجْتَنِبَتْ الْكِبَائِرَ كَالزَّنَا وَاللِّوَاطِ وَأَكَلَ الرِّبَا .

وَيَزِيدُكَ مَعْرِفَةً بِهَا أَنْ تَعْرِفَ مَالَهَا مِنْ مُتَعَلِّقَاتٍ . ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ لَهَا ذَهَبَتْ ذُنُوبُ أَعْضَاءِ وَضُوئِهِ مَعَ ذَهَابِ الْمَاءِ فَإِذَا تَشَهَّدَ بَعْدَ الْوُضُوءِ فَتَحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ فَإِذَا مَشَى إِلَى الْمَسْجِدِ كَانَ لَهُ

بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا تَحُطُّ عَنْهُ خَطِيئَةٌ وَرُفِعَ لَهُ دَرَجَةٌ فَإِذَا انْتَهَتْ الصَّلَاةُ فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ فِي صَلَاةٍ .

وَأَمَّا الْمُؤَذِّنُونَ فَهُمْ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَشْهَدُ لَهُمْ كُلُّ مَا يَسْمَعُهُمْ حَتَّى الْأَشْجَارَ وَالْأَحْجَارَ .

وَمَنْ قَالَ مِثْلَ مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ ثُمَّ دَعَا عَقِبَهُ وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَّا قَمُّ الْمَسْجِدِ وَتَنْظِيفُهُ فَهُوَ مَهْرُ الْحُورِ الْعِينِ فِي الْجَنَاتِ وَمَنْ بَنَى لَهُ مَسْجِدًا وَلَوْ كَمَفْحَصٍ قَطَاةٍ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ .

وَالْخُلَاصَةُ أَنَّ الْمُؤْمِنَ بِصَلَاتِهِ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْفَوَاحِشِ وَالزِّنَا وَاللِّوَاطِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ وَالِدُخَانِ وَالْمَيْسِرِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَالسَّرِقَةِ وَالْقَتْلِ وَالْقَذْفِ وَحُضُورِ آلَاتِ اللَّهْوِ الْمَذْبَعِ وَالتَّلْفِزِيِّ وَالسَّيْنَمَاءِ وَالْبَكَمَاتِ وَأَبْعَدَ النَّاسِ عَنِ الْغَشِّ وَالرِّبَا وَالْبَخْسِ وَالْمَكْرِ وَالْخِدَاعِ وَغَيْرِهِمَا مِمَّا يُخْلُ بِالْذِّينِ أَوْ يُنْقِصُ الْمُرُوَّةَ وَالشَّرَفَ ، إِذْ مِنْ غَيْرِ الْمَعْقُولِ أَنَّ مَنْ بَلَغَ بِهِ حُبُّهُ فِي الْإِسْتِقَامَةِ أَنْ يَقِفَ أَمَامَ سَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ الَّذِي رَبَّاهُ وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ وَيُسْتَهْدِيهِ طَرِيقَ الْهَدَايَةِ وَقَدْ قَدَّرَ رَبُّهُ وَرَكَّعَ لَهُ وَسَجَدَ وَحَمَدَهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ وَشَكَرَ لَهُ أَنْ يَرَى بَعْدَ ذَلِكَ جَوَّالًا فِي طُرُقِ الْغَوَايَةِ وَالْمَأْتِمِ الَّتِي يَتَتَابِعُهَا الْفُسَّاقُ الَّذِينَ مَرَدُّوا عَلَى الْفُجُورِ وَتَفَنَّنُوا فِيهِ . . صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ .

إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ : هَذِهِ مِنْ ثَمَرَاتِ الصَّلَاةِ .

اللَّهُمَّ انْظُمْنَا فِي سِلْكِ عِبَادِكَ الْمُفْلِحِينَ وَنَجِّنَا مِنْ لَفَحَاتِ الْجَحِيمِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

إِعْلَمُوا وَقَنَا اللَّهُ وَإِنَّا كَلَّمُ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ أَنَّهُ شَرَعَ
لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْاجْتِمَاعَ لِلْعِبَادَةِ فِي أَوَاقٍ مَعْلُومَةٍ ، فَمِنْهَا مَا هُوَ فِي الْيَوْمِ
وَاللَّيْلَةِ لِلْمَكْتُوبَاتِ وَمِنْهَا مَا هُوَ فِي الْأُسْبُوعِ وَهُوَ صَلَاةُ الْجُمُعَةِ وَمِنْهَا مَا
هُوَ فِي السَّنَةِ مُتَكَرِّرٌ وَهُوَ صَلَاةُ الْعِيدَيْنِ لِجَمَاعَةِ كُلِّ بَلَدٍ وَمِنْهَا مَا هُوَ عَامٌ
فِي السَّنَةِ وَهُوَ الْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ ، وَذَلِكَ لِأَجْلِ التَّوَاصُلِ وَالتَّوَادُّدِ وَالتَّعَاوُنِ
وَالتَّاجِي وَالتَّالِفِ وَالتَّعَارُفِ وَالتَّعَاطُفِ وَالتَّرَاحُمِ ، وَقُوَّةُ لِلرَّابِطَةِ بَيْنَ
الْمُسْلِمِينَ ، وَمُضَاعَفَةُ الْأَجْرِ بِالْاجْتِمَاعِ ، وَكَثْرَةُ الْخُطَى ، وَلِتَعْلِيمِ
الْجَاهِلِ لِأَحْكَامِ الصَّلَاةِ .

فَصَلَاةُ الْجَمَاعَةِ هِيَ الْمَتَكَرِّرُ يَوْمِيًّا الْاجْتِمَاعُ لَهَا فِي الْمَسَاجِدِ وَهِيَ
وَاجِبَةٌ وَجُوبٌ عَيْنٍ عَلَى الرِّجَالِ الْقَادِرِينَ حَضْرًا وَسَفَرًا حَتَّى فِي شِدَّةِ
الْخَوْفِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ
مِنْهُمْ مَعَكَ ﴾ . وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ﴾ .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« اثْقُلُ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا
فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًا . وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَّ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ ثُمَّ أَمُرَ رَجُلًا
فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ ثُمَّ انْطَلِقَ مَعِيَ بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حِزْمٌ مِّنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا
يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ فِي النَّارِ » متفق عليه .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا أَغْمَى قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ لِي قَائِدٌ
يَقُودُنِي إِلَى الْمَسْجِدِ فَسَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ
فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ فَرَخِّصَ لَهُ فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فَقَالَ هَلْ تَسْمَعُ الْبِدَاءَ قَالَ :

نَعَمْ قَالَ : فَأَجِبْ . رواه مسلم والنسائي .

وروى أبو داود عن عمرو ابن أمّ مكتوم أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْمَدِينَةَ كَثِيرَةُ الْهَوَامِ وَالسَّبَاعِ وَأَنَا ضَرِيرُ الْبَصَرِ شَاسِعُ الدَّارِ وَلِي قَائِدٌ لَا يُلَاثِمُنِي فَهَلْ تَجِدُ لِي رُخْصَةً أَنْ أَصْلِيَ فِي بَيْتِي فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلْ تَسْمَعُ الْبِدَاءَ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَأَجِبْ فَإِنِّي لَا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً فَهَذَا رَجُلٌ ضَرِيرٌ شَكَا مَا يَجِدُ مِنَ الْمَشَقَّةِ فِي مَجِيئِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ وَلَيْسَ لَهُ قَائِدٌ يَقُودُهُ إِلَيْهِ وَمَعَ هَذَا لَمْ يُرَخِّصْ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ فِي بَيْتِهِ فَكَيْفَ يَمُنْ يَكُونُ صَحِيحُ الْبَصَرِ مُتَوَفِّرَةً الْأَنْوَارُ فِي طَرِيقِهِ وَهُوَ آمِنٌ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ .

وَمَعَ ذَلِكَ لَا يُجِيبُ دَاعِيَ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَهُ وَرَزَقَهُ وَأَعْطَاهُ وَأَقْنَاهُ وَوَعَدَهُ إِنْ أَطَاعَهُ بِجَمِيعِ مَا تَطْلُبُهُ نَفْسُهُ وَتَمَنَاهُ ، وَهَدَّدَ وَتَوَعَّدَ مَنْ عَصَاهُ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ .

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ سَمِعَ الْبِدَاءَ فَلَمْ يَأْتِ فَلَا صَلَاةَ لَهُ إِلَّا مِنْ عُذْرٍ » . وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ثَلَاثَةٌ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ، مَنْ تَقَدَّمَ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ وَرَجُلٌ سَمِعَ حَيٍّ عَلَى الصَّلَاةِ حَيٍّ عَلَى الْفَلَاحِ ثُمَّ لَمْ يُجِبْ » وَحَدِيثٌ لَا صَلَاةَ لِجَارِ الْمَسْجِدِ إِلَّا بِالْمَسْجِدِ رُويَ مَرْفُوعًا وَمَوْقُوفًا .

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ

سَمِعَ النداء فلم يَمْنَعُهُ مِنْ اتِّبَاعِهِ عَذْرُ قَالُوا وَمَا الْعَذْرُ قَالَ خَوْفٌ أَوْ مَرَضٌ
لم تُقْبَلْ مِنْهُ الصَّلَاةُ الَّتِي صَلَّى .

وعن معاذِ بنِ أنسٍ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ :
« الْجَفَاءُ كُلُّ الْجَفَاءِ وَالْكُفْرُ وَالْيَفَاقُ مَنْ سَمِعَ مُنَادِيَّ اللَّهَ يُنَادِي إِلَى الصَّلَاةِ
فَلَا يُجِيبُهُ » رواه أحمد والطبراني .

وعن أبي الدرداء قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :
« مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدْ اسْتَحَوْذَ عَلَيْهِمُ
الشَّيْطَانُ فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ » . رواه أحمد وأبو
داود والنسائي .

وعن أمير المؤمنين عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : « مَا بَالُ
أَقْوَامٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الصَّلَاةِ فَيَتَخَلَّفُ لِيَتَخَلَّفَ فِيهِمْ آخَرُونَ لَأَنْ يَحْضُرُوا الصَّلَاةَ
أَوْ لَأُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ مَنْ يُجَافِي رِقَابَهُمْ . وقال ابنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيَحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ
الْخَمْسِ حَيْثُ يُنَادِي بِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ سُنْنَ الْهُدَى وَإِنَّهُنَّ
مِنْ سُنَنِ الْهُدَى وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي
بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَظَلَلْتُمْ وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ
عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ الْيَفَاقِ » .

وقال أبو هريرة رضي الله عنه : « لَأَنْ تَمْتَلِيءَ أُذُنُ ابْنِ آدَمَ رَصَاصًا
مُذَابًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ ثُمَّ لَمْ يُجِبْ »
وسئل ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ رَجُلٍ يَقُومُ اللَّيْلَ وَيَصُومُ النَّهَارَ
وَهُوَ لَا يَشْهَدُ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ فَقَالَ هُوَ فِي النَّارِ وَلَمَّا كَانَ عَتَابُ بْنُ أُسَيْدٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَإِلَيَّا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ فَسَمِعَ
بِرِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الْمَسَاجِدِ جَمَاعَةً فَقَالَ يَا أَهْلَ مَكَّةَ وَاللَّهِ
لَا أَسْمَعُ بِرِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الْجَمَاعَةِ فِي الْمَسَاجِدِ إِلَّا
ضَرَبْتُ أَعْنَاقَهُمْ فَعَلِمَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِذَلِكَ فَزَادَهُ رِفْعَةً عِنْدَهُمْ
وَارْتَفَعَ قَدْرُهُ .

وصلاة العشاء والفجر في جماعة أشد تأكيداً لِمَا وَرَدَ عَنْ عِثْمَانَ بْنِ
عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ
مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ
فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ رواه مسلم .

وفي رواية الترمذي عن عِثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ شَهِدَ الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ لَهُ قِيَامٌ
نِصْفِ لَيْلَةٍ وَمَنْ شَهِدَ الْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ لَهُ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ قَالَ
الترمذي حديث حسن صحيح .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قَالَ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًا مُتَّفِقِينَ . وعنه
قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ صَلَاةٌ أَثْقَلُ عَلَى الْمُنَافِقِينَ
مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَالْعِشَاءِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًا مُتَّفِقِينَ
عَلَيْهِ .

وروى عن أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَقَدْ أَخَذَ بِحَظِّهِ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ .
رواه الطبراني في الكبير .

وعن جُنْدُبِ الْقَسْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ فَلَا يَطْلُبُنْكُمْ اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبُهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكُهُ ثُمَّ يَكْبَهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

اللَّهُمَّ اعْظِنَا مِنَ الْخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُو وَاصْرِفْ عَنَّا مِنَ الشُّوْءِ فَوْقَ مَا نَحْذَرُ . اللَّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوبَنَا بِرَجَائِكَ وَأَقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ عُيُوبَنَا فَاسْتُرْهَا وَتَعْلَمُ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ وَلِيًّا وَكَفَى بِكَ نَصِيرًا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِسُلُوكِ سَبِيلِ عِبَادِكَ الْأَخْيَارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِلْوَالِدَيْنَا وَلِلْجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

١١١ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ مَا أَحْسَنَ أَنْ يَعْيشَ الْمَرْءُ قَانِعًا بِمَا رَزَقَهُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ فَلَا يَمُدُّ بَصَرَهُ إِلَى مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَلَا تَتَطَلَّعُ نَفْسُهُ إِلَى سَلْبِ حُقُوقِ النَّاسِ أَوْ ظُلْمِهِمْ وَالْاِعْتِدَاءِ عَلَى مَا وَهَبَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ نِعَمِ جَسَامِ فَإِنَّ الْقَانِعَ يَشْعُرُ وَيُحْسِنُ بِسَكِينَةٍ وَطُمَأْنِينَةٍ كَمَا يَشْعُرُ بِأَنَّهُ غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ الْخَلْقِ قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا كُنْتَ فِي الدُّنْيَا قَنُوعًا
فَأَنْتَ وَمَالُكَ الدُّنْيَا سَوَاءٌ

وَذَلِكَ أَنَّ لَهُ نَفْسًا رَاضِيَةً بِمَا قَسَمَ اللَّهُ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً لَمْ يَتَسَرَّبَ إِلَيْهَا الْجَشَعُ وَالطَّمَعُ اللَّذَانِ هُمَا مِنْ أَقْبَحِ الْقَبَائِحِ وَأَسْوَأِ الشَّمَائِلِ وَلَا يَزَالُ صَاحِبُ هَذَيْنِ أَوْ أَحَدَهُمَا إِلَّا وَهُوَ مَذْمُومٌ وَبَاقِبِحِ الصِّفَاتِ مَوْسُومٌ لَا

تَعْرِضُ لَهُ الْقَنَاعَةُ وَلَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا بِأَسْرَهَا لَهُ . قَدْ مَلَأَ حُبُّهَا قَلْبَهُ وَغَمَرَ
مَحَبَّتُهَا وَالتَّفَانِي فِي طَلِبِهَا قَلْبَهُ وَصَارَ لَا يَرْضَى مِنْهَا بِالسَّيْرِ وَلَا يَقْنَعُ
بِالكَثِيرِ وَقَلَمَاتُهَا تُجَدُّ مُتَصِفًا بِهَذَا الْوَصْفِ إِلَّا وَهُوَ مُتَشَتُّ الْفِكْرِ قَلِيلُ الرَّاحَةِ
عِنْدَهُ مِنَ الْحَسَدِ وَالْهَلَعِ وَضَعْفِ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ الشَّيْءِ الْكَثِيرِ الَّذِي
يُخْشَى عَلَيْهِ مَعَ اسْتِدَامَتِهِ مَعَهُ مِنْ سُوءِ الْخَاتِمَةِ .

أَمَّا الْقَانِعُ ذُو النَّفْسِ الْأَبْيَةِ الرَّاضِيَةِ الْمُطْمَئِنَّةِ الْمُتَوَكِّلَةِ عَلَى اللَّهِ
فَيُرْجَى لَهَا أَنْ تَنَالَهَا الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى
رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ الْآيَةُ .

قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَصْبَحَ آمِنًا فِي سِرِّهِ مُعَافَى فِي بَدَنِهِ
مَعَهُ قُوَّةٌ يَوْمُهُ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَائِفِهَا .

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مَا مِنْ يَوْمٍ إِلَّا يُنَادِي فِيهِ مَلَكٌ
مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ يَا ابْنَ آدَمَ قَلِيلٌ يَكْفِيكَ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يُطْغِيكَ .

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : أَطْيَبُ الْعَيْشِ الْقَنَاعَةُ وَأَنْكَدُ الْعَيْشِ الْجَشَعُ
وَمِنْ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيمَةِ الَّتِي تَجْعَلُ الْإِنْسَانَ بَخِيلًا بِمَا فِي يَدِهِ مُتَطَلِّعًا لِمَا
فِي أَيْدِي النَّاسِ الْجِرْصُ وَالْأَفْرَاطُ فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَجَمْعِهَا وَلَوْ أَدَّى ذَلِكَ
إِلَى اهْتِدَارِ الْكَرَامَةِ وَارَاقَةِ مَاءِ الْوَجْهِ فَلَا حَذَرَ عِبَادَ اللَّهِ مِنَ الْجِرْصِ عَلَى
الدُّنْيَا فَإِنَّ حُبَّهَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ .

موعظة ١١٢

عباد الله إن الدنيا قد آذنت بفراق فَيَا وَيْحَ مَنْ كَانَ بِهَا جُلُّ اشْتِغَالِهِ،
كَيْفَ يَطْمَئِنُّ الْعَاقِلُ إِلَيْهَا مَعَ تَحَقُّقِهِ بِدُنُوِّ ارْتِحَالِهِ . كَيْفَ يَتَخَدَّعُ الْيَوْمَ بِبَوَارِقِهَا

مَنْ هُوَ غَدًا مُرْتَهَنٌ بِأَعْمَالِهِ كَيْفَ يَغْتَرُّ فِيهَا بِإِمْهَالِهِ وَإِمْهَالَهُ لَمْ يَنْشَأْ إِلَّا عَنْ
إِهْمَالِهِ.

كَيْفَ يَبِيتُ آمِنًا فِي تَوْسَعِ أَمَالِهِ. وَهُوَ لَا يَذَرِي مَا يَطْرُقُ مِنْ بَعْتَةِ آجَالِهِ.

فَمَا تَرَوْنَ طَيْفَ الشَّيْبَةِ قَدْ رَحَلَ وَكَثِيرًا مَا حَلَّ بِالشَّبَابِ الْمُنُونِ.

أَمَّا تَرَوْنَ الشَّيْبَ قَدْ نَزَلَ وَقَبِيحٌ مَعَ الشَّيْبِ الْمُجُونُ. أَمَّا تَرَوْنَ سَيْفَ
الْأَجَلِ قَدْ قَطَعَ الْأَمَلَ فَالْيَاسِ مَتَى تُؤْمَلُونَ فِي الْبَقَاءِ وَتَطْمَعُونَ.

أَمَّا تَرَوْنَ رِيَّاحَ الرَّحِيلِ تَهُبُّ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ وَسَبِيلٍ فَلِمَ لَا تَرْكَبُونَ سَفْنَ
التَّوْبَةِ وَتُقْلِعُونَ.

أَمَّا تَرَوْنَ أَشْرَاطَ السَّاعَةِ فِي كُلِّ حَالٍ تُنَادِي بِفَصِيحِ الْمَقَالِ يَا أَهْلَ الدُّنْيَا
لَا مَقَامَ لَكُمْ فَالْيَاسِ مَتَى لَا تَرْجِعُونَ. هَلِ الْأَعْمَارُ فِي الْإِعْتِبَارِ إِلَّا أَعْوَامٌ. وَهَلِ
الْأَعْوَامُ إِلَّا أَيَّامٌ.

وَهَلِ الْأَيَّامُ إِلَّا سَاعَاتٌ كَالسُّفْنِ يُنَادِي لِسَانُ سِيرَهَا يَا أَهْلَ الدُّنْيَا لَا مَقَامَ.
وَهَلِ السَّاعَةُ إِلَّا أَنْفَاسٌ تُحْصِيهَا الْحَفَظَةُ بِأَمْرِ الْمَلِكِ الْعَلَامِ.

فَمَنْ كَانَ هَذَا أَسَاسُهُ كَيْفَ يَفْرَحُ بِدَارِ عَمَارُهَا فِي الْحَقِيقَةِ خَرَابٌ.

فَالسَّعِيدُ مَنْ أَضْمَرَ نَفْسَهُ مِنَ الْمَحْوِ وَأَخَفَّ ظَهْرَهُ مِنَ الْأَوْزَارِ وَالتَّيْبَعَاتِ
واعتَبَرَ بِمَنْ مَضَى مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ أُولَى النَّجْدَةِ وَالْهِمَمِ الْعَالِيَةِ.

نُزِرَ وَاللَّهِ سَبِيلُكُمْ بَعْدَ انْتِظَامِهِ. وَتَفَرَّقَ شَمْلُهُمْ بَعْدَ الْإِتِّمَامِ وَعَادُوا كَمَنْ
مَضَى مِنَ الْأَقْرَانِ كَأَنَّمَا يَقْطَعُهُمْ كَانَتْ مَنَامٌ. هَكَذَا الدُّنْيَا «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنْ
وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ».

فَرَجَمَ اللَّهُ عَبْدًا أَقْبَلَ عَلَى الْبَاقِي وَأَعْرَضَ عَنِ الْفَانِي مِنَ الْحُطَامِ. وَجَعَلَ لِشَارِدِ النَّفْسِ مِنَ التَّقْوَى أَقْوَى زِمَامٍ. وَاجْتَنَبَ الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ يُخْرِجُ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلَامِ. فَتَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ تَوْفِيقًا يُقَرِّبُنَا مِنَ الْحَلَالِ وَيُبْعِدُنَا عَنِ الْحَرَامِ. وَطَرِيقًا إِلَى الْخَيْرَاتِ لِنَتَمَسَّكَ بِالزِّمَامِ. وَأَمْنَا يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ يُبَلِّغُنَا غَايَةَ الْمُنَى. قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا:

«وَأَدْخَلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ». وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم.

فائدة جليلة

إِذَا أَصْبَحَ الْعَبْدُ وَأَمْسَى وَلَيْسَ هُمُهُ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ يَحْمِلُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ حَوَائِجَهُ كُلَّهَا وَحَمَلَ عَنْهُ كُلَّ مَا أَهَمَّهُ ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِمَحَبَّتِهِ وَلِسَانَهُ لِذِكْرِهِ وَجَوَارِحَهُ لِبَطَاعَتِهِ وَإِنْ أَصْبَحَ وَأَمْسَى وَالْدُنْيَا هُمُهُ حَمَلَهُ اللَّهُ هُمُومَهَا وَعُغُومَهَا وَأَنْكَادَهَا وَوَكَّلَهُ إِلَى نَفْسِهِ فَشَغَلَ مَحَبَّتَهُ بِمَحَبَّةِ الْخَلْقِ وَلِسَانَهُ عَنْ ذِكْرِهِ بِذِكْرِهِمْ وَجَوَارِحَهُ عَنْ طَاعَتِهِ بِخِدْمَتِهِمْ وَأَشْغَالِهِمْ .

فَهُوَ يَكْدُجُ كَدَحِ الْوَحْشِ فِي خِدْمَةِ غَيْرِهِ كَالْكَبِيرِ يَنْفُخُ بَطْنَهُ وَيَنْعَصِرُ أَضْلَاعُهُ فِي نَفْعِ غَيْرِهِ فَكُلُّ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ عُبودِيَّةِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ بُلِيَ بِعُبودِيَّةِ الْمَخْلُوقِ وَمَحَبَّتِهِ وَخِدْمَتِهِ قَالَ تَعَالَى « وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ » أ هـ .

اللهم ثبت قلوبنا على الإيمان ووفقنا لصالح الأعمال ، اللهم تفضل علينا بالقبول والإجابة وارزقنا صدق التوبة وحسن الإنابة ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين الأحياء والميتين برحمتك يا أرحم الراحمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله

وأصحابه أجمعين .

١١٣ خطبة

- نوسيد الامر الى غير الله

الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله ناصر الأتقاء
للمتقين ، ومؤيد الأوفياء المخلصين ، أحمده سبحانه
لا أحصي ثناء عليه ، وأستغفره وأتوب إليه ،
وأسأله تعالى أن يجعلنا ممن إذا سمعوا القول عقلوه
وأتبعوا أحسنه ، وبلغوه كما سمعوه ، وأشهد ألا إله
إلا الله وحده لا شريك له . قال في كتابه الكريم
مُخَاطَباً وَلاَةَ الْأُمُورِ خُصُوصاً ، وسائر الأمة
عموماً : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى
أَهْلِهَا ، وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) .
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله
صلى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين
هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، وسلم تسليمأ
كثيراً .)

أما بعد - فيا عباد الله - لقد أَرْسَلَ الله
محمداً بن عبد الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، هادياً

وَمُبَيَّنًا لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ ، أَرْسَلَهُ إِكْرَامًا لِهَذِهِ
الْأُمَّةِ ، وَرَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ، أَرْسَلَهُ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ شَرَعَ اللَّهِ
الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلًا مِنْ
حَكِيمٍ حَمِيدٍ .

وَإِنَّ تَمَّا جَاءَ بِهِ شَرَعَ اللَّهُ ، وَنَادَتْ بِمِرَاعَاتِهِ
وَالِاهْتِمَامِ بِهِ رُسُلُ اللَّهِ تَحَرَّى الْأَفْضَلَ وَالْأَمْلَ وَالْأَرْضَى
لِلَّهِ فِي أَمْرِ الْوِلَايَةِ أَتْيَا كَانَ مِنْ إِمَامَةِ عَظَمَى ، أَوْ
وِزَارَةِ ، أَوْ رِئَاسَةِ ، أَوْ إِمَارَةِ ، أَوْ قِضَاءِ ، أَوْ إِدَارَةِ
أَعْمَالٍ ، أَوْ نِظَارَةِ وَقْفٍ ، أَوْ إِمَامَةِ صَلَاةٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ ،
وَمِنْ تَتَبَعَ وَقَائِعَ التَّارِيخِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا ، وَمَا جَاءَ بِهِ
الْإِسْلَامُ فِي أَمْرِ الْوِلَايَةِ ، عَلِمَ عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ
رَاحَةَ الْأُمَّةِ وَسَعَادَتَهَا وَاسْتِقْرَارَهَا ، بِلِ وَضْمَانِ بَقَا
مُثْلِهَا الْعَالِيَةِ ، وَمِبَادِئِهَا السَّامِيَةِ ، مُتَوَقَّفٌ عَلَى أَنَّ
يَلِي أَمْرَهَا خِيَارَهَا ، وَخِيَارُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ أَقْوَامُهُمْ
إِيمَانًا ، وَأَرْضَاهُمْ لِلَّهِ ، وَأَبْعَدَهُمْ عَنِ الْخِيَانَةِ وَالْغَشِّ
وَالْمَحَابَاةِ ، وَأَنَّ شَقَاءَهَا وَاضْطِرَابَهَا وَفَقْدَانُ الثِّقَةِ بِهَا
مَقْرُونٌ بِإِسْنَادِ أُمُورِهَا ، وَتَحْمِيلُ أَعْبَائِهَا إِلَى مَنْ لَا
يَصْلُحُ لِحَمْلِهَا ، وَلَا غَرُو فِإِعْطَاءِ الْمَنَاصِبِ الْهَامَةِ
لِأَمْنَاءِ أَكْفَاءٍ ، ذَوِي غَيْرَةِ لِلْحَقِّ ، وَحَمَايَةِ لِلْعَقَائِدِ ،
وَإِخْلَاصِ لِلْأُمَّةِ ، يُؤْمِنُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ،

وتحارمهم وأعراضهم وجميع شؤونهم ، ويجعل صاحب الحق
يطمع في عدل بلاده ، وذا الكفاءة يُخلص في عمله ، وذا
الشرُّ ينقبع في مكمنه .

وإنَّ قَوْلِيَّةَ مَنْ لَمْ يُرَاقِبِ اللَّهَ ، وَلَمْ يَعِدْ مِنْهُ
غِيْرَةً ظَاهِرَةً لِلْعَقِيْدَةِ السَّلْفِيَّةِ ، وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ ،
أَوْ مِنْ عِلْمٍ فِيهِ ضَعْفٌ أَوْ خَوَرٌ أَوْ خِيَانَةٌ أَوْ غَشٌّ
أَوْ مَحَابَاةٌ ، أَوْ عَدَمُ اهْتِمَامٍ وَكَثْرَاتٌ بِمَا أُنِيطَ بِهِ مِنْ
عَمَلٍ عَلَى ثَغْرِ مَنْ تُغَوِّرُ أَهْلَ الْإِسْلَامِ ، وَلَا سِيَّامَا
لَهُ صِلَةٌ بِالْعَقِيْدَةِ كَالْتَعْلِيمِ ، أَوْ بَصْلُبِ الْحُكْمِ
كَالْقَضَاءِ وَنَحْوِهِ .

إِنَّمَا ذَلِكَ غَشٌّ لِلْأُمَّةِ ، وَخِيَانَةٌ لَهَا ، وَإِجْرَامٌ
فِي حَقِّهَا ، وَسَعْيٌ فِي إِضَاعَةِ مَصَالِحِهَا ، بَلْ وَغَرَسُ
لِلْأَحْقَادِ وَالضَّغَائِنِ وَالبَغْضِ فِي نَفُوسِ مَفَكَّرِيهَا ، وَذَوِي
الْغِيْرَةِ لَهَا ، إِنْ لَمْ تَكُنْ الطَّامَةُ الْكُبْرَى وَهِيَ الْقَضَاءُ
عَلَى مُقَوِّمَاتِهَا الرُّوْحِيَّةِ ، وَمُثْلُهَا الْعُلْيَا ؛ عِيَاذًا لِلْأُمَّةِ الْإِسْلَامِ
— بِاللَّهِ — مِنْ ذَلِكَ .

فَاتَّقُوا اللَّهَ ، عِبَادَ اللَّهِ لِيَتَّقُوا اللَّهَ مَنْ أُنْتَمَنَهُمْ
اللَّهُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ تُغَوِّرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّهُمْ بِوِلَايَتِهِمْ ،
صِغَارُ الْوَلَاةِ أَوْ كِبَارُ ، إِنْ صَلُّحُوا وَوَفَّوْا وَاسْتَعْمَلُوا

في مهامّ الأمورِ الأقوياءِ الأمناءِ ، عزّت البلاد واستقامَ
 أمرها ، وعَظُمَ سلطانُ وُلاتها على النفوسِ ، ومشى
 الناس من ورائهم سعيّاً إلى الخير ، إذ أنّ صلاح الوالي
 من أقوى العوامل في صلاح مَنْ تحته ؛ فتأثير الرؤساء
 على المروّوسين له خطره الأكبر وأثره العظيم في حياة
 الأُمّة ، فالناس — كما في المثل — « على دين ملوكهم »
 وفي الحكم : « الوُلاة كالسّوق يُجلبُ له ما نفق فيه »
 فإن نفق الخير عند الوالي ، أيّاً كان مقامه ، سعى مَنْ
 حوله في فعل الخير تأسياً به ؛ وإن كانت الثانية وهي
 فساد الوُلاة وتولية غير الأكفاء فعلى أُمّة الإسلام السّلام
 والويل كل الويل لقومٍ تحلّوا بهذه الصّفة . يُروى عن
 رسول الله ﷺ أنّه قال : « مَنْ استعمل رجلاً على
 عصاة وفيهم من هو أرضى الله منه فقد خان الله
 ورسوله والمؤمنين » . ويروى عن يزيد بن أبي سفيان
 قال : قال لي أبو بكر — رضي الله عنه — حين
 بعثني إلى الشام : يا يزيد إنّ لك قرابة عسيت أن
 تؤثرهم بالإمارة وذلك أكثر ما أخاف عليك بعدما
 قال رسول الله ﷺ « من ولي من أمر المسلمين شيئاً
 فأمر عليهم أحداً محابة فعليه لعنةُ الله لا يقبل الله منه
 صرفاً ولا عدلاً حتى يُدخله جهنم » . وروى البخاري

ومسلم عن معقل بن يسار قال سمعت رسول الله —
 ﷺ يقول : « ما من عبد يسترعيه الله رعيّة
 يموت يوم يموت وهو غاشّ لرعيّته إلّا حرم الله عليه
 الجنّة » ، وروى البخاري أن رسول الله ﷺ سأله
 رجل عن الساعة ؟ فقال : إذا ضيّعت الأمانة فانتظر
 الساعة ، قال : ومتى تضيع ؟ قال : إذا وُسد الأمر
 إلى غير أهله فانتظر الساعة . ويقول أصدق القائلين :
 (يا أيّها الذين آمنوا لا تخونوا أماناتكم وأنتم
 تعلمون ، واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ، وإن الله
 عنده أجر عظيم .)

أقول قولي هذا ، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن
 ينصر ولاية أمور المسلمين وأن يصلحهم ويصلح بطانتهم
 ويرزقهم الأعوان المخلصين .

إنّه تعالى نعم المولى ونعم النصير .

١١٤ (خطبة)

ما لولاة الأمور وما عليهم من حق

الحمد لله الذي بنعمته اهتدى المهتدون ، وبعدله
ضلّ الضالون ، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون ، أَنَحَدُهُ
تعالى وأشكره ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا
شريك له ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله
صلّى الله وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وسلّم
تسليماً كثيراً .

أما بعد — فيا عباد الله — لقد جاء دين الإسلام
إكراماً للبشرية ورحمةً بها ، جاء ليرتّب ويُنظّم أمور
الناس ، مادية وروحية ، ويُقيّمها على أسس إصلاحية
وقواعد ثابتة ، جاء ليبين أسباب العطب . وإنّ ممّا
أوضحه وأبانه الإسلام علاقة الإنسان بربه ، وعلاقة
الإنسان بنبيه — ﷺ — ، وعلاقته بأمره ورئيسه ،
يقول سبحانه : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ، وأطيعوا
الرسول ، وأولي الأمر منكم) والمراد بأولي الأمر كلّ من
له ولاية شرعية ، سواء كان الإمام العام ، أو العالم الروحي ،

أو الأمير ، أو الرئيس الخاصّ بالإنسان .

عبادَ الله ؛ إِنَّ اللهَ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ قد أَوْجَبَ لَوْلَاةِ
الأُمُور الشَّرْعِيَّينَ بهذه الآيَةِ ، وما في مَعْنَاهَا ، حَقّاً
عظيماً ؛ بالقيام به تَسْعُدُ الأُمَّةُ الإِسْلامِيَّةُ ، وَيَسْتَتِبُّ لها
الْأَمْنُ ، ويسود السلام ، أَوْجِبَهُ مَنْ هو عَالِمٌ بِأَسْرارِ
الْكَوْنِ ، وطبائعِ البَشَرِ التي لا تَصْلُحُ وَلَنْ تَصْلُحَ بِدُونِ
إِمَامٍ أو مع إِمَامٍ مُنْازَعٍ ؛ أَوْجِبَهُ حَفَظاً على الْحَيَاةِ
الاجْتِمَاعِيَّةِ ورعاية ، وحماية لها من فَوَاضِي الجاهِلِينَ ،
وطيشِ الْمُفْسِدِينَ ، إِنَّ اللهَ ليزعُ بِالسُّلْطَانِ ما لا يزعُ بِالْقُرْآنِ ،
أَوْجِبَهُ وجعله طاعةً له سُبْحَانَهُ وَقُرْبَهُ إِلَيْهِ ، طاعةً مُؤَكَّدَةً
مَعْرُوفَةً يجبُ الْإِتيَانُ بها في الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ ، وَالْمُنْشَطِ
وَالْمَكْرَهِ وَالِاسْتِبْدَادِ ، إِلَّا إِذَا أَمَرَ الْإِنْسَانُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ ،
أَوْ فَوْقَ الْمُسْتَطَاعِ ، فلا سَمْعَ ولا طاعةَ إِذَا لِمَخْلُوقٍ في
مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ ، يقولُ ﷺ : « على المرءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعَ
وَالطَّاعَةَ فيما أَحَبَّ وَكَرِهَ » ، إِلَّا إِذَا أَمَرَ بِمَعْصِيَةِ اللهِ فلا سَمْعَ
ولا طاعةَ » ، وَإِنَّ شَيْئاً — يا عبادَ اللهِ — أَمَرَ اللهُ
به وَرَتَبَ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ مَصْلَحَةً عَظْمَى في الدُّنْيَا ، وَأَجْرًا
مُضَاعَفًا في الآخِرَةِ ، لَجَدِيرٌ بِأَنْ يَكُونَ مَوْضِعَ رِعَايَةِ
الْمُؤْمِنِ وَاهْتِمَامِهِ .

فَاتَّقُوا اللَّهَ — أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ — وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ
بِمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنْ طَاعَةِ وَلَاةِ الْأُمُورِ ، وَمِنْ الدُّعَاءِ لَهُمْ ،
وَالْتَعَاوُنِ مَعَهُمْ ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِمْ ، مَا أَطَاعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَأَقَامُوا شَعَائِرَ دِينِهِ ، فَمَا نَزَعَتْ يَدَ مَنْ طَاعَهُ إِلَّا صَافِحَهَا
الشَّيْطَانُ وَعَرَّضَهَا لِفِتْنَةِ عَمِيَاءَ ، وَحَوَتْ جَاهِلِيَّةَ جُهَلَاءَ ،
وَالْعَاقِلُ يَدْرِكُ خَطُورَةَ عَصِيَانِ الْأُتَمَّةِ الشَّرْعِيِّينَ ، وَمَا تَأْتِي
بِهِ مَنَازَعَتُهُمْ أَوْ الْخُرُوجَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَرٍّ ، وَمَا يَتَرَتَّبُ عَلَى
ذَلِكَ مِنْ مَفَاسِدٍ عُظْمَى لَا يَعْلَمُ مَدَاهَا — عَلَى الْحَقِيقَةِ —
إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَهُ ، وَتَفَادِيًا لِهَذَا الشَّرِّ ، وَدَرَاءً لَهُ عَنِ الْأُتَمَّةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ ، قَالَ هَادِي الْبُشْرِيَّةِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « مَنْ
خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَتَاتَ ، فَيَتَنَبَّهُ جَاهِلِيَّةً »
وَقَالَ : « إِسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِي
كَأَنَّ رَأْسَهُ زَيْبَةٌ » . وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ عِبَادَةِ بْنِ
الصَّامِتِ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — قَالَ : « بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا ، وَعُسْرِنَا
وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا ، وَأَلَّا نَنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ » . قَالَ
— يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ — « إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَ مَنْ
مِنْ اللَّهِ فِيهِ بَرَهَانٌ » .

يَا عِبَادَ اللَّهِ ، يَا مَنْ فِي أَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ وَلَايَةِ ، إِنْ
الْحُكْمَ الْعَدْلُ سُبْحَانَهُ ، كَمَا أَوْجِبَ لَكُمْ حَقًّا عَلَى مَنْ لَكُمْ عَلَيْهِ

ولاية ، وأمره باحترامه والقيام به ، فكذلك أوجب عليكم حقاً لرؤوسكم ومن في سلطانكم ، ومن تحت رعايتكم ، وأذنكم بخطورته ، وعِظَم مسؤوليته على لسان رسوله بقوله ﷺ : « كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » . فأتقوا الله فيما استرعاكم الله فيه ، وأدّوا ما أوجبه الله عليكم من حقوق رؤوسكم ورعاياكم تكونوا من خير الأئمة الذين قال الرسول فيهم ﷺ : « إِنَّ خِيَارَ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تَحِبُّونَهُمْ وَيَحِبُّونَكُمْ ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ » ، وتبتعدوا عمن عناهم ﷺ بقوله : « وَشَرَّارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبَغِضُونَهُمْ وَيُبَغِضُونَكُمْ وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ » .

وإنَّ أعظمَ تلکم الحقوق إقامة العدل بينهم ، والإحسان بهم ، وخفض الجناح لمؤمنهم ؛ يقول تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ، وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ) . ويقول : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) ويقول : (وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) ، كما وأنَّ من حقِّ الرِّعَةِ عليكم أَنْ تَحُوطُوهُمْ بِالنُّصْحِ ، وَأَنْ تَسْعُوا بِإِخْلَاصٍ وَجَدٍّ فِيمَا يَجِبُ لَهُمُ النِّفْعُ ، وَيَذَرُوا عَنْهُمْ الضَّرَرَ ، وَأَنْ تَتَجَنَّبُوا كُلَّ مَا يُشِيرُ نَفُوسَ أَفْرَادِ الرِّعَةِ ، وَيُعَرِّضُهُمُ لِلْحَقْدِ وَالْمُنَازَعَةِ كَالِاسْتِثْنَاءِ بِالْمَصَالِحِ ، وَمَعَامَلَتِهِمْ بِالشَّدَّةِ وَالْقَسْوَةِ ، وَتَكْلِيفِهِمْ مَا يُغْنِيهِمْ وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ

ونحو ذلكم ، ثمَّ يسبَّبُ بُغْضُ الرَّعِيَّةِ للرَّاعي ، ويُعرِّضُهُ
للمنازعة في الدنيا ، وللعذاب الأليم في الآخرة . يقول ﷺ ،
« فيما رواه البخاري ومسلم : » ما من عَبْدٍ يسترعيه الله رعيَّةً
يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيَّته ، إِلَّا حَرَّمَ الله عليه
الجنة . »

وفي روايةٍ لمسلم : « ما من أميرٍ يلي أمور المسلمين ، ثم
لا يجهد لهم وينصح ، إِلَّا لم يدخل معهم الجنة . »

وروي عن عائذ بن عمرو ، رضي الله عنه أنه دخل على
عبيد الله بن زياد ، فقال : أي بُنيّ : إني سمعت رسول الله ﷺ
يقول : « إِنَّ شَرَّ الرُّعَاةِ الحَطْمَةُ ، وإِيَّاكَ أَنْ تكونَ منهم ، »
والحطمة هو الشديد الغليظ القاسي ، قليل الرحمة والشفقة
والحنان ، ويقول مُستَجابُ الدَّعوة — ﷺ — « اَللّٰهُمَّ مَنْ
ولي من أمر أمتي شيئاً فشقَّ عليهم فاشقق عليه ، ومن ولي
من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به . »

أقول قولي هذا ، وأسألُ الله تعالى أَنْ يُوفِّقَ وُلاةَ
أُمُورِ المسلمين ، « حُماةَ الإسلامِ لما فيه صلاحُ دينهم ورعاياهم .
إِنَّهُ تعالى خيرُ مسؤول ، غفورٌ رحيم . »

١١٥ مَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير، أحمده سبحانه وأتوكل على الحي الذي لا يموت وأسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد ، فيقول الله ، سبحانه وتعالى : ﴿هو الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾

عباد الله لقد أوجدنا الله تبارك وتعالى في هذه الدنيا من عدم وأسدى علينا تعالى فيها ألواناً شتى من أنواع النعم وأبلغنا فيها بأوامر وزواجر ، وأخبرنا أننا سنموت بعد الميتة التي كتبها تعالى علينا ثم سيحيينا بعد حياة البعث والنشور والجزاء والحساب والثواب والعقاب على ما كان لتلكم الأوامر والنواهي من أصداء وآثار في نفوسنا وواقع حياتنا ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور﴾

ولقد أنذرنا بذلك ، أنذر الزمان ووعظتنا به من قبل مواعظ القرآن التي كثيراً ما تقرر أسماعنا قرعاً والتي لو أنزلت على جبل لرأيتموه خاشعاً متصدعاً يقول سبحانه : ﴿القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هي نار حامية﴾ . ويقول : ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم﴾ . فهل من مذكر أيها الأخوة فلقد جاءنا - وأيم الله - من الأنبياء ما فيه مزدجر ، جاءنا ما ينذر بتصرم الأيام وتقصم الأعمار قيد المنون كما تشاهدون مرسله آناء الليل

واناء النهار - جاءنا ما ينذر ويذكر بنهاية كل منا ، ورجوعه إلى الله ومساءلة الله له عما ولاه فيه مهما طال عمره أو كان أمره ﴿كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون﴾ ﴿وقفوهم إنهم مسؤولون ما لكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون﴾ ولا عجب أيها الأخوة ، فلکم شهدت الدنيا كثيراً وكثيراً ممن عمروها أكثر مما عمرناها نحن من كانوا فيها أعزة أقوياء أغنياء قادرين على كثير مما يشاؤون من إصلاح وأمر ونهي فتعجلتهم أحداثها قبل ذلك ، أو طوتهم المنون فحيل بينهم وبين ما يشتهون لا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون وأصبحوا مرتنين ينتظرون وضع الموازين من لدن أحكم الحاكمين وأعدل العادلين الذي لا يظلم مثقال ذرة ﴿وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾ والذي يقول وقوله الحق : ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل آتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾ .

وكم شهدنا نحن وفقدنا من أقران كانوا بالأمس معنا زينة المجالس وبهجة القلوب وأنس النفوس ، يذكروننا بالله وأيامه قد ضمتهم للحدود وخلت منهم ثغر الإصلاح ومواطن الدعوة ومواقع الركوع والسجود، ولو نطقوا لقالوا إخواننا تزودوا فإن خير الزاد التقوى فنحن سلفكم وأنتم في الأثر ولقد جاءكم من الأنباء ما فيه مزدجر .

فاتقوا الله - عباد الله - وتذكروا يوم النقلة والرجوع إلى الله وماذا ستقدمون عليه به ، يوم أن تودعوا الثرى ويتخلى عنكم الأهل والأصدقاء يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون ، يوم يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى يقول ياليتني قدمت لحياتي تذكروا ذلك دائماً تذكر من يريد إصلاح ما به من فساد ، والاستزادة كثيراً عما هو فيه من خير وبر وهدي ورشاد . وخذوا من قوتكم وعزكم لضعفكم وذلكم خذوا من سعتكم وغناكم لضيقكم وفقركم خذوا من عافيتكم وحياتكم لبلائكم وموتكم ، خذوا ليوم تمنو فيه الوجوه للحي القيوم ، ويخيب فيه من حمل ظملاً فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار يقول تعالى وقوله الحق : ﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم

العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين بل قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون ﴿ ونستغفرك اللهم وتوب إليك .

١١٦ مَوْعِظَةٌ وَتَذَكِيرٌ بِحَاجَةِ الْمُسْلِمِ إِلَى مَا يَقْدِمُهُ لِغَيْرِهِ

الحمد لله الأول الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء والظاهر الذي ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس دونه شيء ، أحده سبحانه خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد : فإن الله جلت قدرته وتعالى أسماؤه بحكمة بالغة وقدرة باهرة أوجدنا في هذه الدنيا من عدم أوجدنا فيها لا للدوام والبقاء ولكن للموت والفناء ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾

للدوام للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير إلى تباب

فما من نفس في هذه الدنيا إلا وهي ذائقة الموت مهما طال عمرها أو عظم شأنها أو أكثر مالها وولدها ﴿ كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون ﴾ وإن الله سبحانه وتعالى قد أعلمنا بسر هذا الإيجاد وحكمته في هذه الدنيا الفانية وما يتطلبه الانتقال منها بعد إلى الآخرة الباقية بقوله : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ . وقوله في الحديث القدسي الذي رواه الإمام مسلم رحمه الله عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : « إنه تبارك وتعالى

قال: يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه .

وإنه ليجدر بالعاقل الذي علم أنه أوجد في هذا الكون لحكمة وأنه سيموت بعد هذا الإيجاد ولا يدري في أي أرض أو في أي ساعة يموت، وأنه سوف لا ينفعه ويصعبه إذا انتقل من هذا العالم الدنيوي الفاني إلى ذلك العالم الآخروي الباقي إلا ما قدمه في حياته من أعمال بر وخير وهدى، أن ينظر دائماً نظر المستزيد إلى ما قدمه لغده، إلى ما ينفعه عند الله ما دام حياً سوياً قادراً صحيحاً شحيحاً يخشى الفقر ويأمل الغنى امتثالاً لأمر الله ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾ ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾ . ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ . وقول رسوله ﷺ : « إذا مات ابن آدم تبعه ثلاثة ماله وأهله وعمله فيرجع اثنان المال والأهل ويبقى واحد وهو العمل ، إذا مات ابن آدم قالت الملائكة : ما قدم وقال الناس : ما آخر » . وقوله : « من ماله أحب إليه من مال وارثه » قالوا : كلنا ماله أحب إليه من مال وارثه قال : « مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما آخر » .

فاتقوا الله أيها المسلمون، وأطيعوا الله فيما أمركم به من تقواه، أطيعوه فيما أمركم به من النظر إلى ما قدمتم وتقدمونه لغدكم - أطيعوا الله فيما أمركم به من المسارعة والمسابقة في الأعمال الصالحة والاستزادة منها، ووجهوا أنفسكم دائماً لذلك وألزموها وعظوها وذكروها بآثارها ونفعها عند الله سبحانه ذكروها بأن الموت قد لا يمهلها لتعمل ما تنوي عمله فقد يكون أقرب إليها وقت التفكير فيه من شراك نعلها أو حبل وريدها، وأنها سوف لا تنقل معها إذا انتقلت إلى الآخرة بما شيدته في هذه الدنيا من قصور ولا بما جمعت فيها من أموال ولا بما

ولته فيها من ولاية ولا شيء مما التذت به فيها من متع الحياة ولو جمع لها فيها ما ذكر في قول الله سبحانه: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين...﴾ الآية. ولكنها ستنتقل وحيدة بالحالة التي خرجت على الدنيا بها من بطن أمها، مخلفة لما جمعت فيها من أموال مكدياً وراءها، يتقدمها إلى الآخرة حسابه وإثمته إن كانت آثمة فيه ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم﴾ وإن الشأن في هذه الدنيا ليس هو تحصيل شيء من متع الحياة حتى ولو جمع للإنسان فيها ما جمع في قول الله: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين... الآية﴾. ولكن الشأن كل الشأن والأمر الهام الذي ينبغي أن تمتزج العناية به والحرص عليه بلحم الإنسان ودمه، هو أن يوفق الإنسان في هذه الحياة لعمل صالح يكون سبباً لنجاته وزحزحته من النار وفوزه برضى الله ورضوانه، يوم أن توافيه المنية التي كتبها الله عليه بقوله سبحانه ﴿كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾ وما الحياة الدنيا إلا متاع الفسور.

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الْعَجَبَ كُلَّ الْعَجَبِ مِنْ إِنْسَانٍ عَاقِلٍ أَخْبَرَ أَنَّهُ سَيَسْلُكَ طَرِيقاً شَانِئاً وَغَرّاً
مَلِيئاً بِالْمَخَافِ وَالْمُزْعِجَاتِ وَالْمَهَالِكِ وَأَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَتَصَوَّرَ هَذِهِ الْمَخَافِ
وَالْمَخَاطِرَ وَالْمَهَالِكَ وَيَتَصَوَّرَ آثَارَهَا عَلَى مُسْتَقْبَلِهِ الْأَبَدِيِّ وَالَّذِي أَخْبَرَهُ أَصْدَقُ
الْقَائِلِينَ وَأَوْفَى الْوَاعِدِينَ الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً .

وَمَعَ ذَلِكَ تَرَاهُ غَافِلاً لَا اهْتِمَامَ لَهُ بِذَلِكَ مُنْصَرِفاً عَنِ الْإِبْتِعَادِ عَنْ هَذِهِ
الْمَهَالِكِ وَالْمَزَلَّاتِ الْفَظِيعَةِ وَمُسْتَعِلاً بِالْذَّنَائَا وَالْأُمُورِ الثَّافِهَةِ مِنْ شُؤُونِ الدُّنْيَا
الْمَلْعُونَةِ الْمَلْعُونِ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ .

وَمَا أَصِيبَ الْإِنْسَانُ بِمَرَضٍ أَشَدَّ مِنَ الْغَفْلَةِ الَّذِي رُبَّمَا تَحَوَّلَ إِلَى جُمُودٍ
وَقَسْوَةٍ ثُمَّ إِلَى لُجَاكِ وَعِنَادٍ ثُمَّ إِلَى كُفْرٍ وَجُحُودٍ نَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَافِيَةَ .
وَمِنْ أَكْبَرِ الْأَذَلَّةِ عَلَى حُجْمِ الْإِنْسَانِ وَغَبَاوَتِهِ وَجَهْلِهِ أَنَّهُ يَكْذُبُ وَيَشْتَقِي مِنْ
أَجْلِ مُسْتَقْبَلٍ مَهْمَا طَالَ فَلَنْ يُجَاوِزَ الثَّانِينَ غَالِباً وَإِنْ تَجَاوَزَهَا فَهُوَ كَالْمَعْدُومِ .
وَمَعَ هَذَا فَيَهْمِلُ إِهْمَالاً كُلِّيّاً أَوْ جُزْئِيّاً الْعَمَلَ مِنْ أَجْلِ مُسْتَقْبَلٍ لَا نِهَايَةَ
لَهُ مُسْتَقْبَلُ الْأَبَدِ مُسْتَقْبَلُ الْخُلُودِ فَيَاْلَهَا مِنْ خَسَارَةٍ لَا عِوَضَ لَهَا وَلَا جَبْرَ مِنْهَا
وَلَا أَمَلٍ فِي تَلَافِهَا .

فَيَا أَيُّهَا الْغَافِلُ انْتَبِهْ وَاسْتَعِدَّ لِمَا أَمَامَكَ وَتَصَوَّرْهُ تَصَوُّراً صَحِيحاً يَظْهَرُ أَثَرُهُ
فِي جِدِّكَ وَاجْتِهَادِكَ فِيمَا يُقْرَبُكَ إِلَى اللَّهِ لَا يُفَاجِئُكَ الْأَمْرُ وَأَنْتَ غَافِلٌ فَيَفُوتَكَ زَمَنُ
الْأَمْكَانِ وَتَنْدَمُ وَتَحْسَرُ قَالَ تَعَالَى وَتَقْدَسُ ﴿ أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ .

وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ
مَعْرُضُونَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي
غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ﴾
وَقَالَ تَعَالَى ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ
لِمَنِ السَّاخِرِينَ ﴾ الْآيَاتُ .

إن الذين غمَر الإِيمانُ قُلُوبَهُم واستَحَوَذَتْ مَعْرِفَتُهُم على مشاعرهم
ووجدانهم هُم الذين أَيْقَنُوا بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ وَسَمَّاعِ الْحُكْمِ مِنْهُ فِي مَصَائِرِهِمْ ، هَؤُلَاءِ
هم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رَزَقَهُم
اللهُ يُنْفِقُونَ .

الَّذِينَ قَالَ اللهُ تَعَالَى مَخْبِراً عَنْهُمْ ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِمْ بِهِ
يُؤْمِنُونَ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ
أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ ﴾ الذين هم من خشية ربهم مشفقون إلى قوله ﴿ أُولَئِكَ يَسَارِعُونَ فِي
الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾

الذين إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تَفْيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا
عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ الْآيَةِ ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ
آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ الْآيَتِينَ .

﴿ الَّذِينَ يَسْتَعِينُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ الْآيَاتِ . هَؤُلَاءِ هم الذين رَعَوْا
لِلَّذِينَ حُرِّمَتْ وَاحْتَرَمُوا آدَمِيَّتَهُمْ وَكِرَامَتَهُمْ وَوَقَّعَهُمُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا فَبَنَوْا لِأَنْفُسِهِمْ
صُرُوحَ الْمَجْدِ الْخَالِدِ وَالْعِزِّ الْبَاقِي وَالسَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ .

ولا يَتَّبَعُ أَنْ يَكُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ الْمُوصُوفِينَ بِالصِّفَاتِ الْحَمِيدَةِ
الْقَائِلِ لَوْ عَلِمَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ مَا نَحْنُ فِيهِ لَجَالِدُونَا عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ وَمِنْهُمْ
الْبَاكِي حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ الْقَائِلُ إِنِّي لَمْ أَبْلُكْ جِزْعاً مِنَ الْمَوْتِ حِرْصاً عَلَى
الدُّنْيَا وَلَكِنْ أَبْكِي عَلَى عَدَمِ قَضَاءِ وَطَرِيٍّ مِنْ طَاعَةِ رَبِّي وَقِيَامِ اللَّيْلِ أَيَّامَ الشِّتَاءِ .
وَمِنْهُمْ الْبَاكِي عِنْدَ مَا تَقَوُّهُ تَكْبِيرَةُ الْإِحْرَامِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَمِنْهُمْ الَّذِي
يُتَمَرِّضُ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ مَعَ الْجَمَاعَةِ .

وَمِنْهُمْ الْقَائِلُ لَمْ أَصَلِّ الْفَرِيضَةَ مُنْفَرِداً إِلَّا مَرَّتَيْنِ وَكَأَنِّي لَمْ أَصِلْهُمَا مَعَ أَنَّهُ
قَارِبَ التَّسْعِينَ سَنَةً .

ومنهم من لم تفتته صلاة الجماعة أربعين سنة إلا مرة واحدة حين مائت والدته اشتغل بتجهيزها .

والقائل حين ما قال له رجل أراك تكثر من حمد الله وشكره مع أنه ابتلاك ببلاء ما ابتلى أحداً بمثله الجذام في أطرافك وتمزقت الثياب على جسديك ولا زوجة لك ولا ولد ولا دار ولا أهل فما شأنك فقال المبتلى :
شعراً :

حمدت الله ربي إذ هـداني إلى الإسلام والدين الحنيفي
فذكره لساني كل وقت ويعرفه فوادي باللطف

وكان بعض الموفقين المحاسنين لأنفسهم يكتب الصلوات الخمس في قرطاس ويدع بين كل صلاتين بياضاً .

وكلما ارتكب خطيئة من كلمة غيبة أو استهزاء أو كذب كذبة أو تكلم فيما لا يغنيه أو نظر إلى ما لا يحل نظره إليه أو استمع إلى ما لا يحل الاستماع إليه أو أكل مشتبهاً أو مشى إلى ما لا يحل أو مد يده إلى ما لا يجوز مدها إليه .

ذكره في هذا البياض ليعتبر ذنوبه ويخصيها حسب قدرته لتضييق المحاسبة مجاري الشيطان والنفس الأمارة بالسوء .

ومقام محاسبة النفس يقلل الكلام فيما لا يغني ويحمل الإنسان على تقليل الذنوب وعلى الإكثار من الطاعات لمقابلة ما صدر منه ولكن هذا الطراز يعز وجلوده في زماننا هذا .

نقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزئوها قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض الأكبر على الله ﴿ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾ .

فالمحاسبة تكون بضبط الحواس ورعاية الأوقات وإيثار المهملات وحفظ الأنفاس والحرص على أداء العبادات كاملة وبالأخص الصلاة فيكملها بشروطها المذكورة وأركانها وواجباتها وسننها بخشوع وخضوع وطمأنينة وسكون .
والعبد يحتاج إلى السنن الرواتب لتكميل الفرائض ويحتاج إلى النوافل لتكميل السنن ويحتاج إلى الآداب لتكميل النوافل ومن الآداب ترك ما يشغل عن الآخرة .

قال بعضهم إن الرجل ليشتب عارضه في الإسلام وما أكمل لله صلاة قيل وكيف ذاك ، قال لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله فيها .

روى عن بعض أهل العلم في قول الله جل جلاله ﴿وقوموا لله قانتين﴾ قال القنوت الخشوع في الركوع والسجود وغض البصر وخفض الجناح من رهبة الله عز وجل .

وكان العلماء إذا قام أحدهم للصلاة هاب أن يلتفت أو يعث أو يحدث نفسه بشيء من شئون الدنيا إلا ناسياً .

وبلغنا عن بعض أهل العلم أنه قال : ركعتان خفيفتان مُقتصدتان في تفكير وتدبر وتفهم لما يقوله ويفعله خير من قيام ليلة والقلب ساه في أودية الدنيا .

فالواجب على الإنسان إذا كان في الصلاة أن يجعلها همه ويقبل عليها مفرغاً قلبه وفكره من كل ما يشتته ليؤديها كاملة مكملة .

فإنه ليس له منها إلا ما عقل منها من معاني الفاتحة وما يقرأ من القرآن ومعاني الركوع والسجود والقيام بين يدي الله ومعاني العبودية والمناجاة ومعاني التحيات والتكبيرات .

فكم بين رجلين أحدهما قد أشعر قلبه عظمة خالقه الذي هو واقف بين يديه فامتلاً قلبه من هيئته وذلت له عنقه واستحى من ربه أن يقبل على غيره أو يلتفت عنه .

وَأَخْرَجَ قَدْ انْصَرَفَ قَلْبُهُ إِلَى الدُّنْيَا يُفَكِّرُ فِيهَا مُلْتَفِتًا يَمِينًا وَشِمَالًا وَلَا يَفْهَمُ
مَا يَخَاطَبُ بِهِ لِأَنَّ قَلْبَهُ لَيْسَ حَاضِرًا مَعَهُ فَبَيَّنَ صَلَاتِيهِمَا كَمَا قَالَ بَعْضُ
أَهْلِ الْعِلْمِ .

إِنَّ الرَّجُلَيْنِ لَيَكُونَانِ فِي الصَّلَاةِ الْوَاحِدَةِ وَإِنْ مَا بَيْنَهُمَا فِي الْفَضْلِ كَمَا بَيَّنَّ
السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمَا مُقْبِلٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِقَلْبِهِ وَالْآخَرُ سَاهٍ
غَافِلٌ يَفَكِّرُ فِي الْبُيُوعِ وَالْخُصُومَاتِ وَالْأُمَانِي وَالْخُسَارَاتِ قَدْ ذَهَبَ قَلْبُهُ كُلُّ
مَذْهَبٍ فِي أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا .

وَرَوَى أَنَّ بَعْضَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَانَ يَصِلِي فِي تَخْلٍ لَهُ فَشُغِلَ
بِالنَّظَرِ إِلَى التَّخْلِ فَسَهَا فِي صَلَاتِهِ فَاسْتَعْظَمَ ذَلِكَ وَقَالَ أَصَابَنِي فِي مَالِي فِتْنَةٌ
فَجَعَلَ التَّخِيلَ فِي الْأَرْضِ صَدَقَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَلَغَ ثَمَنُ التَّخِيلِ خَمْسِينَ أَلْفًا .
فَلَوْ أَنَّ الْوَاحِدَ مَنَّا إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ مَعَ الْجَمَاعَةِ تَصَدَّقَ فِي عَشْرَةِ فَقَطْ لَمَا
فَاتَتْنَا الصَّلَاةُ مَعَ الْجَمَاعَةِ إِلَّا نَادِرًا وَرَأَيْتُ مَا يَسْرُكُ مِنَ الْمَحَافِظَةِ عَلَى الصَّلَاةِ
وَكَثْرَةِ الْجَمَاعَةِ وَهَذَا عِلَاجٌ مِنْ أَحْسَنِ الْعِلَاجَاتِ .

وَيَنْبَغِي اسْتِعْمَالُهُ عِنْدَ مَا يَصْدُرُ كَذِبٌ أَوْ غِيْبَةٌ أَوْ نَظَرٌ مُحْرَمٌ أَوْ سَمَاعٌ مُحْرَمٌ
أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا يَقُولُهُ الْإِنْسَانُ أَوْ يَفْعَلُهُ عَمْدًا أَوْ سَهْوًا لِيَتَأَدَّبَ وَيَسْتَقِيمَ وَيُقْتَدَى
بِهِ اللَّهُمَّ اخْتِمْ لَنَا بِخَاتِمَةِ السَّعَادَةِ وَاجْعَلْنَا مِنْ كُتِبَتْ لَهُمُ الْحُسْنَى وَزِيَادَةُ
إِعْفَرِ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

آخر : (مَوْعِظَةُ نَصِيحَةٍ) ١١٨

يَسْمُو قَدْرُ الْإِنْسَانِ وَتَعْلُو دَرَجَتُهُ وَمَنْزِلَتُهُ عِنْدَ اللَّهِ جَلٌّ وَعَلَا وَعِنْدَ خَلْقِهِ
بَقْدَرٍ مَا يَكُونُ لَهُ مِنْ إِسْتِقَامَةٍ وَطَهَارَةِ قَلْبٍ وَسَلَامَةِ صَدْرِ وَحُبِّ لِلْخَيْرِ لَجْمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ وَبُعْدٍ عَنِ الشَّرِّ وَالْأَذَى وَتَضَحُّيَةٍ بِالنَفْسِ وَالْمَالِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا يُقَرِّبُ

إلى الله وَقَدْ اٰمَنَ اللهُ اِبْرٰهِيْمَ الْخَلِيْلَ عَلَيْهِ وَعَلٰى نَبِيْنَا اَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى مَا وَهَبَهُ لَهُ مِنْ سَلَامَةِ قَلْبٍ وَعِزَّةِ نَفْسٍ وَصِدْقِ عَزِيْمَةٍ وَقُوَّةِ اِيْمَانٍ .

قال تعالى لما ذَكَرَ نُوْحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَتٰى عَلَيْهِ اَعْقَبُهُ بِذِكْرِ الْخَلِيْلِ فَقَالَ « وَإِنْ مِنْ شَيْعَتِهِ لِاِبْرٰهِيْمَ اِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيْمٍ » .

وَمِنْ دُعَاۗءِ اِبْرٰهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُنْعَثُونَ يَوْمَ لَا يَنْتَفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ اِلَّا مَنْ اٰتٰىهُ اللهُ بِقَلْبٍ سَلِيْمٍ ﴾ .

وسَلَامَةُ الْقَلْبِ خُلُوْصُهُ مِنَ الشَّرِكِ وَقِيلَ هُوَ الْقَلْبُ الصَّحِيْحُ وَهُوَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ لِأَن قَلْبَ الْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِ مَرِيضٌ وَقِيلَ هُوَ الْقَلْبُ السَّالِمُ مِنَ الْبِدْعَةِ الْمَطْمَئِنِّ إِلَى السَّنَةِ لِانْتِهٰى .

قلت والذي أَرَى أَن السَّلَامَةَ الْكَامِلَةَ لِلْقَلْبِ هِيَ خُلُوْصُهُ مِنَ الشَّرِكِ وَالشُّكِّ وَالنِّفَاقِ وَالرِّيَاءِ وَخُلُوْهُ مِنَ الْكِبَرِ وَالْحَقْدِ وَالْحَسَدِ وَالْعُجْبِ وَالْمَكْرِ السَّيِّئِ وَالغُلِّ وَالْخِيَلَاءِ .

وَنَقَاؤُهُ مِنَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي تُكَدِّرُ الصَّفْوَ وَتُشْتِتُ الشَّمْلَ وَتَحُلُّ بِالْأَمْنِ وَتَقْطَعُ الرُّوَابِطَ وَالصَّلَاطَتَيْنِ الْمُسْلِمَيْنِ وَتُورِثُ الضَّعَافَيْنِ وَالْأَحْقَادَ وَتُوَلِّدُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ .

وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيْمًا » فَالْقَلْبُ السَّلِيْمُ هُوَ السَّالِمُ مِنَ الْآفَاتِ وَالْمَكْرُوْهَاتِ كُلِّهَا وَهُوَ الْقَلْبُ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ سِوَى حُبِّهِ اللهِ وَخَشْيَتِهِ وَخَشْيَةِ مَا يَبَاعِدُ عَنْهُ .

وقد اكتفى إبراهيم عليه الصلاة والسلام بذكر سلامة القلب لأن القلب

إذا صلح صلح الجسد كله كما في الحديث وإذا فسد فسد الجسد كله .

ولأن القلوب إذا سَلِمَتْ سَلِمَتِ الْجَوَارِحُ الْيَدُ وَاللِّسَانُ مِنَ الْأَذَى وَالشُّرُورِ وَسَلِمَتِ أَمْوَالُ النَّاسِ وَأَرْوَاحُهُمْ وَأَعْرَاضُهُمْ وَقَلَّتِ الشُّرُورُ وَالْجَرَائِمُ

وَالْآثَامُ وَقِيلَ إِنَّ لِقْمَانَ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا فَدَفَعَ إِلَيْهِ سَيِّدُهُ شاةً وَقَالَ اذْبَحْهَا

وَأَتْنِي بِأَطِيبٍ مُضْغَتَيْنِ مِنْهَا فَأَتَاهُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ ثُمَّ بَعْدَ أَيَّامٍ أَتَاهُ بِشَاةٍ أُخْرَى .
وَقَالَ لَهُ إِذْ بَحَّهَا وَأَتْنِي بِأَخْبَثِ مُضْغَتَيْنِ مِنْهَا فَأَتَاهُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ فَسَأَلَهُ
سَيِّدُهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ هُمَا أَطِيبُ شَيْءٍ إِذَا طَابَا وَأَخْبَثُ شَيْءٍ إِذَا خَبَّثَا .
وَذَكَرَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ صَلَاحَ الْقَلْبِ :

(١) فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بِالتَّدْبِيرِ وَالتَّفَكُّرِ فِيهِ وَفِيمَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ .

(٢) فِي تَقْلِيلِ الْأَكْلِ .

(٣) قِيَامَ اللَّيْلِ وَإِحْيَاؤُهُ بِالْعِبَادَةِ .

(٤) التَّضَرُّعُ عِنْدَ السَّحَرِ .

(٥) مَجَالَسَةُ الصَّالِحِينَ .

(٦) الصَّمْتُ عَمَّا لَا يَعْنِي .

(٧) الْعِزْلَةُ عَنِ أَهْلِ الْجَهْلِ وَالسُّفْهِ وَمَنْ فَرَطَتْ أَعْمَارُهُمْ .

(٨) تَرْكُ الْخَوْضِ مَعَ النَّاسِ فِيمَا لَا يَعْنِي .

(٩) أَكْلُ الْحَلَالِ وَهُوَ رَأْسُهَا فَإِنَّهُ يَنُورُ الْقَلْبَ وَيُصْلِحُهُ فَتَزْكُوا بِذَلِكَ الْجَوَارِحُ
وَتُذَرُّ الْمَقَاسِدُ وَتَكْثُرُ الْمَصَالِحُ فَأَكُلِ الْحَرَامَ وَالْمَشْتَبَهَ يُصَدِّي الْقَلْبَ
وَيُظْلِمُهُ وَيُقْسِيهِ وَهُوَ مِنْ مَوَانِعِ قَبُولِ الدُّعَاءِ .

وَقَدْ قِيلَ يَخَافُ عَلَى آكِلِ الْحَرَامِ وَالشُّبْهَةِ أَنْ لَا يُقْبَلَ لَهُ عَمَلٌ وَلَا يُرْفَعَ لَهُ
دُعَاءُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ وَآكِلِ الْحَرَامِ وَالْمَشْتَبَهَ
الْمَشْتَبَهَاتِ لَيْسَ بِمُتَّقٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ .

رَوَى عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَقُولُ خَصْلَةٌ مِنْ ابْنِ آدَمَ أُرِيدُهَا
ثُمَّ أَحِلَّنِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يُرِيدُ مِنَ الْعِبَادَةِ أَجْعَلْ كَسْبَهُ مِنْ غَيْرِ حِلٍّ إِنْ تَزَوَّجَ تَزَوَّجَ
مِنْ حَرَامٍ وَإِنْ أَفْطَرَ أَفْطَرَ عَلَى حَرَامٍ ، وَإِنْ حَجَّ حَجَّ مِنْ حَرَامٍ أ هـ .

فَالْحَذَرُ الْحَذَرُ مِنَ الْحَرَامِ فِي طَلَبِ الْقُوَّةِ ، فَقَدْ وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « إِنْ اللَّهُ طِيبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرُ

المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وأعملوا صالحا ﴾ وقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ .
ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء ويقول :
يا رب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنني
يُسْتَجَابُ لذلك .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تليت هذه الآية عند رسول
الله ﷺ ﴿ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ﴾ .
فقام سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه فقال يا رسول الله أدع الله أن
يجعلني مستجاب الدعوة فقال له النبي ﷺ « يا سَعْدُ أَطْبَ مَطْعَمَكَ تَكُنْ
مستجاب الدعوة والذي نفس محمد بيده إن العبد لَيَقْذِفُ اللقمة الحرام في
جَوْفِهِ مَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُ عَمَلٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَبَتْ لَحْمُهُ مِنْ سُخْبٍ فَالنَّارُ
أَوْلَى بِهِ » رواه الطبراني في الصغير .

وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال من اشترى ثوباً بعشرة دراهم
وفيه درهم من حرام لم يقبل الله عز وجل له صلاة ما دام عليه قال ثم أدخل
أصبعه في أذنيه ثم قال صُمْتُما إن لم يكن النبي ﷺ سمعته يقوله رواه أحمد .
وروى أبو داود في المراسيل عن القاسم بن مُخَيَّرَةَ قال قال رسول الله
ﷺ « مَنْ اكْتَسَبَ مَالاً مِنْ إِثْمٍ فَوَصَّلَ بِهِ رَحْمَةً أَوْ تَصَدَّقَ بِهِ أَوْ أَنْفَقَهُ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ جُمِعَ ذَلِكَ كُلُّهُ جَمِيعاً فَقَذِفَ بِهِ فِي جَهَنَّمَ » .
وروي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « مَنْ اشْتَرَى سَرَقَةً وَهُوَ يَعْلَمُ
أَنَّهَا سَرَقَةٌ فَقَدْ اشْتَرَكَ فِي عَارِهَا وَإِثْمِهَا » رواه البيهقي .

اللَّهُمَّ يَا عَالَمَ الْخَفِيَّاتِ وَيَا سَامِعَ الْأَصْوَاتِ وَيَا بَاعِثَ الْأَمْوَاتِ وَيَا
مُجِيبَ الدَّعَوَاتِ وَيَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ يَا خَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ أَنْتَ اللَّهُ
الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ الْوَهَّابُ الَّذِي
لَا يَخْلُ وَالْحَلِيمُ الَّذِي لَا يَعْجَلُ لَا رَادَّ لَأَمْرِكَ وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِكَ نَسْأَلُكَ

أَنْ تَغْفِرَ ذُنُوبَنَا وَتُنُورَ قُلُوبَنَا وَتُثَبِّتَ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَتُسَكِّنَنَا دَارَ كَرَامَتِكَ
إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

١١٩ موعظة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وَقَالَ ﴿ فَذَكِّرْ
إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِيدَ ﴾ فِيَا
عِبَادِ اللَّهِ لَقَدْ خَاطَبَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ
تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ خَاطَبَهُمْ بِهَذَا
الْخُطَابِ الرَّائِعِ وَوَصَفَهُمْ بِهَذَا الْوَصْفِ الْعَظِيمِ ، بِأَنَّهُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ
لِلنَّاسِ ، وَأَنَّ مَجْتَمَعَهُمْ أَعْلَى وَأَعَزُّ مُجْتَمَعَ فِي الْعَالَمِ حَاضِرِهِ وَمَاضِيهِ لِمَا
اتَّصَفُوا بِهِ مِنَ الصِّفَاتِ الْفَاضِلَةِ ، وَالْأَخْلَاقِ الْعَالِيَةِ ، وَالْغَيْرَةِ الصَّادِقَةِ ،
عَلَى حُدُودِهِ .

وَهَذَا الْوَصْفُ وَقْتَ أَنْ كَانُوا مُتَمَسِّكِينَ بِتَعَالِيمِ دِينِهِمْ ، وَكَادَ
الْإِسْلَامُ وَبَهَاؤُهُ يَلُوحُ فِي أَعْمَالِهِمْ ، وَمُعَامَلَاتِهِمْ ، وَأَخْلَاقِهِمْ فَلَا غِشَّ وَلَا
خِدَاعَ وَلَا كَذِبَ ، وَلَا خِيَانَةَ وَلَا غَدْرًا ، وَلَا نَمِيمَةَ ، وَلَا غِيْبَةَ ، وَلَا ظُلْمَ
وَلَا نِفَاقَ وَلَا رِشَاءَ وَلَا مَلَقَ وَلَا رِيَاءَ وَلَا بَهْتَ وَلَا سُخْرِيَّةَ وَلَا عُقُوقَ وَلَا قَطِيعَةَ

هَدَفَهُمُ الْقَضَاءُ عَلَى الْمُنْكَرَاتِ وَإِمَاتَتَهَا ، وَإِعْزَازُ الْمَعْرُوفِ وَنَشْرُهُ
بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى قُوَّةِ إِيْمَانِهِمْ ، وَشِدَّةِ تَمَسُّكِهِمْ بِهِ وَرَغْبَةِ
فِي النِّجَاحِ الَّتِي وَعَدَ اللَّهُ بِهَا النَّاهِي عَنِ السُّوءِ ، قَالَ تَعَالَى ﴿ فَلَمَّا نَسُوا
مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ
بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ .

فِيَا عِبَادَ اللَّهِ تَأْمَلُوا حَالَتَنَا الْحَاضِرَةَ ، وَحَالَةَ سَلَفِنَا الْكَرَامِ الَّذِينَ

كانوا كُلُّ مِنْهُمْ يُحِبُّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ ، وَيَرْحَمُ كَبِيرُهُم الصَّغِيرَ وَيُوقِرُ الصَّغِيرُ الْكَبِيرَ ، يَتَأَمَّرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَتَنَاهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، يُنْصِفُونَ حَتَّى الْأَعْدَاءِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ .

فَالْقَوِيُّ عِنْدَهُمْ ضَعِيفٌ ، حَتَّى يُسْتَوْفَى مِنْهُ الْحَقُّ ، وَالضَّعِيفُ عِنْدَهُمْ قَوِيٌّ حَتَّى يُوْخَذَ حَقُّهُ . إِذَا فَقَدُوا أَخَاهُمْ بَحَثُوا عَنْهُ فَإِنْ كَانَ مَرِيضاً عَادُوهُ وَسَاوَوْهُ وَإِذَا مَاتَ شَيَّعُوهُ ، وَإِنْ احتَاجَ أَقْرَضُوهُ ، وَوَأَسَوْهُ وَإِنْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ أَكْرَمُوهُ .

عَامِلِينَ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى » ، وَحَدِيثِ « الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً » .

أَمَّا نَحْنُ فَحَالَتُنَا حَالَةٌ مُخِيفَةٌ جِدًّا لِأَنَّنا عَلَى ضِدِّ مَا ذَكَرْنَا مِنْ حَالَةِ سَلَفِنَا وَلَا حَاجَةَ إِلَى تَكَرُّارٍ ، أَلْقِ سَمْعَكَ وَقَلْبُكَ نَظْرَكَ ، وَأَحْضِرْ قَلْبَكَ تَرَى ذَلِكَ بِعَيْنٍ بِصِيرَتِكَ وَتَرَى مَا يُخِيفُكَ وَيُقْلِقُ رَاحَتَكَ وَيُقْضُضُ مَضْجَعَكَ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ فِي الْبُيُوتِ وَالْأَسْوَاقِ وَالْبَرِّ وَالْبَحْرِ .

وَإِنْ شَكَّكَتَ فَفَقِّشْ عَلَى نَفْسِكَ تَجِدْ ذَلِكَ ، فَالْمُنْكَرُ نَرَاهُ بِأَعْيُنِنَا وَنَسْمَعُهُ بِأَذَانِنَا بَلْ وَفِي بُيُوتِنَا فَهَلْ بَيْتُكَ خَالٍ مِنْ صُورِ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ هَلْ هُوَ خَالٍ مِنَ الْمِذْيَاحِ ، هَلْ هُوَ خَالٍ مِنَ التَّلْفِيزِيُونِ ، وَالسِّيْنِمَاءِ وَالْبِكَمَاتِ وَمُسْجَلَاتِ الْأَغَانِي ، هَلْ هُوَ خَالٍ مِنْ شَرَابِ الْمُسْكِرَاتِ ، هَلْ مَا يَأْتِي لِبَيْتِكَ إِلَّا أَنْاسٌ طَبِيبٌ طَاهِرِي الْأَخْلَاقِ ، هَلْ هُوَ خَالٍ مِنْ خَالْقِي اللَّحْيِ هَلْ هُوَ خَالٍ مِنَ الْمُخَنَفِسِينَ وَمِطْلِي أَظْفَارِهِمْ تَشْبُهًا

باليهود ، وهل هو خالٍ من المتشبهين بالمجوس والمتشبهين بالإفرنج ، هل هو خالٍ ممن لا يشهدون صلاة الجماعة أو لا يصلون أبداً ، هل هو خالٍ من النساء القاصات لرؤسهن المغطيات لأظفارهن ، هل هو خالٍ من شراب أب الخبائث الدخان ، ونحوه من المنكرات وأما في الأسواق فحدث عن كثرة المنكرات ولا حرج على حد قول المتنبي :

وَقَدْ وَجَدْتُ مَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ
فَإِنْ وَجَدْتَ لِسَاناً قَائِلاً فَقُلْ

وَمَعَ ذَلِكَ فَلَا أَلْسِنَةً تَنْطِقُ وَلَا قُلُوبَ تَتَمَعَّرُ إِلَّا النُّوَادِرُ ، الموجود هو التلاوم والقييل والقال ، والمداهنة ، والجلوس مع أهل المعاصي ، ومحادثةهم ومباشرتهم وإظهار البشر لهم وتعظيمهم وتقليدهم في الأقوال والأفعال .

فَيَا عِبَادَ اللَّهِ اتَّقُوا اللَّهَ واسْلُكُوا طَرِيقَ سَلَفِكُمْ وَاضِدُّعُوا بِالْحَقِّ وَأَمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَاناً ، قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ بِكُمْ مَا حَلَّ بِمَنْ قَبْلَكُمْ ، وَتَضْرِبَ قُلُوبُ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، قَبْلَ فِتْنَةٍ لَا تُصَيِّبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ، قَبْلَ أَنْ تُلْعَنُوا كَمَا لُعِنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ، بِسَبَبِ عَدَمِ تَنَاهِيهِمْ عَنِ الْمُنْكَرِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ .

فَيَا عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لِمِنْ أَعْظَمِ

الشعائر الإسلامية ، وأقوى الأسس التي يقوم عليها بناء المجتمعات
النزيهة الراقية ، فإذا لم يكن أمر ولا نهْي أو كان ولكن كالمعدوم ،
فعلى الأخلاق والمثل العليا السلام ، ويل يومئذ للفضيلة من الرذيلة ،
وللمتدينين من الفاسقين والمنافقين .

فيا عباد الله تداركوا الأمر قبل أن يفوت الأوان وتعضوا على البنان
فقد قال لكم سيد ولد عدنان من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم
يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان .

عباد الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نأمن بإذن الله على
الدين من الاضمحلال والتلاشي ، ونأمن بإذن الله على الأخلاق الفاضلة
من الزهَاب والانحلال ، والحذر الحذر من مخالفة القول للفعل ،
فتأثير الدعوة بالفعل أقوى بكثير من الأقوال المجردة من الأفعال .

وفي المسند وغيره من حديث عروة عن عائشة قالت دخل عليّ
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد حفزه النفس فعرفت في وجهه أن
قد حفزه شيء ، فما تكلم حتى توضعاً وخرج فلصقت بالحجرة ، فصعد
المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال أيها الناس إن الله عز وجل يقول
لكم مروا بالمعروف وانهاؤا عن المنكر ، قبل أن تدعوني فلا أجيبكم ،
وتستنصروني فلا أنصركم ، وتسالوني فلا أعطيكم .

وقال العمري الزاهد إن من غفلتك عن نفسك وإعراضك عن الله
أن ترى ما يسخط الله فتجاوزه ، ولا تنهى عنه ، خوفاً ممن لا يملك
لنفسه ضرراً ولا نفعاً ، قلت وما أكثر المدلسين الساكتين الذين يمرون
بالجالسين أمام التلفزيون وعند المذيع والكورة بل ولا يأمرؤنهم بالتي

هِيَ أَحْسَنُ وَيَمُرُّونَ بِأَوْلَادِهِمْ فِي فُرُشِهِمْ وَلَا يُوقِضُونَهُمْ لِلصَّلَاةِ وَكَأَنَّ أَمْرَهُمْ أَمْرٌ مُبَاحٌ إِنْ شَاءَ أَنْكَرَ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ ، وَقَالَ مَنْ تَرَكَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مَخَافَةً مِنَ الْمَخْلُوقِينَ نُزِعَتْ مِنْهُ الطَّاعَةُ ، وَلَوْ أَمَرَ وَلَدَهُ أَوْ بَعْضَ مَوَالِيهِ لَا اسْتَخَفَّ بِحَقِّهِ .

وَذَكَرَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ تَوْشِيكَ الْقُرَى أَنْ تَخْرُبَ وَهِيَ عَامِرَةٌ قِيلَ وَكَيْفَ تَخْرُبُ وَهِيَ عَامِرَةٌ ، قَالَ إِذَا عَلَا فُجَارُهَا أَبْرَارُهَا وَسَادَ الْقَبِيلَةَ مُنَافِقُوهَا قُلْتُ وَمِمَّا يُؤَيِّدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ﴾ الْآيَةُ

اللَّهُمَّ احْفَظْنَا بِالْإِسْلَامِ قَائِمِينَ وَاحْفَظْنَا بِالْإِسْلَامِ قَاعِدِينَ وَاحْفَظْنَا بِالْإِسْلَامِ رَاقِدِينَ وَلَا تُشِمِتْ بِنَا الْأَعْدَاءَ وَلَا الْحَاسِدِينَ اللَّهُمَّ وَعَافِنَا مِنْ مَحَنِ الزَّمَانِ وَعَوَارِضِ الْفِتَنِ فَإِنَّا ضَعَفَاءُ ، عَنْ حَمَلِهَا وَإِنْ كُنَّا مِنْ أَهْلِهَا فَعَافِيَتُكَ أَوْسَعُ يَا وَاسِعُ يَا عَلِيمُ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

آخر :

١٢٠ مَوْعِظَةٌ

اِخْوَانِي : إِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ كَمَا عَلِمْتُمْ فِيهِ فَضْلٌ عَظِيمٌ وَثَوَابٌ جَزِيلٌ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ، وَهُوَ مِنْ أَثْقَلِ شَيْءٍ عَلَى النَّفْسِ وَلَا سِيَّمَا بَعْدَ أَنْ يَرْقُدَ الْإِنْسَانُ ، وَأَنْمَا يَكُونُ خَفِيفًا بِالْإِعْتِيَادِ ، وَتَوَطُّينِ النَّفْسِ وَتَمْرِينِهَا عَلَيْهِ وَالْمَدَاوِمَةِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَشَقَّةِ وَالْمُجَاهَدَةِ فِي الْإِبْتِدَاءِ ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَنْشَرِّحُ وَيَنْفَتِحُ بَابُ الْأَنْسِ بِاللَّهِ وَتَلَدُّ لَهُ الْمَنَاجَاةُ وَالْخُلُوعُ ، وَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَشْبَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يَسْتَيْقِلَهُ أَوْ يَكْسَلَ عَنْهُ كَمَا وَقَعَ لِكَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ . قَالَ بَعْضُهُمْ : أَهْلُ اللَّيْلِ فِي لَيْلِهِمُ الْدُّ

مِنْ أَهْلِ اللَّهِ فِي لَهْوِهِمْ وَيَا بَعْدَمَا بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ ، فَسُبْحَانَ مَنْ وَفَّقَ
أَقْوَامًا فَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالنَّوَافِلِ ، وَأَبْعَدَ بِحُكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ آخِرِينَ فَهُمْ عَنْ مَا
يَنْفَعُهُمْ فِي حَاضِرِهِمْ وَمَآلِهِمْ غَافِلُونَ .

شِعْرًا :

ذُنُوبُكَ يَا مَغْرُورٌ تُحْصِي وَتُحْسَبُ
وَتُجْمَعُ فِي لَوْحٍ حَفِيزٍ وَتُكْتَبُ
وَقَلْبُكَ فِي سَهْوٍ وَلَهْوٍ وَغَفْلَةٍ
وَأَنْتَ عَلَى الدُّنْيَا حَرِيصٌ مُعَذِّبٌ
تُبَاهِي بِجَمْعِ الْمَالِ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ
وَتَسْعَى حَيْثُ شَاءَ فِي الْمَعَاصِي وَتُذْنِبُ
أَمَا تَذْكُرُ الْمَوْتَ الْمُفَاجِئَ فِي غَدٍ
أَمَا أَنْتَ مِنْ بَعْدِ السَّلَامَةِ تَعْطُبُ
أَمَا تَذْكُرُ الْقَبْرَ الْوَحِيشَ وَلَحْدَهُ
بِهِ الْجِسْمُ مِنْ بَعْدِ الْعِمَارَةِ يَخْرُبُ
أَمَا تَذْكُرُ الْيَوْمَ الطَّوِيلَ وَهُوَ لَهُ
وَمِيزَانٌ قَسِطٌ لِلْوَفَاءِ سَيُنْصَبُ
تَرُوحُ وَتَغْدُو فِي مَرَاكِ لَاهِيَا
وَسَوْفَ بِأَشْرَاكِ الْمَنِيَّةِ تَنْشَبُ
تُعَالِجُ نَزْعَ الرُّوحِ مِنْ كُلِّ مَفْصَلٍ
فَلَا رَاحِمٍ يُنْجِي وَلَا نَمَّ مَهْرَبٍ

وَعُمِضَتِ الْعَيْنَانِ بَعْدَ خُرُوجِهَا
وَيُسِّطَتِ الرَّجْلَانِ وَالرَّأْسُ يُعْصَبُ
وَقَامُوا سِرَاعاً فِي جَهَاذِكَ أَحْضَرُوا
خُطُوطاً وَأَكْفَاناً وَلِلْمَاءِ قَرُبُوا
وَعَايِلُكَ الْمَحْزُونُ تَبْكِي عِيُونُهُ
بِذَمِّ غَزِيرٍ وَآكِفٍ يَتَخَصَّبُ
وَكُلُّ حَبِيبٍ لُبُّهُ مُتَحَرِّقُ
يُحَرِّكُ كَفُّهُ عَلَيْكَ وَيَنْدُبُ
وَقَدْ نَشَرُوا الْأَكْفَانَ مِنْ بَعْدِ طَيْهَا
وَقَدْ بَخَّرُوا مَنَشُورَهُنَّ وَطَيَّبُوا
وَالْقَوَاكِبَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ وَأَفْرَجُوا
عَلَيْكَ مَثَانِي طَيِّهِنَّ وَعَصَبُوا
وَفِي حُفْرَةِ الْقَوَاكِبِ خَيْرَانِ مُفْرَدَا
تَضُمُّكَ يَتَذَاءُ مِنَ الْأَرْضِ سَبَبُ
إِذَا كَانَ هَذَا حَالُنَا بَعْدَ مَوْتِنَا
فَكَيْفَ يَطِيبُ الْيَوْمَ أَكْلُ وَمَشْرَبُ ؟!
وَكَيْفَ يَطِيبُ الْعَيْشُ وَالْقَبْرِ مَسْكُنُ
بِهِ ظُلُمَاتُ غَيْهَبٍ ثُمَّ غَيْهَبُ
وَهَوْلٌ وَدَيْدَانٌ وَرَوْعٌ وَوَحْشَةٌ
وَكُلُّ جَدِيدٍ سَوْفَ يَبْلَى وَيَذْهَبُ
فَيَا نَفْسُ خَافِي اللَّهَ وَارْجِي ثَوَابَهُ
فَهَادِمٌ لَذَاتِ الْفَتَى سَوْفَ يَقْرُبُ

وَقُولِي إِلَهِي أُولِنِي مِنْكَ رَحْمَةً
 وَعَفَوْا فَإِنَّ اللَّهَ لِلذَّنْبِ يُذْهِبُ
 وَلَا تُحْرِقَنَّ جَنَسِي بِنَارِكَ سَيِّدِي
 فَجَنَسِي ضَعِيفٌ وَالرَّجَا مِنْكَ أَقْرَبُ
 فَمَا لِي إِلَّا أَنْتَ يَا خَالِقَ الْوَرَى
 عَلَيْكَ إِتْكَالِي أَنْتَ لِلْخَلْقِ مَهْرَبُ
 وَصَلِّي إِلَهِي كُلَّمَا ذَرَّ شَارِقُ
 عَلَى أَحْمَدَ الْمُخْتَارِ مَا لَاحَ كَوَكْبُ

اللهم انا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الشُّكِّ بَعْدَ الْيَقِينِ ، وَمِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ،
 وَمِنَ شِدَائِدِ يَوْمِ الدِّينِ ، وَنَسْأَلُكَ رِضَاكَ وَالْجَنَّةَ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ سَخَطِكَ
 وَالنَّارِ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنَا إِذَا عَرِقَ الْجَبِينُ وَاشْتَدَّ الْكَرْبُ وَالْأَيْنُ ، وَاعْفِرْ لَنَا
 وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِينَ .

آخر : ١٢١ « موعظة »

فَيَا أَيُّهَا الْمُتَهَمِّلُونَ الْغَافِلُونَ تَبَيَّنْظُوا فَلَيْكُمُ يُوجَّهُ الْخَطَابُ وَيَا أَيُّهَا
 النَّائِمُونَ انْتَبِهُوا قَبْلَ أَنْ تُنَازِلَ لِلرَّحِيلِ الرِّكَابَ قَبْلَ هُجُومِ هَادِمِ اللَّذَاتِ
 وَمُفَرِّقِ الْجَمَاعَاتِ وَمَذِلِ الرِّقَابِ وَمُشْتَتِ الْأَحْبَابِ فَيَا لَهُ مِنْ زَائِرٍ لَا يَعُوقُهُ
 عَائِقٌ وَلَا يُضْرَبُ دُونَهُ حِجَابٌ ، وَيَا لَهُ مِنْ نَازِلٍ لَا يَسْتَأْذِنُ
 عَلَى الْمُلُوكِ وَلَا يَلِخُ مِنَ الْأَبْوَابِ ، وَ يَرَحِمُ صَغِيرًا وَلَا يُوقِرُ كَبِيرًا وَلَا يَخَافُ
 عَظِيمًا وَلَا يَهَابُ إِلَّا وَإِنَّ بَعْدَهُ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ مِنَ السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ ،

وَوَرَاءَهُ هَؤُلَ الْبَعْثِ وَالْحَشْرِ وَأَحْوَالِ الصَّعَابِ مِنْ طُولِ الْمَقَامِ وَالْإِزْدِحَامِ
فِي الْأَجْسَامِ وَالْمِيزَانِ وَالصَّرَاطِ وَالْحِسَابِ ،

اللَّهُمَّ أَقِظْ قُلُوبَنَا وَنَوِّرْهَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقُوِّهَا
وَارْزُقْنَا الْمَعْرِفَةَ بِكَ عَنْ بَصِيرَةٍ وَالْهِمْنَ ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ وَوَفَّقْنَا لَطَاعَتِكَ وَامْتِنَالِ
أَمْرِكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ
يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَاللهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

آخر : ١٢٢ موعظة

عباد الله : تَصَرَّمَتِ الْأَعْوَامُ عَاماً بَعْدَ عَامٍ ، وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَتِكُمْ سَاهُونَ نِيَامٍ . أَمَا
تُشَاهِدُونَ مَوَاقِعَ الْمَنَايَا ، وَحُلُولَ الْآفَاتِ وَالرَّزَايَا . وَكَيْفَ فَازَ وَأَفْلَحَ الْمُتَّقُونَ ، وَكَيْفَ
خَابَ وَخَسِرَ الْمُبْطِلُونَ الْمَفْرُطُونَ فَيَالَيْتَ شِعْرِي عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تُطَوِّى صَحَائِفُ
الْأَعْمَالِ أَعْلَى أَعْمَالِ صَالِحَةٍ وَتَوْبَةٍ نَصُوحٍ تُمَحَى بِهَا الْآثَامُ ، أَمْ عَلَى ضِدِّهَا
فَلْيُثَبِّ الْجَانِي إِلَى رَبِّهِ ، فَالْعَمَلُ بِالْخِتَامِ . فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَاسْتَدْرِكُوا عُمْراً
ضَيَعْتُمْ أَوَّلَهُ ، فَإِنَّ بَقِيَّةَ عُمْرِ الْمُؤْمِنِ لَا قِيَمَةَ لَهُ . فَرَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا اغْتَنَمَ أَيَّامَ
الْقُوَّةِ وَالشَّبَابِ ، وَأَسْرَعَ بِالتَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ قَبْلَ طَيِّ الْكِتَابِ ، وَأَخَذَ نَصِيباً مِنَ
الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ ، قَبْلَ أَنْ يَتَمَنَّى سَاعَةً وَاحِدَةً مِنْ سَاعَاتِ الْحَيَاةِ . أَيْنَ مَنْ
كَانَ قَبْلَكُمْ فِي الْأَوْقَاتِ الْمَاضِيَةِ ، أَمَا وَافَتْهُمْ الْمَنَايَا وَقَضَّتْ عَلَيْهِمُ الْقَاضِيَةَ ، أَيْنَ
آبَاؤُنَا وَأَيْنَ أُمَّهَاتُنَا أَيْنَ أَقَارِبُنَا ، وَأَيْنَ جِيرَانُنَا ، أَيْنَ مَعَارِفُنَا وَأَيْنَ أَصْدِقَائُنَا . رَحَلُوا
إِلَى الْقُبُورِ وَقَلَّ وَاللَّهُ بَعْدَهُمْ بُقَاؤُنَا . هَذِهِ دُورُهُمْ فِيهَا سِوَاهُمْ ، هَذَا صَدِيقُهُمْ قَدْ
نَسِيَهُمْ وَجَفَاهُمْ . أَخْبَارُهُمُ السَّالِفَةُ تُزْعَجُ الْأَلْبَابَ ، وَأَذْكَارُهُمْ يَصْدَعُ قُلُوبَ
الْأَحْبَابِ . وَأَحْوَالُهُمْ عِبْرَةٌ لِلْمُعْتَبِرِينَ . فَتَأَمَّلُوا أَحْوَالَ الرَّاحِلِينَ ، وَاتَّعَظُوا بِالْأُمَمِ
الْمَاضِيَةِ ، لَعَلَّ الْقَلْبَ الْقَاسِيَّ يَلِينُ . وَانْظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ مَا دُمْتُمْ فِي زَمَنِ
الْإِمْهَالِ ، وَاعْتَنِمُوا فِي حَيَاتِكُمْ صَالِحَ الْأَعْمَالِ ، قَبْلَ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي

على ما فَرَطْتُ في جَنِبِ الله ، فيقال هَيَّاتِ فَاتَّ زَمَنُ الْإِمْكَانِ ، وَحَصَلَ
 الْإِنْسَانُ عَلَى عَمَلِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ عَصِيَانٍ . فنسألك اللهم يا كريم يا منان ، أن تحتم
 أعمالنا بالعمفو والغفران ، والرحمة والجلود والامتنان ، وأن تجعل وقتنا مباركاً حميداً ،
 وترزقنا فيه رزقاً واسعاً وتوفيقاً وتسديداً . اللهم اختم بالصالحات أعمالنا ،
 وأصلح لنا جميع أحوالنا .

اللَّهُمَّ يَا مَنْ عَمَّ الْبَرِيَّةَ جُودُهُ وَإِنْعَامُهُ نَسْأَلُكَ أَنْ تَتَفَضَّلَ عَلَيْنَا بِعَفْوِكَ
 وَغُفْرَانِكَ ، وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
 الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

١٢٣ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ النَّاسَ فِي هَذَا الزَّمَنِ لَمْ يَعْرِفُوا رَبَّهُمْ الْمَعْرِفَةَ الَّتِي
 تَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ وَلَوْ عَرَفُوهُ حَقَّ الْمَعْرِفَةِ لَمْ يَكُونُوا بِهَذِهِ الْحَالِ لِأَنَّهُ مَنْ
 كَانَ بِاللَّهِ أَعْرَفَ كَانَ مِنْهُ أَخَوْفَ إِنَّ الْعَارِفَ بِاللَّهِ يَخْشَاهُ فَتَعَقُّلُهُ هَذِهِ
 الْخَشْيَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ عَمَّا لَا يَنْبَغِي مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :
 ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

الْعَارِفُ بِاللَّهِ لَا يَجْرُؤُ أَنْ يُحَرِّكَ لِسَانَهُ بِكَلِمَةٍ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ أَفْعَالٍ
 أَوْ أَقْوَالٍ كَالْغِيْبَةِ وَالنِّمْمَةِ وَالْكَذِبِ وَالْقَذْفِ وَالْفِسْقِ وَالسُّخْرِيَّةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ
 وَنَحْوِ ذَلِكَ وَلَا يَسْتَعْمِلُ عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِهِ فِي عَمَلٍ لَيْسَ بِحَلَالٍ بَلْ
 يَكْفُ بَصَرَهُ وَسَمْعَهُ وَيَدَهُ وَرِجْلَهُ عَنِ الْمُحَرَّمَاتِ لِأَنَّهُ يُؤْمِنُ حَقَّ الْإِيمَانِ
 بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا مَهْمَا تَخْفَى وَتَسْتَرَّ الْعَبْدُ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَرَاهُ .

والْعَارِفُ بِاللَّهِ لَا يَنْطَوِي عَلَى رَذِيلَةٍ كَالْكِبْرِ وَالْحَقْدِ وَالْحَسَدِ وَسُوءِ
 الظَّنِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الرَّذَائِلِ الْمُنْقُوتَاتِ لِأَنَّهُ يُصَدِّقُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ

شيء في الأرض ولا في السماء وأنه يعلم ما تكنه الصدور ، كما يعلم
 العلانية ، فلا يستريح العارف حتى يكون باطنه كظاهيره مطهراً من كل
 فحشاء وكذلك لا تسمع من فم العارف عند نزول المصائب والبلايا
 والشدائد إلا الحسن الجميل فلا يغضب لموت عزيز أو فقد مال أو
 مرض شديد طويل لأنه يعلم أن غضبه وتسخطه يفوت عليه أجره ولا يرد
 ما فات كما قيل :

لا تلقَ دهرَكَ إلا غيرَ مُكثِرِثٍ
 ما دَامَ يَضْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ
 فَمَا يَدُومُ سُرُورُ مَا سُرِرْتَ بِهِ
 وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتُ الْحَزَنُ

ولا يتأس العارف من زوال شدة مهما استحكمت فإن الفرج بيد

الله الذي قال وقوله الحق إن مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً ولا يتأس
 من حصول خير مهما سماً وابتعد لأنه يؤمن أن الأمر بيد من إذا أراد
 شيئاً قال له كن فكان وإن بدا محالاً في نظر الجهلاء ولا يقنط العارف
 ولا يقنط مؤمناً من رحمة الله التي وسعت كل شيء وإن كانت ذنوبه
 أمثال الجبال والرمال ولا يؤمن العارف مستقيماً من العذاب مهما كان
 العمل من الصالحات لأنه يصدق أنه يغير الذنوب جميعاً وأنه له الحجة
 البالغة وأن القلوب بين أصبعين من أصابعه جل وعلا فلا تغفل عن ذلك
 وإن أهمله الكثير من الناس .

★ ★ ★

اللَّهُمَّ ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَهَبْ لَنَا تَقْوَاكَ وَاهْدِنَا بِهِدَاكَ وَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَحَدٍ سِوَاكَ وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا ، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا اللَّهُمَّ اعِدْنَا بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَبِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَاحْفَظْ جَوَارِحَنَا مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِكَ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

١٢٤ موعظة

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَعْظِيمِ رَبَّنَا جَلَّ وَعَلَا تَعْظِيمُ كُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَذَلِكَ مِنْ أَصُولِ الْإِيمَانِ فَمَنْ اسْتَخَفَّ بِكِتَابِ اللَّهِ أَوْ آيَةٍ مِنْهُ أَوْ اسْتَخَفَّ بِرُسُلِهِ خَسِرَ كُلَّ الْخُسْرَانِ عِبَادَ اللَّهِ أَيْنَ الْغَيَرَةُ الدِّينِيَّةُ كُلَّ يَوْمٍ نَجِدُ الْكُتُبَ الَّتِي تَحْتَوِي عَلَى التَّوْحِيدِ وَعَلَى الْآيَاتِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَعَلَى الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ مُلَقَاتٍ مَعَ الْقَمَائِمِ وَفِي الْحُفْرِ الْقَدِيرَةِ تُدَاسُ بِالنُّعَالِ وَتُلَوَّثُ بِالْأَقْدَارِ تُلَوَّثُ تَلَوِثًا تَسْتَعِثُّ مِنْهُ الْعَوَاطِفُ الْإِيمَانِيَّةُ أَلَيْسَ هَذَا مِنَ الْمُنْكَرَاتِ لِمَاذَا لَا تُصَانُ وَتُرْفَعُ أَوْ تُقْبَرُ فِي مَحَلٍّ طَاهِرٍ .

قُولُوا لِمَنْ يُلْقِيهَا وَلِمَنْ يَقْدِرُ عَلَى مَنْعِهِمْ مِنَ الْقَائِلِهَا اتَّقُوا اللَّهَ هَذِهِ حَالَةُ وَاللَّهِ تُوَلِّمُ النُّفُوسَ وَتُسَمِّتُ بِنَا الْأَعْدَاءِ قُولُوا لَهُمْ كَيْفَ تَسْمَحُ نَفُوسُكُمْ تُلْقُونَهَا هَذَا الْإِلْقَاءُ الْحَقِيرَ وَكَذَلِكَ كُتُبُ فِقْهِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا آيَاتٌ وَلَا أَحَادِيثٌ يَنْبَغِي احْتِرَامُهَا وَرَفْعُهَا .

وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي التَّنْبِيهُ عَلَى بَعْضِ الْكُتُبِ الَّتِي جُمِعَ وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ بِهَا مَعَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ وَالْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ صُورَ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ وَقَدْ تَكُونُ فَوْقَ الْآيَةِ خُصُوصًا إِذَا أَطْبِقَ الْكِتَابُ وَهَذَا وَاللَّهُ اسْتِهَانَةٌ عَظِيمَةٌ وَاسْتِخْفَافٌ

بِالآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ وَالْكِتَابِ الدِّينِيَةِ لَا يَجُوزُ السَّكُوتُ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ الْمُزْرِيَةِ .

وَمِمَّا يَنْبَغِي التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ هُوَ عَدَمُ وَضْعِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ فِي

الْجَرَائِدِ بَلْ يَشَارُ إِلَى مَحَلَّاتِهَا وَأَرْقَامِهَا لِأَنَّ الْجَرَائِدَ صَارَتْ قِسْمَ كَبِيرٍ مِنْ قُمَّامَةِ الْمَحَلَّاتِ وَفِيهَا صُورُ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ وَهَذِهِ حَالَةٌ مُخِيفَةٌ إِنْ دَامَتْ مَعَ مَا انْتَشَرَ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ وَالْمَعَاصِيِ الَّتِي مَلَأَتْ الْبِرَّ وَالْبَحْرَ يُخْشَى أَنْ تُحِيطَ بِهِمْ عُقُوبَتُهَا .

نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُنَجِّنَنَا مِنْ عُقُوبَتِهَا وَأَنْ يُوقِضَ وَلَاتَنَا وَيُنَبِّهَهُمْ لِزَالَتِهَا وَتَطْهِيرِ الْأَرْضِ مِنْهَا إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ وَلَا أَرَى مَخْلَصًا لِلنَّاسِ الَّذِي قَدْ ابْتُلِيَ بِشِرَاءِ الْجَرِيدَةِ حَمَالَةً الْكَذِبِ قَتَالَةَ الْوَقْتِ إِلَّا أَنَّهُ يُخْرِقُهَا مِنْ حِينَ يَخْلَصُ مِنْ قِرَاءَتِهَا لِيَسْلَمَ مِنْ بَاقِي شُرُورِهَا وَأَوْرَارِهَا .

وَسَوْفَ يُنَاقَشُ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنِ الْوَقْتِ الَّذِي ضَيَّعَهُ فِيهَا وَالْمَالُ الَّذِي أَنْفَقَهُ فِيهَا وَمَا حَصَلَ بِسَبَبِهِ عَلَى الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي فِيهَا مَنْ الْأَسْتِهَانَةُ وَالْإِمْتِهَانُ وَخُرَاجُ الْمَلَائِكَةِ عَنِ الْمَحَلِّ الَّتِي وَضَعَهَا فِيهِ إِذَا كَانَ فِيهَا صُورُ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ حَيْثُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ .

اللَّهُمَّ أَنْظِمْنَا فِي سَبِيلِكَ جِزْيَكَ الْمُفْلِحِينَ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الْمُخْلِصِينَ وَأَمِنَّا يَوْمَ الْفَرَجِ الْأَكْبَرِ يَوْمَ الدِّينِ ، وَاحْشُرْنَا مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

١٢٥ موعظة

عِبَادَ اللَّهِ لَا شَيْءَ أَعْلَى عَلَيْكُمْ مِنْ أَعْمَارِكُمْ وَأَنْتُمْ تُضَيِّعُونَهَا فِيمَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ . وَلَا عَدُوٌّ أَعْدَى لَكُمْ مِنْ إِبْلِيسَ وَأَنْتُمْ تُطِيعُونَهُ ، وَلَا أَضَرُّ عَلَيْكُمْ مِنْ مُوَافَقَةِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ وَأَنْتُمْ تُصَادِقُونَهَا ، لَقَدْ مَضَى مِنْ أَعْمَارِكُمُ الْإِطَائِبُ ، فَمَا بَقِيَ بَعْدَ شَيْبِ الذَّوَائِبِ .

يَا حَاضِرَ الْجِسْمِ وَالْقَلْبُ غَائِبٌ ، اجْتِمَاعُ الْعَيْبِ مَعَ الشَّيْبِ مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ ، يَمْضِي زَمَنُ الصَّبَا فِي لَعِبٍ وَسَهْوٍ وَغَفْلَةٍ ، يَا لَهَا مِنْ مَصَائِبِ ، كَفَى زَاجِرًا وَاعِظًا تَشْيِبُ مِنْهُ الذَّوَائِبِ ، يَا غَافِلًا فَاتَهُ الْأَرْبَاحُ وَأَفْضَلُ الْمَنَاقِبِ ، أَيْنَ الْبُكَاءُ وَالْحَزَنُ وَالْقَلْقُ لِخَوْفِ الْعَظِيمِ الطَّالِبِ أَيْنَ الزَّمَانُ الَّذِي فَرُطَتْ فِيهِ وَلَمْ تَخْشَ الْعَوَاقِبَ ، أَيْنَ الْبُكَاءُ دَمًا عَلَى أَوْقَاتِ قُتِلَتْ عِنْدَ التَّلْفِيزِيُونِ وَالْمِذْيَاعِ وَالْكُرَّةِ وَالسِّيْنَمَاءِ وَالْفِيدِيُو وَالْخَمْرِ وَالْدُّخَانِ وَالْمَلَاعِبِ .

كَمْ فِي يَوْمِ الْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ مِنْ دَمْعٍ سَاكِبٍ عَلَى ذُنُوبٍ قَدْ حَوَاهَا كِتَابُ الْكَاتِبِ ، مَنْ لَكَ يَوْمَ يَنْكَشِفُ عَنْكَ غِطَاؤُكَ فِي مَوْقِفِ الْمُحَاسِبِ ، إِذَا قِيلَ لَكَ مَا صَنَعْتَ فِي كُلِّ وَاجِبٍ ، كَيْفَ تَرْجُو النِّجَاةَ وَأَنْتَ تَلْهُو بِأَسْرِ الْمَلَاعِبِ ، لَقَدْ ضَيَّعْتَكَ الْأَمَانِي بِالظَّنِّ الْكَاذِبِ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْمَوْتَ صَعْبُ شَدِيدُ الْمَشَارِبِ ، يُلْقِي شَرَّةً بِكَاسٍ صُدُورِ الْكَتَائِبِ ، وَأَنَّهُ لَا مَفَرَّ مِنْهُ لِهَارِبٍ فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ وَاتَّقِ اللَّهَ أَنْ تَبْقَى سَلِيمًا مِنَ النَّوَائِبِ فَقَدْ بَنَيْتَ كَنْسَجَ الْعَنْكَبُوتِ بَيْنًا أَيْنَ الَّذِينَ عَلَوْا فَوْقَ السُّفْنِ وَالْمَرَائِكِبِ أَيْنَ الَّذِينَ عَلَوْ عَلَى مُتُونِ النِّجَائِبِ ، هَجَمَتْ عَلَيْهِمُ الْمَنَابِيَا فَاصْبَحُوا تَحْتَ النَّصَائِبِ وَأَنْتَ فِي أَثَرِهِمْ عَنْ قَرِيبٍ عَاطِبٍ ، فَانْظُرْ وَتَفَكَّرْ

وَاعْتَبِرْ وَتَذَكَّرْ قَبْلَ هُجُومٍ مَّنْ لَا يَمْنَعُ عَنْهُ حَرَسٌ وَلَا بَابٌ وَلَا يَفُوتُهُ هَرَبٌ
هَارِبٌ .

شِعْراً :

وَكَيْفَ قَرَّتْ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْيُنُهُمْ
أَوْ اسْتَلَذُّوا لَذِيذَ النَّوْمِ أَوْ هَجَعُوا
وَالْمَوْتُ يُنْذِرُهُمْ جَهْراً عَلَانِيَةً
لَوْ كَانَ لِلْقَوْمِ أَسْمَاعٌ لَقَدْ سَمِعُوا
وَالنَّارُ ضَاحِيَةٌ لَا بُدَّ مَوْرِدُهُمْ
وَلَيْسَ يَذْرُونَ مَنْ يَنْجُو وَمَنْ يَقَعُ
قَدْ أُمِسَّتِ الطَّيْرُ وَالْأَنْعَامُ آمِنَةً
وَالنَّوْنُ فِي الْبَحْرِ لَا يُخْشَى لَهَا قَزَعُ
وَالْأَدَمِيُّ بِهَذَا الْكَسْبِ مُرْتَهَنٌ
لَهُ رَقِيبٌ عَلَى الْأَسْرَارِ يَطْلُعُ
حَتَّى يُرَى فِيهِ يَوْمَ الْجَمْعِ مُنْفَرِداً
وَحُضْمُهُ الْجِلْدُ وَالْأَبْصَارُ وَالسَّمْعُ
وَإِذَا يَقُومُونَ وَالْأَشْهَادُ قَائِمَةٌ
وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ وَالْأَمَلَاكُ قَدْ خَشَعُوا
وَطَارَتْ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي مُنْشَرَةً
فِيهَا السَّرَائِرُ وَالْأَخْبَارُ تُطْلَعُ
فَكَيْفَ بِالنَّاسِ وَالْأَنْبَاءِ وَاقِعَةٌ
عَمَّا قَلِيلٍ وَمَا تَذِيرِي بِمَا تَقَعُ

أَفِي الْجَنَانِ وَفَوْزٍ لَا انْقِطَاعَ لَهُ
 أَمْ فِي الْجَحِيمِ فَلَا تَبْقَى وَلَا تَدْعُ
 تَهْوِي بُسْكَانَهَا طَوْرًا وَتَرْفَعُهُمْ
 إِذَا رَجَوْا مَخْرَجًا مِنْ غَمِّهَا قُمِعُوا
 طَالَ الْبُكَاءُ فَلَمْ يَنْفَعْ تَضَرُّعُهُمْ
 هَيْهَاتَ لَا رِقَّةَ تُغْنِي وَلَا جَزْعُ

اللهم ثَبِّتْ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَقَوِّهَا وَنَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا
 هَذَاهُ مُهْتَدِينَ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ
 وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى
 اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

١٢٦ مَوْعِظَةٌ

كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى الْقُرَظِيِّ أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ
 تَعِظُنِي وَتَذَكُرُ مَا هُوَ لِي حَقٌّ وَعَلَيْكَ حَقٌّ وَقَدْ أَصَبْتَ بِذَلِكَ أَفْضَلَ الْأَجْرِ
 أَنَّ الْمَوْعِظَةَ كَالصَّدَقَةِ بَلْ هِيَ أَعْظَمُ أَجْرًا وَأَبْقَى نَفْعًا وَأَحْسَنُ ذُخْرًا
 وَأَوْجِبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ حَقًّا ، لِكَلِمَةٍ يَعِظُ بِهَا الرَّجُلُ أَخَاهُ لِيَزْدَادَ بِهَا فِي
 هُدًى رَغْبَةً خَيْرٍ مِنْ مَالٍ يَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ بِهِ إِلَيْهِ حَاجَةٌ وَلَمَّا يُدْرِكُ
 أَخُوكَ بِمَوْعِظَتِكَ مِنَ الْهُدَى خَيْرٌ مِمَّا يَنَالُ بِصَدَقَتِكَ مِنَ الدُّنْيَا وَلَآنَ يَنْجُو
 رَجُلٌ بِمَوْعِظَتِكَ مِنْ هَلَكَةٍ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَنْجُو بِصَدَقَتِكَ مِنْ فَقْرٍ .

فَعِظْ مَنْ تَعِظُ لِقَضَاءِ حَقِّكَ عَلَيْكَ وَاسْتَعْمِلْ كَذَلِكَ نَفْسَكَ حِينَ تَعِظُ

وَكُنْ كَالطَّيِّبِ الْمُجَرَّبِ الْعَالِمِ الَّذِي قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ إِذَا وَضَعَ الدَّوَاءَ حَيْثُ لَا
يَنْبَغِي أَغْنَتْ نَفْسُهُ وَإِذَا أَمْسَكَ مِنْ حَيْثُ يَنْبَغِي جَهَلَ وَأَيْتَمَ وَإِذَا أَرَادَ أَنْ
يُدَاوِيَ مَجْنُونًا لَمْ يَدَاوِهِ وَهُوَ مُرْسَلٌ حَتَّى يَسْتَوْثِقَ مِنْهُ وَيُوثِقَ لَهُ خَشْيَةً أَنْ لَا
يَبْلُغَ مِنْهُ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَتَّقِي مِنْهُ مِنَ الشَّرِّ وَكَانَ طِبُّهُ وَتَجَرِبَتُهُ مِفْتَاحَ عَمَلِهِ
وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يُجْعَلِ الْمِفْتَاحُ عَلَى الْبَابِ لِكَيْمَا يُغْلَقَ فَلَا يُفْتَحَ أَوْ يُفْتَحَ فَلَا
يُغْلَقَ وَلَكِنْ لِيُغْلَقَ فِي حِينِهِ وَيُفْتَحَ فِي حِينِهِ . الْمُهْمُ الْإِخْلَاصُ فِي النَّصِيحِ .

وَكُنْ نَاصِحًا لِلْمُسْلِمِينَ جَمِيعِهِمْ
بِأَرْشَادِهِمْ لِلْحَقِّ عِنْدَ خَفَائِهِ
وَمُرْهُمْ بِمَعْرُوفِ الشَّرِيعَةِ وَأَنْهَهُمْ
عَنِ السُّوءِ وَارْجُرْ ذَا الْخَنَا عَنْ خَنَائِهِ
وَعِظْهُمْ بِآيَاتِ الْكِتَابِ بِحِكْمَةٍ
لَعَلَّكَ تُبْرِئِي دَاءَهُمْ بِدَوَائِهِ
فَإِنْ يَهْدِ مَوْلَانَا بِوَعِظِكَ وَاحِدًا
تَنَلْ مِنْهُ يَوْمَ الْحَشْرِ خَيْرَ عَطَائِهِ
وَلَا فَقَدْ أَذِيتَ مَا كَانَ وَاجِبًا
عَلَيْكَ وَمَا مُلَكْتَ أَمْرَ اهْتِدَائِهِ

اللَّهُمَّ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْعَفْلَةِ وَنَبِّهْنَا لِأَغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهْلَةِ وَوَفِّقْنَا
لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَذُنُوبِنَا وَلَا تَوَآخِذْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا
وَكَتَبَتْهُ سَرَائِرُنَا وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

١٢٧ موعظة

عِبَادَ اللَّهِ تَزَوَّدُوا لِلرَّحِيلِ فَقَدْ ذَنَّتِ الْأَجَالُ وَاجْتَهِدُوا وَاسْتَعِدُّوا
لِلرَّحِيلِ فَقَدْ قَرَّبَ الْاِزْتِحَالُ وَمَهَّدُوا لِأَنْفُسِكُمْ صَالِحَ الْأَعْمَالِ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ
أَذْنَتْ بِالْفِرَاقِ وَإِنَّ الْآخِرَةَ قَدْ أَشْرَفَتْ لِلتَّلَاقِ فَتَزَوَّدُوا مِنْ دَارِ الْاِئْتِقَالِ إِلَى
دَارِ الْقَرَارِ .

وَاسْتَشْعِرُوا التَّقْوَى فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَأَحْذَرُوا التَّفَاخُرَ وَالتَّكَاثُرَ
فِي الدُّنْيَا بِجَمْعِ الحُطَامِ وَاِكْتِسَابِ الْاِثَامِ وَإِيَّاكُمْ وَالْاِغْتِرَارَ بِالْأَمَالِ
فَوَرَاءَكُمْ الْمَقَابِرَ ذَاتِ الْوَحْشَةِ وَالْهُمُومِ وَالْغُمُومِ وَالْكَرْبَاتِ وَتَضَايِقِ
الْأَنْفَاسِ وَالْأَهْوَالِ الْمُفْضِعَاتِ .

فَسَوْفَ تَرَوْنَ مَا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ فِي حِسَابٍ إِذَا نُودِيْتُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ
حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي وَتَعَلَّقُ الْمَظْلُومُونَ بِالظَّالِمِينَ وَوَقَفْتُمْ
بَيْنَ يَدَيِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحُلَّ بِكُمْ كَرْبُ الْمَقَامِ وَاشْتَدَّ بِالْخَلْقِ فِي ذَلِكَ
الْمَوْقِفِ الزَّحَامُ وَأُخِذَ الْمَجْرِمُونَ بِالنَّوَاصِي وَالْاِقْدَامِ وَبَرَزَتْ جَهَنَّمُ تُقَادُّ
بِسَبْعِينَ أَلْفٍ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْهَرُونَهَا وَالْحَزَنَةُ
حَوْلَهَا غِلَاطٌ شِدَادٌ .

وَيُنَادِي عِنْدَ ذَلِكَ الْعَزِيزُ الْحَمِيدُ الْجَبَّارُ فَيَقُولُ هَلْ اِمْتَلَأْتَ وَتَقُولُ
هَلْ مِنْ مُزِيدٍ هُنَالِكَ يَنْخَلِيعُ قَلْبُكَ وَتَتَذَكَّرُ مَا فَرَّطْتَ فِيهِ مِنَ الْأَوْقَاتِ وَتَتَنَدَّمُ
وَلَاتَ سَاعَةً مَنَدِمٍ وَتَتَمَنَّى أَنْ لَوْ زِيدَ فِي الْحَسَنَاتِ وَخُفِفَ مِنَ السَّيِّئَاتِ
وَلَكِنْ أَنَّى لَكَ بِهَذَا وَهِيَئَاتِ ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى
اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ .

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِلْاِسْتِعْدَادِ لِمَا أَمَّانَا ، اللَّهُمَّ وَقَّوِيْ اِيْمَانَنَا بِكَ
وَبِمَلَايِكَتِكَ وَبِكُتُبِكَ وَبِرُسُلِكَ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، اللَّهُمَّ
نُورِ قُلُوبَنَا وَاشْرَحْ صُدُورَنَا وَوَفَّقْنَا لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ وَالْهَمْنَا ذِكْرَكَ وَشُكْرَكَ
وَأَعِزَّنَا مِنْ عَدُوِّكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللّٰهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

١٢٨ (خُطْبَةٌ)

الحمد لله الذي أبدع الكائنات المتنوعات على غير نظير ومثال وأتقن جميع
المصنوعات فما يرى فيها تفاوت ولا إخلال وجعلها على قدرته ووحدانيته
آيات دوال ألا له الخلق والأمر لا اله إلا هو الكبير المتعال جواد لا يبخل وغني
لا يفقر وكريم يتدىء بالاحسان قبل السؤال .

بيده الخير كله فله الحمد على كل حال وفي كل حال أحمده سبحانه على
نعمه الجزال وأشكره والشكر لشوارد النعم أوثق عقال وأشهد أن لا اله الا
الله وحده لا شريك له في ربوبيته ولا ألوهيته وما له من صفات الكمال ونعوت
الجلال .

شهادة تنفي الشرك وتنافي الضلال أرجوه أن يحتم بها حياتي يوم الرحيل من
الدنيا والانتقال وأن يؤمني بها من كربات ذلك اليوم وما بعده من الشدائد
والأهوال .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وحببيه وخليله أفضل من تطوع
وقال وأشرف من خص بأشرف مقامات الارسال أرسله والكفر قد اشتد فزال
وظلام الضلال متراكم فانبجأ فأضحت به الحقيقة مشرقة لا لبس فيها ولا
إشكال، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آلِهِ وأصحابه خير
صحب وآل الذين اعتدل بهم قوام هذا الدين أتم اعتدال صلاة وسلاماً يبلغانهم
من ربهم نهاية الآمال .

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى فان تقواه عليها المعول وعليكم بما كان عليه السلف الصالح والصدر الأول واشكروه على ما أولاكم من الانعام والاحسان وخول وصرّف عنكم المكروه وزول وتهياؤا لا حيل فقد شدت لكم الرحال .

واجتهدوا في أسباب التحويل قبل أن يدهمكم يوم الارتحال وازهدوا في هذه الدنيا فمتاعها قليل ووعدا غرور ومآلا إلى الزوال واعلموا أنكم لم تخلقوا لجمع المال ولا لعمران دار الفناء والتطاول في الآمال .

وانما خلقكم الله لتعبوده وركب فيكم العقول لتوحدوه وأنزل عليكم القرآن لتبعوه وأرسل اليكم الرسول لتطيعوه فانهضوا لما خلقكم الله له واعملوا صالحا فسيجزى كل عامل ما عمله .

واعلموا أن مع كل شباب هرماً ومع كل صحة سقماً ومع كل حياة موتاً فخذوا من شبابكم لهرمكم ومن صحتكم لسقمكم ومن وجودكم لعدمكم قبل أن تقطع عنكم الأسباب ويختم على ما فيها من حسن أو قبيح الكتاب ويصبح عامر الدنيا منكم وهو خراب وتستبدلوا بمشيد البنيان حفراً مظلمة تحت التراب .

فقد قصر سعي من كانت خطاه معدودة وسفه رأي من كان هواه معبوده وقل حاصل من جمع الحطام وورثه الأكال بينما أحدكم يلهو في أسبابه ويخط في سرباله ويزهو باعجابه ولا يخطر الموت بباله إذ صدع المرض هامته وأحال الدهر قامته ذات الاعتدال ففتت الوجع في أعضاده وقطعت الصحة حبل وداده وأصبح يندب ما يسفر عنه من الأهوال .

والنفوس لسوء منظره تجزع والقلوب للفكر في مصرعه تخشع وعيون أهله على فرقته في انهمال . هذا وهو بين يدي ربه محضر والروح تتصعد في حلقومه وتتحدر والأرض قد استعدت لدفن جثته إلى يوم المآل فاتقوا الله ونبهوا من غفل ولها .

واستعدوا لهذه النازلة فالسعيد من استعد لها وودّعوا شهركم هذا بما ينفعه من صالح الأعمال فقد مضى شهركم المحرم وأنتم عنه في المقال فليت شعري

هل فيكم من تجافى جنبه عن المضاجع في تلك الليال أو تذكر ما يعود نفعه عليه في يوم تشيب فيه الأطفال .

فتداركوا رحمكم الله ما فات في هذه الحصة وتجرعوا مياه الندم عسى أن تسيغوا بها ما للذنوب من غصة فعسى أن يمن الكريم بالمساحة والقبول والاقبال وسلوه سبحانه العفو والعافية واللفظ بكم في السر والعلانية فانه لا يخفى عليه شيء من الأقوال والأفعال والأعمال .

وفقني الله وإياكم لعمل الساعين الأبرار وجنينا طريق أهل التَّجَاب والخسار إنَّ أحسن القصص والاعتبار كلام الملك العزيز الغفار والله تعالى يقول وبقوله يهتدي المهتدون وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام ، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد سرايلهم من قطران وتغشى وجوههم النار، ليجزي الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب ، هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولو الألباب) بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول قولي هذا الخ .

١٢٩ (خطبة)

الحمد لله الذي جاد على العباد وتكرم وأغنى وأفقر وأهان وأكرم وأوجد الأشياء كما شاء ثم أعدم وأشقى وأسعد وآخر وقدم وأما وأحيا وعافى وأسقم وأحب وكره ورضى وسخط وعفا وانتقم وقدر ودبر وقسم وأقسم واطلع على ما يسر وعلم ما يكم وخاطب أولي الألباب من يعقل ويفهم وأمر ونهى وأباح وحرم وجعل مبدأ كل عام الشهر المحرم .

أحمده على أن شرفنا بمحمد ﷺ على سائر العرب والعجم وأشكره على أن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس فهي خير الأمم وأشهد أن لا إله إلا الله

وحده لا شريك له إله عز فحكم وأحصى كل شيء عدداً وأحاط به علماً
وأجرى به القلم .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بنور ساطع وحق قاطع وعلم نافع
فرفع الله به عمود الإسلام فاستم وأذل به عباد الأصنام وقصم وضعضع به
همة كل كافر وهدم . اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه
وسلم وشرف وكرم وعظم .

أما بعد : فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى وأطيعوه فان تقوى الله شعار المؤمنين
ودثار المتقين ووصية الله في فيكم أجمعين أيها الناس إن أملككم البقاء في هذه
الدار لمن أوضح وجوه الاغترار وان عملكم فيها لغير ذي العزة والجلال لقاضٍ
بالحلقة والبوار .

ألا فالخطوها كما لخطها العارفون والفظوها كما لفظها الخائفون وشدوا
للرحلة أكوام الاعتزام وجدوا للنقلة فكأن قد هجم الحمام ، فاعتبروا بما تدور
به الليالي والأيام وما تجول به الساعات والأعوام .

فهذا شهر المحرم قد أناخ بربروعكم وخيم بجموعكم يستحثكم على
الاعتبار ويحملكم على النحيب والاستغفار هو أول شهور السنة في التحريم
وأحقها بالتفضيل والتكريم وعاشره خصه الله بالصيام والتعظيم .

فاستقبلوا الله فيه لعنراتكم واستغفروه لسيئاتكم واسألوه أن يوفر لكم
من بركة ستتكم أقسامكم وقد مضت من مدة الحياة سنة تدني إلى ورود الوفاة
فتداركوا أنفسكم بالتوبة قبل الفوات وتعرفوا إلى الله في الرخاء يعرفكم في
الشدات ويدفع عنكم البليات فالسعيد من استودع مدة عمره صالحاً من عمله
والشقي من شهدته عليه بقيق زلله وان امرأ تنقضي بالبطالة أوقاته وتمضي
بالجهالة ساعاته لجدير أن يطول على نفسه بكاؤه ويدوم في طلب التخلص عناؤه
ويكثر من أمهله حياؤه .

فانتبه أيها العبد لأيام شبابك قبل فراق أحبابك واحفظ أيام عمرك قبل
حلول قبرك واغتم أيام حياتك قبل أوان وفاتك فإن العمر بالسنين ينهب والأجل

بمرور الليل والنهار يذهب أين من أمل أن يرى هذا العام ويشاهد هذه الأيام .

ذهبوا والله سراعاً لدار البقاء وسلبهم مريم الموت لذيق العيش فما وقى ولا نفع عنهم ما ادخر من المال واقتنى ونودي مطمئنهم فأسرع وماونى وأصبح عاصيهم أسير الغنى وبقي مجرمهم رهين ما جنى وهذا أمر يبعده الأمل عليك وهو والله قد دنا .

فلما متى أيها الغافل تشتغل بفنون تعليلك وأنت في قرب نقلتك ورحيلك أما الأيام والليالي تسرع بك إلى مصيرك فبادر عمرك فانه ينتهب في بكورك وأصيلك أين الذي طلبه الموت فأعجزه وأين الذي تحصن في قصره المشيد فما أخرجه وأبرزه وأي متكرر بالخنود والأعوان ما وحده وأي متعزز بالعشائر والقبائل ما أفرده .

أما أخذ الآباء والأجداد أما سلب الشباب والأولاد أما ملأ القبور والاحداد أما حال بين المرید والمراد أما فرق بين الأحبة وقطع الوداد أما أرمل النساء وأيتم الأولاد أما تتبع قوم تبع وعاد على عاد .

فاحذر يا مسكين أن يأتبك وأنت على الفساد يا قليل التفكير في مصيره وماله يا مستأنساً بداره مغترأ بماله يا ناسياً عييه معرضاً عن إصلاح حاله يا من سيطول سفه ولم يتزود لارتحاله يا حاملاً لوزره راضياً بأثقاله أسفاً لك لم تزود غير الكفن إلى قبرك ولم يصحبك ما اعتمدته من عزك وكثرك .

وأصبحت أسيراً بعد نهيك وأمرك . وقدمت على ضياع أيامك وساعات عمرك وأخرجت ذليلاً من حرملك وقصرك وبعد عنك من كنت ترجوه عند الشدائد لنصرتك . أخني لقد نصحتك والمولى لا يخفاه سرك وجهرك جعلني الله وإياكم ممن سابق إلى رضاه فاستقاله مما جناه فلم يؤثر على لزوم طاعته شيئاً سواه .

إن أحسن ما نطق به متكلم وأبلغ ما أصغى اليه مستفهم كلام من لا يقع في ربوبيته توهم والله تعالى يقول وبقوله يهتدي المهتدون وإذا قرىء القرآن القرآن فاستمعوا وأنصتوا لعلكم ترحمون .

أعوذ الله من الشيطان الرجيم (واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم الخ ...

١٣٠ (خطبة)

الحمد لله الذي حدد الأعوام عاماً فعاماً . وحددها شهوراً وجمعاً وأياماً . وأجرى على حسب ذلك الآجال والأرزاق على مقتضى الحكمة والتدبير وافتتح كل عام بهذا الشهر المحرم وجمّله بيوم عاشوراء المبجل المعظم الذي فضله في الجاهلية والإسلام شهر .

أحمده سبحانه على نعمه التي لا تحصى وأشكره على مننه التي لا تستقصى وأسأله تعالى اللطف فيما جرت به المقادير وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المتعالي عن المشاركة والمشاكلة المتزه عن كل ما يخطر بالبال والضمير .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وحبيبه وخليله الذي هدى الله الأمة بسراج هديه النير اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك محمد الكريم المصطفى المختار الممجّد وعلى آله وأصحابه ذوي المقام الرفيع والفضل الكبير .

أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى فقد دارت الأيام بتجدد الأعوام وأنتم في مهاد الأيام قعود وسارت الركبان إلى رضا الرحمن وأنتم عن موجبات الغفران قعود وتسابقت الفرسان إلى ميدان الاحسان وعاقبكم الشيطان عن المسير .

فما هذه السّهوة عن الدار الآخرة وهي المآب والمقر وما هذه الشهوة والتجارة خاسرة ولا محيص عن الحساب ولا مفر وما هذه الغفلة وقد فاز المتيقظون أهل التشمير أتعتقدون أن لا موت ولا قيامة أم تظنون أن الله ينسى ذنباً أو ظلاماً .

كلاً بل هو القاهر المحصي العليم الخبير ألا تعلمون أن تعاقب الأيام على
فناء الانام أمانة وإن تناوب الآلام ولقاء الاسقام دليل على أن الحياة معارة وإن
كل نفس تساق إلى أجلها وتسير .

وهذا عام جديد نزل بكم فأكرموا نزله وحل فيكم بجلل الايقاظ فالبسوا
حلله وظل يومىء اليكم ببيان الانذار ويشير ما من يوم يمر إلا وهو يناديكم
بلسان حاله ها أنا مؤذن كلاً منكم بقرب ارتحاله فليتهاهب للمسير إلى دار
المصير .

فيا أيها المسرور بتجدد الأعوام المغرور بقدوم الأهلة وتتابع الأيام أما
علمت أنها تقصر من عمرك القصير فانتبه يا مسكين فالدنيا أضغاث أحلام ودار
فناء لا تصلح للمقام .

فكأنك بها وقد خسف بدرها المنير واغتم في شهرك هذا بصالح الاعمال
وأكثر فيه من الصوم وأخلصوا النية في الأقوال والأفعال واحذر من التخليط
فان الناقد بصير ورافق اخوان الإخلاص والتقى والصفاء وفارق أعوان الغفلة والشقاء .

وتخلق بأحسن الأخلاق في كل كبير وصغير ولا تركز إلى دار متاعها
غرور وغاية أمرها الوبال وسرورها شرور ونهاية نعيمها الزوال فما صفاء لأحد
منها وقت الا اتصال به التكدير .

أين من أنس بها ونسي انتقاله إلى دار البقاء وأين من عمر القصور وجمع
الأموال وفي عزه ارتقى تقلبت بهم أحوال الأهوال فأصبحوا تحت الثرى
والحفير وقريباً ترحلون عن المنازل كما رحلوا ووشيكاً يحملون إلى المقابر كما
حملوا .

فاما إلى روضة من رياض الجنة وإما إلى حفرة من السعير أهلني الله
وإياكم لاجتلاء غرايس هدايته وطاعته ووقفنا للقيام بامثال أوامره واجتناء
ثمرات مرضاته ، إن أعظم ما اتعظ به أولو الألباب وأبلغ ما اهتدى به
حكيم أبواب كلام الله الذي من اعتصم به ما خاب والله تعالى يقول وبقوله
يهتدي المهتدون وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين » .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولكافة المسلمين من كل ذنب فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم .

١٣١ خطبة

الحمد لله الذي بأمره تقوم السماء وبعده ينصف المظلوم من الظالم يوم الجزاء وبلطفه أعطى الكثير وطلب اليسير ونمى فهو المعروف بالمعروف واغاثة الملهوف وهو أهل المنع والعطاء أحمدته على السراء والضراء وأشكره على نعمه وشكره يقبل على من شكر الشوارد من النعماء فسبحانه من اله لا يخاف من آمن به وعمل صالحاً ظملاً ولا هضمأ .

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له رحيم بعباده وسع كل شيء رحمةً وعلماً وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي هدى به من الضلالة وبصر به من العمى اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الأعلام والعلماء .

أما بعد : فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى وطهروا السراير لمن هو بها عالم وتوجهوا إلى الله بالانكفاف عن المآثم والخروج من القصور والمظالم والاقلاع عن الصغائر والعظائم فان أحدكم يعصي وهو غافل هائم فيعود وبال معصيته على الأطفال والبهائم .

فيا حسرة المفرط بنفسه صاحب الشيبة البيضاء والصحيفة السوداء والبصيرة العمياء عن الهدى ويا ندامته يوم اللقاء على اتباعه الهوى وإعراضه عن الهدى ويا خسارته حين غفل ولها عن مجالس الأذكار ومباحثة العلماء .

يا قوم اعتبروا بمن قبلكم واقبلوا نصائح الفصحى قبل أن يصبح أحدكم

منبوذاً في أرض يئداً جسمه الناعم قد كان طمعاً للدود والبلاء وماله قسماً بين
الورثة والأقرباء ينفقونه على ما تهوى أنفسهم وترى صاحبه المسكين مطلوب
بالحساب والجزاء بعيد عن الأصحاب والأولاد وحيد فريد قد لَهَى عن الأهل
والأقرباء في قبر موحش مظلم ضيق الأرجاء .

إلى يوم يشفق فيه حتى الأولياء والملائكة والأنبياء يوم الحساب والقصاص
بالاعتدال لا بالاعتداء يوم يُقْتَصَصُ للجماء من القرناء ويؤخذ للآباء من الأبناء
وللأبناء من الآباء بين يدي ديان الأرض والسماء يوم الجزاء بأعمال القلوب
والجوارح لا بالأموال ولا بالأولاد ولا بالأسماء .

فيا أهل الغفلة أفيقوا بالله من سِنَةِ الإِغْفَاء وطهروا القلوب من دنس
الأهواء فإن القلب المدنس بالذنوب يعد من داء القلب لأَعْظَمُ الداء وصلاح
القلب هو الأصل الذي تثبت عليه قواعد البناء .

كيف تصلح للعالم معرفته وهو يعمل أعمال الجهلاء كيف تصلح للعابد
عبادته وهو يرتدي برداء الرياء والكبرياء كيف تصلح للفتى حرите وهو لا
يغضب لله بل يغضب ويرضى لأجل البيضاء والصفراء فهذا بأخبث المنازل
لتقديمه الهوى على الهدى كيف تصلح للفقير سلامته وهو لا يصبر ولا يسلم لله
في أمر القضاء .

كل هذه علل وأمراض في الدين أسأل الله لي ولكم منها العافية والشفاء إذا
فسدت البواطن فحق للظواهر بتهدم البناء أي فساد أعظم من المعاصي وان
شؤمها يعم ضرر أهل المدن والقرى فاجتنبوا رحمكم الله الربا والزنا والغيبة
والنميمة والكذب والحسد فان ذلك سبب نزول البلاء .

ألا وإن أقل المعاصي يكفي في نزول الوباء فكيف بكم إذا اجتمعت على الولاء
والحق تعالى غيور يغار على ملكه من المعاصي وفعل الفحشاء فإذا ظهرت في البلاد
والعياذ بالله من ذلك غار جل جلاله فطهرها إما بالسيف وإما بالقحط وإما
بالوباء هذه سنة الله نافذة في خلقه فاسألوا عنها في المبتدا والمتنهي فان الله لا يغير
ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ألا ترون أنكم كل يوم تشيعون غادياً إلى الله
ورائحاً وقد أسرع الموت بخياركم انتقالاً ورحلاً .

فَاللّٰهُ اَللهُ اَنْتَبِهُوا قَبْلَ اَنْ يَنْقَطَعَ مِنْ اَيْدِيكُمْ حَبْلُ الرَّجَاءِ فَبَابِ الْاِجَابَةِ مَفْتُوحٌ لِصَاحِبِ التَّضَرُّعِ وَالِابْتِهَالِ وَالدَّعَاءِ وَيَدِ الرَّحْمَنِ مَبْسُوطَةٌ لِّقَبُولِ التَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ مِنْ عَصْيِ فَبَادِرُوا رَحِمَكُمُ اللّٰهُ فَالْأَمْرُ عَظِيمٌ وَحَقَّقُوا بِالْجِدِّ وَالِاخْلَاصِ فِي الدَّعَاءِ اَللّٰهُمَّ يَا سَامِعَ الدَّعَاءِ يَا مَنْ أَوْجِبَ عَلَى خَلْقِهِ الْفَنَاءَ وَاخْتَارَ لِنَفْسِهِ الْبَقَاءَ عَافِنَا وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ مِنْ كُلِّ وَبَالٍ وَبَلَاءٍ أَيْقِظْنِي اَللهُ وَايَاكُمْ مِنْ رَقَدَاتِ الْغَافِلِينَ وَجَعَلْنَا يَوْمَ الْخِزَاءِ مِنَ الشَّاكِرِينَ .

إِنْ أَبْلَغَ الْوَعْظَ لِلْمُعْتَبِرِينَ كَلَامَ اَللهِ الْمَلِكِ الْحَقِّ الْمُبِينِ وَاَللهُ تَعَالَى يَقُولُ وَبِقَوْلِهِ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّحِيمِ «وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا » بَارِكْ اَللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ .. ؟

١٣٢ (خُطْبَةٌ)

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي يَجُودُ عَلَىٰ عِبَادِهِ بِسَوَائِغِ النِّعَمِ وَيَعُودُ عَلَيْهِمْ بِالْمَزِيدِ وَيُبَالِغُ بِالْكَرَمِ وَيَتَطَوَّلُ عَلَى الطَّالِبِينَ وَإِنْ قَصُرَتْ مِنْهُمْ اَلْهَمَمُ وَيَتَفَضَّلُ عَلَى الرَّاغِبِينَ مِمَّا لَا تَنْتَهِي إِلَيْهِ أَمَالُهُمْ وَلَا جَرَمُ جَوَادٍ لَا يَحْصُرُ جُودُهُ جَنَانٌ وَلَا لِسَانٌ وَلَا قَلَمٌ فَمِنْ بَعْضِ إِحْسَانِهِ يَكْشِفُ غِيَابَ الظُّلُمِ رَحْمَنٌ رَحِيمٌ يَعْمُ وَيَخْصُ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ الْأُمَمِ مُجِيدٌ عَظِيمٌ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ عَرَفَهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ فَهُوَ مُدَعٍ مِنْهُمْ .

أَحْمَدُهُ حَمْدٌ مُكَثَّرٌ وَمُسْتَزِيدٌ لِلنَّعْمِ وَأَشْكُرُهُ عَلَى كُلِّ مَا مَنَحَ وَأَعْطَى وَقَدَّرَ وَقَسَمَ وَأَسْتَغْفِرُهُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ هَفْوَةٍ وَزَلَّةٍ قَدِمَ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اَللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي أُلُوْهِيَّتِهِ وَالرَّبُّوبِيَّةِ وَالْبَقَاءِ وَالْقَدَمِ وَأَنَّهَا لَشَهَادَةٌ حَقٌّ وَصَدَقَ مَا خَابَ مِنْ اسْتِمْسَاكِهَا وَاعْتَصَمَ وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ الَّذِي أَرْسَلَهُ اَللهُ تَمِّمَةً لِلْمُرْسَلِينَ وَنِعْمَةً لِلْمُتَّقِينَ وَرَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَشَفِيعًا وَشَهِيدًا لِسَائِرِ الْأُمَمِ .

نَبِيٌّ لَمْ يَزَلْ يَطَّلَعُ شَوَاهِدَ الْحَقِّ وَيُدْعِمُ مَلاحِظَةَ الْمَرَاقِبَةِ حَتَّى كَانَ إِذَا نَامَتْ عَيْنَاهُ فَقَلْبُهُ لَمْ يَمُتْ صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أُولِي الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمِينَ مُتَلَازِمِينَ بِدَوَامِ تَعَلُّقِ عِلْمِهِ بِكُلِّ مَخْدُومٍ وَخَدَمٍ

أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى سرّاً وجهراً وتوبوا إليه من الذنوب
فالتوبة تجب ما قبلها ولو كان كفراً ولا تكونوا ممن يخالف الله أمراً وطهروا
نفوسكم من الغل والحقد والحسد والبغضاء وكل خلق ذميم وأصلحوا أعمالكم
فإنها معروضة على رب العزة الذي هو بكل شيء عليم .

واعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم فطالما أسبغ الله عليكم من
النعم حلة بعد حلة وأوجدكم من العدم جملة بعد جملة وأمهلكم في الوجود
مهلة بعد مهلة وكثيراً ما قللكم الموت فكثركم بعد تلك القلة وكم أعزكم في
كل موطن بعزته بعد ذلة وكم كشف عنكم همّاً وغماً وسقماً وعلة وكم
تفضل عليكم في السر والظهر من الاحسان ما لم تكونوا أهلاً له .

فما شكرتم من ذلك إلا اليسير ولا ذكرتم منه إلا أقلّة ولا أحدثتم لكل ما
أحدثه الله من النعم الا غفلة بعد غفلة ولا قابلتم ما أمركم الله به من الاستقالة إلا
زلة بعد زلة تستقلّون الطاعات حتى كأن أمرها عليكم أثقل من الظلّة
وتسحقون الذنوب حتى إن أكبرها عندكم أهون من قرص نخلة .

تجاهرون الله بالمعاصي وهو معكم يعلم ضمير أحدكم وفعله والله لولا
حلمه لحسف بنا ونزل علينا من العذاب ما لا نطيق حمله ولكنه يمهّل ولا يهمل
والحذر من الأخذ بعد المهلة فكأنّي بكم وقد نزل بكم الحمام وصارت أولادكم
تدعى بالأيتام وقد شاهدتم ذلك من غيركم وكأنكم في مسكرة أو نيام هل
الاعمار في الاعتبار إلا أعوام وهل الأعوام إلا أيام . وهل الأيام إلا ساعات
كالسفن ينادي لسان سيرها أهل الدنيا لا مقام لكم وهل الساعات إلا أنفاس
تحصيتها الحفظة بأمر الملك العلام .

فمن كان هذا أصله كيف لا يسرع بالمتاب ومن كان هذا أساسه فكيف
يفرح بدار عمرها في الحقيقة خراب فرحم الله عبداً أقبل على الباقي وأعرض
عن الفاني من الخطام وجعل لشارد النفس من التقوى أقوى زمام واجتنب الظلم
فان الظلم يخرج من النور إلى الظلام .

فنسألك اللهم توفيقاً يقرب من الحلال ويبعدنا عن الحرام وطريقاً إلى سبيل

الخيرات لتنتسك بالزمام وأما يوم الفزع الأكبر تبلغنا غاية المنى والمرام وأدخلنا
مع الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها
بإذن ربهم نحتبهم فيها سلام .

إِنَّ أَحْسَنَ الْكَلَامِ وَأَبْلَغَ الْأَحْكَامِ كَلَامُ اللَّهِ الْمَلِكِ الْعَلَامِ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ
وَقَوْلُهُ الْحَقُّ الْمُبِينُ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ « وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وان الدار
الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون » . بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم
ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول قولي هذا وأستغفر الله
العظيم لي ولكم الخ ..

١٣٣ خطبة

في التحذير من المعاصي

الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خلفاً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ،
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم
أحسن عملا ، واشهد ان سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله وخليفه وصفيه ،
أرسله بالحق بشيرا ونذيرا ، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد
وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

اما بعد : أيها الناس ، اتقوا الله تعالى واطيعوه ، وراقبوه في السر والعلن
ولا تعصوه ، واعلموا ان الذنوب والمعاصي تضر في الحال والمآل ، وان ضَرَرَهَا
في القلوب كضرر السموم في الابدان على اختلاف درجاتها ، وما في الدنيا
والآخرة شر وداء الا سببه الذنوب والمعاصي ، فما الذي أخرج الابوين من الجنة
دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور الى دار الآلام والاحزان والمصائب ؟ وما
الذي أخرج ابليسَ من ملكوت السماء وطرده ولعنه ومسح ظاهره وباطنه وبَدَّلَ
بالقرب بعدا وبالرحمة لعنة وبالجمال قبحا وبالجنة نارا تلظى ؟ وما الذي أغرق
أهل الارض كلهم ، حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال ؟ وما الذي سلط الريح

على قوم عاد حتى ألقته موتى على وجه الأرض كأنهم اعجاز نخل خاوية ، ودمرت ما مرت عليه من ديارهم حتى صاروا عبرةً للأمم الى يوم القيامة ؟ وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيعة حتى قطعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم ؟ وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نباح كلابهم ، ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها فأهلكهم جميعا وأرسل عليهم حجارة من سجيل ؟ وما الذي أرسل على قوم شعيب سحب العذاب كالظلل ، فلما صارت فوق رؤوسهم أمطرت عليهم نارا تلظى ؟ وما الذي بعث على بني اسرائيل قوما أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وقتلوا الرجال واحرقوا الديار ونهبوا الاموال ، ثم بعث عليهم مرة ثانية فأهلكوا ما قدروا عليه وتبروا ما علوا تتبيرا ؟ وما الذي سلط عليهم أنواع العقوبات مرة بالقتل والسبي وخراب البلاد ومرة بجور الملوك ومرة بمسخهم قردة وخنازير ، وآخر ذلك أقسم الرب تبارك وتعالى ليعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب أقوام كثيرة جاءت اخبار هلاكهم في القرآن الكريم بسبب كفرهم وعصيانهم وعنادهم وتكبرهم عن طاعة الله تعالى وطاعة رسله عليهم الصلاة والسلام ؟ فاعتبروا يا أولي الابصار .

والمعاصي ما حلت في ديار الا أهلكتها - ولا في قلوب الا أعمتها - ولا في اجساد الا عذبتها - ولا في أمة الا أذلتها - ولا في نفوس الا أفسدتها ، ولو لم يكن من المعاصي الا أنها سبب لهوان العبد على الله وسقوطه من عينه لكفى ، واذا هان العبد على الله تعالى لم يكرمه أحد ، كما قال عز وجل : (ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشاء) . ومن عقوبات الذنوب أيضا انها تزيل النعم ، وتجل النقم ، فما زالت عن العبد نعمة الا بذنب ، ولا حلت به نقمة الا بذنب ، كما قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه : ما نزل بلاء الا بذنب ، ولا رفع الا بتوبة ، وقد قال الله تعالى : (وما أصابكم من مصيبة فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ . ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) . فاخبر تعالى انه لا يغير نعمة انعم بها على أحد حتى يكون هو الذي يغير ما بنفسه ، فيغير طاعة الله بمعصيته وشكره بكفره وأسباب

رضاه بأسباب سخطه ، فإذا غَيَّرَ غير عليه جزاء وفاقا ، وما ربك بظلام للعبيد ،
فان غير المعصية بالطاعة غير الله عليه العقوبة بالعافية والذل بالعز ، قال تعالى :
(ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوءا فلا
مرد له وما لهم من دونه من وال) • وفي بعض الآثار الالهية عن الرب - تبارك
وتعالى - انه قال : وعزتي وجلالي لا يكون عبدٌ من عبيدي على ما أحب ثم ينتقل
عنه الى ما اكره الا انتقلت له مما يحب الى ما يكره ، ولا يكون عبد من عبيدي
على ما اكره ثم ينتقل عنه الى ما أحب الا انتقلت له مما يكره الى ما يحب •

فاتقوا الله عباد الله في السر والعلن ، وتوبوا اليه واستغفروه ، وحاذروا
غضبه ولا تعصوه ، فالمعاصي تمنع بركة العمر وبركة الرزق والعلم والطاعة ،
وبالجملة تمنع بركة الدين والدنيا فلا تجلدون اقل بركة في عمره ودينه ودنياه
ممن عصى الله تعالى ، وما مُحِقَّت البركة من الارض الا بمعاصي الخلق ، قال
الله تعالى : (ولو ان أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء
والارض) • وقال تعالى : (وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا
لنفقنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا) • وفي الحديث :
ان رُوحَ القدس نفث في روعي انه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها •
فاتقوا الله وأكملوا في الطلب ، فانه ما ينال ما عند الله تعالى الا بطاعته ،
وليست سعة الرزق والعمل بكثرتة ، ولا طولُ العمر بكثرة الشهور والاعوام ،
ولكن سعة الرزق والعمر بالبركة فيهما ، ومعلوم ان عمرَ العبد هو مدة حياته ،
ولا حياة لمن أعرض عن الله واشتغل بغير ذكره ، بل حياة البهائم خير من حياته ،
فان حياة الانسان بحياة قلبه وروحه ، ولا حياة لقلبه الا بمعرفة فاطره ومحبته
وذكره وعبادته وحده - والإنابة اليه والطمانينة بطاعته - والانس بقربه ،
ومن فقد هذه الحياة فقد الخير كله ، ولو تعوض عنها بما تعوض ، بل ليست
الدنيا بأجمعها عَوْضًا عن هذه الحياة ، فمن كل شيء يفوت العبد عوض ، واذا
فاته الله - عز وجل - لم يعوض عنه شيء البتة ، وانما كانت معصية الله سببا
لمحق بركة الرزق والعمر ، لان الشيطان وكل بها وبأصحابها ، وكل شيء يتصل

به الشيطان ويقارنه فبركته محوقة ، ولهذا شُرِعَ اسمُ الله تعالى عند الاكل والشرب واللبس والركوب والجماع لما في مقارنة اسمِ الله تعالى من البركة ، وكل شيء لا يكون لله فبركته منزوعة ، فان الربَّ - جل جلاله - هو الذي يبارك وحده ، والبركة كلها منه ، وكل ما نُسب اليه مبارك ، فكلامه مبارك ، ورسوله مبارك ، وعبيده المؤمن النافع لخلقه مبارك ، وبيته الحرام مبارك ، فلا مبارك الا هو وحده لا شريك له ، وكل ما باعده الله من نفسه المقدسة من الاعيان والاقوال والاعمال فلا بركة فيه ، ولا خير فيه ، وكل ما كان منه - تعالى - قريب ففيه من البركة على قدر قربيه منه ، وَضِدُّ البركة اللعنة ، فارض لعنها الله او شخص لعنه الله او عمل لعنه الله أبعدُ شيء من الخير والبركة ، وكل ما اتصل بذلك وارتبط به وكان منه بسبيل فلا بركة فيه البتة ، فمن ههنا كان للمعاصي أعظمُ تأثير في محق بركة العمر والرزق والعلم والعمل ، وكل وقت عصيتَ الله فيه أو مال عصي الله به أو بدن أو جاه أو علم أو عمل فهو على صاحبه ليس له ، فليس له من عمره وماله وقوته وجاهه وعلمه وعمله الا ما أطاع الله تعالى به ، ولهذا فمن الناس من يعيش في هذه الدار مائة سنة أو نحوها ولا يبلغ عمره في الحقيقة عشرين سنين أو نحوها ، كما ان منهم من يملك القناطر المقنطرة من الذهب والفضة ولا يبلغ ما له في الحقيقة ألف درهم أو نحوها ٠٠٠ وهكذا الجاه والعلم .

فبادروا - رحمكم الله تعالى - بالتوبة والاعمال الصالحة قبل فوات الاوان ، فالفرصةُ ها هي نِي سانحة ، ووسائلُ الهدى ما تزال حاضرة ، وباب التوبة ها هو ذا مفتوح ، وليس على بابهِ من يمنع ، ولا يحتاج من يلجهُ الى استئذان ، وهي أُمْنِيَة لا ينالها الا الموفقون ، فاذا انتهت هذه الحياة فلا كَرَّةَ ولا رجوع ، فهِئًا وأنتم أولاءِ في دار العمل ، وهي فرصة واحدة ، فاذا انتهت لا تعود ، هيا الى التوبة قبل فوات الاوان ، هيا من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال ، هيا فالوقت غيرُ مضمون ، وقد يُفصل في الامر ، وتغلق الابواب في أية لحظة من لحظات الليل والنهار ، هيا واتبعوا أحسن ما انزل اليكم من ربكم ، وهو هذا القرآن الذي بين أيديكم ، واهتدوا بهدي نبيكم محمدٍ - صلى الله عليه وسلم -

(من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون) •
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء
بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما •
وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموتُ قال اني تبت
الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما) •

اللهم اجعلنا من التوابين ، واجعلنا من المتطهرين الذين اذا فعلوا فاحشة
أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم
يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون • أقول قولي هذا ، واستغفر الله لي ولكم
ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه ، انه هو الغفور الرحيم •

١٣٤ خطبة في أصول الدين

الحمد لله المعروف بأسمائه وصفاته ، المتجيب إلى خلقه
بجزيل هباته .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، المتفرد
بالألوهية والوحدانية ، المتوحد في العظمة والكبرياء والمجد
والربوبية .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أكمل الخلق في مراتب
العبودية ، وأعلام في كل خصلة حميدة فهو خير البرية .

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه الأخيار .
وعلى التابعين لهم بالأقوال والأفعال والإقرار .

أما بعد : أيها الناس ، اتقوا الله تعالى ، واعلموا أن الله

حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه . فهو الغنى المطلق ومن سواه إليه فقير ، وهو القوى العزيز ومن سواه عاجز ذليل . وهو الجواد الكريم ، فلا غنى لأحد عن كرمه طرفة عين (وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون) وتؤمن أن الله الذى لا إله إلا هو فهو ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين .

فكما أنه لا رب ولا خالق ولا منعم سواه ، فليس للعباد إله ومعبود إلا الله . فمن أخلص له الدين فى ظاهره وباطنه فهو الموحد حقاً . ومن صرف شيئاً من العبادة لغيره فهو المشرك صرفاً قال تعالى (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) وقال (فادعوه مخلصين له الدين) الحمد لله رب العالمين .

فليس لنا معبود سواه فلا نستعين إلا به ولا نعبد إلا إياه فهو الإله المقصود بالتأله والحب والتعظيم . وهو المقصود لقضاء الحاجات وتفريج الكربات وكل أمر عظيم (يسأله خلقكم وأمركم بمعرفته وعبادته ، وحكم على إخلاص الدين وتحقيق طاعته .

قال تعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وقال (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) وقال (الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض

مثلهن يتنزل الامر ينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير . وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً) وقال (فاعلم أنه لا إله إلا الله ، واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم) .

وذلك أنه يجب علينا أن نؤمن ونعترف أن الله هو الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور ، المتفضل على عباده بالنعم الظاهرة والباطنة نعم الدنيا ونعم الدين . وأنه الموصوف بسعة الرحمة وشمول الحكمة والعلم المحيط الشامل . المنعوت بالعظمة والكبرياء والعز الكامل . الحى القيوم الذى لا ينام ولا ينبغى له أن ينام يخفض القسط ويرفعه ويرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار . وعمل النهار قبل عمل الليل على الكمال والتمام . من فى السموات و الأرض كل يوم هو فى شأن) (أم من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ؟ أإله مع الله قليلا ما تذكرون) .

ونؤمن بنزول ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا كما أخبر به الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى . مع أنه العلى الأعلى . الذى على العرش استوى . وعلى الملك احتوى (وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى ، الله لا إله إلا هو له الاسماء الحسنى)

ونؤمن أن المؤمنين يرون ربهم فى جنة المأوى ، فرويته ورضوانه أكبر نعيم يحزل لهم المولى .

ونشهد أن القرآن تنزيل رب العالمين ، نزل به الروح
الأمين ، على قلب النبي الكريم بلسان عربي مبين ، فهو كلام
الله حقاً منزل غير مخلوق . فهو الهدى والرحمة والشفاء
والنور ، وعليه المدار في الأصول والفروع والأحكام كلها .
وجميع الأمور .

ونشهد أن الله حق ، وقوله حق ، ووعدته حق ، ولقاؤه
حق ، والنيون حق ، ومحمد حق (وأن الساعة آتية لا ريب
فيها وأن الله يبعث من في القبور) فيجازيهم بأعمالهم إن خيراً
نخير ، وإن شراً فشر ، فيثيب الطائعين بفضله ، ويعاقب
العاصين بحكمته وعدله (والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت
موازينه فأولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه فأولئك
الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) .

وتؤمن بجميع ما جاء به الكتاب والسنة من أحوال
اليوم الآخر ، والشفاعة ، والحوض ، والميزان ، والصراط ،
وصحائف الأعمال . وما ذكر من صفات الجنة والنار .
وصفات أهلها كل ذلك حق لا ريب فيه . وكله داخل في
الإيمان باليوم الآخر .

والحاصل أننا نؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ،
واليوم الآخر . والقدر خيره وشره . إيماناً بجملاً شاملاً .
وإيماناً مفصلاً في كتاب ربنا وسنة نبينا .

ونسأله تعالى أن يثبتنا على ذلك ويميتنا . ويحيينا عليه . إنه

جواد كريم .

اللَّهُمَّ الْحَقَّنَا بِعِبَادِكَ الْأَبْرَارِ وَأَسْكِنَا الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَاغْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

آخر :

١٣٥ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ قَدْ كَثُرَ فِي زَمَانِنَا الْيَوْمِ أَنْاسٌ يَرَى أَحَدَهُمْ قَدَّرَ نَفْسَهُ فَوْقَ مَا
تَتَّصَرُّهُ الْأَفْهَامُ وَيَجْزِمُ كُلَّ الْجَزْمِ أَنَّهُ رَفِيعُ الْمَقَامِ ، رَفْعَةً كُلُّ رَفِيعٍ
مَعَهَا تَحْتَ الْأَقْدَامِ ، لَا تَذْكُرُ أَمَامَهُ فَاضِلًا إِلَّا ضَحِكَ وَهَزَّ رَأْسَهُ مُتَهَكِّمًا
سَاخِرًا بِمَا لَهُ مِنْ مَقَامٍ وَقَدِيمًا قِيلَ :

وَمَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ

رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى

وَتَجِدُ هَذَا الْمُتَكَبِّرَ الْمُعْجَبُ بِنَفْسِهِ شَرِسًا أَحْمَقًا ذَا إِبَاءٍ وَاسْتِعْصَاءٍ
حَتَّى عَلَى خَالِقَةِ الْقَدِيرِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِي وَتَرَاهُ نَارِيَّ الْمِزَاجِ يَلْتَهِبُ التَّهَابًا
وَيَنْفَجِرُ لِأَذْنِي كَلِمَةٍ لَا تُرْضِيهِ وَلَوْ لَمْ يَقْصِدْ قَائِلُهَا إِلَّا الْحُسْنَى .

وَمِنْ عَلَامَاتِهِ أَنَّكَ تَجِدُهُ حَرِيصًا عَلَى أَنْ يَكُونَ أَمَامَ النَّاسِ وَأَنْ
يُضْعَوْا إِلَى كَلَامِهِ وَيُؤْلَمَهُ كَلَامٌ غَيْرِهِ وَلَوْ كَانَ حَقًّا وَتَجِدُ ثِيَابَهُ مُسْبَلَةً وَفِي
مَشْيِهِ يَتَبَخَّرُ مُصْعَرًا أَحَدَهُ وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ عِقَالٌ تَجِدُهُ مُمِيلًا لَهُ وَتَجِدُ بَعْضَهُمْ
قَدْ وَفَّرَ شَارِبَهُ وَفَتَلَهُ وَسَوَّى شَنَابَتِهِ كَالْقُرُونِ قَالَ بَعْضُهُمْ :

إِنَّ الْكَمَالَ الَّذِي سَادَ الرِّجَالَ بِهِ
 هُوَ الْوَقَارُ وَقَرْنُ الْعِلْمِ بِالْعَمَلِ
 فَقُلْ لِمَنْ يَزِدْهِ عُجْبًا بِمَنْطِقِهِ
 وَقَلْبُهُ فِي أَقْيُودِ الْحِرْصِ وَالْأَمَلِ
 مَهْلًا فَمَا اللَّهُ سَاهٍ عَنْ تَلَاُعِكُمْ
 لَكِنَّ مَوْعِدُكُمْ فِي مُتَهَيِّ الْأَجَلِ
 وَقُلْ لِمَنْ فَخَرُهُ فِي قَتْلِ شَارِبِهِ
 أَضَعْتَ عُمْرَكَ بَيْنَ الْكِبَرِ وَالْكَسَلِ
 حَتَّامَ تُبْرِمُ يَا وَافِي الْقَفَا شَبَابًا
 مَا فِي طَوَائِيهِ إِلَّا خَيْبَةُ الْأَمَلِ
 أَصْبَحْتَ بُعِيعَ مَنْ فِي الْبَيْتِ تُزْعِجُهُمْ
 هَلَا أَخَفَّتِ الْعِدَا يَا مَعْرَضَ الْخَجَلِ

وَمِنْ عَلَامَاتِهِ أَنَّكَ تَجِدُ صَاحِبَ الْكِبَرِ لَا يَرْغَبُ قُرْبَ الْفُقَرَاءِ مِنْهُ وَلَا
 يَأْلَفُ إِلَّا الْأَغْنِيَاءَ فَالْمُتَكَبِّرُ لَا يُحِبُّ لِلْمُؤْمِنِينَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ لِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ
 عَلَى ذَلِكَ بِسَبَبِ كِبَرِهِ وَعُجْبِهِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى التَّوَاضُّعِ وَهُوَ رَأْسُ اخِلَاقِ
 الْأَصْفِيَاءِ .

وَلَا يَقْدِرُ الْمُتَكَبِّرُ عَلَى تَرْكِ الْحَقْدِ وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَدُومَ عَلَى الصَّدْقِ
 وَلَا يَقْدِرُ عَلَى تَرْكِ الْغَضَبِ وَلَا عَلَى كَظْمِ الْغَيْظِ وَلَا يَسْلُمُ مِنْ اخْتِقَارِهِ
 لِلنَّاسِ وَلَا يَسْلُمُ مِنَ الْغِيْبَةِ وَالْبُهْتِ لِأَنَّهُ فِيهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْعِزَّةِ وَالْكَبَرِيَاءِ مَا
 يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ .

فَمَا مِنْ خُلُقٍ ذَمِيمٍ وَقَبِيحٍ إِلَّا وَصَاحِبُ الْكِبَرِ مُضْطَرُّ إِلَيْهِ لِيَحْفَظَ بِهِ
 عِزَّهُ وَعَظَمَتَهُ وَلِذَلِكَ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ فِي قَلْبِهِ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ وَفِي وَصِيَّةٍ لُقْمَانَ لِابْنِهِ يَقُولُ « وَلَا تُصَغِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ » .

وَمِنْ تَعَالِيمِ رَبَّنَا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ وَنَبِيِّهَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾ .

وَبِالْحَقِيقَةِ إِنَّ الْمَتَكَبِّرَ مُسْكِينٌ ثُمَّ مُسْكِينٌ إِلَى حَدٍّ يَسْتَحِقُّ مَعَهُ الرَّثَاءَ فَإِنَّكَ بَيْنَمَا تَرَاهُ بِهَذِهِ الْكِبَرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ تَرَاهُ غَارِقًا فِي بَحْرِ الْمَعَاصِي وَذَلِيلًا يُلْقِي نَفْسَهُ فِي جَهَنَّمَ .

أَيُّظُنُّ هَذَا الْمُسْكِينُ أَنَّهُ عَزِيزٌ وَاللَّهُ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ أَوْ يَظُنُّ أَنَّهُ رَفِيعٌ وَهُوَ فِي قَادُورَاتِ الْمَعَاصِي إِنَّ الْعِزَّةَ وَالرَّفْعَةَ لَا يَحْصُلَانِ بِالدَّعْوَى وَلَيْسَ حُصُولُهُمَا بِإِدِّ مَخْلُوقٍ وَلَكِنَّهُمَا بِإِدِّ اللَّهِ وَحْدَهُ يَمْنَحُهُمَا إِلَى مَنْ يُسَارِعُونَ إِلَى طَاعَةِ مَوْلَاهُم جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ .

فَيَا عِبَادَ اللَّهِ انْصَحُوا مَنْ وَقَعَ فِي وَرْطَةِ الْكِبَرِ وَقُولُوا لَهُ تَذَبَّرْ كَلَامَ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ » .

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحْشَرُ الْمَتَكَبِّرُونَ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورِ الرِّجَالِ يَغْشَاهُمْ

الدُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُقَالُ لَهُ بُولُسُ تَعْلُوهُمْ نَارُ
الْأَنْبَارِ يُسْقُونَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةُ الْخَبَالِ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ
وَاللَّفْظُ لَهُ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ .

اللَّهُمَّ يَا جَامِعَ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الصَّدَقِ
وَالنِّيَّةِ الصَّالِحَةِ وَالْإِخْلَاصِ وَالْخُشُوعِ وَالْمُرَاقَبَةِ وَالْيَقِينِ وَالْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ
وَالْفَصَاحَةِ وَالْبَيَانَ وَالْفَهْمَ فِي الْقُرْآنِ وَخُصَّنَا مِنْكَ بِالْمَحَبَّةِ وَالْإِضْطِفَانِيَّةِ
وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ الرُّشِيدِ وَالرِّزْقِ الْهَنِيِّ الَّذِي لَا حِجَابَ بِهِ فِي
الدُّنْيَا وَلَا حِسَابَ وَلَا سُؤَالَ وَلَا عِقَابَ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاعْفُ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

آخر :

١٣٦ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ مَنْ كَانَ الْمَوْتُ يَطْلُبُهُ كَيْفَ يَقْرَأُ لَهُ قَرَارٌ وَمَنْ كَانَ الدَّهْرُ
يُجَارِيهِ فَكَيْفَ يُطِيقُ الْإِنْتِصَارَ ، وَمَنْ كَانَ رَاحِلًا عَنِ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ
كَيْفَ يَلْذُّ لَهُ قَرَارٌ ، عَجَبًا لِمَنْ يَمْلَأُ عَيْنُهُ بِالنَّوْمِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْسَاقُ إِلَى
الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ .

وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ :

(وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ وَهِيَ قَرِيرَةٌ
وَلَمْ تَدْرِ فِي أَيِّ الْمَكَانَيْنِ تَنْزِلُ)

إِنْ هِيَ إِلَّا غَفْلَةٌ وَأُمْنِيَّةٌ عَاجِلَةٌ وَسَجِيَّةٌ عَادِلَةٌ جَرَى بِهَا الْقَلَمُ وَمَضَى
عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَمَمِ ، فَيَا فَرَائِسَ الْأَحْدَاثِ وَيَا غَرَائِيسَ الْأَجْدَاثِ ، لَقَدْ

صَعَقَ الْمَوْتُ فِي دِيَارِكُمْ فَتَعَبَ ، وَصَدَقَكُم صَرَفُ الزَّمَانِ وَمَا كَذَبَ ،
فَكَانَهُ قَدْ أَعَادَ عَلَيْكُمُ الْكَرَّةَ وَسَلَبَ ، وَنَعَصَ عَلَيْكُمُ الْمَسْرَةَ ، وَانْتَهَزَ فِيكُمُ
الْغِرَّةَ ، فَمَا أَقَالُكُمْ عَثْرَةَ .

عَنْ كَعْبٍ أَوْ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ :
يَقُومُونَ مِقْدَارَ ثَلَاثِمِائَةِ عَامٍ قَالَ سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ : مَا ظَنُّكَ بِأَقْوَامٍ
قَامُوا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَقْدَامِهِمْ مِقْدَارُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ لَمْ يَأْكُلُوا فِيهَا
أَكْلَةً وَلَمْ يَشْرَبُوا فِيهَا شَرْبَةً حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ أَعْنَاقُهُمْ مِنَ الْعَطَشِ
وَاحْتَرَقَتْ أَجْوَافُهُمْ مِنَ الْجُوعِ انْصَرَفَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ فَسُقُوا مِنْ عَيْنٍ قَدْ
أَن حَرُّهَا وَاشْتَدَّ نَفْحُهَا .

فَلَمَّا بَلَغَ الْمَجْهُودُ مِنْهُمْ مَا لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ كَلَّمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي
طَلَبِ مَنْ يَكْرُمُ عَلَى مَوْلَاهُ أَنْ يَشْفَعَ لَهُمْ فِي الرَّاحَةِ مِنْ مَقَامِهِمْ وَمَوْقِفِهِمْ
لِيَنْصَرِفُوا إِلَى الْجَنَّةِ أَوْ إِلَى النَّارِ مِنْ وَقُوفِهِمْ فَفَزَعُوا إِلَى آدَمَ وَنُوحٍ وَمِنْ
بَعْدِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى كُلُّهُمْ يَقُولُ إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ
يَغْضَبْ مِثْلَهُ قَبْلَهُ وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ فَكُلُّهُمْ يَذْكُرُ شِدَّةَ غَضَبِ الرَّبِّ عَزَّ
وَجَلَّ وَيُنَادِي بِالشُّغْلِ بِنَفْسِهِ فَيَقُولُ نَفْسِي نَفْسِي فَيَشْتَغِلُ بِنَفْسِهِ عَنِ الشَّفَاعَةِ
لَهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ لِإِهْتِمَامِهِ بِنَفْسِهِ وَخِلَاصِهَا .

وَكَذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلَّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا
فَبَادِرُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ وَأَنْتُمْ فِي مَكَانٍ الْإِمْكَانِ ، قَبْلَ ضَيْقِ الْأَوْطَانِ ،
وَتَقْلُصِ اللِّسَانَ وَاصْفِرَارِ الْبَنَانِ ، وَالتَّقَلُّبِ مِنْ جِهَةٍ إِلَى جِهَةٍ مِنْ شِدَّةِ
الْأَلَامِ .

وَرَفَعَ يَدَ وَوَضَعَ الْأُخْرَى مِنْ شِدَّةِ السُّكَرَاتِ ، لِيَجْذِبَ الرُّوحَ مِنْ

الْعُرُوقِ وَالْعَصَبِ وَالْعِظَامِ ، قَبْلَ شُحُوصِ الْبَصَرِ ، وَبُرُودَةِ الْبَدَنِ ، وَنَقْلِهِ
لِبَيْتِ الدَّوْدِ وَالظُّلْمَةِ وَالْوَحْشَةِ وَالْإِنْفِرَادِ وَسُؤَالِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ ، وَمَا يَعْقُبُهُ
مِنْ كُلِّ أَمْرٍ خَاطِرٍ فِي يَوْمٍ يَشِيبُ مِنْ أَهْوَالِهِ الْوِلْدَانُ .

اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالْبَوَارِ وَأَدْخِلْنَا
بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَعَامِلُنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَاعْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

آخر : ١٣٧ مَوْعِظَةٌ

أَبْنُ آدَمَ كَانَكَ بِالْمَوْتِ وَقَدْ فَجَاكَ وَالْحَقَّكَ بِمَنْ قَدْ سَبَقَكَ مِنَ الْأَمَمِ
وَنَقَلَكَ مِنَ الْفُلَلِ وَالْعَمَائِرِ إِلَى بَيْتِ الْوَحْدَةِ وَالْوَحْشَةِ وَالظُّلْمِ وَمِنْ ذَلِكَ
إِلَى عَسْكَرِ الْمَوْتِ مُخَيَّمَةً بَيْنَ الْخِيَمِ مُفَرِّقًا مِنْ مَالِكَ مَا اجْتَمَعَ وَمِنْ
شَمْلِكَ مَا انْتَضَمَ وَلَيْسَ لَكَ قُدْرَةٌ فَتَدْفَعُهُ بِكَثْرَةِ الْأَمْوَالِ وَلَا بِقُوَّةِ الْخَدَمِ
وَنَدِمْتَ عَلَى التَّفْرِيطِ وَلَاتَ سَاعَةٌ نَدَمَ .

فَيَا عَجَبًا لِعَيْنِ تَنَامُ وَطَالِبُهَا مُجِدُّ فِي طَلِبِهَا لَمْ يَنْمَ ، مَتَى تَحْذَرُ مِمَّا
تُوَعِدُ وَتُهَذِّدُ ، وَمَتَى تَضُرُّمُ نَارَ الْخَوْفِ فِي قَلْبِكَ وَتَتَوَقَّدُ ، إِلَى مَتَى حَسَنَاتُكَ
تَضْمَحِلُ وَسَيِّئَاتُكَ تَتَجَدَّدُ ، وَإِلَى مَتَى لَا يَهْوُ لَكَ زَجْرُ الْوَاعِظِ وَإِنْ شَدَّدَ وَإِلَى
مَتَى وَأَنْتَ بَيْنَ الْفُتُورِ وَالتَّوَانِي تَرَدَّدُ مَتَى تَحْذَرُ يَوْمًا تَنْطِقُ فِيهِ الْجُلُودُ
وَتَشْهَدُ وَمَتَى تُقْبِلُ عَلَى مَا يَبْقَى وَتَتْرُكُ مَا يَفْنَى وَيَنْقُذُ .

مَتَى تَهْبُ بِكَ فِي بَحْرِ الْوُجْدِ رَيْحُ الْخَوْفِ وَالرَّجَا مَتَى تَكُونُ فِي
اللَّيْلِ قَائِمًا إِذَا سَجَى آيُنَ الَّذِينَ عَامَلُوا مَوْلَاهُمْ بِالْإِحْلَاصِ وَانْفَرَدُوا وَقَامُوا

فِي الدُّجَى فَرَكَعُوا وَسَجَدُوا وَقَدِمُوا إِلَى بَابِهِ فِي الْأَسْحَارِ وَوَفَدُوا وَصَامُوا
هَوَاجِرَ النَّهَارِ فَصَبَرُوا وَاجْتَهَدُوا ، لَقَدْ سَارُوا وَتَخَلَّفَتْ وَفَاتَكَ مَا وَجَدُوا
وَبَقِيَتْ فِي أَعْقَابِهِمْ وَإِنْ لَمْ تُسْرِعْ وَتَجْتَهِدْ بَعُدُوا .

فَتَنَّبَهُ وَتَقَيَّظَ يَا مُسْكِينُ قَبْلَ أَنْ يُفَاجِئَكَ هَادِمُ اللَّذَّاتِ فَلَا تَقْدِرْ عَلَى
اسْتِدْرَاكِ لِمَا فَاتَ ، قَالَ اللَّهُ جَلًّا وَعَلَا ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ
يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّي لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ
وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا
تَعْمَلُونَ ﴿ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ وَنَسْأَلُكَ
شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ وَنَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا وَلِسَانًا صَادِقًا وَنَسْأَلُكَ مِنْ
خَيْرِ مَا تَعْلَمُ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ
الْغُيُوبِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم .

آخر :

١٣٨ موعظة

عِبَادَ اللَّهِ لَقَدْ تَغَيَّرَ أَكْثَرُ أَهْلِ هَذَا الزَّمَنِ فِي أَحْوَالِهِمُ الدِّينِيَّةِ تَغْيِيرًا
يُدهِشُ ذَوِي الْعُقُولِ تَغْيِيرًا مِنْ أَمَعِنَ النَّظَرُ فِيهِمْ ظَنَّ أَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ فَرِيقِ
الْمُؤْمِنِينَ .

هَذِهِ الصَّلَاةُ وَهِيَ عَمُودُ الْإِسْلَامِ آكَدُ أَرْكَانِهِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ ،
أَعْرَضُوا عَنْهَا ، وَلَمْ يُبَالُوا فِيهَا جَهْلُوا مَا هِيَ الصَّلَاةُ ، وَأَيُّ قِيَمَةٍ قِيَمَتُهَا وَمَا
مَنْزِلَتُهَا بَيْنَ سَائِرِ الطَّاعَاتِ .

أَمَّا عَلِمُوا أَنَّهَا أَوَّلُ مَا يُنْظَرُ فِيهِ مِنْ عَمَلِ الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَإِنْ

وَجَدْتُ تَامَّةً صَالِحَةً قَبِلْتُ مِنْهُ ، وَسَائِرُ عَمَلِهِ ، وَإِنْ وَجَدْتُ نَاقِصَةً رُدَّتْ
إِلَيْهِ وَسَائِرُ عَمَلِهِ ، ثُمَّ تَكُونُ كَالثُّوبِ الْخَلْقِ فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ صَاحِبِهَا .

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الصَّلَاةَ عِبَادَةٌ ، وَمُنَاجَاةٌ ، وَقُرْبَى ، نِظَامُهَا الرُّكُوعُ
وَالسُّجُودُ ، مَعَ التَّذَلُّلِ ، وَالْخُضُوعِ ، وَأَقْوَالُهَا الْقِرَاءَةُ ، وَالتَّسْبِيحُ ،
وَالِابْتِهَالُ ، إِلَى اللَّهِ ، وَتَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ وَرُوحُهَا
الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ ، وَسِرُّهَا أَظْهَارُ الْعُبُودِيَّةِ ، وَالِاسْتِكَانَةِ ، لِعِظَمَةِ الرَّبِّ جَلَّ
وَعَلَا .

إِنَّهَا خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ، خَمْسُ وَقَفَاتٍ يَقِفُهَا الْعَبْدُ
أَمَامَ سَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ ، خَالِقِهِ ، وَمُدَبِّرِ أَمْرِهِ ، وَلَهَا عِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ خَمْسِينَ
صَلَاةً .

شُرِعَتْ لَهَا الْجَمَاعَةُ ، وَأُمِرَ بَيْنَاءُ الْمَسَاجِدِ لِأَجْلِهَا ، وَشُرِعَ لَهَا
الْأَذَانُ ، لِيُنْتَبِهَ الْغَافِلُ ، وَيَتَذَكَّرَ النَّاسِي ، وَالْجَاهِلُ ، إِعْلَامًا لِبُوقِهَا
لِيَجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ إِلَيْهَا ، وَيُؤَدُّوْهَا فِي جَوْ يَسُودُهُ الْإِخَاءُ وَالْمَحَبَّةُ
وَالِإِلْفَةُ .

وَهِيَ خَيْرُ الْعِبَادَاتِ ، وَكَانَتْ قُرَّةَ عَيْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ « وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ » ، وَكَانَ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ أَرْحَنَا يَا بَلَاءُ بِالصَّلَاةِ .

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الصَّلَاةَ كَمَا عَلِمْتُمْ عِمَادُ الدِّينِ ، وَنُورُ الْيَقِينِ وَمُضَدُّ
الْبِرِّ ، وَمَبْعَثُ الْخَيْرِ ، الْعَمِيمِ ، وَعِصْمَةُ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ ، وَنَجَاةٌ مِنْ خَزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ .

وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّلَاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ
وَذَكَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ مَنْ حَافِظٌ عَلَيْهَا كَانَتْ
لَهُ نُورًا وَبُرْهَانًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الصَّلَاةَ مِنْ أَجَلِ الشَّعَائِرِ الدِّينِيَّةِ وَأَعْظَمِ الْمَظَاهِرِ
الْإِسْلَامِيَّةِ وَمِنْ أَشْرَفِ الْعِبَادَاتِ وَهِيَ خَيْرُ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ الْعَبْدُ إِلَى اللَّهِ وَقَدْ
كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ .

عِبَادَ اللَّهِ إِذَا فَهَمْتُمْ مَا سَبَقَ مِنْ عِظَمِ شَأَنِ الصَّلَاةِ فَمَا بَالُ قَوْمٍ
يُهْمِلُونَهَا وَيَتَهَاوَنُونَ بِهَا وَيَتَكَاسِلُونَ عَنْهَا عِنْدَ حُلُولِ وَقْتِهَا وَمَا بَالُ أَقْوَامٍ
يُؤَدُّونَهَا عَلَى عَجَلٍ وَعَلَى غَيْرِ وَجْهِهَا وَيَنْقُرُونَهَا نَقْرَ الْغُرَابِ كَأَنَّهُمْ
مُكْرَهُونَ عَلَيْهَا وَيَنْسَوْنَ أَنَّهَا وَقْفَةٌ أَمَامَ بَدِيعِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَمِنْ
الْخَيْرِ أَنْ تَطُولَ هَذِهِ الْوَقْفَةُ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ طُولَ صَلَاةِ
الرَّجُلِ وَقِصْرَ خُطْبَتِهِ مِثْنَةٌ مَنْ فَهَمَ فَاطْلُوا الصَّلَاةَ وَاقْصُرُوا الْخُطْبَةَ .

وَمِنَ الْمُؤْسِفِ أَنْ أَكْثَرَ الْخُطَبَاءِ الْيَوْمَ عَمِلُوا بِخِلَافِ ذَلِكَ فَاطَّالُوا
الْخُطْبَةَ وَقْصُرُوا الصَّلَاةَ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يُؤَدِّي الصَّلَاةَ تَعُودًا لَا تَعَبْدًا وَهَذَا مَا
جَعَلَهَا لَا تَنْهَاهُ عَنْ فُحْشَاءٍ وَلَا مُنْكَرٍ لِسَانَ حَالِهِمْ يَقُولُ يَا إِمَامُ أَرِحْنَا مِنَ
الصَّلَاةِ .

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِنِعْمٍ عَظِيمَةٍ لَا تُعَدُّ وَلَا
تُحْصَى جَعَلَنَا مِنْ بَنِي آدَمَ وَجَعَلَ لَنَا سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفِيدَةً وَمَنْحَنَا النَّشَاطَ
وَالْقُوَّةَ وَشَدَّ أَسْرَنَا . وَوَهَبَنَا الصِّحَّةَ وَالْعَافِيَةَ وَالرِّزْقَ وَسَهَّلَ عَلَيْنَا الْحَرَكََةَ

والسَّعْيِ .

هَذَا الْبَعْضُ الْيَسِيرُ مِنْ نِعَمِهِ كُلُّهُ كَرَمًا مِنْهُ وَتَفَضُّلاً وَلَمْ يَطْلُبْ مِنَّا إِلَّا دَقَائِقَ مِنْ يَوْمٍ طَوِيلٍ نَشْكُرُهُ فِيهَا وَنَحْمَدُهُ وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَغْفِرَ عَنَّا وَيَرْزُقَنَا وَيَرْحَمَنَا وَيَحْفَظَنَا وَأَوْلَادَنَا وَاهْلَنَا وَهَذِهِ لَا تَخْرُجُ عَنْ كَوْنِهَا لِخَيْرِنَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

فَمَالَنَا لَا نَقُومُ بِهَذِهِ الدَّقَائِقِ بِجِدِّ وَاجْتِهَادٍ وَاخْلَاصٍ وَرَغْبَةٍ وَنَشَاطٍ وَنَسْعَى إِلَى مُنَاجَاةِ مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا رَاغِبِينَ وَنُحَافِظُ عَلَى أَوْقَاتِ الصَّلَاةِ وَنُقِيمُهَا عَلَى الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ لَا شَكَّ أَنَّ الْعَبْدَ عِنْدَمَا يُحَاسِبُ نَفْسَهُ يَخْجَلُ وَيَسْتَجِي جِدًّا وَيَتَذَكَّرُ أَنَّ الصَّلَاةَ الَّتِي هِيَ صَلَاةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَوْلَاهُ لَا تَأْخُذُ مِنْ يَوْمِهِ إِلَّا دَقَائِقَ بَيْنَمَا لَهُ بَاقِي الْيَوْمِ كُلِّهِ .

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الْمَعْرِفَةَ عَلَى بَصِيرَةِ بِكَ وَبِأَسْمَائِكَ وَصِفَاتِكَ وَوَفَّقْنَا لِمَا تُحِبُّهُ وَتَرْضَاهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَجَنِّبْنَا مَا تَكْرَهُهُ وَلَا تَرْضَاهُ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ يَا عَزِيزُ يَا غَفَّارُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِينَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

١٣٩ خطبة

« فِي ذِكْرِ صِفَةِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِهَا »

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْبَرِّ الْكَرِيمِ . الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ . ذِي الْفَضْلِ الْعَظِيمِ
وَالْإِحْسَانِ الشَّامِلِ الْكَامِلِ الْعَمِيمِ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْمَلِكُ الْعَظِيمِ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

المصطفى الكريم . اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ السَّالِكِينَ لِلصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ .

أَمَّا بَعْدُ : أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ الْجَنَّةَ
لِلْمُتَّقِينَ . هـ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ
الْفَيْضَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَالَّذِينَ إِذَا
فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ
وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ
أُولَئِكَ جِزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ فِيهَا مَا لَا دِينَ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ
وَلَا خَطَرٌ عَلَى قُلُوبِ الْعَامِلِينَ . فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ
وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ
عَلَيْنَا شَقِوْثُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا
فَإِنَّا ظَالِمُونَ قَالَ : اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ . فَيَنْشُدُ يَنْأَسُونَ مِنْ
كُلِّ خَيْرٍ وَيَأْخُذُونَ فِي الزَّفِيرِ وَالشَّهِيْقِ . وَكَلَّا رَفَعَهُمُ اللَّهُبُ
وَأَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا : أَعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ : ذُوقُوا عَذَابَ
الْحَرِيقِ . لَا يُفْتَرَّ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا وَهُمْ فِيهِ مُبْسِئُونَ وَيَنْكُونَ
دَمًا بَعْدُ الدَّمُوعِ فَلَا يُرْحَمُونَ . جِزَاءَ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . قَدْ فَاتَهُمْ
مَرَادُهُمْ وَمَطْلُوبُهُمْ . وَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ وَاحَاطَتْ بِهِمْ ذُنُوبُهُمْ
يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ وَالْثُبُورِ يَأْتُبُورَاهُ يَاحْسَرَتُنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِي جَنْبِ

الله . واحْزَنْنَا مِنْ فَظِيعَةِ الْعَذَابِ وَالشَّقَا . وَاكْثَرْنَا مِنْ دَارِ الْعِقَابِ وَتَجَدَّدِ الْمَنَا . وَاجْمَعْنَا مِنَ الْخُلُودِ فِي الْجَحِيمِ وَبَاعِظْ الْبَلَا . فَالْنَا مِنْ شَافِعِينَ . وَلَا أَوْلِيَاءَ وَأَخْلَاءَ دَافِعِينَ قَدْ نَسِينَا الرَّحْمَنُ فِي الْعَذَابِ كَمَا نَسِينَاهُ . وَكَمَا جَحَدْنَا آيَاتِهِ وَجَزَاءَهُ وَلِقَاءَهُ . فَوَاللَّهِ أَنْ أَفْتَدَيْنَا لَتُفْتَتَّ مِنْ قُوَّةِ الْعِقَابِ . وَلِنْ قُلُوبِنَا لَتَقْطَعَ رَمْنَ الْكَرُوبِ وَعِظَمِ الْمَصَابِ . سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا فَالْعَذَابُ دَائِمٌ وَسَوَاءٌ دَعَوْنَا أَوْ سَكَتْنَا فَلَيْسَ لَنَا مُشْفِقٌ وَلَا وَلِيٌ وَلَا رَاحِمٌ . بَارِكِ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ .

١٤٠ خطبة

« فِي النَّارِ وَصَفَتْهَا وَأَهْلَهَا »

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ النَّارَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ * وَعَاقِبَةً لِلْمُجْرِمِينَ وَالتَّكْبِيرُ لِلْمُتَجَبِّرِينَ فَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَدْلُ الشَّدِيدُ الْعِقَابِ وَأَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ * وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي حَذَّرَ وَأَنْذَرَ وَأَخْبَرَ أَنَّ جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلظَّالِمِينَ * اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أُمَّةِ الْمُتَّقِينَ * وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .
أَمَّا بَعْدُ : أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ * وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ أَنَّهُ لَا يُصَلِّي النَّارَ إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى *

وجمع فأوعى * ونسي المبتدأ والمتمهى * فهي دارٌ من طغى
 وبغى * وتجرى على الخلق وأثر الحياة الدنيا * دارُ الشقاء
 الأبدى * والمذاب الشديد السرمدي * دارُ جمع الله فيها
 للطاغين أصناف العذاب * وأحل على أهلها السخط والسعير
 والحجاب * دارُ اشتد غيظها وزفيرها * وتفاقت فظاعتها
 وحمي سميرها * قعرها بعيد * وعذابها شديد * وليأس أهلها
 القطران والحديد * وطعامهم الغسلين وشرابهم الصديد *
 يتجرعه المجرم ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان
 وما هو بميت فيستريح من التنكيد * يتردد أهلها بين الزمير
 المفرط برده وبين السعير * ويلاقون فيها العنا والشقا فيا بئس
 المشوى ويا بئس المصير * ويلقى عليهم الجوع الشديد المفطع *
 والعطش العظيم الموجع * فيستغيثون للطعام والشراب *
 فيغاثون من هذا العذاب بأفزع عذاب * يغاثون بماء كالمهل
 وهو الرصاص المذاب * خبيث الطعم منتن الريح حره قد
 تنأها * إذا قرب من وجوههم اسقط جلد لها ولحمها وشواها
 وإذا وقع في بطونهم صهرها وقطع معاها * يغلي طعام الرقوم
 في بطونهم كتلي الحميم فشاربون عليه من الحميم . فشاربون
 شرب الإبل العطاش الحميم . هذا نزلهم فبئس النزل
 غير الكريم . ينادون مالكا خازن النار : « ليقض علينا ربك »
 فيقول : « إنكم ما كنون . لقد جئناكم بالحق وأكثركم

لِلْحَقِّ كَارَهُونَ . وَيُنَادُونَ مُسْتَفْهِينَ رَبِّهِمْ : « رَبَّنَا غَلَبَتْ
 وَأَنْهَارُ مِنْ عَسَلٍ مَصْفَى * وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَالْفَوَاكِهَ
 الْمُنَوَّعَةَ لَذِيذَةِ الطَّعْمِ يَسِيلُ الْغُلَّةُ فِي الْفَوَاكِهِ * وَفَاكِهَةٍ
 مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ * ظِلِّهَا مَبْدُودٌ * خَيْرُهَا غَزِيرٌ
 غَيْرُ مَحْدُودٍ * وَأَنْهَارُهَا تَجْرِي فِي غَيْرِ اخْتِدَادٍ * فَتَبَارَكَ الرَّبُّ
 الْمَعْبُودُ * دَارُ جَلٍّ مِنْ سَوَّاهَا وَبَنَاهَا * دَارُ طَابَتْ لِلْأَبْرَارِ
 مَنَازِلُهَا الْمَزْخَرَةُ وَسُكْنَاهَا دَارُ تَبْلُغُ النُّفُوسُ فِيهَا مُنِيبَتَهَا
 وَمُنَاهَا * رِيَاضُهَا النَّاصِرَةُ جَمْعُ الْأَصْفِيَاءِ الْمُتَحَابِّينَ * وَبَسَاتِينُهَا
 الزَّاهِرَةُ نَزْهَةُ الْمُشْتَاقِينَ * وَخِيَامُ الدُّلُوكِ وَالذَّرِّ عَلَى شَوَاطِيهِ
 أَنْهَارُهَا بَهْجَةٌ لِلنَّاطِقِينَ * فِيهَا خَيْرَاتُ الْأَخْلَاقِ حَسَنُ الْوُجُوهِ
 قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَهُنَّ الْجَمَالَ الْبَاطِنَ وَالظَّاهِرَ مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ *
 أَبْكَارًا عَرَبًا أَتْرَابًا كَأَنَّهِنَّ الْأَوَّلُ الْمَكْنُونُ * قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ مِنْ
 حُسْنِهِنَّ الَّذِي قَصُرَ عَنْ وَصْفِهِ الْوَاصِفُونَ * مَقْصُورَاتُ
 فِي خِيَامِ الدُّلُوكِ وَالزَّبَرَجَدِ عَنْ رُؤْيَا الْعَيُّونِ * يَتَنَمَّعُ أَهْلُهَا
 فِي كَرَمِ الرَّبِّ الرَّحِيمِ * وَيَنْظُرُونَ بِأَبْصَارِهِمْ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ .
 فَإِذَا رَأَوْا رَبَّهُمْ نَعَالَى نَسُوا مَا فِيهِ مِنَ النِّعَمِ * بُنَادِي الْمُنَادِي
 فِي أَرْجَاءِ الْجَنَّةِ مُبَشِّرًا لَا هُلَا لَهَا بِدَوَامِ النِّعَمِ سَرْمَدًا * إِنْ
 لَكُمْ إِنْ أَحْيَا فَلَاحُوا أَبَدًا * وَإِنْ لَكُمْ أَنْ تَمُوتُوا فَلَا تَعْرَضُوا
 أَبَدًا * وَإِنْ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا * وَإِنْ لَكُمْ أَنْ تَنْتَبَهُوا فَلَا

تَبَاسُوا أَبَدًا * وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ يُحِلَّ الْكَرِيمُ عَلَيْكُمْ رِضْوَانَهُ فَلَا
 يَسْخَطُ عَلَيْكُمْ أَبَدًا يَتَزَاوَرُ فِيهَا الْأَصْحَابُ وَالْأَقْرَابُ وَالْأَحْبَابُ
 وَيَجْتَمِعُونَ فِي ظِلِّهَا الظَّلِيلُ * وَيَتَعَاطُونَ فِيهَا كَوْسَ الرَّحِيقِ
 وَالتَّسْنِيمِ وَالسَّلْسَبِيلِ * وَيَتَنَادَوْنَ بِأَطْيَبِ الْأَحَادِيثِ
 مُتَحَدِّثِينَ بَيْنَهُمُ الْمَوْلَى الْجَلِيلُ * قَدْ نَزَعَ مِنْ قُلُوبِهِمُ الْغُلَّ
 وَالْهَمَّ وَالْأَحْزَانُ * وَتَوَالَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسَرَاتُ وَالْخَيْرَاتُ وَالْكَرَمُ
 وَالْإِحْسَانُ * لِمِثْلِ هَذِهِ الدَّارِ فَتَبِعَهُمُ الْعَامِلُونَ * وَفِي أَعْمَالِهَا
 الْمَوْصِلَةُ إِلَيْهَا فَلَتَبْتَ تَنَافُسَ الْمُتَنَافِسُونَ * فَوَاعَجِبَا كَيْفَ نَامَ
 طَالِبُهَا * وَكَيْفَ لَمْ يَسْمَحْ بِمَهْرَهَا خَاطِبُهَا * وَكَيْفَ طَابَ
 الْقَرَارُ فِي هَذِهِ الدَّارِ بِعُدْ سَمَاعِ أَخْبَارِهَا * وَكَيْفَ قَرَّ الْمُشْتَاقِينَ
 الْقَرَارُ دُونَ مَعَاقَةِ أَبْكَارِهَا طَرِيقِهَا يَسِيرُ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ
 عَلَيْهِ * وَهُوَ امْتِثَالُ الْأَوَامِرِ وَاجْتِنَابِ النَّوَاهِي وَالْمُتَّوْبَةِ
 وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ .

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ

وَاعْتِقَادٍ وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا يَقْرِنُهَا إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ وَاعْتِقَادٍ إِنَّكَ أَنْتَ
 الْكَرِيمُ الْجَوَادُ .

آخر :

١٤١ مَوْعِظَةٌ

عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ الْحَيَاءَ كَمَا عَلِمْتُمْ مِنَ الْإِيمَانِ وَإِنَّهُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ
وَأَنَّهُ خُلِقَ الْإِسْلَامَ وَذَلِكَ أَنَّهُ يَجْرُ إِلَى الْكَمَالَاتِ وَإِلَى الْفَضَائِلِ فَمَنْ لَمْ
يَكُنْ مِنْ أَهْلِ الْحَيَاءِ حَقِيقَةً فَلْيَقْتَدِ بِهِمْ وَالْيَتَشَبَّهُ بِهِمْ لِأَنَّهُمْ خَاصَّةُ
الْفَضْلَاءِ .

فَذُو الْحَيَاءِ الْخُلُقِي يَمْنَعُهُ حَيَاؤُهُ مِنَ الْعُدْوَانِ عَلَى الْمَخْلُوقَاتِ ذُو
الْحَيَاءِ لَا تَبْدُرُ مِنْهُ بَادِرَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْفَضَائِلِ تَنَافِي ذُو الْحَيَاءِ لَا يُقَدِّمُ عَلَى
الزَّيْنِ بَلْ وَلَا عَلَى مُغَازَلَةِ النِّسَاءِ الَّتِي هِيَ مِفْتَاحُ الْفُسُوقِ وَلَا يُقَدِّمُ عَلَى
مُعَامَلَةٍ فِي الرَّبَا لِعِلْمِهِ أَنَّ مُتَعَاطِي الرَّبَى الْعَالِمَ بِتَحْرِيمِهِ مُحَارِبٌ لِلَّهِ
وَرَسُولِهِ .

ذُو الْحَيَاءِ لَا يَغُشُّ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ لِعِلْمِهِ بِتَحْرِيمِ الْغُشِّ وَأَنْ مَنْ غَشَّنَا
فَلَيْسَ مِنَّا ذُو الْحَيَاءِ لَا يَغْتَوِي لُحُومَ الْغَوَافِلِ ، ذُو الْحَيَاءِ لَا يَنْقُلُ كَلَامَ
مُؤْمِنٍ إِلَى أَخِيهِ لِقَصْدِ الْإِفْسَادِ بَيْنَهُمْ ذُو الْحَيَاءِ لَا يَبْعَثُ وَالَّذِي وَلَا يَقْطَعُ مَا
أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوَصَلَ وَلَا يَشْهَدُ بِالزُّورِ وَلَا يُؤْذِي جِيرَانَهُ .

صَاحِبُ الْحَيَاءِ يَتَنَعَّدُ عَنْ أَكْلِ الْحَرَامِ وَعَنْ الْمُجَاهَرَةِ بِالْمَعَاصِي فَلَا
يَخْلُقُ لِحَيْتِهِ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ بِذَلِكَ عَاصٍ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلَا يُخَفِّسُ وَلَا
يَجْعَلُ تَوَالِيَتٍ لِعِلْمِهِ أَنَّ ذَلِكَ تَشَبُّهُ بِالْأَفْرَنْجِ وَلَا يَسْتَعْمِلُ الْمَلَاهِي بِأَنْوَاعِهَا
مِنْ تَلْفِيزِيُونٍ أَوْ سِينَمَاءٍ أَوْ مِذْبَاحٍ أَوْ كُرَّةٍ أَوْ بَكْمٍ أَوْ عُوْدٍ أَوْ فِذْيُو أَوْ نَحْوِ
ذَلِكَ مِنَ الْبِدَعِ الْمُحَرَّمَاتِ الَّتِي حَدَّثَتْ فِي زَمَانِنَا كَالْمَذْكُورَاتِ .

صَاحِبُ الْحَيَاءِ لَا يَشْرَبُ الدُّخَانَ أَوْ إِنْ بُلِيَ بِهِ فَلَا يَشْرَبُهُ فِي

الْأَسْوَاقِ وَمَجَامِعِ النَّاسِ لِعِلْمِهِ أَنَّهُ إِذَا جَاهَرَ بِهِ فِي ذَلِكَ إِزْدَادَ إِثْمُهُ وَعَظُمَ جُرْمُهُ ذُو الْحَيَاءِ لَا يَخْلُو بامرأة لَا مَحْرَمَ مَعَهَا لَا فِي بَيْتٍ وَلَا فِي سَيَّارَةٍ وَلَا فِي أَيِّ مَحَلٍّ لِعِلْمِهِ أَنَّ خُلُوءَهُ بِالْأَجْنَبِيَّةِ مُحْرَمٌ لِلْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي ذَلِكَ .

صَاحِبُ الْحَيَاءِ لَا يَبِيعُ وَيَشْتَرِي فِي صُورِ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ مُجَسَّدَةً أَوْ غَيْرَ مُجَسَّدَةٍ وَلَا يَبِيعُ آيَاتِ اللَّهِ كَالْتَلْفِزِيِّونَ وَالسَّيْنَمَا وَالْمِذْيَاغَ لِعِلْمِهِ أَنَّ ذَلِكَ مُحْرَمٌ وَأَنَّهُ بَتَعَاظِيهِ ذَلِكَ يَكُونُ مُعِينًا عَلَى نَشْرِ الْمَعَاصِي فِي أَرْضِ اللَّهِ بَلْ وَلَا يَصْلَحُهَا لِأَنَّ ذَلِكَ مُسَاعِدَةٌ عَلَى الْمَعَاصِي .

وَالْأَجْرَةُ حَرَامٌ الَّتِي تَأْتِي مُقَابِلَ تَصْلِيحِ آيَاتِ اللَّهِ وَالْفُسُوقِ وَقَسَّ عَلَى ذَلِكَ بَاقِيَ الْمُحَرَّمَاتِ فَصَاحِبُ الْحَيَاءِ الْخُلُقِيُّ يَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ وَمَنْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ لَمْ يُغْضِبْهُ .

وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُهْلِكَ عَبْدًا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ فَإِذَا نَزَعَ مِنْهُ الْحَيَاءَ لَمْ تُلْفِهِ إِلَّا مَقِيَّتًا مُمَقَّتًا فَإِذَا لَمْ تُلْفِهِ إِلَّا مَقِيَّتًا مُمَقَّتًا نَزَعَتْ مِنْهُ الْأَمَانَةُ فَإِذَا نَزَعَتْ مِنْهُ الْأَمَانَةُ لَمْ تُلْفِهِ إِلَّا خَائِنًا مُخَوَّنًا فَإِذَا لَمْ تُلْفِهِ إِلَّا خَائِنًا مُخَوَّنًا نَزَعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ فَإِذَا نَزَعَتْ مِنْهُ الرَّحْمَةُ لَمْ تُلْفِهِ إِلَّا رَجِيمًا مُلْعَنًا نَزَعَتْ مِنْهُ رَبَقَةُ الْإِسْلَامِ رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ .

قَالَ الْعُلَمَاءُ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ ، وَهَذَا تَرْتِيبٌ دَقِيقٌ فِي وَصْفِهِ لَأَمْرَاضِ النُّفُوسِ وَتَتَبِعِهِ لِأَطْوَارِهَا وَكَيْفَ تُسَلِّمُ كُلُّ مَرَحَلَةٍ خَبِيْثَةً إِلَى أُخْرَى أَشَدَّ نَكْرًا فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا مَزَّقَ جِلْبَابَ الْحَيَاءِ عَنْ وَجْهِهِ وَلَمْ يَتَهَيَّبْ عَلَى عَمَلِهِ حِسَابًا وَلَمْ يَخْشَ فِي سُلُوكِهِ لَوْمَةَ لَاثِمٍ مَدَّ يَدَ الْأَذَى لِلنَّاسِ

وَطَعَى عَلَى كُلِّ مَنْ يَقَعُ فِي سُلْطَانِهِ .

وَمِثْلُ هَذَا الشَّخْصِ الشَّرِسُ لَنْ تَجِدَ لَهُ قَلْبًا يَعْطِفُ عَلَيْهِ بَلْ يَغْرِسُ الضَّغَائِنَ فِي الْقُلُوبِ وَيَنْمِيهَا وَأَيُّ شَخْصٍ جَرِيءٌ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى النَّاسِ وَلَا يَزُدُّهُ عَنِ الْإِثَامِ حَيَاءً فَإِذَا صَارَ الشَّخْصُ بِهَذِهِ الْمَثَابَةِ لَمْ يُؤْتَمَنَّ عَلَى شَيْءٍ قَطُّ إِذْ كَيْفَ يُؤْتَمَنَّ عَلَى أَمْوَالٍ لَا يَخْجَلُ مِنْ أَكْلِهَا أَوْ عَلَى أَعْرَاضٍ لَا يَسْتَجِي مِنْ فَضْحِهَا أَوْ عَلَى مَوْعِدٍ لَا يَهْمُهُ أَنْ يُخْلِفَهُ أَوْ عَلَى وَاجِبٍ لَا يُبَالِي أَنْ يُفَرِّطَ فِيهِ أَوْ عَلَى بِضَاعَةٍ لَا يَتَنَزَّهُ عَنِ الْغِشِّ فِيهَا .

فَإِذَا فَقَدَ الشَّخْصُ حَيَاءَهُ وَفَقَدَ أَمَانَتَهُ أَصْبَحَ وَحْشِيًّا كَاسِرًا يَنْطَلِقُ مُعْرِبِدًا وَرَاءَ شَهَوَاتِهِ وَيَدُوسُ فِي سَبِيلِهَا أَزْكَى الْعَوَاطِفِ فَهُوَ يَغْتَالُ أَمْوَالَ الْفُقَرَاءِ غَيْرَ شَاعِرٍ نَحْوَهُمْ بَرَقَةٍ وَيَنْظُرُ إِلَى الْمُنْكَوِبِينَ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ فَلَا يَهْتَرُ فُؤَادَهُ بِشَفَقَةٍ فَهُوَ لَا يَعْرِفُ إِلَّا مَا يُغْوِيهِ وَيُغْرِيه بِالْمَزِيدِ .

وَيَوْمَ يَبْلُغُ امْرُؤٌ هَذَا الْحَضِيضَ فَقَدْ أَفْلَتَ مِنْ قِيُودِ الدِّينِ وَانْخَلَعَ مِنْ رَبَقَةِ الْإِسْلَامِ ، وَلِلْحَيَاءِ مَوَاضِعٌ يُسْتَحَبُّ فِيهَا فَالْحَيَاءُ فِي الْكَلَامِ يَتَطَلَّبُ مِنَ الْمُسْلِمِ أَنْ يُطَهِّرَ فَمَهُ مِنَ الْفُحْشِ وَأَنْ يُنْزِعَ لِسَانَهُ عَنِ الْعَيْبِ وَأَنْ يَخْجَلُ مِنْ ذِكْرِ الْعَوْرَاتِ فَإِنَّ مِنْ سُوءِ الْأَدَبِ أَنْ تُفْلَتَ الْأَلْفَاظُ الْبَذِيئَةُ مِنَ الْمَرْءِ غَيْرِ عَابِيٍّ بِمَوَاقِعِهَا وَآثَارِهَا وَمِنْ الْحَيَاءِ أَنْ يَقْتَصِدَ الْمُسْلِمُ فِي الْكَلَامِ فِي تَجَدُّثِهِ فِي الْمَجَالِسِ .

اللهم طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ وَعَمَلْنَا مِنَ الرِّيَاءِ وَالسِّتْنَا مِنَ الْكَذِبِ وَأَعِينْنَا مِنَ الْخِيَانَةِ وَأَذَانَنَا عَنِ الْاسْتِمَاعِ إِلَى مَا لَا يُرْضِيكَ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَالْحَقْنَا بِالصَّالِحِينَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

١٤٢ خطبة

في الْحَثِّ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

عِبَادَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا وَصِيَّةُ اللَّهِ لِلْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ،
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ
اتَّقُوا اللَّهَ ﴾ فَمَا مِنْ خَيْرٍ عَاجِلٍ وَلَا آجِلٍ ظَاهِرٍ وَلَا بَاطِنٍ إِلَّا وَتَقْوَى اللَّهِ
سَبِيلٌ مُوَصِّلٌ إِلَيْهِ ، وَوَسِيلَةٌ مُبْلِغَةٌ لَهُ ، وَمَا مِنْ شَرٍّ عَاجِلٍ وَلَا آجِلٍ
ظَاهِرٍ وَلَا بَاطِنٍ إِلَّا وَتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ جِرْزٌ مَتِينٌ وَحِصْنٌ حَصِينٌ
لِلسَّلَامَةِ مِنْهُ وَالنَّجَاةِ مِنْ ضَرَرِهِ .

وَكَمْ عَلَّقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ عَلَى التَّقْوَى مِنْ خَيْرَاتٍ
عَظِيمَةٍ وَسَعَادَاتٍ جَسِيمَةٍ مِنْ ذَلِكَ الْمَعِيَّةِ الْخَاصَّةِ الْمُقْتَضِيَةِ لِلْحِفْظِ
وَالْعِنَايَةِ وَالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ
الْمُتَّقِينَ ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ الْمَحَبَّةِ لِمَنْ اتَّقَى اللَّهَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ فَمَا
اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنْ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ التَّوْفِيقُ لِلْعِلْمِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ
اللَّهُ ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ نَفْيُ الْخَوْفِ وَالْحُزَنِ عَنِ الْمُتَّقِي الْمُصْلِحِ قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى : ﴿ فَمَنْ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ وَمِنْ
ذَلِكَ الْفَرْقَانُ عِنْدَ الْإِسْتِثْبَاهِ وَوُقُوعِ الْأَشْكَالِ وَالْكَفَّارَةِ لِلْسَّيِّئَاتِ وَالْمَغْفِرَةِ
لِلذُّنُوبِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ
فُرْقَانًا وَيُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا
كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ وَقَالَ تَعَالَى :

﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ الشُّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾
وَمِنْ ذَلِكَ الْمَخْرَجُ مِنَ الشَّدَائِدِ وَالرِّزْقِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ قَالَ تَعَالَى :
﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ .

وَمِنْ ذَلِكَ الْيُسْرُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى . ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ
يُسْرًا ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ عِظْمُ الْأَجْرِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفِرْ عَنْهُ
سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾ وَمِنْ ذَلِكَ الْوَعْدُ مِنَ اللَّهِ بِالْجَنَّةِ قَالَ تَعَالَى :
﴿ جَنَّاتٌ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ﴾ الْآيَاتُ إِلَى قَوْلِهِ مَنْ
كَانَ تَقِيًّا .

وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ
الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى :
﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ
لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾

وَمِنْ ذَلِكَ الْكَرَامَةُ عِنْدَ اللَّهِ بِالتَّقْوَى قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ
اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ إِذَا فَهَمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ التَّقْوَى هِيَ امِثَالُ الْأَوْامِرِ
وَاجْتِنَابُ النَّوَاهِي ، فَالْمُتَّقُونَ هُمُ الَّذِينَ يَرَاهُمُ اللَّهُ حَيْثُ أَمَرَهُمْ وَلَا
يُقْدِمُونَ عَلَى مَا نَهَاَهُمْ عَنْهُ .

الْمُتَّقُونَ هُمُ الَّذِينَ يَعْتَرِفُونَ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِمْ وَيَعْرِفُونَهُ
وَيُؤَدُّونَهُ ، وَيُنْكِرُونَ الْبَاطِلَ وَيَجْتَنِبُونَهُ وَيَخَافُونَ الرَّبَّ الْجَلِيلَ الَّذِي لَا
تُخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ ، الْمُتَّقُونَ يَعْمَلُونَ بِكِتَابِ اللَّهِ فَيَحْرِمُونَ مَا حَرَّمَهُ
وَيُحِلُّونَ مَا أَحَلَّهُ .

وَلَا يَخُونُونَ فِي أَمَانَةٍ وَلَا يَرْضُونَ بِالذُّلِّ وَالْأَهَانَةِ وَلَا يَعْقُونَ وَلَا

يَقْطَعُونَ ، وَلَا يُؤْذُونَ جِيرَانَهُمْ وَلَا يَضُرُّونَ إِخْوَانَهُمْ ، يَصِلُونَ مَنْ قَطَعَهُمْ ، وَيُعْطُونَ مَنْ حَرَّمَهُمْ ، وَيَعْفُونَ عَمَّنْ ظَلَمَهُمُ الْخَيْرُ عِنْدَهُمْ مَأْمُولٌ ، وَالشَّرُّ مِنْ جَانِبِهِمْ مَأْمُونٌ لَا يَغْتَابُونَ وَلَا يَكْذِبُونَ وَلَا يُنَافِقُونَ .

وَلَا يَنْمُونُ وَلَا يَحْسِدُونَ وَلَا يُرَاؤُنَ وَلَا يُرَابُونَ وَلَا يَقْدِفُونَ وَلَا يَأْمُرُونَ بِمُنْكَرٍ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنِ مَعْرُوفٍ ، بَلْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، تِلْكَ صِفَاتُ الْمُتَّقِينَ حَقًّا الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ .

إِخْوَانِي ، لَوْ تَحَلَّى كُلٌّ مِنَّا بِالتَّقْوَى لَحَسُنَ عَمَلُهُ ، وَخُلِصَتْ نِيَّتُهُ ، وَاسْتَقَامَ عَلَى الْهُدَى ، وَابْتَعَدَ عَنِ الْمَعَاصِي وَالرَّدَى ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ النَّاجِينَ .

وَصَفُ الْمُؤْمِنِ الْمُتَّقِي لِلْإِمَامِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

الْمُتَّقُونَ هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ وَمَلْبَسُهُمُ الْاِقْتِصَادُ وَمَشِيَّتُهُمُ التَّوَاضُّعُ غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَمَا نَزَلَتْ فِي الرَّخَاءِ وَلَوْلَا الْأَجَلُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرَفَةً عَيْنٍ شَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ وَخَوْفًا مِنَ الْعِقَابِ .

عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا فَهُمْ فِيهَا مُنْعَمُونَ وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ

وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً وَتِجَارَةً مُرِيحَةً يَسْرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ .

أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا وَأَسَرَّتْهُمْ فَفَدَّوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهُ تَرْتِيلًا يُحْزِنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَيْرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ .

فَإِذَا مَرُّوْا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا وَتَطَلَّعَتْ نَفْسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا وَظَنُّوا أَنَّهَا نَصَبٌ أَعْيَنَهُمْ وَإِذَا مَرُّوْا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ زَيْيَرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أَصُولِ آذَانِهِمْ فَهُمْ حَائُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ مَفْتَرِشُونَ لِحِبَابِهِمْ وَأَكْفِهِمْ وَرُكْبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي فَكَالِكِ رِقَابِهِمْ وَأَمَّا النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ أَبْرَارُ أَتَقِيَاءُ .

قَدْ بَرَّاهُمْ الْخَوْفُ بَرِّي الْقِدَاحِ يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّازِرُ فَيَحْسِبُهُمْ مَرْضَى وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ وَيَقُولُ قَدْ خَوَّلُوهَا وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ ؟ لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَهَمُونَ وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ إِذَا زَكِّيَ أَحَدُهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ فَيَقُولُ أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي اللَّهُ لَا تُوَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ .

فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ وَحَزْمًا فِي لَيْنٍ وَإِيمَانًا فِي يَقِينٍ ، وَجَرَصًا فِي عِلْمٍ ، وَعِلْمًا فِي جَلَمٍ وَقَصْدًا فِي غِنَى وَخُشُوعًا فِي عِبَادَةٍ وَتَحَمُّلًا فِي فَاقَةٍ وَصَبْرًا فِي شِدَّةٍ وَطَلَبًا فِي حَلَالٍ وَنَشَاطًا فِي هُدًى وَتَحَرُّجًا عَنْ طَمَعٍ .

يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ ، يُنْسِي وَهْمَهُ الشُّكْرُ ،
وَيُضَيِّحُ وَهْمَهُ الذِّكْرُ يَبِيتُ حَذِيراً وَيُضَيِّحُ فَرِحاً ، حَذِيراً لِمَا حَذَرَ مِنْ
الْغَفْلَةِ ، وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ ، إِنْ اسْتَضَعَبَتْ عَلَيْهِ
نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ ، لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ .

قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى ، يَمْزِجُ الْحِلْمَ
بِالْعِلْمِ ، وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ ، تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ ، قَلِيلًا زَلُّهُ ، خَاشِعاً قَلْبُهُ ،
قَانِعَةً نَفْسُهُ ، مَنزُوراً أَكَلُهُ سَهلاً أَمْرُهُ ، حَرِيْزاً دِينُهُ ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ مَكْظُوماً
عَظْمَتُهُ ، الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ .

إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ
يُكْتَبَ مِنَ الْغَافِلِينَ يَغْفُو عَنْهُمْ ظَلَمَهُ وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ ،
بَعِيداً فُحْشُهُ ، لَيْتَنَّا قَوْلُهُ غَائِباً مُنْكَرُهُ ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ ، مُقْبِلاً خَيْرُهُ ،
مُذْبِراً شَرُّهُ ، فِي الزَّلَازِلِ وَقُورٌ ، فِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ وَفِي الرِّخَاءِ شُكُورٌ .

لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ ، وَلَا يَأْتُمُ فِيمَنْ يُحِبُّ ، يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ
قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ ، لَا يُضَيِّعُ مَا اسْتَحْفِظَ ، وَلَا يَنْسَى مَا ذَكَرَ ، وَلَا يُنَابِزُ
بِالْأَلْقَابِ ، وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ ، وَلَا يَشْتُمُ بِالْمُصَابِ ، وَلَا يَدْخُلُ فِي
الْبَاطِلِ ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ .

إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغْمُهُ صَمْتُهُ ، وَإِنْ ضَجَّكَ لَمْ يَغْلُ صَوْتُهُ ، وَإِنْ بُغِيَ
عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ ، نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ وَالنَّاسُ
مِنْهُ فِي رَاحَةٍ ، أَتَعَبَ نَفْسَهُ لِأَخْرَجَتْهُ ، وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ .

بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ ، وَدُنُوهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ ،
لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكَبِيرٍ وَعَظَمَةٍ ، وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ .

قَالَ فَصِصَقَ هَمَامٌ صَعَقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا . فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ هَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ
الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : فَمَا بِأَلَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ وَيَحَكَ ، إِنْ
لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتًا لَا يَعْدُوهُ وَسَبِيًّا لَا يَتَجَاوَزُهُ أَهـ .

اللَّهُمَّ نَوِّرْ قُلُوبَنَا بِنُورِ الْإِيمَانِ وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ وَأَلْهِمْنَا ذِكْرَكَ
وَشُكْرَكَ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
اللَّهُمَّ يَا عَالَمَ الْخَفِيَّاتِ وَيَا سَامِعَ الْأَصْوَاتِ وَيَا بَاعِثَ الْأَمْوَاتِ وَيَا مُجِيبَ
الدَّعَوَاتِ وَيَا قَاضِيَ الْحَاجَاتِ يَا خَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ أَنْتَ اللَّهُ الْوَاحِدُ
الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ الْوَهَّابُ الَّذِي لَا يَبْخُلُ
وَالْحَلِيمُ الَّذِي لَا يَعْجَلُ لَا رَادَّ لَأَمْرِكَ وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِكَ نَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ
ذُنُوبَنَا وَتُنَوِّرَ قُلُوبَنَا وَتُثَبِّتَ مَحَبَّتَكَ فِي قُلُوبِنَا وَتُسَكِّنَنَا دَارَ كَرَامَتِكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

١٤٣ خطبة

في ذم الدنيا والتحذير من فتنها

الْحَمْدُ لِلَّهِ جَعَلَ الدُّنْيَا دَارَ مَمَرٍّ وَالْآخِرَةَ دَارَ الْمَقَرِّ . وَأَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ عَلَى رَغْمِ أَتْفِ مَنْ جَحَدَ بِهِ وَكَفَرَ .
وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ إِلَى جَمِيعِ
الْبَشَرِ . اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى

إِلَيْهِ وَصَحَابَتِهِ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَا وَهَنَ عَزْمُهُمْ عَنِ الْجِهَادِ وَمَا فُتِرَ.

أَمَّا بَعْدُ. فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَكِدُّ وَيَكْدَحُ وَيَنْصَبُ لِلْمَالِ يَجْمَعُهُ بَعْرَقِهِ وَسَهْرِهِ وَتَعَبِهِ وَتَفْكِيرِهِ وَهُوَ الْمُتَقَطِّعُ الْفَانِي وَالْمُضْمَحِلُّ، وَيُعْرِضُ عَنِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالْبَاقِيَةِ وَالسَّارَّةِ وَالنَّافِعَةِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى. وَإِنْ جَاءَهَا فَبِالْقَلِيلِ مِنَ الْجَدِّ وَالنَّشَاطِ وَالْإِحْلَاصِ. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ نَصٌّ صَرِيحٌ إِلَى أَنَّ الْمَالَ وَالْبَيْنَ زِينَةُ دُنْيَوِيَّةٍ تَخْلُقُ وَتَبْلَى وَتَفْنَى. وَأَنَّ الَّذِي يَبْقَى لِلْإِنْسَانِ نَفْعُهُ وَآثَرُهُ مُضَاعَفًا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى هِيَ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ. مِنْ صَلَاةٍ وَصَدَقَةٍ وَصَوْمٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةٍ وَقِرَاءَةِ قُرْآنٍ وَذِكْرِ وَتَسْبِيحٍ وَتَهْلِيلٍ وَطَلَبِ عِلْمٍ وَتَعْلِيمٍ نَافِعَيْنِ وَأَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ وَنَهْيٍ عَنِ مُنْكَرٍ وَبِرٍّ وَإِحْسَانٍ وَصِلَةٍ رَحِمٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ الدُّنْيَا وَحَذَرَ مِنْ خُضْرَتِهَا وَضَرَبَ لَهَا الْأَمْثَالَ الْكَثِيرَةَ وَعَرَّاهَا مِنْ زِينَتِهَا وَزُخْرُفِهَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لِيَتَصَوَّرَهَا النَّاسُ حَقَّ التَّصَوُّرِ وَيَعْرِفُوا بَاطِنَهَا وَظَاهِرَهَا فَيُقَارِنُوا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الدَّارِ الْبَاقِيَةِ وَيُؤَثِّرُوا أَيُّهُمَا أَوْلَى بِالْإِثَارِ. فَقَالَ تَعَالَى (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَتْرَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَيَّنَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) وَقَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِمَنْ قَامَ عَلَى الْأُمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ

(وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَتْرَكْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ
نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
مُقْتَدِرًا) وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِجَدِي
مَيْتٍ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ فَقَالَ أَتَيْكُمْ يُحِبُّ أَنْ هَذَا لَهُ بِدْرَهُمْ فَقَالُوا مَا نُحِبُّ
أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى
اللَّهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ. ذَلِكَ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا الَّتِي انشَغَلَ بِهَا الْكَثِيرُ
مِنَ النَّاسِ عَنِ الْآخِرَةِ كَالْمَطَرِ يَنْزِلُ عَلَى الْأَرْضِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُهَا
أَوْ تَنَبَّتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيحٍ. فَبَيْنَمَا خُضِرَتْهَا نَاعِمَةٌ زَاهِرَةٌ تَأْخُذُ
بِالْقُلُوبِ، وَزَهْرَتُهَا فَاقِعَةٌ تَسُرُّ النَّاطِرِينَ وَتَأْخُذُ بِالْأَلْبَابِ، إِذْ أَصْبَحَتْ
هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ فَذَهَبَ ذَلِكَ النَّبَاتُ النَّاطِرُ وَالزَّهْرُ الزَّاهِرُ، وَالْمَنْظَرُ
الْبَهِيُّ، فَأَصْبَحَتْ غُبْرَاءَ مُوحِشَةً قَدْ صَدَفَ عَنْهَا الْبَصَرُ وَأَنْحَرَفَ عَنْهَا
النَّظَرُ، كَذَلِكَ هَذِهِ الدُّنْيَا بَيْنَمَا صَاحِبُهَا قَدْ أُعْجِبَ بِشَبَابِهِ وَفَاقَ فِيهَا
عَلَى أَقْرَانِهِ وَأَتْرَابِهِ وَحَصَلَ الدَّرْهَمُ وَالذِّينَارُ، وَاقْتَطَفَ مِنْ لَدَاتِهَا الْأَزْهَارُ،
وَحَاضَ فِي اللَّذَاتِ وَالشَّهَوَاتِ أَيَّامُهُ، وَظَنَّ أَنَّهُ لَا يَزَالُ فِي الدُّنْيَا سَائِرًا،
وَعَلَى تَصَرُّيفِ أَحْوَالِهَا قَادِرًا إِذْ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ عَنْهُ سُورُهُ وَزَالَتْ
لَذَّتُهُ وَحُبُورُهُ وَاشْتَدَّتْ آلامُهُ وَفَارَقَ قُوَّتُهُ وَمَالُهُ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ
بِالْحَقِّ وَنُقِلَ إِلَى قَبْرِهِ لَا مَالَ وَلَا وَلَدَ وَلَا خَدَمَ وَلَا حَشَمَ مُجَرَّدًا
ضَعِيفًا وَحِيدًا فَرِيدًا فَمَنْ يَأْتُرِي يُنَجِّيه مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَيُخَفِّفُ مِنْ
كُرْبَتِهِ وَيُؤْنِسُهُ فِي وَحْدَتِهِ وَدَارِ غُرْبَتِهِ. اللَّهُمَّ لَا شَيْءَ إِلَّا عَمَلٌ صَالِحٌ
قَدَّمَهُ فِي دُنْيَاهُ فَهُوَ أُنْسُهُ فِي قَبْرِهِ وَرَفِيقُهُ فِي حَشْرِهِ وَنَشْرِهِ (كُلُّ أَمْرٍ
بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ) فَمَنْ زَرَعَ الذُّنُوبَ وَالْآثَامَ فِي الدُّنْيَا فَلَنْ يَحْصُدَ
إِلَّا الشُّوْكَ وَالضَّرِيعَ وَالْمُهْلَ فِي الْآخِرَةِ مِنْهَا طَعَامُهُ (إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ

طَعَامُ الْأَيْمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلِي الْحَمِيمِ) وَمِنْهَا شَرَابُهُ
(وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ
وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا) وَمَنْ زَرَعَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ أَثْمَرَتْ
لَهُ الْجَنَّاتُ الْخَالِدَةُ وَالْثَّمَارُ الْيَانِعَةُ وَالْحُورُ النَّاعِمَةُ
وَالْأَنْهَارُ الْجَارِيَةُ وَالْقُصُورُ الْعَالِيَةُ الَّتِي لَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ وَصْفَ
نَعِيمِهَا فَضلاً عَنْ عَدِّهِ أَوْ حَدِّهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزْلاً خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ
عَنْهَا حِوْلاً) وَفِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ يَقُولُ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ. أَعَدَدْتُ
لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى
قَلْبٍ بَشَرٍ. وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ
لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

وَقَدْ ضَرَبَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْقِيمِ الزَّائِلَةِ وَالْبَاقِيَةِ مَثَلاً بَيْنَ رَجُلَيْنِ
أَحَدُهُمَا شَاكِرٌ لِنِعْمَةِ اللَّهِ وَالْآخَرُ كَاْفِرٌ بِهَا. وَمَا صَدَرَ مِنْ كُلِّ مِنْهُمَا
مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَمَا حَصَلَ بِسَبَبِ ذَلِكَ مِنَ الْعُقُوبَاتِ وَالنَّوَابِ
الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ لِيَعْتَبَرَ النَّاسُ بِحَالِهِمَا وَيَتَعَذَّبُوا بِمَا وَقَعَ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ
سُبْحَانَهُ (وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ
وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا، كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ
تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا) هَذِهِ هِيَ الْمُقَدِّمَةُ لِلْقِصَّةِ تَبْدَأُ
بِذِكْرِ الْقِيمِ الزَّائِلَةِ وَتَعْرِيفِهَا بِجَنَّتَيْنِ مُثْمَرَتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ يَحْفُ بِهِمَا
النَّخْلُ وَيَتَوَسَّطُهُمَا الزَّرْعُ وَتَتَفَجَّرُ بَيْنَهُمَا الْأَنْهَارُ، وَإِنَّهُ لَمَنْظَرٌ بِهِيْجٌ
حَقّاً حِينَ تَكُونُ الْحَدِيقَتَانِ بِهَذَا الشَّكْلِ وَالتَّنَاسُقِ الْبَدِيعِ وَخَاصَّةً إِذَا
تَوَافَرَتِ الثَّمَارُ وَارْجَحَّتِ الْأَشْجَارُ وَاطْرَدَتِ الْأَنْهَارُ فَلَا تَقْصُ فِي ثَمَرِ

وَلَا عَوَزَ فِي مَاءٍ وَلَا وَجَعَ فِي شَجَرٍ وَلَا تَعَبَ فِي رَيِّ كَمَا يُؤْخَذُ
مِنَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الْآيَةِ الذِّكْرِ. وَمَعَ ذَلِكَ النَّعِيمِ لَمْ يَشْكُرْ صَاحِبُ
الْجَنَّتَيْنِ رَبَّهُ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِأَصْنَافِ النَّعَمِ بَلْ بَطَرَ وَانْتَفَشَ وَرَكَنَ
إِلَى الدُّنْيَا وَافْتَحَرَ بِمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَأَنْصَارِهِ وَأَتَكَرَّ الْبُعْثَ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ
تَعَالَى عَنْهُ بِقَوْلِهِ (وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ
مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا، وَدَخَلَ جَنَّتُهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ
تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأُجِدَنَّ
خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا) فَلَمَّا سَمِعَ الرَّجُلُ الشَّاكِرُ مَقَالَتهُ لَمْ يَتَّجِهْ إِلَى الْمَتَاعِ
وَالزُّخْرِفِ يَسْأَلُهُ رَبُّهُ فَالِدُنْيَا عِنْدَهُ حَقِيرَةٌ صَغِيرَةٌ وَإِنَّمَا اتَّجَهَ إِلَى الْقِيَمِ
الْبَاقِيَةِ إِلَى تَحْقِيقِ الْحَقِّ وَإِزْهَاقِ الْبَاطِلِ. فَغَضِبَ لِرَبِّهِ وَانْتَفَضَ الْإِيمَانُ
فِي قَلْبِهِ فَلَمْ يُبَالِ الْمَالَ وَلَمْ يُدَارِ النَّفَرَ وَلَمْ يَتَلَعَّثْ فِي الْحَقِّ وَلَمْ يُجَامِلْ
فِيهِ وَقَالَ مُعْتَزًّا بِعَقِيدَتِهِ وَإِيمَانِهِ مُعْتَزًّا بِاللَّهِ الَّذِي تَعَنُّوا لَهُ الْوُجُوهَ مُنْكَرًا
عَلَى صَاحِبِهِ بَطْرَهُ وَكِبْرَهُ مُذَكِّرًا لَهُ بِمَنْشِئِهِ مِنْ مَاءٍ وَطِينٍ مُوجِّهًا لَهُ
إِلَى الْأَدَبِ الْوَاجِبِ فِي حَقِّ النُّعْمَةِ وَشُكْرِ الْمُنْعِمِ بِهَا مُنْكَرًا عَلَيْهِ
طُغْيَانَهُ وَكُفْرَهُ رَاجِيًا عِنْدَ رَبِّهِ مَا هُوَ خَيْرٌ وَأَبْقَى مِنْ حَدِيثَيْهِ وَثِمَارِهِ كَمَا
أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِصَاحِبِهِ (وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكْفَرْتَ بِالَّذِي
خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا، لَكِنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي
وَلَا أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا، وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا
قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَى أَنْ أَقْلَ مِنْكَ مَالًا وَلَدًا، فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي
خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا،
أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا) فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَةَ الرَّجُلِ
الْمُؤْمِنِ وَحَقَّقَ مَا تَوَقَّعَهُ عَلَى جَنَّةٍ هَذَا الْمَعْرُورِ الْمُتَبَجِّحِ فَمَا هِيَ إِلَّا

سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ أَوْ لَيْلٍ فَإِذَا الثَّمَرُ كُلُّهُ مُدْمَرٌ كَأَنَّمَا أُخِذَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَلَمْ يَسْلَمْ مِنْهُ شَيْءٌ وَإِذَا الْجَنَّةُ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا مُهْشِمَةٌ مُحْطَمَةٌ وَإِذَا الْمَعْرُورُ الْمُنتَفِشُ بِالْأَمْسِ يُقَلِّبُ كَفِّهِ أَسْفًا وَحُزْنًا عَلَى مَالِهِ الضَّائِعِ وَجَهْدِهِ الذَّاهِبِ وَإِذَا كُلُّ شَيْءٍ فِي الْحَدِيقَتَيْنِ يَنْقَلِبُ مِنْ مَشْهَدِ النَّمَاءِ وَالْإِزْدِهَارِ إِلَى مَشْهَدِ الدَّمَارِ وَالْبَوَارِ وَمِنْ هَيْئَةِ الْبَطْرِ وَالْإِفْتِحَارِ إِلَى هَيْئَةِ النَّدَمِ وَالْإِنْكَسَارِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفِّهِ عَلَى مَا أَتَّفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا). وَهَذَا جَزَاءُ كُلِّ مَنْ تَكَبَّرَ وَنَافَقَ وَجَحَدَ فَضَلَ اللَّهِ وَكَفَرَ نِعْمَتَهُ وَتَجَبَّرَ عَلَى عِبَادِهِ بِالْأَمْسِ وَالْيَوْمِ وَبَعَدَ الْيَوْمِ وَفِي الْعَدِّ (وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا) نَعَمْ وَمَا كَانَ مُتَنْصِرًا (هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا).

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ. وَاتَّقُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا كَمَا عَلِمْتُمْ دَارُ غُرُورٍ وَعَنْ قَرِيبٍ تَخْرُبُ وَيَمُوتُ أَهْلُهَا وَشَمُّرُوا إِلَى دَارٍ لَا يَخْرُبُ بُنْيَانُهَا وَلَا يَمُوتُ سُكَّانُهَا وَلَا يَهْرُمُ شَبَابُهَا هَوَائِهَا النَّسِيمُ يَتَقَلَّبُ أَهْلُهَا فِي رَحْمَةِ

١٤٤ خطبة أخيرة

تابعة لما قبلها

وصالحة بعد كل خطبة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ الْعَلِيُّ الْغَنِيُّ الصَّبُورُ الشَّكُورُ. وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

الْقَائِلُ كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ. اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ
وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ صَانُوا
أَنْفُسَهُمْ عَنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَغُرُورِهَا فَأَعَزَّهُمُ اللَّهُ وَأَعْلَى ذِكْرَهُمْ فِي
الْعَالَمِينَ.

أَمَّا بَعْدُ. فَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ
بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ. إِنَّ الْمَوْتَ كَأْسٌ
لَا بُدَّ مِنْ شُرْبِهِ وَإِنْ طَالَ الزَّمَنُ وَلَا دَيْمُومَةٌ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ. وَالْإِبْتِلَاءُ
سُنَّةٌ مُلَازِمَةٌ لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَقَدْ اقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُفْتِنَ عِبَادَهُ
بِمَا بِهِ يَتَمَيَّزُ الْخَبِيثُ مِنَ الطَّيِّبِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ
الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ) وَالْفِتْنُ أَنْوَاعٌ
مُتَعَدِّدَةٌ فَقَدْ يُفْتَنُ الْمُؤْمِنُ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَبِالْغِنَى وَالْفَقْرِ وَقَدْ يُفْتَنُ
بِأَنْوَاعٍ أُخْرَى كَثِيرَةٍ غَيْرِ هَذِهِ وَتِلْكَ لِيُعْرِفَ أَشَاكِرٌ أَمْ كَاْفِرٌ أَصَادِقٌ
أَمْ كَاَذِبٌ أَصَابِرٌ أَمْ قَانِطٌ (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ
الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ — وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً
أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْفِتَنِ وَأَقْوَاهَا عَلَى
أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ وَيَتَمَتَّعُونَ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ. دَعْوَاهُمْ فِيهَا
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ. أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (فَأَمَّا مَنْ طَعَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ
عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا
وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا وَلَا إِلَى النَّارِ مَصِيرَنَا، اللَّهُمَّ لَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا بَذُنُوبِنَا
مَنْ لَا يَخَافُكَ وَلَا يَرْحَمُنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ. اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا

الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِنَا. اللَّهُمَّ كَرِّهِ لَنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ
 وَاجْعَلْنَا مِنَ الرَّاشِدِينَ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا
 وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْحَيِّينَ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.
 النَّفُوسِ الْمُؤْمِنَةِ فِتْنَةُ الْمَالِ، وَكَانَ يُقَالُ مِنَ الْعِصْمَةِ أَنْ لَا تَجِدَ. وَفِتْنَةُ
 السَّرَّاءِ أَعْظَمُ مِنْ فِتْنَةِ الضَّرَّاءِ (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ
 أَجْرٌ عَظِيمٌ) وَعَنْ كَعْبِ بْنِ عِيَاضٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ رَوَاهُ
 التِّرْمِذِيُّ. وَصَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ فَكَمْ مِنْ أَنْاسٍ يَصْبِرُونَ عَلَى الشَّدَائِدِ
 وَالْفَقْرِ وَالْحَرَمَانِ فَلَا تَتَهَاوَى نَفْسُهُمْ فِي الْأَوْحَالِ وَلَا تُذَلُّ. وَلَكِنْ
 قَلِيلُونَ هُمُ الَّذِينَ يَصْبِرُونَ عَلَى الثَّرَاءِ وَالْمَنْصِبِ وَالْوُجْدَانِ وَمَا يُغْرِيَانِ
 بِهِ مِنْ لَذَّةٍ وَمَتَاعٍ وَمَا يُثِيرَانِهِ مِنْ شَهْوَةٍ وَأَطْمَاعٍ. وَهَذِهِ عَادَةُ الْإِنْسَانِ
 فِي عُمُومِهِ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ بِالْإِيمَانِ، لَا يَشْكُرُ اللَّهُ تَعَالَى لِجَهْلِهِ
 وَظُلْمِهِ. وَإِذَا رَأَى نَفْسَهُ غَنِيًّا طَعَى وَبَغَى وَتَجَبَّرَ عَلَى الْهُدَى وَنَسِيَ
 أَنَّ إِلَى رَبِّهِ الرُّجْعَى. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ)
 رَأَاهُ اسْتَعْنَى).

وَالْمَالُ إِمَّا نِعْمَةٌ يُسَبِّغُهَا اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ حِينَ يُوفِّقُهُ
 إِلَى طَاعَتِهِ وَالشُّكْرُ عَلَى نِعْمَتِهِ وَالْإِصْلَاحُ بِهَا فِي الْأَرْضِ وَالتَّوَجُّهُ
 بِهَا إِلَى اللَّهِ عَلَى مَنْهَجِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ فَلَا يَرْغَبُ فِي غَيْرِ
 مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَلَا يَتَعَدَّى حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ
 الزَّكَاةِ. وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ
 نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ. وَإِمَّا نِقْمَةٌ يُصِيبُ اللَّهُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ
 مِنْ عِبَادِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ فُسَادِهِ وَسُوءِ نِيَّتِهِ وَأَخْلَاقِهِ فَإِذَا الْمَالُ فِي حَقِّهِ

شَقَاءٌ وَتَعَبٌ وَفِتْنَةٌ وَعَذَابٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي مِثْلِ هَذَا الصِّفِّ مِنَ النَّاسِ (فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ) فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ. فِيمَا عَلَيْكُمْ وَرَاقِبُوهُ جَلَّ وَعَلَا فِيمَا لَدَيْكُمْ وَاعْرِفُوا حَقِيقَةَ الدُّنْيَا وَمَا هِيَ صَائِرَةٌ إِلَيْهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَّ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ — إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ الطَّاهِرِينَ وَأَصْحَابِهِ الطَّيِّبِينَ ، اللَّهُمَّ ارْضَ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، اللَّهُمَّ ارْضَ عَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَذِلَّ الشَّرَّكَ وَالْمُشْرِكِينَ، اللَّهُمَّ انصُرْ جُيُوشَ الْمُسْلِمِينَ وَعَسَاكِرَ الْمُؤَحِّدِينَ عَلَى الْيَهُودِ وَالشُّعُوبِيِّينَ وَعَلَى الْكُفَّارِ وَالْمُلْحِدِينَ وَاجْعَلْهُمْ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ وَفِي سَبِيلِكَ مُجَاهِدِينَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَعَافِنَا وَاعْفُ عَنَّا، اللَّهُمَّ أَغْنِنَا بِحِلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَبِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ وَدَرَكِ الشَّقَاءِ وَسُوءِ الْقَضَاءِ وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَلْسِنَتَنَا رَطْبَةً بِذِكْرِكَ وَنُفُوسَنَا سَمِيعَةً

مُطِيعَةً لِأَمْرِكَ وَجَوَارِحَنَا سَاعِيَةً فِي خِدْمَتِكَ، اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا زُهْدًا فِي الدُّنْيَا وَرَغْبَةً فِي الْآخِرَةِ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بَرٍّ وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ، اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا وَاسْتَعْمِلْ عَلَيْنَا خِيَارَنَا وَاكْفِنَا شَرَّ شِرَارِنَا وَاجْعَلْ وَلَائِنَا وَوَلَايَةَ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَنْ يَخَافُكَ وَيَتَّقِيكَ وَيَتَّبِعُ رِضَاكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ. رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. عِبَادَ اللَّهِ «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» فَادْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ يَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ «وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ».

١٤٥ (خُطْبَةٌ)

فِي التَّحْذِيرِ مِنْ حَلْقِ اللَّحَى

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَمَلَ الرِّجَالَ بِاللَّحَى. أَحْمَدُهُ تَعَالَى وَاشْكُرُهُ وَاتُّبِ إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى. وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْقَائِلُ أَعْفُو اللَّحَى وَأَخْفُوا الشَّوَارِبَ وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْمَجُوسِ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى. اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ وَانْعِمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَمَسَّكَ بِهِدْيِهِ سِرًّا وَجَهْرًا.

أَمَّا بَعْدُ. فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى فِيمَا أَمَرَ وَانْتَهُوا عَمَّا عَنَّهُ
نَهَى وَزَجَرُوا وَتَمَسَّكُوا بِهَذِي بَيْتِكُمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرِ
الْبَشَرِ. وَاعْلَمُوا أَنَّ مِنْ أَقْبَحِ الْبِدْعِ الَّتِي عَمَّ وَطَمَّ الْبَلَاءُ بِهَا مَا اعْتَادَهُ
بَعْضُ النَّاسِ مِنْ حَلْقِ اللَّحْيَةِ وَتَوْفِيرِ الشَّارِبِ. وَهَذِهِ الْبِدْعَةُ الْمُشِينَةُ
سَرَتْ إِلَى الْمُسْلِمِينَ وَانْتَشَرَتْ بَيْنَهُمْ مِنْ مُحَاظَةِ الْأَجَانِبِ وَاسْتِحْسَانِ
عَادَاتِهِمْ حَتَّى تَمَكَّنَتْ مِنْ نُفُوسِ الْكَثِيرِ مِنْهُمْ وَصَارَ لَهَا السُّلْطَانُ
الْقَوِيُّ عَلَى أَفْعَادِهِمْ وَعُقُولِهِمْ فَاسْتَقْبَحُوا بِذَلِكَ حَسَنَةً مِنْ مَحَاسِنِ
دِينِهِمْ وَرُجُولَتِهِمْ وَتَشَبَّهُوا بِالْمُشْرِكِينَ وَالْمَجُوسِ وَقَدْ أَمُرُوا
بِمُخَالَفَتِهِمْ فِيمَا لَيْسَ مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ. وَتَرَكُوا سُنَّةَ نَبِيِّهِمْ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْضَلَ مَخْلُوقٍ وَأَكْمَلِهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ. وَلَا شَكَّ
أَنَّ هَذَا مِنْ ضَعْفِ الْإِيمَانِ وَقَلَّةِ الْبَصِيرَةِ. وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ، وَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي، وَلَقَدْ كَانَ
مِنْ هَذِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَهَذِي التَّبَيُّنَ قَبْلَهُ وَهَذِي أَصْحَابَهُ
إِعْفَاءُ اللَّحْيَةِ وَإِحْفَاءُ الشَّارِبِ فِيهِ صَحِيحٌ مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرَ شَعْرِ اللَّحْيَةِ.
وَلِلتِّرْمِذِيِّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ كَثُ اللَّحْيَةِ وَفِي رِوَايَةٍ كَثِيفُ اللَّحْيَةِ وَفِي
أُخْرَى عَظِيمُ اللَّحْيَةِ. وَعَنْ أَنَسٍ كَانَتْ لِحْيَتُهُ قَدْ مَلَأَتْ مِنْ هَاهُنَا
إِلَى هَاهُنَا وَأَمَرَ بِيَدِهِ عَلَى عَارِضِيهِ. هَذِهِ بَعْضُ مَنْ أَخْبَارِ أَخْلَاقِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَذِهِ الْوَارِدِ فِي تَوْفِيرِ اللَّحْيَةِ. وَمَا خَرَجَ أَحَدٌ
عَنْ أَمْرِهِ وَطَرِيقَتِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا إِلَّا سَلَكَ أَحَدَ طَرِيقَيْنِ. إِمَّا جَفَاءً
وَإِعْرَاضً. وَإِمَّا غُلُوفًا وَإِفْرَاطً. وَهَذِهِ مَصَائِدُ الشَّيْطَانِ الَّتِي يَصْطَادُ بِهَا
بَنِي آدَمَ كَمَا قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلِ (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ

تُصِيبُهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) وَصَحَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي خُطْبِهِ. أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ . وَكَمَا كَانَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ يُعْفِي لِحَيْتَهُ وَيُخْفِي شَارِبَهُ فَقَدْ أَمَرَ أُمَّتُهُ بِذَلِكَ وَالْأَمْرُ بِالشَّيْءِ نَهْيٌ عَنْ ضِدِّهِ. فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ وَفَرُّوا اللَّحَى وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ. وَفِي رُوَايَةٍ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُكُمُ الشَّوَارِبُ وَأَعْفُوا اللَّحَى وَإِعْفَاءُ الشَّيْءِ تَرْكُهُ حَتَّى يَكْثُرَ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جُزُوا الشَّوَارِبَ وَأَرْخُوا اللَّحَى وَخَالِفُوا الْمَجُوسَ. وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرَةٌ وَكُلُّهَا نَصٌّ فِي وَجُوبِ تَوْفِيرِ اللَّحْيَةِ وَحُرْمَةِ حَلْقِهَا، وَيَدْخُلُ فِي مُسَمًى اللَّحْيَةِ شَعْرُ الْوَجْهِ وَاللَّحْيَيْنِ وَالْخَدَّيْنِ. وَاللَّحْيَةُ لَهَا مَكَانٌ بَارِزٌ فِي الْإِسْلَامِ وَحَقٌّ كَبِيرٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ . فَلَقَدْ قَرَّرَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ مَنْ جَنَى عَلَى لِحْيَةٍ غَيْرِهِ فَارْزَأَهَا أَوْ أزالَ جَمَالَهَا عَلَى وَجْهِهِ لَا يَعُودُ فَعَلَيْهِ الدِّيَّةُ كَامِلَةً.

وَمَنْ نَظَرَ فِي أَقْوَالِ عُلَمَاءِ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ وَجَدَ أَنَّهُمْ مُجْمِعُونَ عَلَى وَجُوبِ تَوْفِيرِ اللَّحْيَةِ وَحُرْمَةِ حَلْقِهَا وَالْأَخْذِ الْقَرِيبِ مِنْهُ. وَلَا يَخْفَى أَنَّ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّفَا خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ. وَقَوْلُهُ خَالِفُوا الْمَجُوسَ يُؤَيِّدَانِ الْحُرْمَةَ، وَلَا شَكَّ أَنَّ حَلْقَ اللَّحْيَةِ وَإِعْفَاءَ الشَّارِبِ مُوَافَقَةٌ لِلْمُشْرِكِينَ وَالْمَجُوسِ فِي شَبْهِهِمُ الَّذِي يَخْتَصُّونَ بِهِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا وَلَا زَالُوا يُعْفُونَ شَوَارِبَهُمْ وَيَحْلِقُونَ لِحَاهُمْ

وَمُخَالَفَتُهُمْ أَمْرٌ مَقْصُودٌ لِلشَّارِعِ الْحَكِيمِ ، وَمُشَابَهَتُهُمْ فِيمَا لَيْسَ مِنْ شَرْعِنَا يُلْغُ التَّحْرِيمُ فِي بَعْضِهِ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ . لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا . وَهَذَا غَايَةٌ فِي الرَّجْرَجِ عَنِ التَّشَبُّهِ بِالْكَفَّارِ وَالْمَجُوسِ فِي أَيِّ شَيْءٍ مِمَّا يَخْتَصُونَ بِهِ مِنْ مَلْبُوسٍ أَوْ هَيْئَةٍ . وَقَدْ يَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ تَوْفِيرَ اللَّحِيَةِ مِنَ الْأُمُورِ الْعَادِيَةِ الَّتِي يَتَّبِعُ النَّاسُ فِيهَا عَادَةَ أَهْلِ زَمَانِهِمْ أَوْ بِلَادِهِمْ وَهُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْأَصْلُ فِي أَوَامِرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَّعَبُّدُ حَتَّى يَقُومَ الدَّلِيلُ عَلَى خِلَافِهِ وَلِهَذَا فَحَالَتْ اللَّحِيَةُ وَاقِعٌ بَيْنَ خَطَرَيْنِ عَظِيمَيْنِ فَإِنْ كَانَ حَلَقُهَا اسْتِهْزَاءً وَتَنْقِصاً لِأَمْرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَارِدِ فِيهَا فَقَدْ قِيلَ بِكُفْرِهِ . وَإِنْ كَانَ حَلَقُهَا تَهَاوُنًا بِأَمْرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ فَاسِقٌ عَاصٍ لِلَّهِ تَعَالَى وَلِرَسُولِهِ ، وَكِلَا الْأَمْرَيْنِ خَطِيرٌ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً) وَقَالَ سُبْحَانَهُ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) وَلَقَدْ كَانَ مِنْ شَرَفِ اللَّحِيَةِ وَفِطْرَةِ حَلَقِهَا عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ مُخَالَطَةِ الْأَجَانِبِ أَنَّ الْمُذْنِبَ تُقَيِّدُهُ الدَّوْلَةُ بِالْحَدِيدِ وَتَخْلُقُ لِحِيَّتَهُ لِمَا فِي حَلَقِهَا مِنْ خِزْيٍ وَمَذَلَّةٍ ، ثُمَّ يُصَبِّغُ وَجْهَهُ بِالسَّوَادِ وَيُطَافُ بِهِ فِي الْأَسْوَاقِ لِيَرَاهُ النَّاسُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ الْمُخْزِيَةِ تَكَالاً وَعِبرَةً . أَمَّا بَعْدَ مُخَالَطَةِ الْأَجَانِبِ فَالْأَمْرُ تَغْيِيرٌ كَثِيراً . فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَخْلُقُ لِحِيَّتَهُ بِيَدِهِ إِمْعَاناً فِي الْكَرَاهِيَةِ لَهَا وَمِنْهُمْ مَنْ يَخْلُقُهَا بِمَالِهِ تَمَادِياً فِي الْإِثْمِ وَالْعُرُورِ ، نَاسِينَ أَوْ مُتَنَاسِينَ الْأَوَامِرَ النَّبَوِيَّةَ بِتَوَفِيرِهَا . فَيَا وَيْحَهُمْ وَقَدْ

كَرَهُوا خَيْرَ الْهَدْيِ وَرَغِبُوا فِي شَرِّهِ وَحَلَقُوا لِحَاهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَصَارَ
حَلَقُهَا بِدَعَةِ عَارٍ وَضَلَالٍ فِي وُجُوهِهِمْ. أَيْظُنُّ هَؤُلَاءِ أَنَّ حَلَقُهَا
يَكْسُوهُمْ نُضْرَةً وَبَهَاءً. كَلَّا. وَاللَّهِ إِنَّهُ لَيَكْسِيهِمْ قُبْحًا وَضَلَالًا. أَنْظُرْ
إِلَى وُجُوهِ الْحَالِقِينَ لَهَا كَيْفَ يَذْهَبُ جَمَالُهَا وَبَهَائُهَا وَخَاصَّةٌ عِنْدَ
الْمَشِيبِ فَتَكُونُ أَشْبَهَ بِوُجُوهِ الْعَجَائِزِ. وَأَنْظُرْ إِلَى وُجُوهِ الْمُؤَفِّرِينَ لَهَا
شَبَابًا وَشَيْبًا كَيْفَ نُضِرَتْ وَازْدَانَتْ بِاللَّحْيَةِ حُسْنًا وَجَمَالًا.

وَإِذَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي هَذَا الزَّمَنِ مَنْ يُعْفِي لِحْيَتَهُ فَلَا يَجُوزُ
لَنَا أَنْ نَتْرُكَ أَمْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِعْفَاءِ اللَّحْيَةِ مِنْ أَجْلِ
أَنْ بَعْضَ الْمُشْرِكِينَ يُعْفِيهَا. فَالْمُشْرِكُ إِذَا أَغْفَى لِحْيَتَهُ فَهُوَ لِأَمْرِ دُنْيَوِيٍّ
وَحَسَبَ، أَمَّا نَحْنُ فَنُعْفِيهَا لِأَمْرِ شَرْعِيٍّ وَلِهَذَا فَهُوَ الْمُتَشَبِّهُ بِنَا وَلَسْنَا
نَحْنُ الْمُتَشَبِّهِينَ بِهِ. وَمَنْ نَظَرَ إِلَى مَا عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ وَجَدَ أَنَّ
إِعْفَاءَ اللَّحْيَةِ غَرِيبٌ بَيْنَهُمْ وَأَهْلُهَا قَلَّةٌ فِيهِمْ وَتَوَفِيرُهَا شَاقٌّ عَلَى أَنْفُسِ
الْكَثِيرِ مِنْهُمْ وَخَاصَّةً مَنْ لَهُ نُظَرَاءُ يَحْلِقُونَهَا أَوْ رُؤَسَاءُ جَهْلَةٌ يَكْرَهُونَهَا.
وَلَكِنْ هَلْ نَتْرُكَ طَاعَةَ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ عِمْنُ
صَلَاحِنَا وَفَلَاحِنَا وَرَفَعَتَنَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَجْلِ إِنْسَانٍ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ
فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا. هَلْ نَتْرُكَ النَّاسِيَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَمَلٍ صَحَّ أَنَّهُ عَمَلُهُ وَأَمْرٌ بِهِ، مِنْ أَجْلِ أَغْرَاضٍ
دُنْيَوِيَّةٍ حَقِيرَةٍ، هَلْ نَتْرُكَ هَذِي الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الَّذِي شَهِدَ لَهُ الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ بِالْإِسْتِقَامَةِ وَالسَّيْرِ عَلَى الصِّرَاطِ
السَّوِيِّ. وَنَأْخُذُ بِهِذِي الْمَجُوسِ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الْفَاسِدِ الْمُدْمِرِ.
لَا، ثُمَّ لَا. أَيُّهَا الْأَخُوَّةُ فِي الْإِسْلَامِ فَالْمُؤْمِنُ يَتَّبِعُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ
وَيَدْعُو إِلَيْهِ مَنْ يَسْتَطِيعُ دَعْوَتَهُ وَيَجْتَنِبُ الْبَاطِلَ فَلَا يَعْمَلُ بِهِ وَلَا

يَنْجَذِبُ إِلَيْهِ، فَالْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ وَيُطَاعَ وَلَوْ تَرَكَهُ النَّاسُ، وَلَيْسَ بَعْدَ
الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ (أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ).

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَاهْتَدُوا
بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنْجُوا وَتَسْعُدُوا فِي الدُّنْيَا
وَتُقْلِحُوا فِي الْآخِرَةِ (يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ
يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) اللَّهُمَّ اهْدِنَا صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ، اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى
مَنْهَجِ نَبِيِّكَ الْكَرِيمِ، اللَّهُمَّ أَعِزَّنَا مِنْ مُضِلَّاتِ الْهَوَى وَالنَّفْسِ
وَالشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَأَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا وَجَمِيعِ
الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

١٤٦ خُطْبَةٌ تَابِعَةٌ لِمَا قَبْلَهَا

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الْعِبَادَ حُفَاءً وَفَطَرَهُمْ عَلَى الْخَيْرِ وَكَرَاهَةِ
الشَّرِّ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ
الْحَمْدُ وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ يَوْمَ الْحَشْرِ وَالنَّشْرِ. وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً فَبَلَّغَ الرِّسَالََةَ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ
وَنَصَحَ لِلْأُمَّةِ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ
وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ صَلَاةً وَسَلَاماً دَائِمِينَ مُتَلَازِمِينَ
طَوْلَ الدَّهْرِ.

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ بَذْعَةٍ ضَلَالَةٌ
وَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْمُسْلِمَةِ الْمُوَحَّدَةِ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ وَمَنْ
شَذَّ عَنْهُمْ شَذَّ فِي النَّارِ. وَاعْلَمُوا أَنَّ مَنْ حَلَقَ لِحْيَتَهُ مِنْ غَيْرِ إِكْرَاهٍ
وَلَا عِلَّةٍ وَأَعْفَى شَارِبُهُ مَهْمَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالْإِخْلَاصِ لِلَّهِ فَإِنَّهُ
قَدْ ارْتَكَبَ عِدَّةَ مُخَالَفَاتٍ لِلْإِسْلَامِ خَطِيرَةٍ، تُورِدُهَا فِيْمَا يَلِي.
الْأُولَى أَنَّهُ خَالَفَ الْفِطْرَةَ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا فَهُوَ رَجُلٌ وَأَبْرَزُ
مُمَيَّزَاتِ الرِّجَالِ الظَّاهِرَةِ اللَّحْيَةِ وَلَكِنَّهُ خَالَفَ فِطْرَتَهُ وَمَالَ إِلَى مَا لَمْ
يُفْطَرْ عَلَيْهِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ
قَصُّ الشَّارِبِ وَإِعْفَاءُ اللَّحْيَةِ وَالسُّوَاكُ وَتَقْلِيمُ الْأُظْفَارِ وَحَلَقُ الْعَانَةِ
وَنَتْفِ الْإِبْطِ إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ. الثَّانِيَةُ أَنَّهُ عَصَى الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي أَمَرَهُ اللَّهُ بِطَاعَتِهِ وَنَهَاهُ عَنْ مَعْصِيَتِهِ فِي الْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ. وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ — مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ — وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا
وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) وَقَدْ أَمَرَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ
كَمَا سَمِعْتُمْ أَنْفَاءً بِتَوْفِيرِ اللَّحْيِ وَإِحْفَاءِ الشَّوَارِبِ وَهُوَ لَا يَنْطِقُ وَلَا
يَفْعَلُ عَنِ الْهَوَى، بَلْ عَنْ وَحْيٍ وَتَنْزِيلٍ (وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ
ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) الثَّالِثَةُ أَنَّهُ جَانَبَ التَّأْسِي بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِي إِعْفَاءِ اللَّحْيَةِ وَإِحْفَاءِ الشَّارِبِ وَهُوَ الْقُدْوَةُ وَالْأُسْوَةُ الْمَرْضِيَّةُ
لِلْمُسْلِمِينَ فَلَوْ كَانَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلَهُ الْأَعْلَى لَتَأَسَّى
بِهِ فِي إِعْفَاءِ اللَّحْيَةِ وَقَصِّ الشَّارِبِ حَيْثُ صَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ فَعَلَهُمَا وَأَمَرَ
بِهِمَا وَدَاوَمَ عَلَيْهِمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ

حَسَنَةً لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) وَقَالَ
سُبْحَانَهُ (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ). الرَّابِعَةُ أَنَّهُ خَالَفَ هَدْيَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَوْفِيرِ اللَّحْيَةِ وَإِخْفَاءِ الشَّارِبِ وَاتَّبَعَ هَدْيَ الْمُشْرِكِينَ
وَالْمَجُوسِ الَّذِي هُوَ شَرُّ الْهَدْيِ فَلَوْ كَمُلَ حُبُّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَا عَدَلَ عَنْ هَدْيِهِ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ فِي الْبَاطِنِ تُورِثُ
الْمُشَابَهَةَ فِي الظَّاهِرِ وَلَا بُدَّ. كَمَا أَنَّ الْمُشَابَهَةَ فِي الظَّاهِرِ تُورِثُ
الْمَحَبَّةَ وَالْمُؤَالَاةَ فِي الْبَاطِنِ. وَهَذَا أَمْرٌ يَشْهَدُ بِهِ الْحِسُّ وَالتَّجَرِبَةُ. وَفِي
الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالَّذِي
نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ
وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ. فَهَلْ يُعْتَبَرُ الْمُسْلِمُ التَّارِكُ لِهَدْيِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي تَوْفِيرِ اللَّحْيَةِ وَإِخْفَاءِ الشَّارِبِ وَهُمَا مِنْ أَهْوَنِ شَيْءٍ
عَلَيْهِ مُحِبًّا لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذَا الْقَدْرِ الْوَارِدِ فِي هَذَا
الْحَدِيثِ. لَا أَظُنُّ أَحَدًا يَقُولُ نَعَمْ. وَقَدْ قِيلَ إِذَا شَابَهُ الزُّيُّ الزُّيُّ فَقَدْ
طَابَقَ الْقَلْبُ الْقَلْبَ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ وَأَمْرَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ (إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ
يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) وَقَدْ
قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا
عَشْرًا.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَى بِهَدْيِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، اللَّهُمَّ ارْضَ عَنِ الْخُلَفَاءِ
الرَّاشِدِينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، اللَّهُمَّ ارْضَ عَنْ أَصْحَابِ
نَبِيِّكَ أَجْمَعِينَ وَعَنْ زَوْجَاتِهِ الطَّاهِرَاتِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ ارْضَ
عَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ
وَأَذِلَّ الشِّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِكَ الْكُفْرَةَ وَالْمُلْحِدِينَ وَدَمِّرْ الْيَهُودَ
وَالنَّصَارَةَ وَاجْعَلْ دَائِرَةَ السُّوءِ عَلَيْهِمْ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ إِنَّا
نَسْأَلُكَ فِي الدُّنْيَا طَاعَتِكَ وَطَاعَةَ رَسُولِكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَفِي الْآخِرَةِ رِضَاكَ وَجَنَّتِكَ وَالنَّظَرَ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ، اللَّهُمَّ أَرِنَا
الْحَقَّ حَقًّا وَأَرْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَأَرْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ وَلَا تَجْعَلْهُ
مُلْتَبَسًا عَلَيْنَا فَضْلًا. يَا كَرِيمُ يَا رَحِيمُ يَا عَظِيمُ، اللَّهُمَّ أَصْلِحْ قُلُوبَنَا
وَاسْتُرْ عُيُوبَنَا، اللَّهُمَّ امْنُنْ عَلَيْنَا بِالْهِدَايَةِ وَالتَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ وَالْمَغْفِرَةِ
وَالتَّوْفِيقِ الدَّائِمِ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ،

الحمد لله الذي لم يزل بالنعم منعماً ، وبالمعروف معروفاً ، وبالإحسان
محسناً ، وبالكرم موصوفاً ، كل يوم هو في شأن ، يكشف
كرباً ، ويفسر ذنباً ، ويغيث ملهوفاً ، ويجبر كسيراً ، ويمحى
خائفاً ، ويرسل بالآيات تخويفاً ، نحمده ونستغفره ، ونسأله السلامة
من حمل العصيان ، وإن كان الحمل خفيفاً .

ونشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له، شهادة خالصة للذي فطر
السموات والأرض حنيفاً ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ،
خلقه الله سيداً كريماً صادقاً ، أميناً شريفاً عفيفاً . اللهم فصل وسلم على

سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاماً تزيدهم بها تفضيلاً
وتشريعاً .

أما بعد أيها الناس فأوصيكم ونفسي بتقوى الله العزيز الحميد،
فاتقوه حق تقاته، واحذروا بطشه الشديد، واعلموا أنه معكم حيثما
كنتم فلازموا أدب العبيد، وتدبروا كتابه القرآن المجيد، وما أودعه
من الزواجر والوعد والوعيد، إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب
أو أتمى السمع وهو شهيد، وانظروا في مخلوقات ربكم بين الاعتبار،
وتفكروا في أسمائه وصفاته يأولي الأفكار، فهو العظيم الذي خضعت
لهظمته الرقاب، والحكيم الذي حار في حكمته أولو الألباب:

والرحيم الذي يرحم من عباده الرحماء، والكريم الذي يستعبد من
إفضاله الكرماء، تقديست أَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ عَنْ الْأَشْبَاهِ، وَجَلَّتْ
مَحَامِدُهُ، وَتَمَّتْ كَلِمَاتُهُ الَّتِي لَا يَحِيطُ بِهَا سِوَاهُ، وَتَذَكَّرُوا بِرَّهِ
كَيْفَ يَدْأُكُمْ بِالنِّعَمِ قَبْلَ الْإِسْتِحْقَاقِ، وَمُنْحَكُمَ مَا لَا يَحْصِي مِنْ
أَنْوَاعِ الْأَرْزَاقِ .

وكم كشف ضرأً وستر عاصياً، وقد بارزه بأنواع الفساد، ويحذركم
الله نفسه والله رؤوف بالعباد، فاستعدوا للقاء هذا الرب الجليل، وأعدوا
للقُدُومِ عَلَيْهِ مِنْ صَالِحِ الْعَمَلِ كُلِّ جَمِيلٍ، وَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِكُمْ، وَمَا
اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْعُيُوبِ، وَحَاسِبُوا هِيَ عَلَى مَا اكْتَسَبَتْهُ مِنَ الذُّنُوبِ،
فَإِنَّ نَفْسَ مَنْكُم لَمْ تُحْمَلْ ظُلْماً؛ وَأَيُّ جَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِكُمْ لَمْ تَقْتَرَفْ
إِثْماً؛ وَأَيُّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِكُمْ يَلِيقُ بِذَلِكَ الْمَقَامِ؛ وَأَيُّ وَقْتٍ مِنْ

أَوْ قَاتِكُمْ مُخَضَّ لِلطَّاعَةِ وَخَلَا' عَنِ الْآثَامِ ؛ لَقَدْ جُنَيْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ
بِالدُّنُوبِ جُنَايَةً عَظِيمَةً ، وَهَضَمْتُمْ بِالْمَعَاصِي قُدْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ هَضْمًا ،
فَلْيَنْوُوا قُلُوبَكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ عَسَاهَا أَنْ تَلِينَ ، وَعِظُوهَا بِذِكْرِ الْقَبْرِ
وَقَفْتَهُ فَإِنَّهَا لِحَقِّ الْيَقِينِ ، وَذَكْرُوهَا يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ،
يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ، يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ، وَالْأَمْرُ
يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ .

جعلني الله و اياكم من الفائزين بشوابه ، الآمنين من غضبه وعقابه ،
أَلَا وَإِنْ أَفْضَلَ الْكَلَامِ كَلَامُ الْمَلِكِ الدِّيَانِ ، وَاللَّهُ يَقُولُ ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ
الْمُبِينُ : (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)
النحل : ٩٨ . أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ
اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغْرِبْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغْرِبْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ . إِنْ الشَّيْطَانُ لَكُمْ
عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حُزْنَ لِيَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) فاطر : ٦٥ ،
بَارِكْ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، وَتَفْعَلِي وَإِيَّاكُمْ مِنْهُ بِالْآيَاتِ
وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ، وَأَجَارِنِي وَإِيَّاكُمْ مِنْ عَذَابِهِ الْأَلِيمِ ، وَتُبْتَنِي وَإِيَّاكُمْ
عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ . أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي
وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ فَاسْتَغْفِرُوهُ

١٤٧ (خُطْبَةٌ)

الحمد لله الذي لفرد بكل كمال ، وتفضل على عباده بجزيل النوال ،
بيده الخير كله ، فله الحمد على كل حال ، وفي كل حال .

نحمده على مأمْنَحٍ مِنَ النِّعْمَاءِ ، وَنَشْكُرُهُ فِي الْبُكْرِ وَالْآصَالِ ،
وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ إِلَهٌ تَقْدُسُ عَنْ الْأَشْبَاهِ
وَالْأَمْثَالِ ، وَجَلَّ عَنْ صِفَاتِ الْمُحَدَّثِينَ مِنَ الْفَنَاءِ وَالزَّوَالِ الْمُسْتَحَقُّ

للتعظيم والاحلال جواد لا يتخلل ، وغنى لا يفتقر ، وكريم يتدىء
بالاحسان قبل السؤال .

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المنعوت بالخلق العظيم ، وشرف
الاحلال ، اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه خير
صحب وآل .

(أما بعد) يا أيها الناس مالمليون إلى زهرة الدنيا الدنية قد مدت ؟
وما للنفوس في طلب العاجلة قد جدت ؟ وما للأذان عن سماع المواعظ
قد سدت ؟ وما للقلوب لكثرة المعاصي قد أظلمت واسودت ؟ إن في
كتاب الله لأعظم زاجر ، وإن في مواعظ الأيام والليالي لعبرة لنروي
البصائر ، ركائب أموات ترعج عن مقصورات القصور ، ثم تحمل
إلى مضائق القبور . فكم قد شاهدتم من جثث أعيان في بقاع
القاع قد صفت ، وكم عاينتم من نواعم أبدان في مدارج الأكفان قد
لفت ، وكم أبصرت من عرائس أجساد إلى الأحاد قد زفت ، فإلها
غاية يستبق إليها العباد ، ومضماراً يتناوب به منهم جواد بعد جواد ، وإياه من
هول شديد بعده أهوال شداد ، فتنه قبور ، ونفخ في الصور ، وبعثرة
القبور ، وحشر إلى موقف جثي على الركب ، وموقف السلامة
والعطب وموقف قطيعة الأنساب وضيفة الأحساب ، وخضوع
الرقاب ، وانسكاب العبرات ، وتصاعد الزفرات . ذلك موقف ينشر فيه
الديوان ، وينصب فيه الميزان ، ويمد الصراط على النيران . وحيث يقع
الامتياز فبين ناج قد فاز ، وهالك قد انقطع به المجاز . فريق في الجنة ، وفريق

في السمير. فاستعدوا رحمكم الله وإياي لهذه الأحوال ، ولا تفرنكم
كواذب الآمال ، فإن ما توعدون لآت ، وليس بين العبد وبين
القيامة إلا الممات ، فأكثرُوا رحمكم الله ذكر هاذم اللذات ، واستعدوا
للاخرة قبل الممات . فعنه ﷺ « كَفَى بِالْمُوتِ وَاعْظَا »
و « كَفَى بِالْمُوتِ مَزْهَدًا » في الدنيا ، وَمُرْغَبًا فِي الْآخِرَةِ « جَعَلِي
الله وإياكم مِمَّنْ قُضِيَ فِي الطَّاعَةِ الْأَوْقَاتِ ، وَغُفِرَ لِي وَلَكُمْ مَا فَرُطُ
مِنَ السَّيِّئَاتِ .

إِنَّ أَفْقَحَ الْكَلَامِ كَلَامُ الْمَلِكِ الْعَلَامِ . أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ،
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ
عَظِيمٌ . يَوْمَ تُرَوَّنَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَلْيٍ
حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ)
الْحَمْدُ : . بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنْهُ
بِالْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ، وَأَجَارَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنْ عَذَابِهِ الْأَلِيمِ . أَقُولُ
قَوْلِي وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ إِنَّهُ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ ، فَاسْتَغْفِرُوهُ

١٤٨ خُطْبَةٌ

الحمد لله الذي افتتح بحمده الكتاب ، والحمد لله الذي يُنَالُ بِحَمْدِهِ
الثواب ، نَحْمَدُهُ عَلَى مَا مَنَحَ فَهُوَ النِّعَمُ الْوَهَّابُ ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ
إِلَيْهِ ، فَإِنَّهُ خَافِرُ الذَّنْبِ ، وَقَابِلُ التَّوْبِ شَدِيدُ الْعِقَابِ .
وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ، وَإِلَيْهِ
مَتَابٌ ، شَهَادَةُ شَهِدَ اللَّهُ بِهَا لِنَفْسِهِ فِي مُحْكَمِ الْكِتَابِ ، شَهَادَةُ أَرْغَمَ بِهَا

أنف كل جاحِدٍ مرتاب .

ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله [جاء] بالحق ، وفصل الخطاب ،
نبي شق له الهر ، ورُدَّتْ له الشمس ، وقد كادت تتواری
بالحجاب ، اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ما أفل
شهاب ، وطلع شهاب ،

(أما بعد) فيا أيها الناس اتقوا الله حق تقاته كما أمركم في محكم
الكتاب ، وأكثروا ذكره فإن ذكره يعدل عتق الرقاب ، واحذروه
كما حذركم أنفسه ، فإنه شديد البطش سريع الحساب ، وتأذّبوا
بآداب نبيكم ، فإنها أكمل الآداب ، وتخلّقوا بمحاسن أخلاقه ،
فأحسنكم أخلاقاً أقربكم من رب الأرباب ، وراقبوا الله فهو المطلع
على ما ظهروا ، وما أُرْخِيتْ عليه الستور ، وأُرْصِدَتْ دونه الأبواب .
واحذروا الدنيا فإنها كظل زائل أو طود مائل ، وكلمح سراب .
وبادروا بالأعمال الصالحة ، فإن الأوقات تمر بكم مر السحاب . ابن
آدم والله إن أمرك لشيء عجاب ، وحالك إذا حققت كثير الخطأ قليل
الصواب ، تقارف المعصية ، وتؤخر المتاب ، وتسوف بالعمل تنتظر
المشيئ ، وقد أضمت الشباب ، وتفرح بمضي الأيام ، وذهابهن لك
ذهاب ، وتعمر الدنيا ، وإنما خلقت للخراب ، وتنسى الموت وقد أزعج
عنك كثير من الأحباب ، وتذكر فلا تذكر وإنما تذكر أولو الألباب ،
فوا أسفاً لقلوب صُرب عليها من الغفلة بباب ، ونفوس مشغولة
بلذات الطعام والشراب ، وعقول ذاهلة عن المعاد وأهواله الصعاب ،
لا هية عن أمر لا شك في لقائه ولا ارتياب ، وخطب لا يدفع بالعُشائر

ولا يَمْنَعُ بِالْجَبَابِ ، وَقَبْرٌ مُظْلِمٌ وَسَادَةُ اللَّيْلِ ، وفراشه التراب ،
 وموقف تشخص فيه الأبصار وتخفض الرقاب ، وعرض عظيم يُظهِرُ
 فيه الخطايا وينكشف الجباب ، وجزاء لا محالة على الحسنات بالثواب ،
 وعلى المعاصي بالمعفو والعقاب ، جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين ،
 وجنبنا وإياكم موارد الظالمين ، إن أنفع ما عوّل به داء الشك
 والارتياب كلام ربنا الذي أنزل على عبده الكتاب ، والله يقول ،
 وقوله الحق المبين :

أَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيرُواْ
 أَعْمَالَهُمْ . فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا
 يَرَهُ) الزلزال : ٦ - ٨ . بَارَكَ اللهُ لِيْ وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، ونفعني
 وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم ، وأجارني وإياكم من عذابه
 الأليم ، وبقي وإياكم على الصراط المستقيم . أقول قولي هذا ،
 وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين إنه هو الغفور الرحيم .
 فاستغفروه .

١٤٩ خطبة

الحمد لله الذي تماظم ملكوته فاقدر ، وتعالى جبروته فقهر ،
 الذي أعز من شاء ونصر ، ورفع أقواماً بحكمته ، وخفض أقواماً
 أخر ، نحمده على نعمه التي تربو على ذرات الرمل ، وقطرات المطر ،
 ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، العليم بما بطن وما ظهر ،

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ومجتباه من البشر ، نبى شق عن صدره
 وشق له القمر ، نبى ظللته الغمام وأجابت لدعوته الشجر ، نبى أيدى الله
 بمعجزات الآيات والسُور ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله
 وصحبه القاداتِ الخَيْرِ .

(أما بعد) فيا أيها الناس اتقوا الله في الورودِ والصُدُرِ ، وراقبوه
 فيما بطن من الأمور وظهر ، واعبدوه حق عبادته في الآصال والبكر
 واذكروه على كل حال ، فإنه يذكر من له ذكر ، واشكروا
 نعمه ، فقد تكفل بالمزيد لمن له شكر ، وخافوا مقامه ، واحذروا
 بطشه كل الحذر ، وارجوا بره فهو أرحم بكم من كل رحيم
 وأبر ، واستغفروه لذنوبكم فإن كل صغير وكبير مُستَطِر ، واستقبلوه
 عثراتكم ، فإنه يقبل بفضله من عثر ، وارغبوا فيما أعد للطائعين من
 جنات ونهر ، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب
 بشر ، وارهبوا ما رهبكم من النار التي لا تبقي ولا تذر ، وازهدوا
 في الدنيا التي نفعها مشوب بالضرر وفرحها مقرون بالترح ، وصفوها
 ممزوج بالكدر ، وانظروا لأنفسكم فيها حق النظر ، واتعظوا بما عظم
 الحوادث والغير ، وتأملوا ما فيها من الآيات والعبر ، فقد شاهدتم
 من آياتها ما فيه مزدجر ، وقد عاينتم وقائعها بأهلها وليس العيان
 كالخبر ، كم حضرت فيها عند محتضر ، وكم شيعتم من الراحلين عن
 قصورها إلى بطون الحفرة ، وتقلتموه من الفرش الوثيرة إلى خشونة
 المدر ، فتأهبوا لمثل ما حل بهم ، فإنكم على الأثر ، وتزدوا زاد

التَّقَى فَاتَّقُوا عَلَى سَفَرِهِ، وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَلِأَعْمَارٍ فِي قِصَرٍ، وَمَا
 تَأْمُرُ السَّاعَةُ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ، وَتَذَكُّرُوا مَرَارَةَ الْمَوْتِ وَالسَّاعَةِ أَذْهَى
 وَأَمْرٌ، وَجَاهِدُوا أَنْفُسَكُمْ بِسِلَاحِ التَّقْوَى، فَإِنَّهُ قَرِينُ الظُّفْرِ، وَجَاهِدُوا
 أَعْدَاءَكُمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَالْأَهْوَاءِ بِصَدَقِ اللَّجَأِ إِلَى رَبِّ الْبَشَرِ، وَأَطِيعُوا
 اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فِيمَا بَطْنُ وَظَهْرُ، وَشَمُّوا لِإِعْلَاءِ
 كَلِمَةِ اللَّهِ فِيمَا نَهَى وَأَمَرَ (إِنْ تَنْصَرُوا اللَّهُ يَنْصُرْكُمْ وَيَثْبِتْ أَقْدَامَكُمْ)
 وَكَفَى بِهِ لِمَنْ اعْتَبَرَ، جَدَائِي اللَّهِ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ خَلَصَ لَهُ
 فِيمَا أَعْلَنَ وَأَسْرَ، وَوَقَفْنَا لِمَنْ يَحِبُّهُ مِنَ الْعَمَلِ، فَإِنَّهُ خَالِقُ الْقَوَى وَالْقَدَرِ،
 إِنْ أَرْفَعَ الْكَلَامَ الَّذِي يَدْهَشُ الْأَلْبَابَ وَالْفِكَرَ كَلَامَ رَبِّنَا الَّذِي
 أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ السُّورَ، وَاللَّهُ يَقُولُ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ الْمُبِينُ: (فَإِذَا قَرَأْتَ
 الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) النحل: ٩٨ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ
 الرَّجِيمِ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.
 وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ
 كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى
 شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ
 تَهْتَدُونَ) آل عمران: ١٠٢، ١٠٣ بَارِكْ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعْنِي
 وَإِيَّاكُمْ مِنْهُ بِالْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، وَثَبَّتِي وَإِيَّاكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ
 الْمُسْتَقِيمِ، وَأَجَارْنِي وَإِيَّاكُمْ مِنْ عَذَابِهِ الْأَلِيمِ. أَقُولُ قَوْلِي هَذَا،
 وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ،
 فَاسْتَغْفِرُوهُ.

١٥٠ خطبة

الحمد لله رب العالمين الذي أعاد وأبدى ، نحمده على ما منح من
الإِنعام وأَسدى ، ونُشْهده ، فَإِنَّهُ لَا يُضِلُّ مَنْ هَدَاهُ ، وَمَنْ أَضَلَّهُ فَلَنْ
يَهْدِيَهُ ، وَنُستغفره لذنوبنا التي لَا تَحْصِي عَدَدًا .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهًا واحدًا أحدًا
فردًا ، شهادة ترغم بها أنف من كفر عنادًا وجمادًا ، شهادة نُدْخِرُهَا
لِلْمَعَادِ وَنَتَّخِذُ بِهَا عَهْدَ

ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله أكرم به رسولاً وعبداً ، نبي
أَمَدَهُ اللهُ بِأَمْدَادَاتِهِ الرَّبَّانِيَّةِ مَدًّا

، صل اللهم وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله الذين أكرمهم شرفاً
ومجدًا ، وعلى أصحابه الذين جعلهم أمثال طريقة وأقوم سبيلاً وأهدى .
أما بعد فيا ابن آدم هذا أو ان جدك إن كنت مجتهدًا ، وهذا
زمان استعدادك إن كنت مستعدًا ، فتأهب لنفسك فإنك لَا تَسْتَطِيعُ
لِلْمَوْتِ رَدًّا ، وَبَادِرْ بِصَالِحِ عَمَلِكَ ، فَإِنَّ السَّاعَاتِ تَقْدُ الْأَعْمَارَ قَدًّا ، وَأَعِدْ
الزَّادَ ، فَإِنَّ السَّفَرَ طَوِيلٌ إِنْ كُنْتَ مُعِدًّا ، يَا لَاهِيَا وَالْحَمَامِ إِلَيْهِ مُجِدًّا ،
يَا مَشْغُوفًا بِالدُّنْيَا الَّتِي لَا يَجِدُ مِنْ فِرَاقِهَا بَدًّا ، يَا رَاكِنًا إِلَيْهَا وَقَدْ أَهْلَكْتَ
قَبْلَهُ أَبَا وَجَدًا ، يَا مُهْمِلًا لِلزُّرُودِ وَرُكَّابِ الرِّجْلِ بِهِ مُجَدِّي ، يَا مَنْ حَدَّثَ
لَهُ الْحُدُودَ فَلَمْ يَخْتَرِ حِدًّا ، يَا مَنْ يُضَيِّعُ عَمْرَهُ وَأَنْفَاسَهُ تَعْدُ عَلَيْهِ عَدًّا ، يَا مَنْ مَكَّنَا
فِي جَمْعِ الْمَالِ ، وَهُوَ يَمُوتُ فَرْدًا أَفْبَيْعَتْ فَرْدًا ، يَا مَنْ جُمِلَتْ الذُّنُوبُ بَيْنَ قَلْبِهِ
وَبَيْنَ الْمَوْعِظَةِ سَدًّا ، يَا قَاسِيَا الْقَلْبَ فَا نَفَقَهُ وَعَظَ الْوَاعِظَ وَلَا أُجْدَى ، يَا مَنْ

يارز مولاه الذي يعلم مأسراً وما أبدى ، يا كسلاً عن الطاعات ولم
 يأل في المعاصي جهداً ، يا ناظماً خرزات الأمل في سلك المنى عقداً ،
 يامتعباً في جمع المال بدنه كدحاً وكذاً . من لك إذا سافرت سَفْراً
 بعيداً ، واستبدلت عن القصور لحداً ؛ واقرشت بعملين فراشك ترباً
 خشناً وجحراً صلداً ؛ وكيف بك إذا سألك المَلَكُان فلم تستطع جواباً
 ورداً ؛ وما حيلتك إذا بعثت من قبرك إلى ربك فرداً ؛ ومن لك إذا
 طال المقام وامتد يوم القيامة مداً ؛ أم من لك إذا دُعيت للعرض عليه
 يامن لحدوده طالما تعدى .

جعلني الله وإياكم من الآمنين وأدخلنا بفضلته في عباده الصالحين ،
 إن أشرف الكلام كلام الملك العلام ، والله يقول ، وقوله الحق المبين .
 (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل : ٩٨ .
 أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (وزيد الله الذين اهتدوا هدى والباقيات
 الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير مُرداً) مريم : ٧٦ بارك الله
 لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم
 وأجاني وإياكم من عذابه الأليم ، وثبني وإياكم على الصراط المستقيم .
 أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين ، إنه هو
 الغفور الرحيم . فاستغفروه .

١٥١ خطبة

الحمد لله على ما منحه من إفضاله الكامل الوافر ، الخالق الرازق
الأول الآخر . نحمده بجميع محامده على إفضاله البسيط المتواتر ،
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المبدع الناظر . ونشهد أن
محمداً عبده ورسوله المستقى من أشرف العناصر ، اللهم صل وسلم على
سيدنا محمد ، وعلى آله قرناء الكتاب إلى اليوم الآخر وعلى أصحابه نجوم
الاهتداء للمنهج الظاهر .

(أما بعد) فأوصيكم عباد الله ونفسي بتقوي الله في الموارد
والمصادر ، وأحضكم على الطاعة ، فإنها خير ما أعد لليوم الآخر ،
وأحذركم الدنيا فإنها عرض حاضر ، يأكل منها البر والفاجر ، وإنما
أيامها ولياليها مراحل إلى المقابر ، وأحسكم على مراقبة مولاكم فإنه
علام السرائر ، وأنهمكم عن مخالفته باقتراف الجرائر ، وملابسة كبار
الذنوب والصغار .

فاستحيوا من الله الذي تحب إليكم بإنعامه المتكاثر ، وتعرف
إليكم بما رادفه من إفضاله الوافر ، فإن نعمه تعالى قد عمت الباطن
والظاهر ، وإن نعمه قد شملت البادي والحاضر ، ولا يحصر أقلها حاصر
كيف وهي مع صعدات الأنفاس ، وهجس الخواطر ، ومع
حركات الألسن ولحات النواظر ، وما بكم من نعمة فمن الله فهل من
حامد شاكر ؟ وهل من خائف لله وذاكرك ؟ وهل من معظم لنواهي
الله والأوامر ؟ وهل من معتبر بالمواعظ والزواجر ؟ وهل من ناظر
في آيات الله البواهر ؟ وهل من متعظ بكتاب الله فإنه أعظم زاجر ؟

إن في ذلك لذكرى لمن كان يرجو الله واليوم الآخر . وهل من صابرٍ
على الطاعات فطوبى للصابر ؟ وهل من مستعدٍ للقائه يوم تلى السرائر
يوم ذبول الشفاه وظمأ الهواجر ، يوم الآزفة إذا القلوب لدى الحناجر
يوم لا تنفع الأموال ولا الذخائر . جملي الله وإياكم من الفائزين الآمنين ،
وجنبنا موارد الظالمين .

إن أحسن الكلام كلام الملك العلام ، والله يقول وقوله الحق المبين :
(فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل : ٩٨ أعوذ
بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم (والمصر . إن الإنسان
لني خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا
بالصبر) المصر : ٣١ ، بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعي
وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم ، وأجارني وإياكم من العذاب
الأيلم ، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم . أقول قولي هذا
وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين . إنه هو الغفور
الرحيم . فاستغفروه .

١٥٢ خطبة

الحمد لله الذي يسبح بحمده من في الأرض والسموات ، والحمد لله
بكل حمدٍ حمد به نفسه ، أو علمه أحداً من المخلوقات . نحمده على ما منح
من نعمه السابغات .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة ترفع قائلها
أعلى الدرجات . ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات ،

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأئمة الثقات .
(أما بعد) فيا أيها الناس إن ماتوعدون من الآخرة لآت ، وإنكم
في دار هي محل العبر والآفات ، وأنتم على سفر ، والطريق كثيرة
المخافات . فتزودوا من دنياكم قبل الممات ، وتداركوا هفواتكم
قبل الفوات ، وحاسبوا أنفسكم وراقبوا الله في الخلوات ، وتفكروا
فيما أراكم من الآيات ، وبادروا بالأعمال الصالحات ، واستكثروا
في أعماركم القصيرة من الحسنات قبل أن ينادي بكم منادي الشتات ،
قبل أن يفجأكم هادم اللذات ، قبل أن يتصاعد منكم الأنين
والزفرات ، قبل أن تقطع قلوبكم عند فراق الدنيا حسرات ، قبل
أن يغشاكم من غم الموت النمرات ، قبل أن ترعجوا من القصور
إلى بطون الفلوات ، قبل أن يحال بينكم وبين ماتشتهون من هذه
الحياة ، قبل أن تمنوا رجوعكم إلى الدنيا لتعملوا وهيئات .

فاتقوا الله حق تقاته ، فإن فيها النجاة قبل الممات ، وتعرضوا
لنفحات ربكم ، فإن له تعالى في أيام دهركم نفحات ، وتوبوا إليه
فإنه يقبل التوبة ، ويعفو عن السيئات . فرحم الله أقواماً بادروا
الأوقات ، وتداركوا الهفوات ، عيونهم مشغولة بالدمع ، وألسنتهم
مسجونة بالصمت عن فضول الكلمات ، وأكفهم مكفوفة بالخوف
عن تناول الشهوات ، وأقدامهم مقيدة بقيود المحاسبات ، فتيقظوا
رحمكم الله للحاقهم من سنة الغفلات ، واعملوا مثل أعمالهم تناولوا
الدرجات .

فيامن لم يتصف بهذه الصفات ، كيف ترجوا إلحاقهم وأنت

كثير المخالفات؟ أما قرع سمعك قول الله في محكم الآيات (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) الجانية : ٢١ جعلني الله وإياكم ممن بادر الأوقات ، وسارع إلى الخيرات ، إن أكل المواعظ نفعا ، وأعظمها في القلوب وقعا كلام من شق لكل منا بصرا وسمعا ، والله يقول : وقوله الحق المبين : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل : ١٨ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) يونس : ٢٤ بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم وأجاري وإياكم من عذابه الأليم ، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين ، إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه .

١٥٣ خطبة

الحمد لله المرتفع عن إدراك الأبصار الناضرة ، المنزه عن التخيلات ، والاوهام الخاطرة ، العالم بما تحت أمواج البحار الزاخرة ، كعلمه بحركات خلقه الظاهرة ، الذي جعل الموت أول منازل الآخرة ، فأقام به القوي والضعيف تحت قدرته القاهرة . أحمده على نعمه وآلائه المتواترة ، وآياته الباهرة المتظاهرة ، حمداً أدفع به حلول كل فاقة ، وأشهد أن

لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، شهادة صادرة عن طَوْيَّةٍ غير مرتابةٍ
ولا فائرة. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بالآيات الباهرة،
والمفضل بالمقامات الفاخرة، الذي أَلَفَ بين القلوب المتافرة. اللهم
فصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وعترته الطاهرة، وعلى أصحابه
الأنجم الزاهرة.

(أما بعد) فيا أيها الناس إن سبيل العافية عافية لقلة سلاكمها،
وإن علل القلوب القاسية مؤذنة بهلاكها، وإن حُلِّلَ الذُّنُوبُ بادية
على سُوْقَةِ الْأُمَّةِ وأملاكها، وإن رُسُلُ الْمُنُونِ قَانِصَةٌ لَا تَفُتُّ أَحَدًا
مِنْ شِبَاكِهَا. فاللعيون ناظرة ولا تبصر؛ وما للقلوب قاسية ولا تفكر؛
وما للعقول طائشة ولا تشعر؛ وما للنفوس ناسية ولا تذكر؛ أغرها
بِنَظَارِهَا وإِمَاهَا؛ أم بشرها بالنجاة أعمالها؛ أم لم يتحقق عندها من
الدنيا زوالها؟ كَلَّا ولكن شملت الغفلة، فاستحكم على القلوب أبقاها
فَكَانَ قَدْ كَشَفَ الْمَوْتُ لِأَهْلِ الْغَفْلَةِ قِنَاعَهُ، وَأَطْلَقَ عَلَى صَحَاحِ
الْأَجْسَامِ أَوْجَاعَهُ، وَحَقَّقَ بِكُلِّ الْأَنَامِ إِيقَاعَهُ، وَلَمْ يَمْلِكْ أَحَدٌ مِنْكُمْ
دِفَاعَهُ، فَخَفِقَ مِنَ الْمَنْزُولِ بِهِ فُؤَادُهُ، وَانْمَحَى مِنْ نَازِلِهِ سِوَادُهُ،
وَقَلِقَ لِهَوْلِ مَصْرَعِهِ عَوَادُهُ، وَرَجَحَ أَعْدَاؤُهُ وَحَسَادُهُ، وَأَزِفَ
عَنْ أَهْلِهِ وَوَطَنِهِ بَعَادُهُ، وَالتَّحَقَّ بِذَلِّ الْيَتِيمِ أَوْلَادُهُ، فَيَالَهُ مِنْ وَاقِعٍ فِي

كَرْبِ الْحُشَارِجِ حَتَّى أُدْرَجَ فِي تِلْكَ الْمَدَارِجِ، وَقَدِمَ عَلَى اللَّهِ ذِي
الْمَعَارِجِ، فِي مَنْزِلٍ لَا يَبْرَحُ مِنْهُ مَنْ نَزَلَ حَتَّى يَلْحَقَ آخِرُ الْخَلْقِ أَوَّلَهُ.
أَفِيضُنْ ظَانَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَهْمَلَهُ؟! كَلَّا وَاللَّهِ لِيُعِثَّهُ مِنْ أَمَاتِهِ.
لِيَسْأَلَهُ عَنِ الرُّسُولِ وَمَنْ أَرْسَلَهُ، وَعَنِ الْقُرْآنِ وَمَنْ أَنْزَلَهُ، وَعَنِ الْحَرَامِ

الذي أكله ، وعَمَّا اجْتَرَحَهُ فِي دُنْيَاهُ وَفَعَلَهُ ، ثُمَّ لِيُوفِّيَنَّ كُلَّ عَامِلٍ مِنْكُمْ عَمَلَهُ ، وَيُقَابَلَ كُلُّ بَا عَمَلِهِ وَلَهُ ، عِلْمُ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِهِ وَجَهْلُهُ مِنْ جَهْلِهِ . جَعَلَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ إِذَا أَمُرُ قَبْلُ ، وَإِذَا زَجَرَ وَجَلُ . إِنَّ أَحْسَنَ الْكَلَامِ عَلَى الْإِطْلَاقِ كَلَامُ رَبِّنَا الرَّحِيمِ الْخَلَّاقِ ، وَاللَّهُ يَقُولُ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ الْمُبِينُ : (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) النحل - ٩٨ . أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ . بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (المص . كُتَابُ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنَذِرَ بِهِ وَتُذَكِّرَ لِلْمُؤْمِنِينَ . اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ) الْأَعْرَافُ : ١-٣ بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنْهُ بِالْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ، وَأَجَارَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنْ عَذَابِهِ الْأَلِيمِ ، وَثَبَّتَنِي وَإِيَّاكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ . أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ . إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، فَاسْتَغْفِرُوهُ .

١٥٤ خُطْبَةٌ

الحمد لله الكريم الرؤوف الرحيم المجيد ، والحمد لله الذي بحمده تستفتح أبواب الميز ، نحمده كما يجب لجلاله ، وكما ينبغي له من التمجيد ، ونشهد أن لا إله إلا الله العزيز الحميد ، شهادة ننجو بها من الفزع الأكبر يوم العيد . ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله البشير النذير الشهيد ، اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أئمة العدل والتوحيد .

(أما بعد) أيها الناس فأوصيكم ونفسي بتقوى الله فاتقوه ، وأحذركم على مراقبته فإنكم ملاقوه ، واحذروه كما حذركم أنفسه في الكتاب ، واذكروه كما أمركم يا أولي الألباب ، واستغفروه ؛ فإنه غافر الذنب ، وقابل التوب ، شديد العقاب ، . واشكروه فكم أفاض عليكم من جزيل نعمه ، وإياكم والمعاصي ، فإنها مفاتيح غضب الله ونقمه ، ولا تشغلنكم دنياكم عن أداء المسنون والمفروض ، ولا تغرنكم ، فإنها لاتساوي عند الله جناح بعوض . كيف يغتر بها ، ويطمئن إليها من تنصرم أيامه ولياليه ؟ أم كيف يطيب فيها عيش من لا يدري متى الموت والله مفاجيه .

فيا واقفون والأيام والليالي بكم سائرة ، إن فيا تشاهدون من العبر لموعظة زاجرة ، فما للقلوب عن قبول المواعظ نافرة ، وما للنفوس معرضة عن التذكرة كأنها بها ساخرة ؟ وما للهمم عن العمل الصالح فاترة ، أغرتكم الأمانى ، والآمال الحاضرة ؟ أما علمتم أن كل جزء من الزمان يذهب بمثله من الأعمار ؟ أما تحققت أن العمر رأس مال الإنسان وأن ربحه العمل ؟ أما تبين لكم أن مافات لا عوض عنه ولا بدل ؟ فوا عجباً لواقف هو في حال وقوفه يرحل ، ولمن يساربه ولا يدري إلى أي الدارين يحمل ، ولمن وعظ بالمواعظ الصادقة فلم يقبل ، ولمن نودي بالرحيل وأمر بالتزود فأهمل ، ولمن سبي عمله ، وقد علم أنه سيجازى بما يعمل ، والعجب أيضاً من يرى فعلاً الموت بالأتراب ، ثم لا يهتد لنفسه في بيوت التراب .

فاستيقظوا رحمكم الله من الغفلة والسنة ، وكونوا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وبادروا وأنتم في مكان الإمكان وفسح المهل ، فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل : واجتنبوا المعاصي فالفائز من كان لها مجانباً ، ولازموا التوبة إلى الله ، فالسعيد من لم يزل إليه تائباً .

جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمين ، وجنبي وإياكم موارد الظالمين ، إن أحسن الكلام كلام الملك العلام ، والله يقول وقوله الحق المبين : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل : ٩٨ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) التوبة : ٩٤ بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم ، وأجاري وإياكم من عذابه الأليم ، وثبني وإياكم على الصراط المستقيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين ، إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه .

١٥٥ خطبة

الحمد لله المنتقم من خالفه ، المهلك من أسفه ، المتوحد في قهره ، والمنفرد بعز أمره ، أحمد حمد شاكر لما أولاه ، مسقيل بما جناه . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة يقين لا شك فيه ، وقول إخلاص عما يقول الكافر ويفتره ، وأشهد أن محمداً عبده

ورسوله الذي استأمنه على علم الغيب ، وبرأه من كل دنسٍ وعيبٍ ،
اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أفضل الصلوات
وأزكاها ، وأنزلهم من منازل الكرامة أعلاها .
(أما بعد) فيا أيها الناس إنه ليس أحداً كرم على الله من نبيه ،
ولا أشرف عنده من محمدٍ نجيهِ وحبيبه وصفيه ، ولن يؤخر عند
انقضاء مدته ، ولن يمر عند حضور منيته ، ولقد أتاه في مثل شهركم
هذا من رسل ربه الكرام ، الموكلين بقبض نفوس الأنام ، فغذبوا
رُوحَهُ الزكية لينقلوها ، وعاجلوا ليرحلوها إلى رحمةٍ ورضوان ،
وروحٍ وريحانٍ ، وروضات الجنان ، وخيراتِ حسانٍ ، فاشتد
لذلك كربه وأينيه ، وترادف قلقه وحينيه ، واختلف بالانتقاض
والانبساط شماله ويمينه ، وعرق لهول مصرعه جبينه ، فبكى لمنظره
مَن حضره ، وانتحب لمصرعه مَن أبصره ، فلم يدفع الجزع عنه
مقدوراً ، ولا راقب الملكُ فيه أهلاً ولا عُشيراً ، بل امثل ما كان به
مأموراً ، واتبع ما وجد في اللوحِ مَسْطُوراً . هذا وهو أول من تشق عنه
الأرض ، وصاحب الشفاعة يوم العرض ، وأكرم أهل السماء وأهل
الأرض ، وعلى يقينٍ من السلامة في المعاد ، وثقةٍ بالكرامة يوم
الأشهاد . فكيف مَن لا يعلم متى الرحيل ؟ ولا يتحقق أين المقيَل ؟ ولا
يُدْرِي على ما يقدم ، ولا بما عليه في القيام يُحْكَمُ .
فيا خَلْفَ مَنْ قَدْ دَبَرَ ، ويا بَقِيَّةَ مَنْ قَدْ غَبَرَ ، ويا جَدِّدَ الآجال ،
وعبيداً آمال . أَمَا تَعْظُونَ بِمَصْرَعِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، وإمامِ الْمُتَّقِينَ ،
وحبيبِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . اتظنون أنكم في الدنيا مغلَّدون ؟ أم تحسبون

أنكم من الموت مُحْصَنُونَ ، سَاءَ مَا تَحْمِلُونَ ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ إِنَّكُمْ إِذَا
لَمَعُرُورُونَ ، وَجَدُوا اللَّهَ وَالرَّحِيلَ ، فَاحْتَقِبُوا زَادًا كَافِيًا ، وَوَجِبَ السُّؤَالُ
فَاعِدُوا جَوَابًا شَافِيًا ، فَكَأَن قَدْ نَقَى بَكُمْ نَاعِقُ الشَّتَاتِ ، وَدَارَتْ
عَلَيْكُمْ رُحَى الْآفَاتِ ، وَعَصَفَتْ فِيكُمْ رِيحُ الْمَمَاتِ ، فَلَنْ تَسْتَطِيعُوا
نَقْصًا مِنَ السَّيِّئَاتِ ، وَلَا زِيَادَةً فِي الْحَسَنَاتِ .

جَعَلَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْفَائِزِينَ الْآمِنِينَ ، وَجَنَّبَنِي وَإِيَّاكُمْ مَوَارِدَ
الظَّالِمِينَ . إِنَّ أَحْسَنَ الْكَلَامِ كَلَامُ الْمَلِكِ الْعَلَامِ ، وَاللَّهُ يَقُولُ وَقَوْلُهُ
الْحَقُّ الْمُبِينُ : (فَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِذْ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)
النحل : ١٨ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (وما جعلنا لبشرٍ مِنْ قَبْلِكَ
الْخُلْدَ أَفَإِنَّ مِنْ فِهمِ الْخَالِدِينَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ
بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) الْأَنْبِيَاءُ : ٣٤ ، ٣٥ بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ
فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنْهُ بِالْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ،
وَأَجَارَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنْ عَذَابِهِ الْأَلِيمِ ، وَبَثَّنِي وَإِيَّاكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ
الْمُسْتَقِيمِ ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ ،
إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ فَاسْتَغْفِرُوهُ .

١٥٦ خُطْبَةٌ

الحمد لله الذي يسبح بحمده من في الأرض والسموات ، والحمد لله
بكل حمدٍ حمد به نفسه ، أو علمه أحدًا من المخلوقات . نحمده على ما منح
من نعمه السابغات .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة ترفع قائلها
أعلى الدرجات . ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات ،

اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأئمة الثقات .
 (أما بعد) فيا أيها الناس إن ماتوعدون من الآخرة لآت ، وإنكم
 في دار هي محل العبر والآفات ، وأنتم على سفر ، والطريق كثيرة
 المخافات . فتروا دوا من دنياكم قبل الممات ، وتداركوا هفواتكم
 قبل الفوات ، وحاسبوا أنفسكم وراقبوا الله في الخلوات ، وتفكروا
 فيما أراكم من الآيات ، وبادروا بالأعمال الصالحات ، واستكثروا
 في أعماركم القصيرة من الحسنات قبل أن ينادي بكم منادي الشتات ،
 قبل أن يفجأكم هاذم اللذات ، قبل أن يتصاعد منكم الأنين
 والزفرات ، قبل أن تنقطع قلوبكم عند فراق الدنيا حسرات ، قبل
 أن ينشأكم من غم الموت الغمرات ، قبل أن ترجعوا من القصور
 إلى بطون الفلوات ، قبل أن يحال بينكم وبين ما تشتهون من هذه
 الحياة ، قبل أن تمنوا رجوعكم إلى الدنيا لتعملوا وهيئات .

فاتقوا الله حق تقاته ، فإن فيها النجاة قبل الممات ، وتعرضوا
 لنفحات ربكم ، فإن له تعالى في أيام دهركم نفحات ، وتوبوا إليه
 فإنه يقبل التوبة ، ويعفو عن السيئات . فرحم الله أقواماً بادروا
 الأوقات ، وتداركوا الهفوات ، عيونهم مشغولة بالدمع ، وألسنتهم
 مسجونة بالصمت عن فضول الكلمات ، وأكفهم مكفوفة بالخوف
 عن تناول الشهوات ، وأقدامهم مقيدة بقيود المحاسبات ، فتيقظوا
 رحمكم الله للحاقهم من سنة الغفلات ، واعملوا مثل أعمالهم تناولوا
 الدرجات .

فيا من لم يتصف بهذه الصفات ، كيف ترجوا إلحاقهم وأنت

كثير المخالفات؟ أما قرع سمعك قول الله في محكم الآيات (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا ووعملوا الصالحات) الجاثية: ٢١ جعلني الله وإياكم ممن بادر الأوقات ، وسارع إلى الخيرات ، إن أكمل المواعظ نفعا ، وأعظمها في القلوب وقعا كلام من شق لكل منا بصرا وسمعا ، والله يقول ؛ وقوله الحق المبين : (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل: ٩٨ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) يونس : ٢٤ بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم وأجاري وإياكم من عذابه الأليم ، وثبتي وإياكم على الصراط المستقيم - أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين ، إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه .

الحمد لله المرتفع عن إدراك الأبصار الناضرة ، المنزه عن التخيلات ، والأوهام الخاطرة ، العالم تحت أمواج البحار الزاخرة ، كعله محركات خلقه الظاهرة ، الذي جعل الموت أول منازل الآخرة ، فأقام به القوي والضعيف تحت قدرته القاهرة . أحمدده على نعمه وآلائه المتواترة ، وآياته الباهرة المتظاهرة ، حمداً أدفع به حلول كل فاقة ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة صادرة عن طوية غير مرتابه ولا فاته . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بالآيات الباهرة ،

والمفضل بالمقامات الفاخرة ، الذي ألف بين القلوب المتنافرة . اللهم
فصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وعترته الطاهرة ، وعلى أصحابه
الأنجم الزاهرة .

(أما بعد) فيا أيها الناس إن سبيل العافية عافية لِقَلَّةِ سَلَاكِهَا ،
وإن عِلَلَ الْقُلُوبِ الْقَاسِيَةِ مُؤَذِّنَةٌ بِهَلَاكِهَا ، وإن حُلُلَ الذُّنُوبِ بِإِدِيَّةٍ
عَلَى سَوَاقِ الْأُمَّةِ وَأَمْلَاكِهَا ، وإن رسل المنون قانصة لا تفلت أحداً
من شبابها . فما للعيون ناظرة ولا تبصر ؟ وما للقلوب قاسية ولا تفكر ؟
وما للعقول طائشة ولا تشعر ؟ وما للنفوس ناسية ولا تذكر ؟ أغرها
إنظارها وإمهاها ؟ أم بشرها بالنجاة أعمالها ؟ أم لم يتحقق عندها من
الدنيا زوالها ؟ كلا ولكن شملت الغفلة ، فاستحكم على القلوب أقفالها
فكان قد كشف الموت لأهل الغفلة قناعة ، وأطلق على صحاح
الأجسام أوجاعه ، وحقق بكل الأنام إيقاعه ، ولم يملك أحد منكم
دفاعه ، فخفق من المنزول به فؤاده ، وانمحق من ناظره سواده ،
وقلق لهول مصرعه عواده ، ورحمه أعداؤه وحساده ، وأزف
عن أهله ووطنه بعباده ، والتحق بذل اليتيم أولاده ، فياله من واقع في
كرب الحشارج حتى أدرج في تلك المدايرج ، وقدم على الله ذي
المعارج ، في منزل لا يبرح منه من نزله حتى يلحق آخر الخلق أوله .
أفيظن ظان أن الله خلق الخلق ليهمله ؟! كلا والله ليبعثه من أماته .
ليسأله عن الرسول ومن أرسله ، وعن القرآن ومن أنزله ، وعن الحرام
الذي أكله ، وعمّا أجترحه في دنياه وفعله ، ثم ليوفين كل عاملٍ منكم
عمله ، ويقابل كل بما عليه وله ، علم ذلك من علمه وجهله من جهله . جعلني

الله وإياكم من إذا أمر قبل ، وإذا زجر وجل . إن أحسن الكلام
على الإطلاق كلام ربنا الرحيم الخلاق ، والله يقول وقوله الحق
المبين: (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل - ٩٨
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . بسم الله الرحمن الرحيم (المص . كتاب
أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين .
اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً
ما تذكرون) الأعراف: ١-٣ بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعي
وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم ، وأجاري وإياكم من عذابه
الآليم ، وثبني وإياكم على الصراط المستقيم . أقول قولي هذا ،
وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين . إنه هو الغفور
الرحيم ، فاستغفروه .

١٥٧ خطبة

الحمد لله الكريم الرؤوف الرحيم المجيد ، والحمد لله الذي بحمده
تستفتح أبواب الميز ، نحمده كما يجب لجلاله ، وكما ينبغي له من
التحميد ، ونشهد أن لا إله إلا الله العزيز الحميد ، شهادة ننجو بها
من الفزع الأكبر يوم العيد . ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله
البشير النذير الشهيد ، اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
أئمة العدل والتوحيد .

(أما بعد) أيها الناس فأوصيكم ونفسي بتقوى الله فاتقوه ، وأحكم
على مراقبته فإنكم ملاقوه ، واحذروه كما حذركم نفسه في الكتاب ،

واذكروه كما أمركم يا أولي الألباب ، واستغفروه ؛ فإنه غافر الذنب ،
وقابل التوب ، شديد العقاب ، واشكروه فكم أفاض عليكم من
جزيل نعمه ، وإياكم والمعاصي ، فإنها مفاتيح غضب الله ونقمه ، ولا
تشغلنكم دنياكم عن أداء المسنون والمفروض ، ولا تغرنكم ، فإنها
لا تساوي عند الله جناح بعوض . كيف يغتر بها ، ويطمئن إليها من
تنصرم أيامه ولياليه ؟ أم كيف يطيب فيها عيش من لا يدري متى الموت
والله مفاجيه .

فيا واقفون والأيام والليالي بكم سائرة ، إن فيما تشاهدون من
العبر لموعظة زاجرة ، فما للقلوب عن قبول المواعظ نافرة ، وما
للنفوس معرضة عن التذكرة كأنها بها ساخرة ؟ وما للهمم عن العمل
الصالح فاترة ، أغرتكم الأمانى ، والآمال الحاضرة ؟ أما علمتم أن
كل جزء من الزمان يذهب بمثله من الأعمار ؟ أما تحققت أن العمر
رأس مال الإنسان وأن ربحه العمل ؟ أما تبين لكم أن مافات لا عوض
عنه ولا بدل ؟ فواجباً لواقف هو في حال وقوفه يرحل ، ولمن
يساربه ولا يدري إلى أي الدارين يحمل ، ولمن وعظ بالمواعظ
الصادقة فلم يقبل ، ولمن نودي بالرحيل وأمر بالتزود فأهمل ، ولمن نسي
عمله ، وقد علم أنه سيجازى بما يعمل ، والعجب أيضاً ممن يرى فعل
الموت بالأتراب ، ثم لا يهد لنفسه في بيوت التراب .

فاستيقظوا رحمكم الله من الغفلة والسنة ، وكونوا من الذين
يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وبادروا وأنتم في مكان الإمكان
وفسح المهل ، فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل .

واجتنبوا المعاصي فالفائز من كان لها مجانباً ، ولازموا التوبة إلى الله ، فالسعيد من لم يزل إليه تائباً .

جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين ، وجنبي وإياكم موارد الظالمين ، إن أحسن الكلام كلام الملك العلام ، والله يقول وقوله الحق المبين : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل : ٩٨ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) التوبة : ٩٤ بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعي وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم ، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم ، وثبني وإياكم على الصراط المستقيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين ، إنه هو الغفور الرحيم فأستغفروه .

١٥٨ خطبة

الحمد لله المنتقم من خالفه ، المهلك من آسفه ، المتوحد في قهره ، والمنفرد بعز أمره ، أحمده حمد شاكر لما أولاه ، مشقيل بما جناه . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة يقين لا شك فيه ، وقول إخلاص عما يقول الكافر ويفتره ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي استأمنه على علم الغيب ، وبرأه من كل دنسٍ وعيبٍ ، اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أفضل الصلوات

وَأَزْكَاهَا، وَارْزَلَهُمْ مِنْ مَنَازِلِ الْكَرَامَةِ أَعْلَاهَا .

(أما بعد) فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْ نَبِيهِ ،
وَلَا أَشْرَفَ عِنْدَهُ مِنْ مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَحَبِيبِهِ وَصَفِيِّهِ ، وَلَنْ يُوْخِرَ عِنْدَ
اتِّقِضَاءِ مَدَّتِهِ ، وَلَنْ يَمُرَّ عِنْدَ حُضُورِ مَنِيَّتِهِ ، وَلَقَدْ آتَاهُ فِي مِثْلِ شَهْرِكُمْ
هَذَا مِنْ رِسْلِ رَبِّهِ الْكَرَامِ ، الْمَوْكَلِينَ بِقَبْضِ نَفُوسِ الْأَنَامِ ، فَجَذَبُوا
رُوحَهُ الزَّكِيَّةَ لِيَنْقَلِبُوهَا ، وَعَاجَلُوهَا لِیَرْحَلُوهَا إِلَى رَحْمَةٍ وَرِضْوَانٍ ،
وَرُوحٍ وَرِیحَانٍ ، وَرُوضَاتِ الْجَنَانِ ، وَخَيْرَاتِ حَسَانٍ ، فَاشْتَدَّ
لِذَلِكَ كَرْبُهُ وَأُتِنَتْهُ ، وَتَرَادَفَ قَلْقُهُ وَحَنِينُهُ ، وَاخْتَلَفَ بِالْإِنْقِبَاضِ
وَالْإِبْسَاطِ شِمَالُهُ وَیَمِینُهُ ، وَعَرِقَ لَهْوُلُ مَصْرَعِهِ جِینُهُ ، فَبَكَیَ لِمَنْظَرِهِ
مِنْ حُضْرِهِ ، وَانْتَجَبَ لِمَصْرَعِهِ مِنْ أَبْصَرِهِ ، فَلَمْ يَدْفَعْ الْجَزَعُ عَنْهُ
مَقْدُورًا ، وَلَا رَاقِبَ الْمَلِكِ فِيهِ أَهْلًا وَلَا عَشِيرًا ، بَلْ امْتَثَلَ مَا كَانَ بِهِ
مَأْمُورًا ، وَاتَّبَعَ مَا وَجَدَ فِي اللَّوْحِ مَسْطُورًا . هَذَا وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَشَقَّقَ عَنْهُ
الْأَرْضُ ، وَصَاحِبَ الشَّفَاعَةِ يَوْمَ الْعَرْضِ ، وَأَكْرَمَ أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ
الْأَرْضِ ، وَعَلَى یَقِینٍ مِنَ السَّلَامَةِ فِي الْمَعَادِ ، وَتَقَى بِالْكَرَامَةِ يَوْمَ
الْأَشْهَادِ . فَكَيْفَ مَنْ لَا یَعْلَمُ مَتَى الرَّحِيلُ ؟ وَلَا یَتَحَقَّقُ أَيْنَ الْمَقِيلُ ؟ وَلَا
یَدْرِي عَلَى مَا یَقْدُمُ ، وَلَا بِمَا عَلَیْهِ فِي الْقِیَامِ یُحْکَمُ .

فَيَا خَلْفَ مَنْ قَدْ دَبَّرَ ، وَيَا بَقِيَّةَ مَنْ قَدْ غَبَرَ ، وَيَا جُدُّدَ الْآجَالِ ،
وَعَيْنِدَ الْآمَالِ . أُمَّا تَسْمَعُونَ مُصْرَعُ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ ،
وَحَبِيبِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَتَنْظُرُونَ أَنْكُمْ فِي الدُّنْيَا تَخْلُدُونَ ؟ أَمْ تَحْسَبُونَ
أَنْكُمْ مِنَ الْمَوْتِ مُحْصَنُونَ ؟ سَاءَ مَا تَحْكُمُونَ ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ أَنْكُمْ إِذَا

لَمْ يَرْوَوْهُ، وَجَدُوا رَبَّهُ وَالرَّحِيلَ، فَاحْتَقَبُوا زَادًا كَافِيًا، وَوَجِبَ السُّؤَالُ
فَأَعَدُّوا جَوَابًا شَافِيًا، فَكَانَ قَدْ نَعَقُ بِكُمْ نَاعِقُ الشَّتَاتِ، وَدَارَتْ
عَلَيْكُمْ رُحَى الْآفَاتِ، وَعَصَفَتْ فِيكُمْ رِيحُ الْمَمَاتِ، فَلَنْ تَسْتَطِيعُوا
نَقْصًا مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَلَا زِيَادَةً فِي الْحَسَنَاتِ.

جَعَلَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الْفَائِزِينَ الْأَمْنِينَ، وَجَنَّبَنِي وَإِيَّاكُمْ مَوَارِدَ
الظَّالِمِينَ. إِنَّ أَحْسَنَ الْكَلَامِ كَلَامُ الْمَلِكِ الْعَلَامِ، وَاللَّهُ يَقُولُ وَقَوْلُهُ
الْحَقُّ الْمُبِينُ: (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)
النحل: ٨١ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (وما جعلنا لبشرٍ من قبلك
الخلدَ أَفَئِنَّ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلَوْكُمْ
بِالنَّارِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) الْأَنْبِيَاءُ: ٣٤، ٣٥ بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ
فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنْهُ بِالْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ،
وَأَجَارَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنْ عَذَابِهِ الْأَلِيمِ، وَبَثَّنِي وَإِيَّاكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ
الْمُسْتَقِيمِ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ،
إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ فَاسْتَغْفِرُوهُ.

١٥٩ خُطْبَةٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ بِجَلِي السَّمَاءِ بِبَدِيعِ الْمَصَابِيحِ، وَمُنْغِزِي الْمَلَائِكَةِ بِمَحَلَاوَةِ

التَّسْبِيحِ، الَّذِي شَهِدَتْ بِتَوْحِيدِهِ عَجَائِبُ الْمَصْنُوعَاتِ، وَنَطَقَتْ
بِتَحْمِيدِهِ غَرَائِبُ الْمَبْدُوعَاتِ، وَسَبَّحَ لَهُ الْخَلْقُ بِاخْتِلَافِ اللُّغَاتِ،
فَسَبَّحَانَ مَنْ لَا يَسَاوِيهِ أَحَدٌ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ، أَحْمَدُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً بَاسِقَةً الْفُرُوعِ، وَأَشْهَدُ أَنْ

محمداً عبده ورسوله أرسله من أرجح العرب ميزاناً، وأوضحها بياناً،
وأعلاها مقاماً، وأحلاها كلاماً، وأوفاهادماً، فأوضح الطريقة
ونصح الخليفة، وشهر الإسلام، وكسر الأصنام، وأظهر الأحكام،
وحذر، والحرام عم، وبالإنعام. اللهم فصل وسلم وبارك على سيدنا محمد
وعلى آله وأصحابه البررة الكرام وعلى أزواجه وذريته في كل
محفل ومقام.

(أما بعد) أيها الناس ارمقوا العواقب بمقل الفكر، وانظروا
لأنفسكم أجمل النظر، وأدبر أعينكم لآهواكم مدارع الحذر

واحتقروا زاداً كافياً لبعث السفر. فالكم عن الرشد ناكبين، وفي
مواطن الحد لا عين، وأحلام المنايا بكم صادقة، وسهام الرزايا بكم واثقة؛
ألا غاسلاً قلبه بفيض مدمية، ألا موقظاً قلبه بذكر مرجعة، إلا مشفقاً
من مفاجأة هجوم مضرة، ألا متاهلاً لركوب هول فزعة، ألا مهتداً
لطود وحشة مضجعة، قبل أن تخلو المنازل من أربابها، وتوزن
الديار بخرابها، وتهتك الحلائل لعظم مصابها، وشذب على فراق
أحبائها، وتلتحق الأجساد بترابها، قبل أن تقبل الساعة بفجائتها
وتشتر الخلائق لحسابها، وترهن بآكنسابها، وشكر القبائل معارف
أنسابها. يومئذ تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتجاوز كل عاملة
بما صنعت، ذلك يوم زال غشه ونفاقه، وطال الشر ووثاقه،
وعسر على المذنبين مساقه، وتجلي للحكومة فيه خلاقه؛ فيافوز من
عامله بأحسن المعاملات، وبأخساره من بارزه بأخطايا والسيئات؛

فإلى كم تتباطلون عباد الله بالعمل ، وتطمعون في بلوغ الأمل ! وتفترون
بفسحة المهل ! ولا تذكرون هجوم الأجل فرحم الله امرأاً أقدم
الحذر ، وأمن النظر قبل أن يفارق الأوطان ، ويعدم الإمكان ،
ويدرج في مدارج الأكفان ، ويدخل في خبر كان ، جعلني الله وإياكم
من الفائزين ، وجنبي وإياكم موارد الظالمين . إن أحسن الكلام
كلام الله الملك العلام ، والله يقول وقوله الحق المبين : (فإذا قرأت
القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل : ٩٨ أعوذ بالله من
الشيطان الرجيم (كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم
القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا
الامتناع الغرور) آل عمران : ١٨٥ بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ،
ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم ، وأجاري وإياكم من
من العذاب الأليم ، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم . أقول قولي
هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين ، إنه هو الغفور
الرحيم فاستغفروه .

١٦٠ خطبة

الحمد لله الذي عمت رحمته كل شيء ، ووسعت ، وتمت نعمته على
العباد وعظمت ، ملك ذلك لعزته الرقاب وخضعت ، وهابت لسطوته
الصماب وخشعت ، وارتاعت من خشيته أرواح الخائفين وجزعت

كَرِيمٌ تَعَلَّقَتْ بِرَحْمَتِهِ قُلُوبُ الرَّاجِينَ فَطُمِعَتْ ، بِصِيرٍ بَعَادَهُ يَعْلَمُ
مَا كُنْتِ الصُّدُورُ وَأَوْدَعَتْ ، عَظِيمٌ عَجَزَتْ الْعُقُولُ عَنْ إِدْرَاكِ
ذَاتِهِ فَتَحِيرَتْ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمٍ تَوَالَتْ عَلَيْنَا وَاتَّسَعَتْ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، شَهَادَةً تَنْجِي قَائِلَهَا مِنَ النَّارِ يَوْمَ تَذْهَلُ كُلُّ
مَرْضُوعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي جَاهَدَ
فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ حَتَّى عَلَتْ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ وَارْتَفَعَتْ ، اللَّهُمَّ فَصِّلْ
وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا ابْتَهِلَتْ الْوُفُودُ بِالْمُشَاعِرِ
الْعَظَامِ وَدَعَتْ .

(أما بعد) أيها الناس تأهبوا للانتقال من دار الرحيل والزوال ،
وَتَنَافَسُوا فِي اكْتِسَابِ مَا يُوصِلُ إِلَى دَارِ الْمُقِيلِ وَالظَّلَالِ ، وَارْغَبُوا فِي
صَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَمَّا قَلِيلٍ رَاحِلُونَ ، وَإِلَى اللَّهِ صَائِرُونَ ،
وَلَا يَغْنِي هُنَاكَ عَمَلٌ إِلَّا صَالِحٌ قَدِمْتُمُوهُ ، أَوْ حَسَنٌ ثَوَابٌ أَحْرَزْتُمُوهُ ،
فَإِنَّكُمْ تَقْدُمُونَ عَلَى مَا قَدِمْتُمْ ، وَتَجَازُونَ عَلَى مَا أَسْلَقْتُمْ ، فَلَا تَصْدَنْكُمْ
زَخَارِفُ دُنْيَانِيَّةٍ عَنْ مَرَاتِبِ جَنَّاتِ عَلَيْهِ ، وَاكْتَسَبُوا مَرْضِيَّ الرَّحْمَنِ
فَإِنَّهَا أَرْبَعُ الْمَكْسَبِ ، وَاجْتَنِبُوا مَوَارِدَ الْعِصْيَانِ ، فَإِنَّهَا وَخِيمَةُ
الْعَوَاقِبِ ، وَحَازَرُوا مَوَاعِيدَ الْأَمَالِ فَإِنَّهَا آمَالُ الْكَوَاذِبِ .

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ خَطَمَتْكُمْ بِخَطَامِهَا وَأَنْتُمْ عَلَيْهَا مُقْبِلُونَ ،
وَصَدَقَتْكُمْ حَوَادِثُ أَيَّامِهَا وَأَنْتُمْ لَهَا مُكْذِبُونَ ، كَمْ تَحْذَرُونَ مِنَ الْغَفْلَةِ فَلَا
تَحْذَرُونَ ، وَتَذْكُرُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَا تَذْكُرُونَ ، وَيُوضِّحُ لَكُمْ الصَّوَابُ
وَلَا تَبْصُرُونَ ، وَيُفْصِحُ لَكُمْ فِي الْخُطَابِ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ . إِلَى كَمْ

للدنيا تعدون ؟ وأنتم عما قليل في الموتى تعدون ؟ ولا تأهبون للآخرة ولا تستعدون أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون) فرحم الله امرءاً تأهب للقدوم على الله في يوم يفوز فيه الأبرار ، ويسعدون ويشقى فيه الفجار ويبعدون ، ذلك يوم يخسر فيه المبطلون ، وينجو فيه الأبرار الصادقون ، ويفرح فيه المتقون ، ويربح فيه المخلصون ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولا هم يستعتبون .

جعلني الله وإياكم ممن أخلص الله في الأعمال ، وأسعدني وإياكم في

الدازين بحسن النوال . إن أحسن الكلام كلام الملك السلام ، والله يقول وقوله الحق المبين : (وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) الأعراف : ٢٠٤ وقال عز من قائل عليم : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل : ٩٨ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) التباين : ١٦ بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم ، وأجاني وإياكم من العذاب الأليم ، وثبتني وإياكم على الصراط المستقيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين ، إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه .

١٦١ خطبة

الحمد لله الذي يجب أن تشكر نعمته ، ويتعين أن تحذر تقمته ويحتم أن يخاف عذابه وسطوته ، من قابل إحسانه بالإساءة نادى عليه شقوته .

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بحسب ما تطيقه قوة أحدكم وقدرته. وتوبوا إلى الله قبل أن يغلq باب التوبة، وترد على العبد توبته. جعلني الله وإياكم ممن أعطي مسأله وغفر لكل عبدٍ منازله.

إن أحسن الكلام المنظوم، وأبين اللفظ المرقوم، كلام ربنا الحي القيوم، والله تعالى يقول وقوله الحق المبين: (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل: ٨١ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم (اقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون. ما يأتيهم من ذكرٍ من ربهم محدثٍ إلا استمعوه وهم يلعبون. لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفأتون السحر وأنتم تبصرون) الأنبياء ١-٣ بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا أستغفر الله العظيم لي ولكم، ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه.

١٦٢ خطبة

الحمد لله الذي أحاط بحوادث الدنيا والآخرة خبراً، وجعل لكل شيءٍ قدراً، وأسبل على الخلائق رعايته سترأ. أحمدُه على نعمائه شكراً، وأسلم لقضائه صبراً، وأشهد أن لا إله

إلا الله وحده لا شريك له شهادة أعدّها ليوم القيامة ذخراً ، وأستمدّها
على الأعداء نصراً ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أرسله إلى
البرية عذراً ونذراً ، فدعا إلى الله سرّاً وجهراً ، ونشر رحمته على العالمين
نشرّاً ، اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ، وأدم لهم أجراً .
(أما بعد) فأوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله ، فاتقوا الله ،
فإن تقواه عروة مالمها انفصام ، وقدوة يأتّم بها الكرام ، وجذوة تضيء
بها الأفهام ، من تعلق بها حتمته مخدور العاقبة ، ومن تحقق بحملها وقته
شُرور كل نائبة ، وأحذر كم دار فرقة مالمها أسلاف ، وقرار حرقة
مالمها انصراف ، وأمانى رجعة مالمها إسعاف . فانهضوا عباد الله في
استعمال ما يقربكم من دار القرار ، وارفضوا من الأعمال ما يدينكم
لدار البوار ، فإنها المصيبة الجامعة ، والعقوبة الواقعة . يالها داراً انقطع
من الرجال رجاء حلالها ، وامتنع من الفناء بقاء نكالها ، وشعار أهلها
الويل الطويل ، ودثارهم البكاء والويل ، وسرايلهم الخزي الويل ،
ومقيلهم الهابوية وبئس المقيّل ، يقطع منهم الجحيم أمعاء ، طالما ولعت
بأكل الحرام ، وتضعض منهم الجحيم أعضاء طالما أسرعت إلى
اكتساب الآثام قد انهلت عليهم الأثامات ، وحلت بهم المثلات .
فجلودهم محددة بالعذاب ، ووجوههم مسودة لسوء الحساب ، والزبانية

يدخلون عليهم من كل باب ، ويقولون : لا مرجباً بكم إن لكم
لشر مآب ، ينادون إلهاً غرهم في العاجلة حلمه فخالقوه ، وحق عليهم
في الآجلة حكمه لما آسفوه ، يقولون : (ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا
ظالمون) المؤمنون : ١٠٧ . (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون)

فيجيهم بعد حين إجابة دعوة ذي قوة متين (اخسؤوا فيها ولا تكلمون)
المؤمنون: ١٠٨. فحينئذ ينقطع عندها والله تأميل المذنبين، ويجتمع التشكيل
على المكذبين، ويرتفع في النار حويل المحدثين، فإن يصبروا فالنار
مشوى لهم، وإن يستعبدوا فها هم من المعتبين .

أبعدني الله وإياكم عن دار غضبه ، وأسعدني وإياكم بإتيان ما أمر
به . إن أحلى ما أنضت لترديده ، وأولى ما أخذ بوعده ووعده كلام
مُبدئ الخلق ومُعيد ، والله يقول ، وقوله الحق المبين : (فإذا قرأت
القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل: ٩٨. أعوذ بالله من الشيطان
الرجيم (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا
الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) الجاثية : ٢١
(وخلق الله السموات والأرض بالحق واتجزى كل نفس بما كسبت
وهم لا يظلمون) الجاثية : ٢٢ . بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ،
ونفني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم ، وثبتي وإياكم على
الصراط المستقيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم وجميع
المسلمين ، إنه هو الغفور الرحيم . فاستغفروه .

١٦٣ خطبة

الحمد لله مثير الطائمين على صالح العمل أجزل الثواب ، ومجيب
الداعين فهو أكرم من أجاب ، يغفر الزلات ، ويقلل العثرات ،
ويحتجى إليه من يشاء ، ويهدي إليه من أناب ، يبسط يده بالليل ليتوب مسيء

النهار، ويسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، فألى متى يؤخر المتأب ؟! .
أحمد على نعمه التي فاضت على ذرات التراب، وقطرات السحاب،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة لا يحجبها عن
الإخلاص حجاب، وأشهد أن سيدنا ونينا محمداً عبده ورسوله، أرسله
بأمر دين وأفصح كتاب، فرض، الفرائض وسن السنن، وبين
الآداب . اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه خير آل
وأكرم أصحاب .

(أما بعد) أيها الناس جدد بكم الرحيل وأنتم للإقامة عاملون
وندبكم ربكم إلى الآخرة وأنتم عنها غافلون، وحذركم عن التهافت
في الدنيا وأنتم مع الآمال مائلون، وطلبكم لوليمة دار السلام وأنتم عن
الإجابة متشاغلون . يالها داراً تشوقت إلى طالبها، فيها ماتشتيه
الأنفس وتلد الأعين لمن جد فيها، فيها من الخير المدخر ما لا عين رأت
ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، حصباؤها اللؤلؤ والجوهر
وتراها الزعفران والعنبر، سقفها عرش الرحمن، فظها ممدود، وماؤها
جارٍ في غير أخدود، سررها عالية الرتب، وبنائها لبنة من فضة، ولبنة
من ذهب، فيها أنهار ذكر الله لها في كتابه العزيز نعتاً ووصفاً من
ماء غير آسن . وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لينة
للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، فتحت منها الأبواب، وزخرفت
للمتقين فيها القباب، وغردته الأطيار، واطردت الأنهار . وأصبح
أهلها في روضة يحبرون، على الأرائك ينظرون، لمثل هذا فليعمل
الماملون .

فيا أهل العقول تدبروا القرآن بصائر الإيمان ، واشتروا الأمان
 بمرضاة الرحمن ، وتقربوا بالصالحات إلى الجنان تفوزوا بالقبول
 والغفران ، واحموا سوايق العصيان بلواجق الإحسان ، وتخلصوا عن
 الهوان واندبوا أعمالاً ماضية ، ونفوساً عاتية طاغية ، ألا آذان وإعية
 ألا أقدام في طاعة الله ساعية ، ألا نفوس لحقوق الله مراعية ، ألا قلوب
 إلى قبول المواعظ داعية ، قبل هجوم الداهية ، يوم تعرضون لالتحني
 منكم خافية ، جعلني الله وإياكم من الفائزين ، وأدخلنا برحمته في عباده
 الصالحين . إن أحسن الكلام كلام الملك العلام والله يقول وقوله الحق
 المبين : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل : ٩٨
 أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا
 الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور .
 ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور) فاطر ٢٩ : ٣٠
 بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعي وإياكم منه بالآيات
 والذكر الحكيم ، وأجارني وإياكم من العذاب الأليم ، وثبتي وإياكم
 على الصراط المستقيم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم
 ولجميع المسلمين ، إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه .

١٦٤ خطبة

الحمد لله الذي خلق الخليفة وأعمالها ، وردها بنور الهداية عن
 الغواية وأمالها ، وأمدّها بالعناية الربانية فقصر آمالها . أحمده حمد من

احتسى من النعم زلالها ، واكتسى سربالها . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تثبت الأقدام إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها ، وقال الإنسان ماله .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أرسله والجاهلية تشرع ضلالها ، فلم يزل ﷺ يكثر جدالها ويضيق مجالها ، ويعرف خيلها ورجالها ، حتى عرفت حرامها وعافت الدنيا إذ عرفت زوالها . اللهم فصل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ما خالفت الجنوب في الهبوب شمالها .

(أما بعد) أيها الناس ما لأمواء العيون غائضة ؟ وما لأفواه الذنوب فائضة ؟ وما للهمم عن طلب النجاة رابضة ، وما للنفوس في ميدان الشهوات راكضة ، وما للأهواء في مجاري الزلات خائضة ؟ وما للعزائم إلى مقابل التوبة ناهضة ؟ أذهب الصواب عن السلاك ، أم عظم المصائب ووقع الهلاك ؟ .

لقد أفصحت الرسل لولا صمم القلوب ، ووضحت السبل لولا كدر الذنوب . ألا وإن الطريق سحيق فاشتملوا زاداً فاضلاً ، وإن الحساب دقيق فاعملوا عملاً مناضلاً وإن العذاب حريق فاعدوا ولاءً شاملاً ، وإن السؤال حقيق فأسئلوا دمعاً سائلاً ، واغتنموا نفائس أوقات تسير بكم سيراً حثيثاً ، وأياماً وليالي طالما أرتكم عبرة وأسمعتكم مواعظها حديثاً ، لقد أخبرتكم بما أخلت من الديار ، وما أخلت بالقرون من قبلكم ، وأعفت من الآثار . ألم تركم كيف أوردت الأتراب مصارع المنايا ، ألم توصل إليكم من الأخبار

قوارع الرزايا؟ أما دهتكم في أنفسكم بكثيرٍ من الآلام؟ أما
أذاقتكم في أنفسكم مرارة الأسقام؟ فلو فكركم في الدنيا لعلمتم
أنكم في إدبار منها حيث، وإقبال من الآخرة غير بطيء ولا مكث .
فكان الليل والنهار وقد وقفابكم على الآجال ، وأزالا عنكم
غرور الآمال ، وكشفا عنكم أغطية الأبصار ، ووصلا بكم إلى دار
القرار ، فيا حيرة منتقل إلى دارٍ لم يتخذ بها منزلاً ، ولم يقدم إليها
من الصالح عملاً ، فرحم الله امرءاً وسع من القبور مضيقاً ، واتخذ
من العمل الصالح صديقاً ، وصدق ربه فبعثه صديقاً ، فطيبوا نفساً
بمعاملة الله فإنكم ترحبون ، وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون .

جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمين ، وجنبي وإياكم موارد
الظالمين . إن أحسن الكلام كلام الملك السلام والله يقول وقوله الحق
المبين: (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) النحل: ٩٨
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء
أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيأ تذروه الرياح
وكان الله على كل شيء مقتدرأ . المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات
الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً) الكهف: ٤٥، ٤٦ . بارك الله لي
ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر
الحكيم ، وأجارني وإياكم من العذاب الأليم ، وثبتني وإياكم على
الصراط المستقيم ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع

المسلمين ، إنه هو الغفور الرحيم ، فاستغفروه .

الخطبة الرابعة من شهر ربيع الثاني

الحمد لله الملك القهار العظيم الجليل ، والحمد لله الذي أنفذ قضاءه في مخلوقاته ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، سبحان من جعل الدنيا دار زوالٍ ورحيلٍ ، والآخرة دار نعيمٍ أو عذابٍ وبيل ، وكل ميسر لما خلق له ، وعلى الله قصد السبيل .

أحمده على إحسانه الشامل الجزيل ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا وزير ولا عديل ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المؤيد بمعجزات التنزيل ، والمصون دينه عن التحريف والتبديل ، اللهم فصل وسلم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه صلاةً وسلاماً يبلغان قائلهما نهاية التأمل .

(أما بعد) أيها الناس ما هذا الانتظار وقد قرب الرحيل؟ وما هذا الاغترار وقد أزف التحويل؟ أما ترون المنايا كيف أنشبت الأظفار؟ واستلبت من الأمة الخيار ، وأن الرزايا قد طبقت أرجاء الأرض والأقطار ، فمحت من المجالس الآثار ، فأصبحت عرى الإيمان منقصمة ، وقوى التقوى منقصمة ، فاتقوا الله عباد الله حق تقاته ، وبادروا بالسعي إلى مرضاته ، وأقلقوا القلوب من مراقده غفلاتها ، واعدلوا بالنفوس عن موارد شهواتها ، وذللوا جموحها بذكر هجوم مماتها ، وتخلوا فضاءاتها يوم تعرف بسماتها ، وترقبوا داعياً من جو السماء تنشر به الرمم ، وتزول معه التهم ، ويطول عنده الأسف

والندم ، ياله من داعٍ يسمع العظام البالية ، ومنادٍ يجمع الأجسام المتلاشية من حواصل الطيور وبطون السباع ، وقرار الوهاد ، ومتون البقاع ، حتى يستقيم كل عضو في موضعه ، ويقوم كل شخص من مصرعه ، فتقومون أيها الناس ليوم الكرة^(٢) بوجوه من الثرى مغبرة وألوانٍ من هول ماترون مصفرة ، حفاة عراة كما بدأكم أول مرة ، فيسمعكم الداعي ، وينفذكم البصر ، قد ألجمكم العرق وغشيكم القتر ، ومادت الأرض فهي بما عليها ترجف ، وبست الجبال فهي برياح القمامة تنسف ، وشخصت الأبصار ، فما ترى من عين تطرف^(٣) وغص بأهل السموات والأرض الموقف . فبينما الخلائق متطلعو أنبيائها ، وقوفاً صفوفاً والملائكة على أرجائها ، إذ أحاطت بهم ظلمات ذات شعب ، وغشيهم منها شواظ ولهب ، وسمعوا لها جرجرة زفير وصخب ، فعند ذلك يجثو الظالمون على الركب ، ويشفق المراءون من سوء المنقلب وتطرق الأنبياء لسلطان الرهب ، وينادى أين عبد الله وابن أمته ، وأين المسرف على نفسه بخطيئته ؟ فيعرف من بين الخلائق بسمته ، ويحضر مطالباً بإقامة حجته . فخاب والله هناك من كان على نفسه مسرفاً ، ولم يجد من خلطائه وأخلائه ناصراً ولا مسعفاً ، بل يجد الحاكم له وعليه عدلاً ومنصفاً (ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً) الكهف : ٥٤ . زحزحنا الله وإياكم عن النار) وأدخلنا بفضلته ورحمته دار القرار . إن أحسن ما فاه به اللسان كلام من خلق الإنسان وعلمه البيان . والله يقول وقوله الحق المبين : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم)

النحل : ٩٨ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (أو لم يروا أنا نأتي الأرض
 ننقصها من أطرافها والله يحكم لامعقب لحكمه وهو سريع الحساب .
 وقد مكر الذين من قبلهم فله المكر جميعاً يعلم ماتكسب كل نفس
 وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار) الرعد : ٤٢ ، ٤٣ . بارك الله لي ولكم في
 القرآن العظيم ، ونفّعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم ، وثبّتي
 وإياكم على الصراط المستقيم ، وأجارني وإياكم من عذابه الأليم . أقول
 قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم وجميع المسامين ، إنه هو
 الغفور الرحيم . فاستغفروه .

خطبة في الاستعداد للموت وما بعده

الحمد لله العالم المريد ، الخالق الرازق الغنيّ الحميد ، ذو
 العرش المجيد ، فعّال لما يريد ، عفوه عظيم وبطشه شديد ، وهو
 الله الباعث النوارث المبدئ المعيد (أفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ
 فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ) (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى مِنْ
 نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةُ الْآخَرَى) .

نَحْمَدُهُ تَعَالَى حَمْدًا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ ، وَنَشْكُرُهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَفْضَالِهِ ،
 وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ عَمَّ الْوُجُودَ بِجُودِهِ وَشَمَلَ
 الْعَالَمِينَ بِنَوَالِهِ ، وَجَعَلَ الْحَيَاةَ لِابْنِ آدَمَ مَزْرَعَةً لِأَعْمَالِهِ ، يَخْصُدُ
 مَا زَرَعَ فِيهَا عِنْدَ مَالِهِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَعْرُوفُ
 بِكَمَالِهِ ، الْقَائِلُ ﷺ : أَنَا أَعْرَفُكُمْ بِاللَّهِ وَأَتَقَاكُمْ لَهُ ، لِمَا شَاهَدَ
 مِنْ جَلَالِ رَبِّهِ وَجَمَالِهِ (فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ، مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ
 مَا رَأَى ، أَفْتَمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى) .

اللَّهُمَّ فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، سَيِّدِ خَلْقِ اللَّهِ ،
وَخَاتَمِ رُسُلِ اللَّهِ ، وَالْقَائِلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ ، عَيْنٌ
بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ
وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالَاهُ ، وَعَلَى التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ
فِي شَرَائِعِ اللَّهِ (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا) .

عِبَادَ اللَّهِ : شَغَلَتْكُمْ الدُّنْيَا عَنِ الْآخِرَةِ وَصَرَفَتْكُمْ الْعَاجِلُ عَنِ الْآجِلِ ،
وَعَرَّتْكُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا يَنْبَغِي ذَلِكَ لِعَاقِلٍ ، فَكَمْ تَرَوْنَ مِنْ هَالِكٍ
بَعْدَ هَالِكٍ ، وَرَاحِلٍ بَعْدَ رَاحِلٍ ، وَكَمْ تَشَاهِدُونَ مِنْ مَلِكٍ عَظِيمٍ
وَمُلْكُهُ عَنْهُ زَائِلٌ ، وَلَمْ تُغْنِ عَنْهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا مُعِدَّاتُهُ وَالْجَحَافِلُ ،
وَكَم مِنْ غَنِيٍّ كَبِيرٍ ذَهَبَ عَنْهُ مَالُهُ الْكَثِيرُ الطَّائِلُ ، وَأَقْبَلَ كُلُّ عَلَى
اللَّهِ بِمَا هُوَ عَامِلٌ ، وَالتَّحَقَّ الْأَوَاخِرُ بِالْأَوَائِلِ ، وَلَقِيتْ خُرَاعَةُ بَكَرِ
بَنِ وَإِيلٍ ، وَسَبَّحَكُمْ اللَّهُ بَيْنَ عِبَادِهِ وَيُجَازِي كُلًّا بِمَا عَمِلَ وَهُوَ الْكَرِيمُ
الْعَادِلُ (فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى سَيِّدُكُمْ مَنْ يَخْشَى ، وَيَتَجَنَّبُهَا
الْأَشْقَى ، الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى) .

مَدِيهِ الدَّارُ خِدَاعَةٌ مَكَّارَةٌ ، سَاخِرَةٌ بِأَهْلِهَا غَرَارَةٌ ، وَنَفْسُكَ أَيُّهَا
الْإِنْسَانُ بِالسُّوءِ أَمَّارَةٌ ، وَالشَّيْطَانُ يَأْتِيكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ
وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ ، وَيَأْمُرُكَ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَيَدْعُوكَ إِلَى
الْخُسَارَةِ ، فَيَا لَكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَعْدَاءٍ تَأْمُرُوا عَلَيْكَ وَيُحْسِنُ الْعِيَارَةَ قَدْ
صَرَفُوكَ عَنْ كُلِّ بَشَارَةٍ وَنَذَارَةٍ ، وَزَيَّنُوا لَكَ الشَّرَّ وَأَطْوَارَهُ ، وَحَسَّنُوا
لَكَ الذُّنُوبَ بِكُلِّ مَهَارَةٍ ، وَدَعُوكَ إِلَى الْفَسَادِ بِالتَّضْرِيحِ وَالتَّلْمِيحِ
وَالْإِشَارَةِ ، وَأَنْتَ بِهِمْ وَائِقٌ وَلِلَّيْهِمْ رَاكِنٌ ، لَا تَنْفَعُكَ الْمَوْعِظَةُ وَلَا
تَسْمَعُ مِنَ الْخَطِيبِ إِنْكَارَهُ ، وَإِسْهَابَهُ فِي التَّحْذِيرِ وَإِنْكَارَهُ ، فَاتَّقُوا
اللَّهَ وَقُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ، وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ (وَمَنْ يَتَّقِ

اللَّهُ يَجْعَلُ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا .

تَمَكَّنَ وَاللَّهُ حُبُّ الدُّنْيَا مِنْ قُلُوبِ الْكُفَّارِ وَالْمُسْلِمِينَ ، فَأَصْبَحُوا لَا يُبَادُونَ فِي سَبِيلِهَا بِمُرُوءَةٍ وَلَا دِينٍ ، وَتَحَكَّمَتْ فِي بَنِي آدَمَ الشَّيَاطِينُ ، فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، وَقَالُوا لَهُمْ مَا أَنْتُمْ بِمَيِّتِينَ إِلَّا الْمَوْتَةُ الْأُولَى وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْذِبِينَ ، وَمَا هَذِهِ إِلَّا بَيِّنَاتٌ وَالْمَوَاعِظُ إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ، فَأَصْبَحَ النَّاسُ بِالْأَدْيَانِ مُسْتَهْزِئِينَ ، وَبِالْعَالَمِ السَّمَاوِيِّ مُسْتَحْفِظِينَ وَقَالَ الْآبَاءُ لِلْبَنِينَ ، كُونُوا كَمَا شِئْتُمْ فَمَا نَحْنُ عَنْكُمْ بِمَسْئُولِينَ ، وَقَالَ الصَّغَارُ لِلْكِبَارِ لَوْلَا أَنْتُمْ أَبَاهَا الْجَائِدُونَ لَكُنَّا قَوْمًا صَالِحِينَ ، فَخَلُّوا سَبِيلَنَا وَامْضُوا حَيْثُ تَأْمُرُونَ ، وَتَمَنُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، فَلَبِثَهُمْ يَسْمَعُونَ الْكِتَابَ الْمُبِينَ ، وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْقُرُونِ الْغَابِرِينَ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ (وَلَئِنَّ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ، وَتَمُودًا فَمَا أَبْقَى ، وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ، وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ، فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى) .

أَمْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ طَوِيلَ وَأَجَلَكَ قَصِيرَ ، وَخَيْرُ هَذِهِ الْحَيَاةِ قَلِيلُ وَشَرُّهَا كَثِيرُ ، فَأَنْتَ تَبْنِي وَتَهْدِمُ ، وَتَنْقُضُ وَتُبْرِمُ ، وَتَقْدِرُ فَتُخْطِئُ التَّقْدِيرَ ، وَتَقُولُ وَتَفْعَلُ وَتَتْرَكَ وَتُدَبِّرُ ، فَتَأْتِي الْأُمُورُ مُخَالَفَةً لِلتَّذْذِيرِ ، وَتُسَيِّئُ الْإِحْسَابَ وَتُسَوِّفُ بِالْمَتَابِ ، وَتَسْتَبْعِدُ الْمَوْتَ لِأَنَّكَ صَحِيحٌ وَصَغِيرٌ ، وَإِنَّمَا يَمُوتُ الْمَرِيضُ وَالْكَبِيرُ ، فَهَلَّا تَذَكَّرْتَ مَنْ مَاتَ فَجَاءَهُ وَأَخَذَ بَعْتَهُ وَاسْتَسْلَمَ كَالْأَسِيرِ ، فَأَمْسَى أَمِيرًا وَأَصْبَحَ غَيْرَ أَمِيرٍ ، وَتَمَّ أَجَلُهُ ، وَانْقَطَعَ عَمَلُهُ ، وَأَسْلَمَهُ إِلَى اللَّهِ أَهْلُهُ ، وَانْقَطَعَتْ عَنْهُ الْمَعَادِيرُ ، وَفِي الْقَبْرِ يَسْأَلُهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ وَإِذَا ذَلِكَ يَعْلَمُ الْمَصِيرَ ، أَفِي الْجَنَّةِ أَمْ فِي السَّعِيرِ (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنُخْشِرُ الْمُجْرِمِينَ

يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ، يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا .

إِذَا وَقَفَ النَّاسُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ، وَنَظَرَ كُلُّ امْرِئٍ مَا قَدَمَتْ يَدَاهُ ،
وَاجْتَمَعَ النَّاسُ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ حُفَاةٌ عُرَاةٌ ، يَسْمَعُهُمُ الصَّيْتُ
وَيُبْصِرُهُمُ النَّاطِرُ مِنْ أَعْبَادِ الْمَوْقِفِ وَأَدْنَاهُ ، فَشَمَّ تَذَهُلُ الْعُقُولُ وَتَتَبَلَّبِلُ
الْأَلْسِنَةُ وَيَسْتَعْرِقُ الْإِنْسَانُ فِي بُكَاءِهِ ، وَقَدْ أَلْجَمَهُ الْعَرَقُ وَتَغَشَّاهُ ،
وَحَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا مَنْ أَدِنَ لَهُ اللَّهُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ
وَأَنْبِيَآهِ ، وَتَطَايَرَتِ الصُّحُفُ وَنُصِبَ الْمِيزَانُ وَتَجَلَّى اللَّهُ ، لِفَضْلِ
الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ الطَّائِعِينَ وَالْعَصَاةِ ، فَظَهَرَتِ الْجَرَائِمُ ، وَأَنْصَفَ
الْحَاكِمُ وَأَمَرَ بِالظَّالِمِ إِلَى مَقَرِّهِ وَمَثْوَاهُ فَكَيْفَ الْخَلَاصُ وَأَيْنَ النِّجَاةُ ،
يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ
فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا ، وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ
صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَى ، وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا) .

فَهَلْ يَنْبَغِي لِمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَهَلْ يَلِيقُ بِمَنْ عَرَفَ
مَصِيرَ الْأَوَائِلِ وَالْآوَاخِرِ ، وَرَأَى أَنَّ الْمَوْتَ يَأْخُذُ الْأَصَاغِرَ وَالْأَكَابِرَ ،

الحمد لله الذي لا تدركه الأوهام والظنون ، ولا تحويه الأفكار
والعيون ، خلق الإنسان من صلصالٍ من حمأٍ مسنون ، إنما أمره إذا
أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون ، يرحم من يشاء ويعذب من
يشاء وإليه تقبلون (ومن آياته أن خلقكم من تراب ، ثم إذا أنتم
بشر تتشرون) الروم : ٣١ .

أحمد حمداً يتقرب به المتقون ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له ، شهادة تنفع قائلها يوم لا ينفع مال ولا بنون ، وأشهد

أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، النبي العربي الأمين المأمون . اللهم فصل
وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته الذين قضوا
بالحق وبه كانوا يعدلون .

(أما بعد) عباد الله رحل الأحاب الى القبور وسترحلون ،
وتركوا الأموال والأوطان وستركون ، وتجرعوا كأس الفراق
وستجرعون ، وقدموا على ما قدموا من الحسنات والسيئات
ومتقدمون ، وتأسفوا على زمان الإمهال وستأسفون ، وشاهدوا
مالهم عند المنون وستشاهدون ، ووقفوا ببصائرهم وستقفون ، وسئلوا
عما عملوا وستسألون ، ويود أحدهم لو يفتدي بالمال وستودون ، فبادروا
بالمتابع قبل يوم الحساب وخيبة الظنون ، فكانكم بأيام الشباب قد
استلبتها أيدي المنون ، وقد أظلكم من فجأة الموت ما كنتم توعدون
(ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من
شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) الزمر ، ٦٨ . فكيف
بك يا ابن آدم إذا نفخ في الصور ، وبعث مافي القبور ، وحصل مافي
الصدور ، وضاعت الأمور ، وظهر المستور ، وخرج الخلائق من
بطون القبور ؛ فإذا هم قيام ينظرون ؛ ياله من يوم عظيم ! عظم الله
فيه الزلزال ، وسيرت فيه الجبال ، وترادفت الأهوال ، وتقطعت
الآمال ، وقل الاحتيال ، وخسر أصحاب الشمال ، وخرجوا من القبور
بنفخة الصور ؛ فإذا هم قيام ينظرون ، فذلك يوم نزل فيه الأقدام ؛

وتبذل فيه الأفهام؛ ويطول فيه القيام؛ وتظهر الآنام؛ وتخرج الخلائق من اللحد أحياء بعد شرب كأس المنون فإذا هم قيام ينظرون، فهو يوم القيامة، يوم الحسرة والندامة، ويوم الزلزلة وأخذ الظلّامة (١) وفيه يشاهد العاصي ذنوبه وآثامه.

يوم يخرجون من الأجداث بالإبعاث إلى ما يوعدون فإذا هم قيام ينظرون، يوم تبلى السرائر، وتكشف الضمائر، وتظهر الجرائر، وتعمى البصائر، ويفتضح أهل الكبار، ويبعث من في القبور فيخرج البر والفاجر، إلى الموقف يهرعون، فإذا هم قيام ينظرون! جعلني الله وإياكم من الفائزين الآمنين، وجنبنا موارد الظالمين. إن أحسن الكلام كلام الملك العلام، والله يقول وقوله الحق المبين: (فإذا قرأت القرآن فاستمعوا لله من الشيطان الرجيم) سورة النحل، الآية: ٩٨. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم منه بالآيات والذكر الحكيم، وأجاني وإياكم من عذابه الأليم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين، إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه

١٦٥ خطبة أيضا

الحمد لله الكريم الودود . المعروف بالكرم والجود . المحيط علمه بالحد والمحدود .
أحمده سبحانه وهو الرب المعبود . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنجى
قائلها من هول اليوم الموعود . وتدخله جنات تجري أنهارها بغير أخذود . وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله صاحب اللواء المعقود والحوض المورود . والمقام المحمود . اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد ما أضاءت البروق وسبحت الرعود . وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد فيا أيها
الناس اتقوا الله تعالى عباد الله ، هبوا من هذه الرقدة والنام . واهجروا الفواحش والآثام .
وارجعوا إلى طاعة الملك العلام . من قبل أن يأتى يوم تشقق السماء فيه بالغيام . فياله
من يوم ما أطوله . ومن حساب ما أثقله . يوم عظيم جمعت فيه القيامة أهوالها . ووضعت
فيه الحوامل أحمالها . وزلزلت الأرض زلزالها . وأخرجت الأرض أثقالها . وقال الإنسان
مالها . يومئذ تحدث أخبارها . بأن ربك أوحى لها . وشاب الوليد . وحق الوعيد .
وعظم الهول الشديد ﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد . لقد كنت في غفلة من هذا
فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾ . وخضعت الرقاب لرب الأرباب . وذل كل
فاجر كذاب . فالسميد من استعمل نفسه في طاعة المعبود . وخاف أن لا ينجو من النار
بعد الورود . فانتبهوا رحمكم الله واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت
وهم لا يظلمون . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يا أيها الناس اتقوا
ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم . يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع
كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله
شديد ﴾ بارك الله لى ولكم فى القرآن العظيم ، ونفعنى وإياكم بما فيه من الآيات والذكر
الحكيم . أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم الجليل . لى . لكم ولسائر المسلمين من كل
ذنوب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الأخيرة تصلح للكل

الحمد لله على إحسانه . والشكر له على توفيقه وامتنانه . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه . اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه وإخوانه وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد أيها الناس اتقوا الله حق التقوى ، واستمسكوا من الإسلام بالعمدة الوثقى ، واحذروا المعاصي فإن أقدامكم على النار لا تقوى . واعلموا أن أحسن الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة . وعليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة ، ومن شذ شذ في النار . واعلموا أن الله سبحانه وتعالى أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه فقال تعالى قولاً كريماً ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ اللهم صل على عبدك ورسولك محمد صاحب الوجه الأنور ، والجبین الأزهري ، وارض اللهم عن الأربعة الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهديين ، الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون ، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، وعن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وعنهم بعفوك وكرمك وإحسانك يا أرحم الراحمين . اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، وانصر عبادك الموحدين . اللهم ادفع عنا الغلاء والوباء والزنا والزلازل والخن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن عن بلدنا هذا خاصة وعن سائر بلاد المسلمين عامة يا رب العالمين . ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ، عباد الله إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون . وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون .

١٦٦ خطبة أولى أيضا

الحمد لله الذى خلق كل نفس وسواها ، وألمها فجورها وتقواها ، وأحاط علمه
بالكائنات وأحصاها ، وحرم على العباد أن يتخذوا من دونه إلهاً ، أحده سبحانه حمد
من ارتقى من رتب الإخلاص إلى أعلاها ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة من طهر نفسه من درن الشرك وزكاها ، وكفر بما يُعبد من دون الله ولم يجعل له
أنداداً ولا أشباها ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث بأحسن الطرائق وأسناها ، اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد وأصحابه الذين قاموا بجملة الإسلام وحوا حماها ، وعضوا بالتواجد
على سنته وتمسكوا بمرأها ، وجاهدوا فى الله حق جهاده حتى بلغت دعوتهم أقصى المشارق
والمغرب وأدناها ، وسلم تسليماً كثيراً ، أما بعد أيها الناس اتقوا الله تعالى عباد الله كم
تسمعون الذكرى ولا تذكرون . وتوعظون ولا تتعظون ، وتنبهون من سنة الغفلة ولا
تنتبهون ، كأنكم بهذا الحديث مكذبون ، أو كأنكم على الله لا تُعرضون ﴿ اقترب للناس
حسابهم وهم فى غفلة معرضون ، ما يأتيهم من ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمْعَوْهُ وهم
يَلْعَبُونَ ﴾ عباد الله أنظنون هذا الإمهال إمهالاً ، أم تحسبون أن هذا الإملاء إغفالا ، ﴿ أم
يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سَرَّهمْ وَنَجْوَاهُمْ ، بلى ورُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ فعليكم عباد الله
بالفقه فى الدين ، واتباع سبيل المؤمنين ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى
وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ ، أعوذ بالله من
الشیطان الرجيم ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ،
ولا تكونوا كالذين قالوا اسمعنا وهم لا يسمعون ، إن شر الدواب عند الله الصم البكم
الذين لا يعقلون ، ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ،
يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحییکم ، واطعوا أن الله يحول
بین المرء وقلبه ، وأنه إليه تُحْشَرُونَ . واتقوا فتنة لا تُصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ،

واعلموا أنَّ اللهَ شديدُ العقابِ ﴿ بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، وَنَفَعْنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ . أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ ، لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

خطبة أولى

الحمد لله اللطيف الكريم ، الرؤوف الرحيم ، العزيز الحكيم ، الذي هدانا لهذا الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . وجنبنا طريق الغواية والتأنيب . فضلا منه ونعمة والله ذو الفضل العظيم . أحمده سبحانه وأستغفره وأتوب إليه وأسأله المزيد من فضله العليم . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تبوئ من حققها جنات النعيم . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل من دعا إلى الدين القويم . اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم على النهج السليم . وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى وأطيعوه ، وعظموا أمره ولا تعصوه ، وعاملوه معاملة من يخافه ويرجوه . واحذروا أسباب سخطه وغضبه فإن ذلك مما يوجب حلول العقوبات والمثلات . وزوال النعم ومحق البركات كما وقعت بمن مضى من الأمم الخاليات . واعلموا أن ما علمتم من خير وشر فإنكم ملاقوه . وسيجازيكم عليه يوم تلاقوه . فاستيقظوا من غفلتكم ، واتنبهوا من رقدتكم ، قبل أن لا تقال عثرتكم ، ولا تقبل معذرتكم . وذلك يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ، ولا يرجعه إلا خالقه ومربيه . فاتقوا الله فإن بتقواه تحصل السعادة والنجاة . ولا تفرنكم الحياة الدنيا بما فيها من الزهرة واللذات فإن لئامها تبعات وراحاتها حسرات وندامات . فإله الله فيما يخلصكم وينجيكم بعد الممات . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿ بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، وَنَفَعْنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ . أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ ، لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ . فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

١٦٧ خطبة

في صفات المؤمنين

الحمد لله الكريم المنان ، أحمده سبحانه ، وهو البرُّ الرحيم عظيمُ الشان .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أَوْضَحَ فَضْلَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَامْتَدَحَ
فِعَالِهِمْ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ بِالْهُدَى ،
وَأَظْهَرَ دِينَهُ عَلَى عُمُومِ الْأَدْيَانِ . اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ .

أما بعد : فيا عبادَ الله ؛ مَثَلُ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ ، كَمَثَلِ الشَّجَرَةِ الطَّيِّبَةِ :
تُفْتَبَتُ أَطْيَبَ الثَّمَارِ . وَإِنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ هُوَ ثَمَرَةُ الْإِيمَانِ الَّذِي انْفَرَسَتْ جُذُورُهُ
فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ ، يَبْلُغُ بِهِ أَقْصَى دَرَجَاتِ الْفَلَاحِ . قَالَ تَعَالَى : (قَدْ أَفْلَحَ
الْمُؤْمِنُونَ) . ثُمَّ فَسَّرَ إِيْمَانَهُمْ بِجَلِيلٍ مَا يَعْمَلُونَ ، وَعَظِيمٍ مَا يَكْسِبُونَ ؛ عَمَّا تَتَحَقَّقُ
لَهُمْ بِهِ الْغَايَةُ الَّتِي إِلَيْهَا يَسْعَوْنَ وَفِيهَا يُؤْمَلُونَ ؛ قَالَ تَعَالَى : (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ
خَاشِعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ
لِفِرْوَجِهِمْ حَافِظُونَ ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ، فَإِنَّهُمْ غَيْرُ
مَلُومِينَ ؛ فَمَنْ أُوغِيَ وَرَاءَ ذَلِكَ : فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ؛ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ
وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) .

فذكر سبحانه في طليعة أعمالهم الصالحة ، خُشُوعَهُمْ فِي الصَّلَاةِ . قَالَ الْحَسَنُ
الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : « كَانَ خُشُوعُهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ ، فَغَضُّوا ذَلِكَ أَبْصَارَهُمْ » . وَقَالَ
غَيْرُهُ : « هُوَ أَنْ لَا يَعْثَبَ الْمَرْءُ بِشَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ فِي الصَّلَاةِ » . وَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ ،
قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَدْ رَأَى رَجُلًا يَعْثَبُ بِلَحْيَتِهِ فِي الصَّلَاةِ - :

«لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ» . وكان فيهم مَنْ لو قُطِعَتْ أوصالُه وهو في الصلاة ، لَمَا وُجِدَ منه حِرَاكٌ . كُلُّ ذَلِكَ من خشوع القلب ، والتَلَذُّذِ بمناجاة الرب جل وعلا ، والشعورِ بعظمته .

ثم ذَكَرَ سبحانه ، من صفات المؤمنين المفلحين ، إعراضهم عن اللغو ، وهو الباطلُ في مختلف ألوانه ، يصلُّ إلى درجة الشُّرك بالله ، وينخفضُ إلى إتيانِ كُلِّ قولٍ أو فعلٍ لا فائدةَ فيه ، أو على الإنسانِ منه نقصٌ في دينه . يدخلُ في ذلك اللعنُ والشتائمُ القذرةُ ، ويدخلُ فيه اللهُوُّ في كُلِّ صورهِ وأشكالهِ .

وذكر سبحانه ، من صفات المؤمنين ، قيامهم بإخراج زكاة أموالهم ، كيفَما كانت الأموالُ ذهباً أو فضةً ، عُرُوضَ تجارةٍ أو سائمةً من الأنعام ، أو ما يخرج من الأرض : من حبوبٍ وثمار . فالزكاةُ حقُّ المال ، وفريضةٌ لا فضلَ في إخراجها لصاحبِ المال ؛ وهى طُهْرَةٌ ونماءٌ للمال ، وخيرٌ وبركةٌ لصاحبه ، وصلاحٌ وفلاحٌ لمجتمعِهِ .

وذكر سبحانه ، من صفات المؤمنين ، عَفَّتْهم عن الحرام ، وحَفِظَ فروجهم عن الوقوع في جريمة الزنا أخطرِ مرضٍ اجتماعيٍّ مُنِيتَ به الإنسانية ؛ فهو إلى جانب جريمته على الأنساب ، يَفْتِكُ بالبشرية فتكاً ذريعاً : حيث يَفْشُو فيها الزَّهْرِيُّ والسَّيْلَانُ ، ومضاعفاتُهما المهلِكةُ . وكفى بالمرء زاجراً عنه ، قولُ العليم الخبير : (وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانِيَ ، إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا) . وقوله : (فَمَنْ أَبْغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمَادُونُ) ؛ أى : مَنْ تَطَلَّعَ إلى غير ما أحلَّ الله له ، من الزوجاتِ والإماءِ من ملكِ اليَمِينِ - كَأَن تَوَرَّطَ في الزنا - فقد اعتدى ،

وتجاوزَ الحلالَ إلى الحرام .

وذكر سبحانه ، من صفات المؤمنين ، أداءهم للأمانات إذا اتُمِّمُوا ، ووفاءهم بالعهد إذا عاهدوا . وأعظمُ الأمانات فرائضُ الله التي افترضها على العباد ؛ فهي كالودائع : عليهم أن يؤدُّوها حقَّ الأداء .

وختم سبحانه صفات المؤمنين المفلحين بمحافظتهم على الصلاة ، كما بدأها بذلك - : توجيهاً للأنظار إليها ، وإلى ضرورةِ المحافظةِ عليها ؛ فهي أعظمُ وسائلِ الفلاح والنجاح .

ثم ذكر عظيمَ أجرهم ، وحسنَ جزائهم ؛ فقال : (أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) . ذلكم - يا عباد الله - فضلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، والله ذو الفضل العظيم .

فاتقوا الله عبادَ الله ، وترسُّموا نهجَ الصالحين ، واصرفُوا الجهودَ في طاعة الله تَكُونُوا من المؤمنين المفلحين .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) .

نفعى الله وإياكم بهدي كتابه . أقول قولي هذا ، واستغفر الله العظيم لي وللمسلمين ، من كل ذنب . فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

١٦٨ (الخطبة الثانية)

الحمد لله العزيز الغفار ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، سيد البرّة الأخيار . اللهم صلّ وسلم على
عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فيا عباد الله ؛ يقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه :
« كان إذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى ، يُسَمِّعُ عند وجهه
كدوى النحل ؛ فلبثنا ساعة ، فاستقبل القبلة - يعنى رسول الله صلى الله عليه
وسلم - وقال : « اللَّهُمَّ زِدْنَا وَلَا تَنْقُصْنَا ، وَأَكْرِمْنَا وَلَا تُهِنَّا ، وَأَعْظِمْنَا وَلَا تَحْزِمْنَا ،
وَأَثِرْنَا وَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْنَا ، وَارْضَ عَنَّا وَارْضِنَا . ثم قال : لَقَدْ أَنْزَلَ عَلَى عَشْرٍ آيَاتٍ
مَنْ أَقَامَهُنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ . ثم قرأ : (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ) ، إلى عشر آيات .
فيا لسعادة مَنْ أَقَامَهُنَّ فخطب بكرامة الله فى دار الكرامة والنعيم ، وبالشقاء مَنْ
أعرض عن هديها فباء بالخيبة يوم يفوز المفلحون !! .

وصلوا - عباد الله - على الهادى البشير ، محمد أكرم رسول وخير نذير ؛ فقد
أمركم بذلك اللطيف الخبير : (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا ، صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) . اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك
محمد صاحب الوجه المنير . وارض اللهم عن خلفائه الأربعة - أبى بكر وعمر
وعثمان وعليّ - وعن آل والصحب ومن على نهجهم إلى الله يسير ؛ وعنا معهم
بغفوك وكرمك يا عزيز يا قدير .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، ودمّر اليهود وهن شايعهم من المستعمرين الغاصبين ، وألّف بين قلوب المسلمين ، وأصلح قاداتهم ، واجمع كلمتهم على الحق يا رب العالمين . اللهم آمنا في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ؛ واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك ، واتبع رضاك يا أرحم الراحمين . ربنا ظلمنا أنفسنا ، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين . ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار .

عباد الله ، إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ؛ وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ؛ يعظكم لعلكم تذكرون . فاذكروا الله على نعمه ، واشكروا على آلائه ؛ ولذكّر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون .

١٦٩ خطبة

فى التحذير من طغيان المادة ومن التشاؤم

الحمد لله كاشف البلاء ، ومُسدّي النعماء ؛ الحكيم فى صنعه ، العليم بمصالح عباده ؛ أحمدُه سبحانه ! قدّر الأقدار ، وحدّد الآجال ؛ فجرت على ما قضى وقدر . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، تكفل برزق العباد : فلا مانع لما أعطى ، ولا مُعطى لما منع . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله : سيد المتوكلين ، وقدوة البرّة الصالحين . اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فيا عباد الله ، ظاهرتان فاشلتان ، ونزعتان ملتويتان ؛ من واجب

المسلم أن يترفعَ عنهما ، ويتبعَ عن مزالقيهما ، ويَحذَرُ الوقوعَ في شباكهما ؛
صيانةً لإسلامه ، وحرصاً على مرضاةِ ربِّه . الظاهرةُ الأولى : مادِّيَّةٌ طاغيةٌ ،
تُضعِفُ في النفوس عقيدة التوكل على الله ، وتَنحرفُ بالمسلم عن المثلِ
الكريمة ، وتحمله على الشُّحِّ البغيض ، والجشعِ المذموم ؛ تحمله على هذه
الردائلِ بدعوى تأمِينِ المستقبل ، والخوفِ من الفقر ، والاحتياطِ للياليِ
السُّود . وإن المستقبل - يا عباد الله - بيد الله ، واللهُ وحده هو المتصرفُ فيه . وكَم
من مُستَكَنٍّ في جمعِ حطام الدنيا يَمْنَعُ فيه حقَّ الله ، ولا يجعلُ فيه قِسْطاً لسائل
ومحروم ؛ دهمتهُ ضُروفُ الليالي ، أو ارتحلَ عن الدنيا ، فذهبَ تقديرُهُ هباءً ،
وأضحتْ ثروتهُ أثراً بعد عين ، وصارتْ حساباً ووبالاً عليه . وكَم من مُقِلٍّ
تجرَّعَ البؤسَ ألواناً ، أبداهُ الله بعد البؤسِ رخاءً ، وبعد الفقرِ نعمةً واثراءً .
(وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ، اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) .
الظاهرةُ الأخرى : تشاؤمٌ ببعضِ الأيامِ والشهور : كيوم الأربعاء ، وشهر
صفر . وتطيرُ بعضُ الطُّيور : كالغربان والبُوم ؛ وبغير ذلك مما لا تحصره
الأمثلة . وهو مما يزعمُ الثقةُ بالله ، وتنصرفُ به القلوبُ عن الله . هو - يا عباد
الله - خرافةٌ لا يُقرُّها عقلٌ ولا دينٌ ، وهى مما يُغضبُ ربَّ العالمين . وليس
التشاؤمُ بالذى يغيِّرُ من القَدَرِ المكتوب شيئاً . قال الله تعالى : (وَإِنْ يَمَسُّكَ
اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ، وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا عَدْوَى ، وَلَا طَيْرَةٌ ، وَلَا هَامَةٌ ،
وَلَا صَفَرٌ » . وأرشد صلى الله عليه وسلم إلى علاجٍ يَجْتَنِي جذورَ التشاؤمِ ،

ويوجهه ، القلوب إلى الله ؛ وهو : أن يدعو من يجد في نفسه شيئاً من ذلك ،
 بقوله : « اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ » ،
 وبقوله : « اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ ، وَلَا يَصْرِفُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ ،
 وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ » .

فاتقوا الله عباد الله ، وعلّموا القلوب والآمال بالله ، وابتعدوا عن مزالق
 المادة والتفكير بوحيمها ؛ وحاربوا الخرافة والتضليل ؛ واعتصموا بالله هو
 مولاكم ، فنعّم المولى ، ونعم النصير . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ (وَإِنْ
 يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ، وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ،
 يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) .

نفعى الله وإياكم بهدي كتابه . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ،
 ولسائر المسلمين ، من كل ذنب فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

* * *

الحمد لله ذى العزة والسلطان ، أحمده سبحانه ! مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ ،
 وَمَنْ تَعَاقَ بغيره وَكله إليه وأقصاه ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛
 وأشهد أن محمداً عبده ورسوله : أفضل من دعا إلى الاعتصام بربه ومولاه .
 اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فيا عباد الله ؛ إن الأمور كلها بيد الله : يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ ، وَيُعِزُّ
 وَيُذِلُّ ، وَيُعْطِي وَيَمْنَعُ ؛ لا رادّ لأمره ، ولا معقب لحكمه ؛ يفعل ما يشاء
 ويحكم ما يريد . فأخلصوا - يا عباد الله - له القصد والنية ، وتوكلوا عليه حقّ
 التوكل ، يكفكم كلّ ما أهمكم ، ويغفر لكم من ذنوبكم .

١٧٠ خطبة

في الحث على بر الوالدين ، ومجانبة العقوق

الحمد لله ، أحمدُهُ وأشكرُهُ ، وهو البرُّ الرحيم ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كتب على نفسه الرحمة ، وتجاوزَ عن الذنبِ العظيم ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله الله رحمةً للعالمين ، وهادياً إلى الصراطِ المستقيم . اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فيا عباد الله ؛ جُباتِ النفوسُ على حبِّ مَنْ أحسنَ إليها ، وتعلَّقتِ القلوبُ بصاحبِ الطَّولِ والمُنْفَضِّلِ عليها ؛ وليس أعظمَ إحساناً ، ولا أكبرَ تطوُّلاً - بعد الله - من الوالدين . من أجل ذلك ، قرَنَ الله تعالى حقَّهم - في الإحسانِ إليهم ، وحُسنِ الرعايةِ بهم - بحقِّه في العبادةِ والإخلاص . قال تعالى : (وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ؛ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) . فأمرَ بالعبادةِ له وحده دون سواه ، وخصَّ الوالدينِ بالوصيةِ في الإحسانِ إليهما ، والعطفِ عليهما ، والبرِّ بهما ؛ فقد أحسنَّا منذُ البدايةِ في كلِّ وجوه الإحسان ؛ وكان لإحسانهما الأثرُ البارزُ ، إلى أن بدأَ المضوجُ ، وتفتَّحَ الوغى ، وبلغَ الولدُ أشدَّهُ ، وبلغَا نهايةَ مرحلةِ الحياة ؛ فطلعا لردِّ الجميل : إلى البرِّ والإحسان من وليهما ، إلى الصلَّةِ والمعروفِ ، إلى تنفيذِ وصيةِ الله تعالى ورسوله فيهما . ولكنهما فوجئا من البعض بما لم يكن منتظراً ؛ فوجئا بالعقوقِ والتشكُّرِ للجميل ، ومقابلةِ الإحسانِ بالإساءة ؛ فوجئا بالتهكُّمِ والاستهزاء والسخرية ، تُوجَّهُ إليهما من ولدهما المُرتَجَى ؛ فوجئا بالضرب من حبيبهما ؛ وقد تناسى ماضيهِ ، واعتزَّ بحاضِرِهِ ، وأعجِبَ بشبابِهِ ؛ وشَمَخَ بثِقافتهِ وتعليمِهِ ، أو بمالهِ وجاهِهِ ، أو

بسلطانه وسعة نفوذه . وما علم المسكين أنه مخدوع ، وأن هذا التصرف الطائش سوف يلقى جزاءه عاجلاً في الدنيا : فيعقبه ولده ، وتضيّق عليه مسالك الرزق ، ويقضى حياته خاملاً مكدوداً .

صحّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « كُئِلُ الذُّنُوبِ يَفْقِرُ اللَّهُ مِنْهَا مَا شَاءَ ، إِلَّا عُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ : فَإِنَّهُ يُجْعَلُ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ . أَمَّا عُقُوبَتُهُ فِي الْآخِرَةِ : فَالنَّارُ وَغَضَبُ الْجَبَّارِ . أَلَا وَإِنَّ نَارَ الْآخِرَةِ لَتَزِيدُ عَنْ نَارِ الدُّنْيَا بِتِسْعَةِ وَسْتَيْنَ جُزْءًا . أَلَا وَإِنَّ غَضَبَ الْجَبَّارِ عَاقِبَتُهُ : الْمَحْقُوقُ ، وَخَسَارَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » . وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ ، وَسُخْطُ اللَّهِ فِي سُخْطِ الْوَالِدَيْنِ » . وعنه أيضاً ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « ثَلَاثٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وَعَدَّ مِنْهُمْ الْعَاقَ لَوَالِدَيْهِ . وفي حديث جابر ابن عبد الله رضى الله عنهما قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ؛ إِيَّاكُمْ وَعُقُوقَ الْوَالِدَيْنِ ، فَإِنَّ رِيحَ الْجَنَّةِ يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَلْفِ عَامٍ ، وَاللَّهِ لَا يَجِدُ رِيحَهَا عَاقٌ » . يا لَطُولِ الْعَنَاءِ ، ويا لَسُوءِ الْمَصِيرِ ؛ نَكِدْ فِي الدُّنْيَا ، وَعَذَابٌ فِي الْآخِرَةِ ، وَسُخْطٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ؛ إِنَّهَا ثَالُوثٌ الْإِتْقَامِ الْعَادِلِ ، يَا عِبَادَ اللَّهِ ، جزاء وفاقاً . جاء رجل إلى ابن عمر يحمل أمه ، ويقول : هل جازيتها ؟ قال له ابن عمر : « لا ولا بزفرة واحدة ؛ إنها كانت تتمنى لك الحياة ، وأنت تتمنى لها الموت » .

فاتقوا الله عبادَ الله ، واعملوا جاهدينَ لردِّ بعضِ الجليل ، واستجيبوا
 لأمرِ الله ورسوله في الوصيةِ بالوالدين ؛ فهما - كما صح في الحديث - جنةُ العبدِ
 وناره . فمن أحسنَ فعله بمتابعةِ الإحسان ، ومن فرطَ فعله بالتكفيرِ والتماسِ
 الغفرانِ . جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : هل بقي من برِّ
 أبوي شيءٌ أبرهما به بعد وفاتهما ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعم ؛
 الصلاةُ عليهما - أي : الدعاءُ والاستغفارُ لهما . - وإِيفاءُ عهديهما من بعدهما ،
 وصلةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بهما ، وإِكْرَامُ صديقيهما » .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ،
 وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ؛ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ، فَلَا تَقُلْ
 لَهُمَا آفٌ ، وَلَا تَنْهَرُهُمَا ، وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ، وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ
 الرَّحْمَةِ ، وَقُلْ رَبِّ : أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا) .

نفعى الله وإياكم بهدي كتابه . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم
 ولسائر المسلمين ، من كل ذنب . فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم .

١٧١ خطبة

في الحث على التوجه إلى الله ، والتماس رضاه

الحمد لله الولي الحميد ، الفعال لما يُريد ؛ أحمده سبحانه ! من التماسِ رضاه
 نجا ، ومن تعلّق بغيره خاب ، ولم يُغن عنه من الله شيئاً . وأشهد أن لا إله إلا

الله وحده لا شريك له ؛ الذى خلق فسوًى ، والذى قدرَ فهدى . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ قدوةً لأصحاب اليقين ، وسيدُ العارفين بربه ، فيالسعادة من سار على نهجه واقتفى . اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فيا عباد الله ؛ إنَّ خيرَ ما أُلقيَ في القلب ، يقينٌ بالله يرسخُ في القلوب ، رُسوخُ الرّواسى ؛ وإيمانٌ صادقٌ بكفاية الله لعبده ، يدفعه إلى إثارة مرضاة ربّه على رضا خلقه ، وتقديم طاعته على طاعة عبيده . وتلك هى مرتبة العارفين بالله ، الذين امتلأت قلوبهم بنور الله ، فعرفوا الله حقَّ معرفته ، والتمسوا رضوانه ، وتخلّصوا من بحالٍ سُخطه . أولئك - يا عباد الله - هم خيرُ البرية ؛ جزاؤهم عند ربهم جنّاتٌ عدنٌ تجري من تحتها الأنهارُ خالدينَ فيها أبداً ؛ رضى الله عنهم ورضوا عنه . وعلى النقيض منهم ، من اتّصفَ بعكس صفاتهم ؛ فضُغفَ فيهم اليقينُ بالله ، فأرضوا الناسَ بسخطِ الله ، وجاملوهم في معاصى الله ، وتعلّقوا بهم واشتغلوا عن الله ؛ رغبةً في نوالِ حُطامِ الدنيا ، أو خوفاً من سخطِهم ؛ فوكلهم الله إلى من تعلّقوا بهم ورجّوهم ، أو خافوا سخطهم ؛ فلم يُغنُوا عنهم من الله شيئاً . أولئك - يا عباد الله - بمن ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا . فحذارٍ من مثل صنيعهم حذارٍ .

روى عائشةُ أم المؤمنين رضى الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أَرْضَى اللَّهَ بِسَخَطِ النَّاسِ : كَفَاهُ اللَّهُ مَوْؤَنَةَ النَّاسِ ؛ وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ : لَمْ يُغْنُوا عَنْهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً ، ؛ وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى : « مَنْ أَلَمَسَ رِضَا اللَّهَ بِسَخَطِ النَّاسِ : رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسُ ؛ وَمَنْ أَلَمَسَ

رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ : سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَأَسَخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ ، . وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، مَرْفُوعًا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « إِنْ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ : أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللَّهِ ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ . إِنْ رَزَقَ اللَّهُ لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَزِيصٍ ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَّةُ كَارِهِ ، . وَإِنَّمَا - يَا عِبَادَ اللَّهِ - لِإِرْشَادَاتِ نَبْوِيَّةٍ كَرِيمَةٍ ، مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُوجَّهَ النُّفُوسُ لِلْفَعَالِ الْحَقِيقِيِّ . فَالْمُنْعَمُ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ اللَّهُ ، وَالْمُتَفَرِّدُ بِالْمَنْعِ هُوَ رَبُّ الْأَرْبَابِ ؛ لَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيَ ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ ؛ وَمَا النَّاسُ إِلَّا أَسْبَابٌ وَوَسَائِلُ لِإِيصَالِ الْخَيْرِ وَالنِّعْمَةِ ، أَوِ الشَّرِّ وَالنِّقْمَةِ .

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، وَامْلَأُوا قُلُوبَكُمْ بِالْيَقِينِ الصَّادِقِ وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ ، وَعَلِّقُوا الْقُلُوبَ وَالْأَمَالَ بِهِ وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهِ ؛ وَاذْكُرُوا عَلَى الدَّوَامِ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ : « مَنْ التَّمَسَّ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ : رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسُ ؛ وَمَنْ التَّمَسَّ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ : سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَأَسَخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ ، .

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ؛ (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ ، فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ، وَقَالُوا : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى دِيَارِهِمْ لَمْ يَأْخُذْ بِهِمْ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ، وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ؛ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ) .

١٧٢ (أول الخطبة الثانية)

الحمد لله الذى يعلم السرّ والنجوى ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الأسماء الحسنى والصفات العُـلـى ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، النبى المٌجْتَبى . اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد : فيا عبادَ الله ؛ إنّ مما أُرِثَ عن صاحبِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عبدِ الله بن مسعود رضى الله عنه ، قوله : « إِنَّ الرَّجُلَ لَيَخْرُجُ مِنْ يَتِّهِ وَمَعَهُ دِينُهُ ؛ فَيَلْقَى الرَّجُلَ وَلَهُ إِلَيْهِ حَاجَةٌ ، فَيَقُولُ لَهُ أَنْتَ كَيْتَ وَكَيْتَ - يُشْنِي عَلَيْهِ - لَعَلَّهُ أَنْ يَقْضَى مِنْ حَاجَتِهِ شَيْئًا ؛ فَيَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَيَرْجِعُ وَمَا مَعَهُ مِنْ دِينِهِ شَيْءٌ » . وفى ذلك - يا عبادَ الله - ما يَحْمَلُ على الاعتدال ، والكفّ عن التّغالى فى مدحِ المرء بما ليس فيه : بما لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ فى ذلك سَخَطُ الجبار ؛ وفيه توجيهُ لتعلّقِ القلوبِ بالخالقِ دونَ المخلوق ، فى قضاءِ الحوائجِ والمُهمّاتِ ؛ فهو سبحانه المهيّئُ للأسباب ، ويده وحده تفرّجُ الكُرُباتِ .

١٧٣ الخطبة الثامنة

فى بؤادر الخير ، ومصائر الشر

الحمد لله ربّ المِنَنِ الضّافِيَةِ والإحسانِ ، أَحْمَدُهُ سبحانه ! وهو الواحد الدّيّانُ ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الربُّ الكريمُ قديمُ الإحسانِ ؛ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صاحبُ الهدى الراشدِ ، الصّالحِ

لكل زمانٍ ومكان . اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .
أما بعد : فيا عبادَ الله ؛ إن للخيرِ بَوَادِرَ ، وإن للشرِّ مَصَائِرَ ؛ فَبَوَادِرُ الخَيْرِ
تُوصِّلُ إلى الغايةِ الحميدةِ ، ومَصَائِرُ الشرِّ تُورِثُ الحسرةَ ، وتَبْعَثُ على الندمِ .
وإن من بَوَادِرِ الخَيْرِ ، مسلكَ السلفِ في الصدرِ الأولِ - رضوانُ الله عليهم -
حيث كانوا يَتَجَهَّوْنَ إلى الرسولِ صلى الله عليه وسلم - وهو بين أظهرهم - يسألونه
عن سُبُلِ الهدى ، ويبحثون عن طريقِ النجاةِ والسلامةِ ، وَيَسْتَرْشِدُونَ عن
أَوْجُهِ الخَيْرِ ؛ فوصلوا بذلك إلى الغايةِ المحمودَةِ ، وكانوا هُدَاةً مَهْدِيِّينَ . يقول
حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « كَانَ النَّاسُ يُسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ
الْخَيْرِ ، وَكَانَتْ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ خَافَةً أَنْ أَقَعَ فِيهِ » . ويقولُ أحدُ الأنصارِ رَضِيَ
الله عنهم : يا رسولَ الله ؛ قل لي في الإسلامِ قولاً لا أَسْأَلُ عنه أحداً غيرَكَ .
قالَ له : « قُلْ : آمَنْتُ بِاللَّهِ ، ثُمَّ اسْتَقِمْ » . ويقولُ صحابيٌّ آخرُ : يا رسولَ الله ؛
دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمَلْتَهُ : أَحَبَّ إِلَيَّ اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ . قالَ : « أَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا
يُحِبُّكَ اللَّهُ ، وَأَزْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ » . ويقولُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ
الله عنه : يا رسولَ الله ؛ أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ ، وَيُبَاعِدُنِي عَنِ النَّارِ . قالَ :
« لَقَدْ سَأَلْتُ عَنْ عَظِيمٍ ؛ وَإِنِّي لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسِّرُهُ اللَّهُ عَلَيْهِ ؛ تَعَبُدُ اللَّهَ
لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ
الْبَيْتَ » . أَرشَدَهُ في الطليعةِ إلى عِبَادَةِ اللَّهِ وحده ، ونفى الشُّرْكَ عنه . لأنَّ العِبَادَةَ
توحيدٌ وإخلاصٌ ، ولأنَّ الشُّرْكَ مَنْقَصَةٌ لِلرَّبِّ وإِسْقَافٌ ؛ توحيدٌ يَرْتَفَعُ بِهِ
العَبْدُ إلى أَعْلَى دَرَجَاتِ القُرْبِ والِرِّضْوَانِ . قالَ تعالى : (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ
يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ، أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) . أى : الَّذِينَ أَخْلَصُوا

توحيدهم لله ، هم الآمنون يوم القيامة ، المَهْتَدُونَ في الدنيا والآخرة . وشرك
 يَهْوِي به المرء إلى الحضيض ؛ (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ ،
 فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ ، أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ) . ثم أرشده إلى بقية
 أركان الإسلام ؛ وهي جزء لا يتجزأ ، مَنْ فَرَّطَ في جزء منها : فقد فَرَّطَ في
 الجميع . ثم أرشده إلى الإزلاف إلى الله بالنوافل ، بعد أداء الفرائض ؛ فقال :
 « أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَبْوَابٍ خَيْرٍ مِنَ الصَّوْمِ جُنَّةً » - أي : سِتْرٌ ووقاية للعبد من النار .
 يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ،
 إِلَّا بَاعَدَ اللَّهُ بِذَلِكَ الصَّوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا » - « وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ
 الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى :
 (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ، يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ؛ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
 يُنفِقُونَ ، فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ،
 ثُمَّ قَالَ : « أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ ، وَذِرْوَةِ سِنَامِهِ » ؛ قلتُ : بلى يا رسول
 الله . قال : « رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ ، وَذِرْوَةُ سِنَامِهِ الْجِهَادُ فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ » ؛ ثم قال : « أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ » ؛ قلتُ : بلى يا رسول
 الله . فأخذ بلسانه ، وقال : « أَمْسِكْ عَلَيْكَ هَذَا » ؛ قلتُ : يا نبي الله ؛ وإِنَّا
 لَمُؤَاخِدُونَ بِمَا تَسْكَلُمُ بِهِ ؟ قال : « تَكَلَّمْتُكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ ! وَهَلْ يَكْبُ
 النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ السِّنَنِ » ؛ أي : ما تَجَنَّبَهُ مِنَ الذُّنُوبِ ،
 كالغنية والنميمة ، والوقوع في أعراض الناس ، والاستهزاء بآيات الله كل ذلك
 إِذَا اجْتَنَبَهُ الْعَبْدُ : مَلَأَ زَمَامَ نَفْسِهِ ، وَبَلَغَ نَهَايَةَ قَصْدِهِ . أَمَّا مَصَارِفُ الشَّرِّ ، فَلَنْ

تُحَدِّثُ بِحَدَّثٍ ، وَلَنْ تَنْحَصِرَ فِي شَيْءٍ مُعَيَّنٍ ؛ فَكُلُّ مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، وَكُلُّ تَفْرِيطٍ فِي جَانِبِ اللَّهِ - فَإِنَّهُ يَجْرُ أَسْوَأُ الْعَوَاقِبِ ، وَيَكُونُ لَهُ أَسْوَأُ الْمَصَائِرِ . وَحَسْبُنَا أَنْ نَسْتَعْرِضَ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَخْبَارَ الْأُمَمِ الْهَالِكَةِ بِسَبَبِ تَفْرِيطِهَا ، وَمَا تَحَدَّثَ اللَّهُ بِهِ عَنْ إِهْلَاكِهَا ؛ حَيْثُ يَقُولُ : (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا ، فَتِلْكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تُمْسِكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ، وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ) ، (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ : كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ ، فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ، وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ) .

تَلَكُم - يَا عِبَادَ اللَّهِ - هِيَ مَصَائِرُ الشَّرِّ ، وَعَوَاقِبُ الْمَعَاصِي . فَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَاسْأَلُوهُ النِّجَاةَ مِنْهَا . إِنَّهَا تُورِثُ الْحُسْرَةَ وَالنَّدَامَةَ ، وَتَجْلِبُ الْغَمَّ وَالْأَحْزَانَ ، وَتُبْعِدُ الْمَرْءَ عَنْ دَرَجَاتِ الْقُرْبِ وَالرِّضْوَانِ .

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ؛ (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ؛ وَهُمْ مِنْ فِرْعَاقٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ . وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ ؛ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) .

نَفَعَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ يَهْدِي كِتَابَهُ . أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ ، مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ . فَاسْتَغْفِرُوهُ ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

١٧٤ الخطبة التاسعة

في الحث على التأدب بآداب الدين

الحمد لله ، فتح لأرباب البصائر أنوار الهدى ، ووعد المحسنين خير الجزاء ؛
أحمدُه سبحانه ، تنزهه عن كل النقائص وعلى العرش استوى ؛ وأشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له ، فالق الحب والنوى ؛ وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله ، أدبه ربه فأحسن تأديبه ، وانتتمت إليه الفضائل ؛ فأعظم بشاغل
المصطفى . اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وصحبه .

أما بعد : يا عباد الله ؛ إن أعظم وسيلة تحفظ التوازن بين الجماعة
الإسلامية ، هي آداب الدين ؛ إنها تصقل النفوس ، وترتفع بها إلى درجات
الصالحين ؛ وإنها لتجمع للتأدب بها بين سعادتي الدنيا والدين . وإن من أدب
الدين ، كف اللسان عن الإثم والأذى ، وعن الانطلاق في أعراض الناس ،
وهن الشخيرة بهم ، أو لمزهم وتنقص أحوالهم ، أو رميهم بما هم منه بريئون . إذ
أن ذلك - يا عباد الله - مما يقطع الألفة بين المسلمين ، ويهدم الأخوة في الدين ،
وسئواخذ العباد عليه أحكم الحاكمين ؛ (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ
عَتِيدٌ) . ولقد عجب معاذ بن جبل صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
عجب من أن يؤاخذ العبد بما يتكلم به ، وقد أوصاه رسول الله بأن يكف
لسانه ، فقال معاذ رضي الله عنه : وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال له الرسول
صلى الله عليه وسلم : تَكَلَّمْتَ أُمًّا يَا مُعَاذُ ! وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسُ فِي النَّارِ عَلَى
وُجُوهِهِمْ ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ : مَا يَكْسِبُونَهُ مِنَ الْإِثْمِ عَنْ طَرِيقِ اللِّسَانِ .

وإن في الناس من لا يردُّعه دينه أو ورَّعه عن أن يُطلقَ للسانه العنان ، فيُسرفَ في التجنى على عبادِ الله بالسخرية واللَّز ؛ فهذا طويلٌ ، وذاك قصيرٌ ، وهذا أحقُّ ، وذاك أَرَعُنْ ، وهذا سخيْفٌ ، وذاك فظيْعٌ . وكأنه وكلٌ إليهم تشرِيحُ عبادِ الله وتجريحُهم ، وتسقِطُهم ، وتتَّبِعُ عوراتِهم ، وأكلُ لحومِهم ! ولكلُّ الناسِ عوراتٌ ومعائبٌ ، وزَلَّاتٌ ومثالبٌ . فطوبى لمن شغَلَه عيبُه عن عيوبِ الناسِ ، أو - كما جاء في الحديث - : « طُوبَى لِمَنْ عَمِلَ بِعِلْمِهِ ، وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ ؛ طُوبَى لِمَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ ، وَوَسِعَهُ يَتُّهُ ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ » . ومن وصيةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم الطويلةِ ، لأبي ذرٍّ : « وَلْيَحْجُزْكَ عَنِ النَّاسِ مَا تَعْلَمُ مِنْ نَفْسِكَ » . وقُتِلَ رجلٌ يومَ أُحُدٍ فبَكَتْ عليه باكيةٌ قائلةٌ : واشْهيدَاهُ ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَا يُدْرِيكَ أَنَّهُ شَهِيدٌ ؟ أَلَمْ لَهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ ، أَوْ يَنْحَلُّ بِمَا لَا يَنْقُصُهُ » .

أما رميُ المسلمِ بما هو منه برىءٌ ، فهو أفظعُ وسائلِ التَّيْلِ والوقِيعَةِ ، وهو البَهْتُ . لأنه يجمعُ بين الكذبِ والغِيبَةِ ، وكلاهما رذيلةٌ وكبيرةٌ من كبائرِ الذنوبِ . يقولُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - في حديثٍ طويلٍ - : « وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ » . ويقولُ في الغِيبَةِ : « هِيَ ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ » ؛ قيل : أفرأيتَ إن كان في أخِي ما أقولُ ؟ قال : « إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبَتَهُ ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَهُ » . وقال أيضاً : « أَيُّمَا رَجُلٍ أَشَاعَ عَلَى مُسْلِمٍ بِكَلِمَةٍ هُوَ مِنْهَا بَرِيءٌ - لَيْسَ فِيهِهَا -

فِي الدُّنْيَا - كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْنِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ ، حَتَّى يَأْتِيَ بِإِنْفَازٍ
مَا قَالَ ؛ وَمَنْ أَيْنَ لَهُ أَنْ يَأْتِيَ بِهَذَا الْإِنْفَازِ ؟ .

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، وَتَأَذُّبُوا بِآدَابِ الْإِسْلَامِ ، وَكُفُّوا أَسْنَتَكُمْ عَنْ كُلِّ
قَوْلٍ يُغَضِبُ اللَّهَ . وَاذْكُرُوا عَلَى الدَّوامِ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ : « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ
الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ؛ وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ » .

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ؛ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، لَا يَسْخَرَنَّ قَوْمٌ مِنَ
قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ ، وَلَا نِسَاءٌ مِنَ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا
مِنْهُنَّ ، وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ، وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ؛ بِئْسَ الْأُسْمُ الْفُسُوقُ
بَعْدَ الْإِيمَانِ ، وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ،
اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ ، إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ، وَلَا تَجَسَّسُوا ، وَلَا يَغْتَبِ
بَعْضُكُم بَعْضًا ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ؟
وَاتَّقُوا اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) .

نَعْنِي اللَّهَ وَإِيَّاكُمْ بِهِذِي كِتَابِهِ . أَقُولُ قَوْلِي هَذَا ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ
وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ ، مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ . فَاسْتَغْفِرُوهُ ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ .

١٧٥ خطبة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ اهْتَدَى لِلْهُتَدُونَ . وَبَعْدَهُ ضَلَّ الضَّالُّونَ . لَا يُسْتَلَّ عَمَّا يَفْعَلُ وَمَنْ
يُسْتَلُونَ . أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ حَمْدُ عَبْدٍ تَزَهُ رَبِّهِ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ . وَأُشْهِدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ . وَأُشْهِدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ وَخَلِيلُهُ الصَّادِقُ الْمَأْمُونُ . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَحْبَابِهِ
لَّذِينَ هُمْ بِهِدْيِهِ مُسْتَسْكُونَ . وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا . أَمَا بَعْدُ فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ

تُقَاتِهِ . وسارعوا إلى مغفرته ومرضاته . وأجيئوا الداعي إلى دار كرامته وجنته . ولا
تفرّئكم الحياة الدنيا بما فيها من زهرة العيش ولذاته . قد قَرُبَ الرحيل وذُهِبَ بساعات
العمر وأوقاته . واعلموا أن الخير كله بمحذافيره في الجنة ، فأدبلجوا في السير إليها . والشركه
بمحذافيره في النار ، فاجتهدوا في الهرب منها . ألا وأن الدنيا عَرَضٌ حاضر ، يأكل منها
البر والفاجر ، والمؤمن والكافر . والآخرة وعد صادق ، يحكم فيها ملك قاهر . فلا
تفرّئكم الحياة الدنيا فانها دار بلاء ، ومنزلُ ترحه وعناء . تَرَعَتْ عَنْهَا نفوسُ السعداء .
وانتُرعت بالكره من أيدي الأشقياء ، وحال بينهم وبين ما أُمِّلوه القدر والقضاء . ضُربت
لكم بها المقاييسُ والأمثال . وقُرِبت لكم الحقيقةُ بالشبه والمثل ، فقال ﷺ « مَالِي
وَالدُّنْيَا . إِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا كَرَاكِبٍ قَالَ فِي ظِلِّ دَوْحَةٍ » . أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ
وَالْأَنْعَامُ ، حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيْنَتْ وَظَنُّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا
أَنَّا هَارِبُونَ أَوْ نَارُهَا أَوْ نَهَاراً فَنَخْلَتُنَا مَآكِلَ حَصِيدٍ كَأَن لَّمْ تَقْنِ بِالْأَمْسِ ، كَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . لِلَّذِينَ
أَحْسَنُوا الْحَسَنَىٰ وَزِيَادَةٌ ، وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ، أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ . وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ، مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ
عَاصِمٍ ، كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلَمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾
بَارِكْ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ ، وَنَعْنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ .
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ ، لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ ،
فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ

١٧٦ الخطبة الثانية لعيد الفطر

الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر والله الحمد الله أكبر كلما هطل الغمام وناح الحمام وارتفعت الأعلام وأفطر الصوام الله أكبر كلما ارتقى فوق منبر إمام وكلما ختم بالأمس شهر الصيام الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر والله الحمد .

الحمد لله معيد الجمع والأعياد ومبيد الجموع والأجناد رافع السبع الشداد عالية بغير عماد وماد الأرض ومرسيها بالأطواد وجامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد أحمدته على نعم لا يحصى لها تعداد وأشكره وكلما شكر زاد وأسأله أن يصرف عني المثقلات الشداد .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا نفاذ شهادة صادرة من صميم القواد أرجو بها النجاة في يوم التناد أشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي شرع الشرائع وسن الأعياد وقرر قواعد الله ورفع العماد اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه البررة الأنجاء الذائدين عن شرعه بالمرهفات الحداد الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر والله الحمد .

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى فان تقواه تبلغ دار النعيم وتنجي من درك الجحيم واعلموا أنه من عاش مات ومن مات فات فاغتنموا أيام الحياة .

واكثروا من ذكر هازم اللذات وزينوا بواطنكم بالتوبة النصوح كما زينتم ظواهركم بالملابس المجملات فمن لم يطهر قلبه من الأدناس لم ينفعه التزين بالطيب واللباس فان الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وانما ينظر إلى القلوب العامرة المكملات .

واعلموا أن الله يبعث الأموات ويجمعهم ليوم الميقات ويزن أعمالهم وزناً ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسن .

واعلموا أن الله نهي عن محدثات الأمور وحذر من الكذب والغيبة والنميمة

وشهادة الزور وأوجب الايمان به وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره
ويوم البعث والنشور وعذاب القبر وفتنته وسؤال الملكين وقوته ويوم الحشر
وشدته ولقاء الله ورؤيته والصراط وزلته والحساب وشهوده والحوض ووروده
والشفاعة وقبولها والجنة وثوابها والنار وعقابها .

وعليكم بقضاء الدين وبر الوالدين واصلاح ذات البين واعانة المعسر واغاثة
الملهوف والنهي عن المنكر والأمر بالمعروف والنصح للعباد وتأديب الأهل والأولاد
وهجر أصحاب الفساد وصله الأرحام والصبر لله عند فجائع الأيام والشفقة على
الأرامل والأيتام وافشاء السلام وطيب الكلام والعدل في الأحكام والتجافي عن
الجور في الولايات وأداء الشهادات ورفع السيئات بالحسنات . ومراقبة عالم
الخفيات .

واحترام العلماء والصالحين وطلب العلم ولو بالصين والحنوّ على الغرباء
والمستضعفين وحب الخير لكافة المسلمين والاستغفار للسلف الماضين ووفاء
المكاييل والموازين والتعطف على الأقرباء والجيران وأبناء السبيل والمساكين
وكظم الغيظ والاحسان إلى الناس كافة ان الله يحب المحسنين وإذا تداينتم
بدين فليحسن الطالب الاقتضاء والمطلوب القضا فان مطل الغني ظلم وإنظار
المعسر فيه فضل عظيم .

فهذه شعائر الله أدعوكم ونفسي إليها وأستعين الله لي ولكم عليها واقصدوا
وجه الله في كل عمل يثاب عليه العبد ويؤجر وراقبوا مولاكم في السر والعلانية
فانه يعلم ما أظهر العبد وما أضمر والذي يقصد بعمله غير القادر القاهر ينادى
عليه يوم القيامة يا كاذب يا فاجر يا غادر يا خاسر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا
الله والله أكبر الله أكبر والله الحمد .

واحذروا مقارفة الذنوب ومقاربة ما يسخط علام الغيوب من الشرك بالله
وموادة أعداء الله وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وقذف المحصنات بالافتراء
والجدال في الدين والمراء وشرب المسكرات والربا في المعاملات فان ربحه يوار
وعلى صاحبه تلف ونار وصاحبه حرب الرحمن وحرب رسوله المبعوث بالسنة
والقرآن .

وإن أرى الربا استطالة المرء في عرض أخيه ولو كان الذي قاله فيه

واياكم وعقوق الوالدين ومنع الحق الواجب من وصية أو دين وإياكم وقطيعة الأرحام وعدم العدل بين الناس في الأحكام والحذر من ظلم المسلمين في الدماء والأموال والأعراض .

واياكم والحسد فانه شر ما حوى الحسد ويأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب واحذروا الزنا ففيه هلاك المال والديار وفناء الأعمار وفي الحديث أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شيء ولن يدخلها الله جنته وأيما رجل تبرأ من ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه وفضحه على رؤوس الخلائق من الأولين والآخرين .

وتأمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فان المنكرات لها عواقب لا بد أن تحظر وتنظر وان شؤمها يعم البلدان والأبدان والقرى والأمصار والبر والبحر الأخضر واجتنبوا مصافحة النساء الأجنبية والدخول عليهن فانهن أعظم فتنة وذلك من المحرمات .

وغضوا أبصاركم عن المحرمات فكم فتنة حرثت من البصر وقفوا عند حدود الله في كل ما نهى عنه وأمر وجملوا عيدكم بالطاعات وترك الخطايا وجانبوا المعاصي وركوب الدنيايا .

واحذروا أكل الأوقاف وأموال الأرامل والأيتام والضعاف واياكم وتطيف المكيال والميزان فما بنحسهما قوم إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان وتذكروا بهذا الاجتماع ما وراءكم من الأهوال والأفزع إذا حشرتم بأقدام حفاة وأجسام عراة وأفتدة وجلات وأبصار خاشعات ونساء بالرجال مختلطات والكتب باليمين أو الشمال معطاة .

ثم وضع الميزان ونشر الديوان ومد الصراط على متون النيران ونادى المنادي لقد سعد فلان وشقي فلان واعلموا أن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة فعليكم بالجماعة فان الله مع الجماعة ومن شذ شذ في النار .

واعلموا أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته المسبحة بقدسه وثلت بكم أيها المؤمنون من جنه وإنسه فقال عز من قائل عليم إن الله وملائكته

يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً فأكثرُوا عليه من الصلاة يعظم الله لكم بها أجراً فقد قال ﷺ من صلى علي صلاة واحدة صلى الله الله عليه بها عشراً اللهم صل على عبدك ورسولك محمد النبي الهاشمي المصطفى .

وارض اللهم عن الأربعة الخلفاء السادة الخنفاء أهل البر والوفاء ذوي القدر العلي والفخر الواضح الجلي أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن الستة الباقيين من العشرة المفضلين وعن بقية الصحابة أجمعين وعن التابعين لهم وتابعيهم باحسان إلى يوم الدين وعمنا معهم بعفوك ومنك وكرمك وجودك وإحسانك يا رب العالمين .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين واجعل هذا البلد آمناً وسائر بلاد المسلمين اللهم آمناً في أوطاننا وأصلح سلطاننا وول علينا أختيارنا واكفنا شر أشرارنا واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك يا رب العالمين .

اللهم أقم علم الجهاد وأصلح سبل الفساد واقمع أهل الشرك والبدع والبغي والبغي والعناد وانشر رحمتك على هؤلاء العباد يا من له الدنيا والآخرة واليه المعاد اللهم فك أسر الأسورين ونفس كرب المكروبين وفرج هم المهمومين واقض الدين عن المدينين واشف بطفك مرضانا ومرضى المسلمين واكتب الصحة والعافية علينا وعلى الغزاة والحجاج والمسافرين في برك وبحرك من أمة محمد المسلمين .

اللهم عم بالتوفيق والصلاح رعايا المسلمين ورعاتهم وأكثر علماءهم وسدد قضائهم وجلل برحمتك أحياءهم وأمواتهم ومنّ عليهم بالاجتماع والائتلاف وأعدهم من التفرق والاختلاف وجازهم بالاحسان احساناً وبالسيئات غفراناً .

اللهم ادفع عنا البلاء والوباء والربا والزنا والزلازل والمحن وسوء الفتن ما ظهر منها وما بطن عن بلدنا هذا خاصة وعن بلاد المسلمين عامة يا أكرم المكرمين اللهم إن عبادك قد خرجوا اليك وابتكروا وقصدوا لوجهك وانتظروا .

اللهم فاغفر ذنوبهم ونفس كريبهم وفرج همهم واكشف غمهم واجمع شملهم وأصلح ذات بينهم واهدهم سبل السلام وجنبهم الفواحش ما ظهر

منها وما بطن اللهم نور على أهل القبور قبورهم واغفر للأحياء ويسر لهم أمورهم، عباد الله إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون، وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، إن الله يعلم ما تفعلون فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم وأشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون .

١٧٧ الخطبة الأولى لشهر شوال

الحمد لله الذي افتتح أشهر الحج بهذا الشهر فاكتسب بذلك بركة وشرفاً ونذب لصيام ستة أيام منه وجعلها بعد صيام رمضان كصيام العام على الوفاء وسمى أول يوم منه يوم الجوائز وجعله للمؤمنين عيداً وأهدى لهم فيه من الثواب تحفاً .

أحمده سبحانه حمد عبد خبره سيده وأجراه على عادته وأنجز له وعده ووفى وأشكره شكر من لم يزل غارقاً في بحار نعمه مقرأ بشكرها ومعترفاً .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي شرع الحج إلى بيته وضاعف ثوابه وجعله جهاداً للضعفاء وجذب إليه أقواماً بأزمة الغرام فقطعوا المهامة وجدوا اشتياقاً إليه وشغفاً .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي فضله على كافة البرية سلفاً وخلفاً أنطق له الجملادات فحن له الجذع حين ترك الخطبة إليه حزناً على فراقه وأسفاً اللهم فصل وسلم على محمد الذي لم يزل يتلو من الآيات البيّنات سوراً وصحفاً وعلى آله وأصحابه الذين اجتهدوا في الحج إلى البيت الحرام وأقاموا الصلاة طرقي النهار وزُلّفي صلاة وسلاماً من لازمهما كشف الله عنه وطاب وقته وصفاً .

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى فقد فاز المتقون ولازموا طاعة الله ورسوله في كل وقت لعلكم تفلحون واشكروا الله فالرايح من شكره وأشغلوا ألسنتكم بذكره فالسعيد من ذكره واتقوا يوماً يؤخذ فيه بالنواصي والاقدام

ولا تقولوا ذهب رمضان فتستحلوا فعل الحرام فان الله يكره أن يُعصى في أي شهر كان ويجب أن يطاع في كل وقت وزمان .

واستقبلوا هذا الشهر بما يرضي الملك الخلاق وتقربوا اليه بالصدقة والانتفاع ولا تبطلوا ما أسلفتم في شهر الصيام من صالح الأعمال ولا تكذبوا ما صفا لكم فيه من الأوقات والأحوال ولا تغيروا ما عذب لكم من لذة المناجاة والاقبال فكما أن الحسنات يذهبن السيئات فكذلك السيئات يبطلن صالح الأعمال .

ألا وان علامة قبول الحسنة عمل الحسنة بعدها على التوال وان علامة ردها أن تتبع بقبیح الأفعال وقد قيل ذنب بعد توبة أقبح من سبعين قبلها على التوال روى مسلم عن أبي أيوب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال من «صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال فكأنما صام الدهر» وفي معاودة الصيام دلالة على الايمان والرغبة في الخيرات .

قيل لبشر الخافي ان قوماً يتعبدون في رمضان ويجهدون في الأعمال فاذا انسلخ تركوا قال: بشس القوم قوم لا يعرفون الله إلا في رمضان وقال الحسن البصري لا يكون لعمل المؤمن أجل دون الموت ثم قرأ «واعبد ربك حتى يأتيك اليقين» فكأنكم بالحال وقد حال وبالمال قد مال وبالمالك وقد زال وبملك الموت وقد هال وبالمالك الحافظ وقد طوى صحيفة الأعمال وبأحدكم وقد نزل به ما لم يخطر له ببال ولا مخلص ولا حول ولا احتيال .

فاتقوا الله عباد الله ومهدوا لأنفسكم في زمن الامهال فانما هي أيام معدودات وليال واعلموا أنه قد عم الفناء فما الى البقاء سبيل وتم القضاء فلا تغيير فيه ولا تبديل وطم بحر الموت فحار فيه الدليل فلو نجا منه شريف أو أصيل أو صاحب قدر ووجه جميل لكان أول ناج منه محمد صاحب التزليل .

فيا ابن آدم كيف لا تتقي مولاك وقد والى عليك النعم وأولاك وكيف لا تطيع من أوجدك وبراك وأنت تعلم أنه يسمعك ويراك وكيف نسيت من خلقك وسواك وتغافلت كأن المخاطب سواك وكيف أقبلت على الهوى إذ دعاك وأعرضت عمن يرحم افتقارك ويستجيب دعاك وكيف بارزت من لطف بك ورباك وهو الذي عطف عليك أمك وأباك .

فما أعذرك يا مغرور وأهلك وما أضجرك عند اضطرارك وبلواك وما أجدرك بالتوبيخ والزرر وأولاك وما أجهلك بما ينفعك في آخرتك ودنياك وما أغفلك عن الموت وهو والله لا يغفل عنك ولا ينسأك فدارك نفسك بالتقوى قبل فراق دارك وتب إلى الله من ذنوبك وأوزارك قبل بعد دارك وشطوط مزارك وتفطن لنفسك .

واشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له شهادة منجية لمن حققها من العذاب وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل الفضلاء وأكرم الأحباب اللهم صل وسلم على سيدنا محمد عبده وعلى آل محمد وأصحابه الأفاضل الأنجاء صلاة وسلاماً دائماً دائمين متلازمين إلى يوم الحشر والمآب وسلم تسليماً .

أيها الناس : اتقوا الله تعالى وتمسكوا من التقوى بالسبب الأقوى وتقربوا إلى الله بمجانبة ما تدعو إليه الأهوا واغتنموا فرصة العمر فكأنكم ببساط الأجل وقد انطوى وطهروا مقاصد القلوب فان الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى واعلموا أنه لا يقبل من الأعمال إلا ما خلص من الشوايب ولا يرفع منها إلا ما يقع من الاخلاص بأعلى المراتب فلا تطمعوا في الرواج المزيف فالناقد بصير ولا تبطنوا خفيات القبائح فالعرض على العليم الخبير .

واستفتحوا باب الرحمة فيد الكريم مبسوطه وبابه مفتوح للمستجير فإله الله عباد الله إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور واعلموا أن شهر شوال شهر بركة واحترام جعله الله بين شهر صيام وشهر حرام فله حرمة هذا الجار والجار مكرم بالجار وقد جعل الله أوله لهذه الأمة عيداً وآخره لحج بيته من كان بعيداً فالزموا فيه طاعة ربكم واتقوا عار ذنبكم .

واعلموا أن الله تعالى قد عظم هذا الشهر فمن صام رمضان وأتبعه ستاً منه فكأنما صام الدهر قد استفتحته الله بعيد يملأ القلوب سروراً فلا تعصوا فيه ربكم فيعود سرور العيد ثبوراً فالمعاصي تخرب الديار العامرة وتورث الخزي في الدنيا والآخرة ولا تبطلوا ما أسلفتم في شهر الصيام من صالح الأعمال ولا تكذبوا ما صفا لكم فيه من الأوقات والأحوال ولا تغيروا ما عذب لكم فيه من لذة المناجاة والاقبال .

فكما ان الحسنات يذهبن السيئات فكذلك السيئات يبطلن صالح الأعمال
وان علامة قبول الحسنة عمل الحسنة بعدها على التوال وان علامة ردها أن تتبع
بقبيح الأفعال وقد قيل: ذنب بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها على الفعال ولا
تغفروا بدار الغرور فإنها قبل لإشعارك أن التقصير والزلل من شعارك .

وكن لمعاصي الله أول تارك قبل أن يصول عليك الزمان وتعجز عن أخذ
ثأرك واجهد في اعتدال اعوجاجك وأوزارك ما دام الاستدراك طوع اقتدارك
وابك يا مسكين لما بك وتزود بالعمل الصالح ليوم مآبك وتأهب لسيف المنون
فقد علق الشبايك وقد بذلت لك النصيح وأنت باختيارك فان شئت فاترك ما أنت
فيه وان شئت استمر في تبارك .

فقد ورد في صحيح المقال عن النبي ﷺ أنه قال « الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني » من الله
علي وعليكم بالخشية والمتاب ولطف بنا عند الممات ويوم الحشر والحساب .

ان أعظم الكلام منزلة ورتبة كلام من أرسل محمد وافترض على الخلق
حبه والله تعالى يقول وبقونه يهتدي المهتدون وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له
وأنصتوا لعلكم ترحمون .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم «يا بني اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم
وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى، كلوا من طيبات
ما رزقناكم ولا تطفؤا فيه فيحل عليكم غضي ومن يحلل عليه غضي فقد هوى
ولاني غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى . بارك الله لي ولكم في القرآن
العظيم ... الخ ؟

١٧٨ خطبة عيد الفطر

يكبر تسعاً تسقاً ثم يقول الله أكبر أكبر والحمد لله كثير أوسبحان الله بكرة
وأصيلاً الله أكبر ما نطق بذكره ناطق الله أكبر ما صدق في توحيده صادق
الله أكبر ما وثق بوعدده واثق الله أكبر ما أقيمت شعائير المسلمين وعظم منار

الدين الله أكبر ما لاح صباح عيد وأسفر الله أكبر ما هلال مهلال وكبر الله أكبر
ما صام صائم وأفطر الله أكبر كلما تذكر تائب ذنبه فاستغفر وكلما هل هلال
وأقمر وكلما سبح رعد وهدر وكلما أعشب روض وأزهر .

سبحان خالق الحركة والسكون سبحان من فجر الأرض اليابسة بالعيون
سبحان من أوجب فطر هذا اليوم بعد أن كان بالأمس حراماً سبحان موفي
الطائعين بالحسنة الواحدة عشرأ تماماً سبحان ذي القدرة والهيبة والقوة التي لا
تنكر كل ملك وان تعاضم ملكه فهو له عبد ذليل أصغر الله أكبر الله أكبر لا
إله إلا الله الله أكبر الله أكبر والله الحمد ... الخ ؟

الحمد لله الذي لم يجعلنا ممن يغدو إلى بيعة يتقرب فيها إلى الله بالشرك
والافك وقول الزور ولا إلى كنيسة يتقرب فيها إلى الله بشرب المسكرات من
الخمر ولا إلى أصنام وأوثان وقبور ويوت يعبد فيها النار والنور بل جعل لنا
بفضله ديناً قيماً ملة ابراهيم حنيفاً وسنة محمد صراطاً مستقيماً فيه الهدى والشفاء
والنور .

ثبتت ربوبيته وألوهيته وقد كذب من ادعى له شريكاً أو نظيراً أو مثيلاً
أو عديلاً فقد زلت في الدنيا والآخرة قدمه صنع الأشياء كلها فظهر فيما صنع
بدائع حكمه الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر والله الحمد .
الحمد لله الذي سهل لعباده طريق العبادة ويسر ووفاهم أجور أعمالهم من خزان
جوده التي لا تحصر وجعل لهم يوم عيد يعود عليهم في كل سنة ويتكرر وأهل
الأوقات كلها لأن تشيد بالعبادة وتعمر .

فما مضى شهر الصيام إلا وأعقبه شهر حج بيته المطهر أحمدته على نعمه
التي لا تحصر وأشكره وحق له أن يشكر وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا
شريك له الذي جعل لكل شيء وقتاً وأجلاً مقدر وأشهد أن محمداً عبده
ورسوله سيد البشر الشافع المشفع في المحشر الذي انشق له القمر وسلم عليه
لحجر اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد الطاهر المطهر الذي غفرت
له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومع ذلك قام على قدمه الشريف حتى تفطر وعلى
له الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهر وعلى أصحابه الذي لا يبلغ مد
حدهم من أنفق مثل أحد ذهباً أو أكثر .

أما بعد: فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى سرّاً وجهراً فقد منّ علينا وعليكم بنعم سابغة وآلاء وأياد بالغة فالشكر مبي ومنكم واجب على ما أولاكم به ربكم والذكر على ما هداكم والثناء على ما أعطاكم والطاعة فيما أمركم به والانتها عما عنه نهاكم ولا تتركبوا ما نهى الله عنه ولا تعصوا الله أمراً فكم لله عليكم ، من نعمة ترفلون في أعطافها وكم له من منة أسبل عليكم جلبابها .

فاستعملوا نعم الله بلزوم طاعته واحذروا استعمالها بالعصيان ولا تقولوا ذهب رمضان فهيا وثوباً لعصيان فرب الزمامين واحد وقد حرم العصيان في أي شهر كان ولا تعتقدوا ان الأعياد جعلت للعب واللهو وإنما هي لإقامة ذكر الله والاعراض عن اللغو .

واعرفوا قدر نعمة الله عليكم في هذا العيد الأنور المعروف الأشهر عيد الإفطار عيد البركة والمسار مشهور في جميع النواحي والأقطار عيدنا أهل الإسلام ليس عيداً من أعياد الكفار توج الله به شهر الصيام وافتتح به شهور حج بيته الحرام وأجزل فيه للصائمين جوائز الاكرام .

فاذا لاحت غرة هذا اليوم السعيد وخرج المسلمون فيه لصلاة العيد قال الله تعالى وهو أعلم بأسرار العبيد ملائكته ذوي التسبيح والتمجيد ما جزاء الأجير إذا فرغ من عمله فيقولون جزاؤه توفيته أجره ولديك المزيد فيقول جل ثناؤه أشهدكم يا ملائكتي اني جعلت ثوابهم من صيام شهر رمضان وقيامه مغفرة ذنوبهم واجابة دعواتهم فاكثرُوا فيه من ذكر الله وتوحيده وتكبيره وتحميده واستغفاره وتمجيده والصلاة والسلام على نبيه أكرم خلقه وأشرف عبيده .

واعلموا أنه ليس السعيد من أدرك العيد ولبس الحديد ولا من ركب الخيل المسومة وخدمته العبيد ولا من كانت الدنيا تأتيه على ما يشتهي ويريد ولا من جمع المال وبلغ الآمال وخيف بأسه الشديد ولا من تأمر وسلا وتجبر على العباد وتطاول في البناء وأشاد كل قصرٍ مشيد إنما السعيد من خاف يوم الوعيد وراقب الله فيما يبدى ويعيد وفاز بجنة عرضها السموات والأرض لا ينفد نعيمها ولا يبسد .

واعلموا أن النفوس على مطايا الأيام سائرة وإن السنين مراحل تنتهي بكم إلى الآخرة واذكروا باجتماعكم هذا جمعه الأمم وبعثه الرّمم إذا جنوا على

الركب بين يديه حفاة عراة عزلاً وحكم بينهم في الحقوق التي أسلفوا عدلاً هنالك بعض الظالم على يديه إذا تبين للحقيقة ما كان في هذه الدار عليه الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر والله الحمد .

وأدوا ما أوجب الله عليكم من زكاة الفطر فإنها طهرة لصيامكم ومواساة للفقراء من اخوانكم وكفارة لآثامكم عن أنفسكم وعن كل من تمونون من صغير وكبير وحر وعبد وذكر وأثنى وذلك على من وجدها فاضلة عن نفقته يوم العيد وليلته فأدوها كما أمركم نبيكم صاعاً من تمر أو صاعاً من بر أو صاعاً من شعير أو صاعاً من زبيب أو صاعاً من أقط .

فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات الله أكبر الله أكبر ولا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر والله الحمد ... الخ ؟ وقد ندبكم الله لشرائع الإسلام لِيُحْكِمُوهَا وقواعد الإسلام لتعلموها فأعظمها بعد الشهادتين الصلوات الخمس معشر المسلمين فحافظوا عليها في أوقاتها مع الجماعة فإنها عماد الدين وشعار الموحدين .

وأدوا ما أوجب الله عليكم من الزكاة فقد قرنها الله بالتوحيد والصلاة فصلاتنا وزكاتنا أختان فبادروا رحمكم الله ، بدفعها وإيصالها إلى مستحقيها وخالفوا النفس والشیطان في منعها وحجوا البيت الحرام إن استطعتم . اليه سبيلاً وراقبوا الله تعالى في السر والعلن لتنالوا أجراً جزيلاً ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

ولا تغضبوا الخالق برضى الخلق ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تشربوا الخمر فمن شربها فقد حرم الله عليه خمر الجنة ومن استحلها فقد خرج من الإسلام واحذروا الزنا والربا وقول الزور ولا تلبسوا الحرير فانه حل للإناث حرام على الذكور الله أكبر لا إله إلا الله الله أكبر الله أكبر والله الحمد .

واذكروا من كان معكم في مثل هذا العيد حاضراً وبما تفاخرون به من زينة الدنيا مفاخراً وقد صار بعد العز لا بئاً في اللحد يتمنى أن يعود إلى الدنيا وهيهات له أن يعود تجردوا عن ثياب الحياة والتحفوا بالتراب وحبسوا في بطون ألحاد مظلمة بغير أبواب وسكنوا بعد القصور العالية القبور الواهية وحيل بينهم

وبين ما يشتهون من تعاطي الأسباب .

وشاهدوا ما أخرج به الرسل ونطق به الكتاب وسئلوا عما فعلوا فعجزوا عن رد الجواب وودوا لو ردوا وأننى لهم الرجعة وداعيتهم غير محاب فلو رأيتم تحت التراب أحوالهم لرأيتم أموراً هائلة وألواناً حائلة وأعناقاً عن الأبدان مايلة وعيوناً سائلة قد غير البلاءُ حسننها وأخلق التراب رسمها انفردوا بأعمالهم دون أموالهم عن الولد والوالد والآل ووردوا صدعاً من الأرض إلى يوم المآل .

فوالله ما نُغصُّوا لتُسروا ولا رُحِّلوا لتستقروا ولا بد أن تمروا حيث مروا فلا تركنوا إلى الدنيا ولا تغتروا عباد الله كم مؤمل أمل ما أملتُموه وراجٍ رجا ما رجوتُموه فلم يبلغ من الدنيا ما أبلغتُموه ولم يستكمل من رجائه ما استكملتُموه قد قطع لعيده أثواباً وهياً لفطره أسباباً واعتد الفاخر من لباسه وطيبه ونوى فرحاً بحبيبه ونسيبه واستعد للخروج معكم إلى المصلى فأصبح من سكان الثرى ومجاورة المولى قد أصبح منزله خالياً وجسده بالياً وولده حزيناً باكياً .

جاور جيراناً لا يتراورون وآخى اخواناً لا يتعاشرون فسيروا بقلوبكم إلى الفلوات ترون أهليكم وغيرهم في القبور الموحشات فقد كانوا قبلكم يتفاخرون في الملابس الفاخرات ولربما أن منهم من اشتغل بالدنيا وأهمل نفسه من الأعمال الصالحات .

فأمضى عليهم القدر حكمه وأدار عليهم الموت سهمه وأنخ بهم الحدثنان ولم يبق منهم إلا كان فلان وكان أبادهم الملك الجبار وكانوا عبرة من العبر وخبراً من الأخبار .

قد نسيهم أولادهم واشتغلت بغيرهم نساؤهم واقتسمت أموالهم فلم يبق لهم أنيس ولا جليس إلا أعمالهم رحلوا من الدور العامرة والقصور وأسكنوا بيت الوحشة والظلمة أسافل القبور وأنتم إلى ما صاروا إليه صائرون وبالكأس الذي شربوا منها شاربون وستزار قبوركم كما أنتم لقبورهم زائرون ثم من الأجدات إلى ربكم تنسلون وبين يديه توقفون وعما قدمتم مسئولون وبأعمالكم محزيون .

أفبهذا أيها المؤمنون تمرون فورب السماء والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون فأيقظوا أنفسكم من سنة الغفلة واجتهدوا ما دتم في زمن المهلة وعاملوا

الله إذا عاملتموه لن تضيعوا واتقوا الله واسمعوا وأطيعوا وأنبيوا إلى ربكم واسلموا له ولكم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ومن جاء من طريق فالسنة أن يرجع من طريق أخرى وصوموا بعد هذا اليوم ستة أيام من هذا الشهر يكتب لكم بذلك صيام الدهر وابتهلوا في الدعاء في هذا اليوم معشر الاخوان وبالتضرع في هذه الساعة إلى المولى الكريم الرحمن .

روى البيهقي من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال «إذا كان غداة عيد الفطر بعث الله عز وجل ملائكته فيهبطون إلى الأرض فينادى بصوت يسمعه جميع من خلق الله إلا الإنس والجن فيقولون يا أمة محمد أخرجوا إلى رب كريم يعطي الجزيل ويغفر الذنب العظيم» .

ورأى وهيب بن الوردى قوماً يضحكون في يوم عيد فقال ان كان هؤلاء تقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الشاكرين وان كان لم يتقبل فما هذا فعل الخائفين وخرج عمر بن عبد العزيز رحمه الله في يوم عيد فقال في خطبته أيها الناس انكم صمتم لله ثلاثين يوماً وقمتم لله ثلاثين ليلة وخرجتم تطلبون من الله أن يتقبل منكم .

وقال في آخر خطبته أيها الناس انكم لم تخلقوا عبثاً ولم تركوا سدى إن لكم معاداً يتزل الله فيه للفصل بين عبادته فقد خاب وخسر من خرج من رحمته التي وسعت كل شيء وحرم جنة عرضها السموات والأرض ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين وسيرثها بعدكم الباقون كذلك حتى ترد إلى خير الوارثين .

وفي كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً إلى الله تعالى وقد قضى نحبه وانقضى أجله فتودعونه وتدعونه في صدع من الأرض غير موسر ولا ممهد قد خلع الأسباب وفارق الأحباب وسكن التراب وواجه الحساب غنياً عما خلف فقيراً إلى ما أسلف .

فاتقوا الله عباد الله قبل نزول الموت وانقضاء مواعيته واني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما عندي ولكن أستغفر الله وأتوب إليه ثم رفع طرف رداءه وبكى حتى شهق ثم نزل عن المنبر فما عاد إلى المنبر بعدها حتى مات رحمة الله عليه .

أعاد الله علي وعليكم من بركات هذا العيد وأمني وإياكم من سطوات يوم

الوعيد إن أحسن ما كرر وأعيد ووعظ به في كل جمعة وعيد كلام المبدئ المعيد والله تعالى يقول وبقوله يهتدي المهتدون .

وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون أعوذ بالله من الشيطان الرجيم «ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد، إلى قوله ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد» بارك الله لي ولكم في القرآن الخ ...

١٧٩ خطبة أيضاً

الحمد لله الذى ظهر لأولياته بنعوت جلاله . وأثار قلوب أصفياه بمشاهدة صفات كماله . وتحجب إلى عباده بما أسداه اليهم من إنعامه وإفضاله . أحمدُه سبحانه حمد عبد أخاص لله في أقواله وأفعاله . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا معين في تدبيره وأفعاله . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله نبي أنعم الله على جميع أهل الأرض ببعثه وإرساله . اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى جميع أصحابه وآله وسلم تسليماً كثيراً . أما بعدُ فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى فإن تقواه عليها المولى . واشكروه على ما أولاكم من الإناعم والخير الكثير وخوّل . وعليكم بما كان عليه السلف الصالح والصدور الأول . وتدبروا ما جاء به نبيكم محمد ﷺ من الحكمة والكتاب المنزل . واعتبروا بمن كان قبلكم ممن علا في الأرض وأمل وتوّل . فجاءهم هاذم الذات وكان الأجل مما أملوه أمجل . وسطا بهم ريبُ المنون مسرعاً فما تواني في أخذهم وما أمهل . فاستحال النعيم عذاباً ، وانعكس القصد وتحول . فاتقوا الله عباد الله وحاسبوا أنفسكم قبل القدوم على الله . قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوها قبل أن توزنوا ، وتأهبوا للعرض الأكبر على الله ، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ فاذا نُفِخَ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون . مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ . تَلَفَحَ وَجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالْحُوتِ . أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ

عليكم فكنتم بها تُكذَّبون . قالوا ربنا غَلَبَتْ علينا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ . ربَّنَا
أَخْرَجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ . قَالَ اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون . إنه كان فريقاً من
عبادى يقولون ربَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ . فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّى
اتَّسَوْكُمْ ذِكْرى وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ . إِنِّ جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ
الْفَائِزُونَ ﴿ بَارِكِ اللَّهُ لى وَلِمْ فى القرآن العظيم ، ونفَعْنى وإياك بما فىه من الآيات
والذكر الحكيم . أقول قولى هذا واستغفر الله العظيم الجليل ، لى وللم وللسائر المسلمين
من كل ذنب . فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

١٨٠ خطبة أيضا

الحمد لله الحمود على كل حال . الموصوف بصفات الجلال والكمال . المعروف بمزيد
الإتمام والإفضال . أحده سبحانه وهو الحمود على كل حال ، وفى كل حال . وأشهد أن
لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العظمة والجلال . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
وخليله الصادق المقال . اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه خير صحب
وآل . وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله حق تقاته . وسارعوا إلى مغفرته
ومرضاته . وأجيبوا الداعى إلى دار كرامته وجناته . ولا تفرنكم الحياة الدنيا بما فيها من
زهرة العيش ولذاته . فقد قرُب الرحيل ، وذُهب بساعات العبر وأوقاته . ألا وإن المؤمن
بين مخافتين : بين أجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع فيه ، وأجل قد بقى لا يدرى ما الله
قاض فيه . فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن صحته لمرضه ، ومن حياته لموته ، ومن غناه
لفقره ، فوالله ما بعد الموت من مُسْتَعْتَب ، وما بعد الموت من دار إلا الجنة أو النار .
وقد ثبت عنه عليه السلام أنه قال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من
أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ ليس بآمانيتكم
ولا أمانى أهل الكتاب ، مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً .

ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمنٌ فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون فيها باريك الله لي ولكم في القرآن العظيم . ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم . أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل . لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم

١٨١ خطبة أيضاً

الحمد لله العلي العظيم القادر ، هو الأول والآخر والباطن والظاهر ، عالم الغيب والشهادة المطلع على السرائر والضمائر . خلق قَدَّر ، ودبَّر فيسر ، فكل عبد إلى ما قدره عليه وقضاه صائر . أحده سبحانه على خفي لطفه ، وجزيل بره المتظاهر . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ولد ولا مظاهر . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صاحب الآيات والمعجزات والبصائر . اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه ومن على سبيله إلى الله صائر . وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى ، واعملوا ليوم تنكشف فيه السرائر ، وتظهر فيه غيبات الصدور والضمائر ، وتدور فيه على المجرمين الدوائر . وتحصى فيه الصغائر والكبائر . يُرفع فيه لواء الخزي لتكل فاكث للمهد غادر . تُنصب فيه موازين الأعمال وتنشر الصحف ، فكل عبد إلى ما قدمه لنفسه صائر . فأخذ كتابه بيمينه وأخذ كتابه بشماله يا خيبة الظالم والفاجر ، ويا سعادة من استجاب لله ورسوله من ذوى الإيمان والبصائر . فاتقوا الله عباد الله فان تقواه أرفع الوسائل والذخائر ، ولا تكونوا كالذين بدلوا نعمة الله كفراً ولم يلتفتوا إلى ما أمامهم من الموارد والمصادر . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتاباً يلقاه منشوراً . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً . من أن يطمئن إلى هذه الحياة أو يركن إلى دنياه وقد امتلأت المقابر بالمأمور والآمر ، فيا من بماله وولديه يفakhir ، ويا من بملكه يباهي

وَيُعَلِّمُهُ يُنَاطِرُ ، وَيَا مُتَرَفِّعًا عَنِ التُّرَابِ الثَّائِرِ أَنْ يَمَسَّ جِسْمَكَ أَوْ
تُوبِكَ النُّظِيفَ الطَّاهِرَ ، كَيْفَ بِكَ إِذَا دُسَّ أَنْفُكَ بِالتُّرَابِ وَعَافَتْكَ
العُشَائِرُ وَفَارَقَكَ الْأَنْبِيَاءُ وَالصَّاحِبُ وَالْجَلِيسُ ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَكَ إِلَّا
عَمَلُكَ فَانْتَ الرَّابِعُ أَوْ الْخَاسِرُ ، فَاللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْنَا بِحُسْنِ الْخِتَامِ ،
وَيَتَوَفَّانَا جَمِيعًا عَلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ وَيَقْبَلُ الْعَاثِرَ ، وَنَسْأَلُهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ
يَرْزُقَنَا التَّقْوَى وَأَنْ يُوفِّقَنَا لِلْحُسْنَى وَهُوَ الْكَرِيمُ الْقَادِرُ (فَإِنَّمَا مَنْ
أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ
وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «كَفَى بِالْمَوْتِ وَاعِظًا ، وَكَفَى بِالْيَقِينِ
غَنًى» وَجَلَسَ ﷺ عَلَى شَفِيرِ قَبْرِ فَبَكَى حَتَّى بَلَ الثَّرَى ثُمَّ قَالَ
«يَا إِخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا» وَقَالَ ﷺ «أَرْبَعَةٌ مِنَ الشَّقَاءِ : جُمُودُ
الْعَيْنِ ، وَقَسْوَةُ الْقَلْبِ ، وَطُولُ الْأَمَلِ ، وَالْحِرْصُ عَلَى الدُّنْيَا» وَقَالَ
ﷺ «لَا تَزُولُ قَدَمًا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ : عَنْ
عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ بِهِ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ
وَفِيمَا أَنْفَقَهُ ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ» وَقَالَ ﷺ «يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ
مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرَ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ أَمَتُهُ ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ لَوْ
تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» (أَفِينْ هَذَا الْحَدِيثَ
تَعَجُّبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ) (فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي
الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا)

١٨٢ حُطْبَةٌ فِي مَرَضِ الْقَلْبِ وَعِلَاجِهِ

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم . وفضله على كثير من
خلق تفضيلاً . ووهب له العقل الذي امتاز به عن البهائم ليعرف به ربه

ويدرك به مصالحه - فإن أحسن العمل في هذه الدنيا كان تكريمه موصولاً في الدنيا والآخرة ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾ . وأن أساء العمل وألغى عقله رده الله أسفل سافلين ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً﴾ .

أحمد على نعمه التي لا تحصى . وأشكره . وحقه أن يطاع فلا يعصى . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله - كان يكثر أن يقول : (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .

عباد الله : اتقوا الله تعالى ، هو الذي خلقكم وصوركم فأحسن صوركم : ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك . في أي صورة ما شاء ركبك﴾ نعم إنك أيها الإنسان مركب من أعضاء وكل عضو منك خلق لفعل خاص فإذا مرض ذلك العضو تعطل عمله أو اختل . فإذا مرضت اليد تعذر منها البطش . وإذا مرضت العين تعذر منها الإبصار . وإذا مرض القلب بالمعاصي تعذر منه فعله الخاص الذي خلق من أجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله وعبادته . ومرض القلب هو الداء العضال وهو مرض خفي قد لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وإن عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه لأن دواءه مخالفة الهوى .. إن انتقلب هو ملك الأعضاء ومصدر سعادتها أو شقتها . ومصدر صلاحها أو فسادها - قال - ﷺ : - (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) ففي هذا الحديث دليل على أن صلاح أعمال العبد بحسب صلاح قلبه . وأن فساد أعمال العبد بحسب فساد قلبه فالقلب الصالح هو القلب السليم الذي لا ينفع عند الله غيره قال تعالى : ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ فالقلوب على ثلاثة أنواع :

النوع الأول: قلب سليم وهو السالم من الآفات والمكروهات كلها وهو القلب الذي ليس فيه سوى محبة الله وخشيته وخشية ما يباعد عنه .

النوع الثاني: القلب الميت الذي لا حياة به فهو لا يعرف ربه ولا يعبده فهو واقف مع شهواته ولذاته ولو كان فيها سخط ربه وغضبه فلا يستجيب للناصح بل يتبع كل شيطان مريد .

النوع الثالث: القلب المريض وهو قلب له حياة وبه علة - فالقلب الأول قلب مخبت واع لين حي . والقلب الثاني قلب يابس ميت . والقلب الثالث قلب مريض . فأما إلى السلامة أدنى وأما إلى العطب أدنى .

عباد الله: ولحياة القلوب وموتها ومرضها أسباب يفعلها الإنسان - فمن أسباب حياتها الإقبال على الله وتلاوة كتابه وتدبره والإشتغال بذكره قال تعالى: ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ . وقال تعالى: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون﴾ . وقال تعالى: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾ ومن أسباب حياة القلوب مجالسة الصالحين ومخالطتهم والإقتداء بهم . ومن أسباب حياة القلوب الاستماع إلى المواعظ والتذكير والمحافظة على صلاة الجمعة والجماعة . ومن أسباب حياة القلوب النظر والتفكر في مخلوقات الله وما فيها من الحكم . قال تعالى: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾ . ومن أسباب حياة القلوب النظر في عواقب الظلمة والمفسدين وما أحل الله بهم من العقوبات قال تعالى: ﴿وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد . أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ . أما أسباب موت القلوب فممنها اعراضها عن قبول الحق بعد معرفتها له قال تعالى: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله

لا يهدي القوم الفاسقين ﴿ وقال تعالى: ﴿ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون﴾ . وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحبيكم وأعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ . والقلب الميت يكون صاحبه أخط من البهائم ويكون مثاله إلى جهنم قال تعالى: ﴿ولقد ذرانا لجهنم كثيراً من الجن والأنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ فيصبح هذا القلب مطموساً منكوساً مخنوماً عليه لا ينتفع به صاحبه بسبب أنه أعرض عن الحق ورضي بالباطل فصار الباطل غذاءه . والضلال طريقة والجحيم مصيره نعوذ بالله من الخذلان . وأما أسباب مرض القلوب فمنها أكل الحرام فإن المطعم الخبيث يغذي تغذية خبيثة . قال - ﷺ - في الذي يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فإني يستجاب لذلك . وما أكثر أكل الحرام في وقتنا هذا مما سبب مرض القلوب وفساد التصرفات وانحطاط الأخلاق كما ترون ذلك ظاهراً في مجتمعاتنا - ومن أسباب مرض القلوب فعل المعاصي فإن المعاصي تؤثر في القلوب وتقرضها قال تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ وقد ورد في الحديث أن العبد إذا أذنب ذنباً نكت في قلبه نقطة سوداء فإن تاب صقلت تلك النقطة وإلا تزايدت وعظم خطرها على القلب . ومن أسباب مرض القلوب استماع ما لا يجوز استماعه من الكلام المحرم . واستماع الملاهي من الأغاني والمزامير وقد كثر هذا البلاء في هذا الزمان وتنوعت مفسده وتعددت طرق ترويجه بيننا في الإذاعات والتلفاز والأشرطة . فظهر أثر هذا السماع المحرم فافسد سلوك كثير من النساء والصبيان بل وكثير من الرجال . فالأغاني من أكبر ما تطرق به إبليس إلى فساد القلوب وقد فسر قوله تعالى لإبليس ﴿واستفز من استطعت منهم بصوتك﴾ بأن المراد بصوته الغناء . ومفاسد الغناء كثيرة لا يتسع هذا المقام لشرحها وقد بينها العلماء في كتبهم وشخصوها فعلى المسلم أن يراجع تلك الكتب خصوصاً ما

كتبه شمس الدين ابن القيم في إغاثة اللهفان - ليعرف إلى أي مدى تنتهي تلك الأغاني بأصحابها . ومن أسباب مرض القلوب النظر المحرم - قال - ﷺ :- (النظر سهم مسموم من سهام ابليس) وقال تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون . وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهم ويحفظن فروجهن﴾ فالنظرة المحرمة تورث شهوة في القلب تمرضه . ومن أسباب مرض القلوب مطالعة الكتب الفاسدة التي انتشرت في هذا الزمان فشغلت كثيراً من الناس عن مطالعة الكتب النافعة وكذلك مطالعة الصحف والمجلات الخلية وما أكثرها في أسواقنا وبيوتنا ومكاتبنا وقد رتع فيها الناس رجالا ونساء وأطفالا .. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

عباد الله : إنه لا شفاء لأمراض القلوب إلا بالدواء الذي أنزله الله في كتابه وسنة نبيه قال تعالى: ﴿يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور﴾ وقال تعالى: ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾ ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾ فأقبلوا على كتاب الله وسنة رسوله لتداووا قلوبكم منها ففيهما الشفاء والرحمة . وفيهما النور والهداية . وفيهما الروح والحياة . وفيهما العصمة من الشيطان ووساوسه . وليأخذ كل منا بنفسه فيبعدها عن مواطن الفتن ويقطع عنها وسائل الشر . وكذلك أبعادوا أولادكم وبيوتكم عن وسائل الشر ودواعي الفساد أن كنتم تريدون الشفاء لقلوبكم والخير لمجتمعكم وأكثروا من هذا الدعاء الذي كان يدعو به النبي - ﷺ - : (يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك) .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور﴾ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٨٣ خطبة

في النهي عن الاسبال في اللباس

الحمد لله الذي امتن على عباده بلباس يوارى سوءاتهم . ويجمل هيئاتهم . وحث على لباس التقوى وأخبر أنه خير لباس . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . له ملك السموات والأرض . واليه المصير يوم العرض . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ما ترك خيراً إلا دل أمته عليه ولا شراً إلا حذرهما منه . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بسنته وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالى قال الله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتَكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسَ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ يَذَكَّرُونَ ﴾ يمتن تعالى على عباده بما جعل لهم من اللباس والريش . واللباس المراد به ستر العورات وهي السوءات . والريش ما يتجمل به ظاهراً . فاللباس من الضروريات . والريش من التكميليات . روى الإمام أحمد قال: لبس أبو أمامة ثوباً جديداً . فلما بلغ ترقوته قال: الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتي وأتجمل به في حياتي . ثم قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله - ﷺ - : (من أستجد ثوباً فلبسه فقال حين يبلغ ترقوته الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتي وأتجمل به في حياتي ثم عمد إلى الثوب الخلق فتصدق به كان في ذمة الله وفي جوار الله وفي كنف الله حياً وميتاً) . ولما أمتن سبحانه باللباس الحسي الذي يتخذ لستر العورة وتدفئة الجسم وتجميل الهيئة . نبه على لباس أحسن

منه وأكثر فائدة وهو لباس التقوى الذي هو التحلي بالفضائل . والتخلي عن الرذائل . ولباس التقوى هو الغاية وهو المقصود . ولباس الثياب معونة عليه . ومن فقد لباس التقوى لم ينفعه لباس الثياب . إذا المرأ لم يلبس ثياباً من التقى : تقلب عرباناً وإن كان كاسياً . ولباس التقوى يستمر مع العبد لا يبلي ولا يبيد . وهو جمال القلب والروح . ولباس الثياب إنما يستر العورة الظاهرة في وقت من الأوقات ثم يبلي ويبيد . وقوله تعالى : ﴿ ذلك من آيات الله لعلمهم يذكرون ﴾ أي ذلك المذكور لكم من اللباس مما تتذكرون به نعمة الله عليكم فتشكرونه . وتتذكرون بحاجتكم إلى اللباس الظاهر حاجتكم إلى اللباس الباطن . وتعرفون من فوائد اللباس الظاهر ما هو أعظم منها من فوائد اللباس الباطن الذي هو لباس التقوى .

عباد الله : إن اللباس من نعم الله على عباده التي يجب شكرها والثناء عليه بها . وإن اللباس له أحكام شرعية تجب معرفتها والتقيد بها . فالرجال لهم لباس يختص بهم في نوعه وكيفيته . وللنساء لباس يختص بهن في نوعه وكيفيته . ولا يجوز لأحد الجنسين أن يشارك الآخر في لباسه ، فقد لعن رسول الله - ﷺ - المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال . وقال - ﷺ - : (لعن الله المرأة تلبس لبسة الرجل والرجل يلبس لبسة المرأة) . رواه أحمد وأبو داود . ويحرم على الرجال اسبال الازار والثوب والبشت والسرراويل . وهو من الكبائر والاسبال هو نزول الملبوس عن الكعبيين . قال الله تعالى : ﴿ ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴾ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله - ﷺ - : (من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة) . رواه البخاري وغيره . وعن ابن عمر عن النبي - ﷺ - قال : (الاسبال في الازار والقميص والعمامة . من جر شيئاً خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه . وعن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال : (لا ينظر الله الى من جر ازاره بطراً) . متفق عليه ولأحمد والبخاري : (ما

أسفل من الكعابين من الازار في النار) وقال عليه الصلاة والسلام: (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب).

عباد الله: مع هذا الوعيد العظيم الوارد في حق المسبل نرى بعض المسلمين لا يهتم بهذا الأمر فيترك ثوبه أو بشته أو سراويله تنزل عن الكعابين وربما تلامس الأرض وهذا منكر ظاهر ومحرم شنيع وكبيرة من كبائر الذنوب. فيجب على من فعل ذلك أن يتوب إلى الله ويرفع ثيابه على الصفة المشروعة. قال عليه الصلاة والسلام: (إزرة المؤمن إلى نصف ساقيه ولا حرج عليه فيما بينه وبين الكعابين. ما كان أسفل من الكعابين فهو في النار). وبجانب أولئك المسبلين فريق من المستهترين الذين يرفعون لباسهم فوق الركبتين فتبدوا أفخاذهم أو بعضها كما يفعله بعض الفرق الرياضية في الملاعب ويفعله بعض العمال. والفخذان من العورة التي يجب سترها ويحرم كشفها. عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله - ﷺ - : (لا تبرز فخذك ولا تنظر إلى فخذ حي ولا ميت) رواه أبو داود وابن ماجة.

عباد الله: وما يحرم على الرجال لبسه الحرير ففي الصحيحين: (أن رسول الله - ﷺ - قال: (من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة) وهذا وعيد شديد يدل على شدة تحريم لبس الحرير في حق الرجال وأن من لبسه منهم في الدنيا حرم لبسه في الآخرة حينما يلبسه أهل الجنة قال تعالى: ﴿ولباسهم فيها حرير﴾ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله - ﷺ - : (إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا خلاق له في الآخرة) متفق عليه. ويحرم على الرجال لبس الذهب أو شيء فيه ذهب سواء كان خاتماً أو حزاماً أو سلسلة أو في النظارتين أو الساعة - عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله - ﷺ - رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال: (يعمد أحدكم إلى جرة من نار فيجعلها في يده. فقيل

للرجل بعد ما ذهب رسول الله - ﷺ -: خذ خاتمك انتفع به . قال : (لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله - ﷺ -) . وقد صار بعض المسلمين يتساهل في هذا الامر الخطير فيلبس خاتم الذهب ولا يبالي أنه بفعله هذا قد عصى الله ورسوله وحمل في يده جرة من النار طيلة لبسه لهذا الخاتم . نعم لا يبالي بذلك ما دام أنه أتبع نفسه هواها وقلد من لا خلاق لهم من أوباش الناس وطغامهم . وبعض الشباب يتحلون بسلاسل الذهب تقليداً للنساء واغراقاً في الميوعة . ومتجاهلين ما في ذلك من فقد الرجولة وتعريض أنفسهم للوعيد الشديد بالعذاب الأليم لمن فعل ذلك .

عباد الله : إن الرسول - ﷺ - إنما حذرنا من هذه الأشياء . الاسبال في اللباس والتشبه بالنساء ولبس الحرير والتخلي بالذهب إنما نهانا عن هذه الأشياء لنتخلق بكل معاني الرجولة وننتصف بكامل المروءة - إذ العادة أنه لا يبالي في الزينة والعناية بجسمه وثوبه ومركوبه وفراشه وأثاثه إلى درجة الافراط الا مترف لين - والرجل خشن بطبعه وكل ما تلين خفت رجولته ونقصت ذكوريته . وعجز عن الكفاح والكد وما خلق له في معترك الحياة . وقد كان النبي - ﷺ - يلبس البرد الغليظ الحاشية ويفترش الحصير ويتوسد الجلد حشوه الليف . ويركب البعير والفرس والخيول والبغلة مرة بسرج ومرة بلا سرج ويردف خلفه وبين يديه ويمشي المسافة الطويلة على رجليه . ويأكل ما تيسر من الطعام ويأتمم بما تيسر من الادام . وقد قال الله تعالى : ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم وذكر الله كثيراً﴾ . نفعل الله واياكم بهدي كتابه . وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٨٤ خطبة

في التحذير من التشبه بالكفار في عاداتهم وتقاليدهم

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين. وأتم علينا النعمة، ورضي لنا الإسلام ديناً. وحذرننا من تقليد الكفار والركون إلى الاشرار. لنكون أمة واحدة متماسكة. لها مكانتها وعزتها. وأشهد أن لا اله إلا الله لا رب لنا سواه. ولا نعبد إلا إياه. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله رحمة للعالمين، فأغنى به بعد عيلة. وكثر به بعد قلة. وأعز به بعد ذلة. واستقامت ببعثته الملة، نبي شرح الله له صدره. ورفع له ذكره. وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره. - ﷺ - وعلى آله وأصحابه ومن تمسك بسنته وسار على نهجه إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد: أيها المسلمون اتقوا الله تعالى - يقول الله لنبيه - ﷺ -: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾. ويقول سبحانه لنبيه - ﷺ -: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. وَإِنَّ لَكَ لَأَعْزَٰزًا مِّن لَّدُنِّي وَلَقَوْمًا سَآءُ مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾. ويأمرنا سبحانه بمثل ما أمر به نبينا فيقول: ﴿وَأَن هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَايَا لِّعَالَمٍ لَّا يَعْلَمُونَ﴾. أجل إن هذا الدين هو صراط الله المستقيم من سار عليه نجا. ومن حاد عنه هلك. وقد وفر الله في هذا الدين كل أسباب الفلاح والرقى والتقدم. فلو تمسكنا به حق التمسك لصرنا أرقى الناس. ولأصبح كل العالم يحتاج إلى ما عندنا ولسنا بحاجة إلى أحد غير الله.. ولكننا ضيعنا

ديننا فضعنا وصرنا نستورد من أعدائنا كل عادة سيئة . وكل خلق ذميم .
وكل سنة جاهلية . فننشر ذلك في مجتمعتنا ونربي عليه أولادنا ونساءنا دون
تفكير في عواقبه . وتقدير لنتائجه . لنساير ركب الحضارة ونمشي مع
الركب العالمي - ولو كان يسير إلى الهاوية - ولو كان يسعى إلى
الهلاك - المهم أن لا نتخلف عنهم . وهم يخططون لنا أسباب هلاكنا
ونحن ننفذها بكل اعتزاز وافتخار . وهم يحاولون القضاء على ديننا أو
ابعادنا عنه . ونحن نساعدهم على ذلك ففي كل يوم ندفن جزءا من ديننا
ونحل محله عادة غريبة . أو سنة من سنن الجاهلية .. وصدق أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث يقول : (إنما تنقض عرى الإسلام
عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية) . إن ديننا لا يحرم
علينا أن نستورد من الكفار المدفع والدبابة وسلاح القتال بأنواعه . وأن
نستفيد من خبراتهم في مجال التقنية وخطط الصناعة . وديننا لا يحرم علينا
التعامل مع الكفار في مجال التجارة المباحة وتبادل المنافع المفيدة . إنما الذي
يحرمه ديننا أن نستورد منهم العادات السيئة والخصال الذميمة والتقاليد
الفاصلة . ويحرم ديننا كذلك التشبه بهم فيما هو من خصائصهم . لما في ذلك
من المفاصد العاجلة والآجلة . فلا نتشبه بهم في أعيادهم وعاداتهم . ولا
نتشبه بهم في لباسهم وهياكلهم .. ومن ذلك ما نسمعه دائما من جعل أسبوع
للشجرة وعام للطفل وأسبوع للنظافة وعيد للأُم وما إلى ذلك مما يمليه
أعداؤنا ويتلقفه سفهاؤنا لينشروه بيننا - إن ديننا لا يخصص يوما من
الأيام لعمل من هذه الأعمال فهو يحث على غرس الأشجار النافعة والزراعة
المفيدة في كل وقت مناسب . وديننا يحث على تربية الأطفال والعناية بهم
والاحسان إلى الأيتام منهم في كل الأوقات وفي جميع الساعات . يقول
- ﷺ - : (مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا
بينهم في المضاجع) . ويقول - ﷺ - : (كلّم راع وكلّمك مستول عن
رعيته) والله تعالى يقول : ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا

وقودها الناس والحجارة ﴿١﴾ . وإن ديننا يأمر بالنظافة في كل وقت ويحث على التجميل في الثياب والهيئة ويرغب في استعمال الطيب . ويوجب الوضوء للصلاة والإغتسال من الجنابة ويأمر بتجنب الأنجاس والقاذورات . وديننا يأمر بالاحسان إلى الوالدين وصلة الأرحام والاحسان إلى الفقراء والأيتام في كل وقت وفي كل فرصة حسب الامكان .. إن ديننا كمال كله . وخير كله . لو تمسك به المسلمون ونفذوه على وجهه الصحيح لأصبح العالم كله بحاجة اليهم وليسوا بحاجة إلى أحد سوى الله - ﴿٢﴾ والله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴿٣﴾ . ﴿٤﴾ وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ﴿٥﴾ ﴿٦﴾ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴿٧﴾ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ثم إن الله شرع على لسان خاتم النبيين من الأعمال ما فيه صلاح الخلق على أتم الوجوه وهو الكمال المذكور في قوله تعالى : ﴿٨﴾ اليوم أكملت لكم دينكم ﴿٩﴾ ولهذا أنزل الله هذه الآية في أعظم أعياد الأمة الحنيفية فإنه لا عيد أعظم من العيد الذي يجتمع فيه شرف المكان والزمان وهو عيد النحر ولا عين من أعيان هذا النوع أعظم من يوم كان قد أقامه رسول الله - ﷺ - بعامة المسلمين وقد نفى الله الكفر وأهله . والشرائع هي غذاء القلوب وقوتها . كما قال ابن مسعود رضي الله عنه ويروى مرفوعاً : (إن كل آدب يحب أن تؤق مآدبته وإن مأدبة الله هي القرآن) ومن شأن الجسد إذا كان جائعاً فأخذ من طعام حاجته استغنى عن طعام آخر .. فالعبد إذا أخذ من غير الأعمال المشروعة بعض حاجته قلت رغبته في المشروع وانتفاعه به بقدر ما اعتاض عنه من غيره - بخلاف من صرف نهمة وهمة إلى المشروع فإنه تعظم محبته له ومنفعته به ويتم دينه به ويكمل اسلامه . ولهذا تجد من أكثر من سماع الأغاني تنقص رغبته في سماع القرآن حتى ربما يكرهه . ومن أكثر من السفر إلى زيارة المشاهد ونحوها لا يبقى لحج البيت المحرم في قلبه من المحبة والتعظيم ما يكون في قلب من وسعته السنة . ومن أدمن على أخذ الحكمة والآداب من كلام حكماء فارس والروم لا يبقى لحكمة الإسلام وآدابه في قلبه ذاك الموقع . ومن أدمن على

قصص الملوك وسيرهم لا يبقى لقصص الأنبياء وسيرهم في قلبه ذاك الاهتمام - ونظائر هذا كثيرة. ولهذا جاء في الحديث عن النبي - ﷺ - (ما ابتدع قوم بدعة إلا نزع الله عنهم من السنة مثلها) رواه الامام أحد - إلى أن قال: فالمشابهة والمحاكاة توجب مشابة ومحاكاة في الأمور الباطنة على وجه المسارقة والتدريج الخفي.. والمشاركة في الهدى الظاهر توجب أيضاً مناسبة وائتلافاً وإن بعد المكان والزمان.. فمشابهتهم في أعيادهم ولو بالقليل هي سبب لنوع ما من اكتساب أخلاقهم التي هي ملعونة. وقال رحمه الله. على قوله - ﷺ -: (من تشبه بقوم فهو منهم) وهذا الحديث أقل أحواله أنه يقتضي تحريم التشبه بهم. وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم كما في قوله: ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾ وهو نظير ما سنذكره عن عبد الله بن عمرو أنه قال: (من بني بأرض المشركين وصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت حشر معهم يوم القيامة) انتهى كلامه رحمه الله.

فانتبهوا لأنفسكم أيها المسلمون. واشكروا الله على ما هداكم إليه من هذا الدين وتمسكوا به ولا تبتغوا به بديلاً إن كنتم تريدون السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء. بعضهم أولياء بعض﴾ الآيات.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٨٥ خُطْبَةٌ

التحذير من الثقة بالكفار

الحمد لله الذي حذرنا من الركون إلى الكفار. لما فيه من الأضرار. وأشهد أن لا آله إلا الله يخلق ما يشاء ويختار. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد الأبرار. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه المهاجرين منهم والأنصار. وسلم تسليماً كثيراً. ما اختلف الليل والنهار. أما بعد أيها الناس اتقوا الله واعلموا أن الله سبحانه وتعالى حذرنا من الثقة بالكفار والاطمئنان إليهم. وبين لنا أنهم لا يريدون لنا الخير. وأنهم يبغضوننا أشد البغض. ويحسدوننا أشد الحسد. وأنهم لا يألون جهداً في انزال الضرر بنا والقضاء على ديننا وارجاعنا إلى الكفر. قال تعالى: ﴿ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم﴾ وقال تعالى: ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم﴾ وقال تعالى: ﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾ وقال تعالى: ﴿إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وأستنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون﴾ إلى غير ذلك من الآيات التي تحذر من وضع الثقة بالكفار وتبين مكائدهم. فما زال الكفار منذ بعثة رسول الله - ﷺ - ونزول القرآن يخططون للقضاء على الإسلام والمسلمين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴿ فهم تارة يحاولون القضاء على الإسلام بالغزو المسلح. وتارة يبتث الدسائس في صفوف المسلمين. وتارة بالمكر والخديعة واظهار

النصح والصدقة وهكذا كلما عجزوا من باب جاءوا من باب آخر وإذا لم يتمكنوا من انزال الضرر بمجاعة المسلمين حاولوا انزاله بافرادهم. هذا وديننا واضح كل الوضوح ببيان مكائدهم وفضح دسائسهم. لكن قد يصيبون من المسلمين غرة ويهتبلون منهم غفلة فيقذفون سمومهم في جسم الأمة الإسلامية فإذا تنبه المسلمون لهم ورجعوا إلى دينهم رد الله كيدهم في نحورهم وكفى المسلمين شرهم.

أيها المسلمون: وإن كيد الكفار للمسلمين في هذه الزمان قد تزايد. وتأثيرهم عليهم قد تضاعف نتيجة لغفلة المسلمين عنهم وتساهلهم في شأنهم ووضع الثقة فيهم. وهذا مصداق ما أخبر به النبي - ﷺ - بقوله: (يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها. قالوا أمن قلة نحن يا رسول الله. قال لا. أنتم يومئذ كثير. ولكنكم غثاء كغثاء) ومن تمام الابتلاء ما أعطى الكفار في زماننا هذا من مهارة في الاختراع والصناعة ومعرفة بنظام الحياة الدنيا مما حرم منه المسلمون نتيجة لتكاسلهم وتفككهم مع أن الأجدر أن يكون المسلمون هم السابقين في كل مجال لأن دينهم يأمرهم بذلك ويريد منهم أن يكونوا هم القادة ويكون الكفار تابعين لهم - كما كان أسلافهم كذلك. لكن حينئذ تخلى المسلمون عن مكانتهم في العالم وضيعوا دينهم ضاعوا وصاروا عالة على الكفار في كل شيء. فانتهز الكفار حاجة المسلمين إليهم فصاروا لا يعطونهم شيئاً مما بأيديهم إلا بدفع الثمن غالباً من دينهم وأموالهم وأوطانهم. وصار المسلمون يدفعون أولادهم إلى بلاد الكفار ليكسبوا من خبراتهم ويتعلموا في مدارسهم ما به يدفعون حاجة بلادهم في مجال الصناعة والتنظيم. هذا قصد المسلمين من ارسال أولادهم إلى الكفار. ولكن الكفار لهم مقصد يخالف قصد المسلمين. وهو افساد أولاد المسلمين وسلخهم من دينهم وتلقينهم الاحاد والزندقة واغراقهم في الشهوات المحرمة. حتى يرجع كثير منهم إلى بلادهم بلا دين ولا خلق. وبالتالي بلا تعلم مفيد - وهذا ما يريده الكفار بالمسلمين يريدون أن يبقوا بحاجة إليهم دائماً ويريدون أن يفسدوا أولاد المسلمين حتى

يصبحوا حربة في نحر المسلمين - وقد سنحت لهم الفرصة . وصدق الله العظيم ﴿ لا يألونكم خبالا ودواما عنتم ﴾ كم أرسل المسلمون أولادهم الأفواج تلو الأفواج فماذا استفادوا من تلك البعثات - لقد خسروا أولادهم ولم تسدد حاجتهم ولم يستغنوا عن الكفار.. أيها المسلمون: والأدنى من ذلك أن بعض المسلمين قد بلغ من ثقتهم بالكفار واحسان الظن بهم أن استقدموا منهم مربين ومربيات لأولادهم وأدخلوهم في بيوتهم وسلموهم أولادهم الصغار فانتهز هؤلاء المربون الفرصة ليغيروا فطرتهم وينشئوهم على دين الكفر أو يفسدوا أخلاقهم. وقد حصلت وقائع ومواقف لأولئك المربين مع أولاد المسلمين يلقتونهم دين النصارى ويحذرونهم من دين المسلمين ويغرسون فيهم عقائد الالحاد، وفريق آخر من المسلمين يستقدمون سائقين من الكفار لعوائلهم يدخلون بيوتهم ويخلون بنسائهم وأولادهم فما ظنكم بنتائج هذا العمل حينما مكنوا أعداءهم من أنفسهم وأطلعوهم على سرائرهم. والفريق الآخر من المسلمين يستقدم الكفار للعمل في متجره أو مؤسسته. حتى كثر عدد الكفار في بلاد المسلمين مصطحبين معهم عوائدهم وتقاليدهم الكفرية - أيها المسلمون تنبهوا لأنفسكم واتقوا الله في دينكم وأولادكم وبلادكم. من اضطر إلى استقدام مربيات أو خدمات أو استقدام عمال فليستقدم من المسلمين الصالحين وهم كثير. وخطرهم مأمون وعندهم من الخبرة والنصح ما ليس عند الكفار. واعلموا أنه لا يجوز استقدام النساء إلا مع محارمهن ولا يجوز للمسلم أن يخلو بامرأة وهو ليس محرما لها سواء كانت خادمة أو غير خادمة. فلا تتساهلوا في هذا الأمر فإنه خطير على أنفسكم وأولادكم وكفوا عن استقدام الأجانب إلا بقدر الضرورة مع الضوابط والضمانات التي تقي المسلمين خطرهم وضررهم. واسمعوا قول الله تعالى: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر﴾. الآية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٨٦ خطبة

في التحذير من مخالطة الأشرار

الحمد لله الذي أمر بمصاحبة الأخيار ونهى عن مصاحبة الأشرار. فقال: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا﴾ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له بين لعباده طرق الخير ليسلكوها. وبين لهم طرق الشر ليجتنبوها. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رغب في اختيار الجليس الصالح وحذر من جليس السوء - صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه وتمسك بستته إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد: عباد الله اتقوا الله واعلموا أن الإنسان في هذه الحياة لا يستطيع أن يعيش وحده في عزلة تامة عن الناس فهو بحاجة إلى مخالطتهم ومجالستهم. وهذا الاختلاط لا بد أن تكون له آثار حسنة أو قبيحة - حسب نوعية الجلساء والخلطاء. ومن هنا تضافرت نصوص الكتاب والسنة على الحث على اختيار الجليس الصالح والابتعاد عن الجليس السيء - قال الله تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾. وقال تعالى: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره - وأما ينسك الشيطان فلا تعقد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ وقال - ﷺ -: (مثل الجليس الصالح والجلس السوء كحامل المسك ونافع الكير - فحامل المسك أما

أن يهذبك وأما أن تبتاع منه . وأما أن تجد منه ريحا طيبة . ونافع الكبير
أما أن يخرق ثيابك وأما أن تجد منه ريحا خبيثة ﴿ متفق عليه .

أيها المسلم: اجعل هذا الحديث الشريف دائماً على بالك وأنت تخاطب
الناس في الأسواق والمجالس . وفي البيوت والمدارس . وفي المكاتب
والدوائر . وفي كل مجال تخاطب فيه الناس فاختر لصحبتك ومجالستك
ومشاركتك في مزاولة أي عمل . اختر الصالحين من الناس ليكونوا لك
جلساء وزملاء وشركاء وحاشية ومستشارين . فهذا الحديث الشريف يفيد
أن المجلس الصالح جميع أحوال صديقه معه خير وبركة ونفع ومغنم . مثل
حامل المسك الذي تنتفع بما معه اما بهبة أو ببيع أو أقل شيء تكون مدة
جلوسك معه قرير العين منشرح الصدر برائحة المسك - جلسك الصالح
يأمرك بالخير وينهاك عن الشر ويسمك العلم النافع والقول الصادق
والحكمة البالغة . ويعرفك عيوب نفسك ويشغلك عما لا يعنك . يجهد نفسه
في تعليمك وتفهمك . واصلاحك وتقويمك . إذا غفلت ذكرك . وإذا
أهملت أو مللت بشرك وانذرك . يحمي عرضك في مغيبك وحضرتك .
أولئك القوم لا يشقى بهم جليسهم . تنزل عليهم الرحمة فتشاركهم
فيها - وأقل ما تستفيده من المجلس الصالح - وهي فائدة لا يستهان
بها - أن تنكف بسببه عن السيئات والمعاصي رعاية للصحة ومنافسة في
الخير وترفعاً عن الشر - وفوائد الأصحاب الصالحين لا تعد ولا تحصى
وحسب المرء أن يعتبر بقرينه ، وأن يكون على دين خليله .

وصحبة الصالحين ينتفع بها حتى البهائم - كما حصل للكلب الذي كان
مع أصحاب الكهف فقد شملته بركتهم فأصابه ما أصابهم من النوم على
تلك الحال العجيبة وصار له ذكر وخبر وشأن . أما صحبة الأشرار فإنها
السم الناقع . والبلاء الواقع . فهم يشجعون على فعل المعاصي والمنكرات
ويرغبون فيها ويفتحون لمن جالسهم وخالطهم أبواب الشرور . ويسهلون له
سبل المعاصي . فقرين السوء إن لم تشاركه في اساءته أخذت بنصيب وافر

من الرضا بما يصنع . والسكوت على شره - فهو كناfox الكبير على الفحم الملوث . وأنت جليسه القريب منه يحرق بدنك وثيابك ويملاء أنفك بالروائح الكريهة . وفي مجالس الشر تقع الغيبة والنميمة والكذب والشم والكلام الفاحش ويقع اللهو واللعب وممالة الفساق على الخوض في الباطل فهي ضارة من جميع الوجوه لمن صاحبهم . وشر على من خالطهم .. فكم هلك بسببهم أقوام . وكم قادوا أصحابهم إلى المهالك من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون .

واليكم : واقعتين ومأساتين حصلتا بسبب صحبة الأشرار - الواقعة الأولى : ورد أن عقبة بن أبي معيط كان يجلس مع النبي - ﷺ - بمكة ولا يؤذيه وكان بقية قريش إذا جلسوا معه يؤذونه . عليه الصلاة والسلام . وكان لابن أبي معيط خليل كافر غائب في الشام . فظنت قريش أن ابن أبي معيط قد أسلم فلما قدم خليله من الشام وبلغه ذلك غضب عليه غضباً شديداً وأبى أن يكلمه حتى يؤذي النبي - ﷺ - فنفذ ما طلب منه خليله الكافر وأذى النبي - ﷺ - فكانت عاقبته أن قتل يوم بدر كافراً . وأنزل الله فيه قوله تعالى : ﴿ ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا . يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا . لقد أضلني عن الذكر بعد إذا جائني وكان الشيطان للإنسان خذولاً ﴾ . وهي عامة في كل من صاحب الظلمة فأصلوه عن سبيل الله فإنه سيندم يوم القيامة على مصاحبتهم وعلى الاعراض عن طريق الهدى الذي جاء به الرسول - ﷺ - .

الواقعة الثانية : روى البخاري ومسلم عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله - ﷺ - وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل . فقال له يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقالا له أترغب عن ملة عبد المطلب فأعاد عليه النبي - ﷺ - فأعادا فكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله فقال النبي - ﷺ - لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فأنزل الله عز

وجل: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى﴾ - الآية. وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين﴾ ففي هذه الواقعة التحذير الشديد من مصاحبة الأشرار وجلساء السوء - وفي يوم القيامة يقول القرين لقرينه من هذا الصنف: ﴿ياليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين﴾ ألا فانتبهوا يا عباد الله لأنفسكم وجالسوا أهل البر والتقوى وخالطوا أهل الصلاح والاستقامة. وابتعدوا وأبعدوا أولادكم عن مخالطة الأشرار ومصاحبة الفجار - خصوصاً في هذا الزمن الذي قل فيه الصالحون وتلاطمت فيه أمواج الفتن. فإن الخطر عظيم. والتمسك بدينه غريب بين الناس وقد وقع ما أخبر به النبي - ﷺ - بقوله بدأ الإسلام غربياً وسيعود غربياً كما بدأ فطوى للغرباء - قيل ومن الغرباء يا رسول الله قال الذين يصلحون إذا فسد الناس - وفي رواية يصلحون ما أفسد الناس - وفي رواية هم النزاع من القبائل. فتنبهوا لذلك وفقم الله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون. الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين. يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون. الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين. ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون. يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون. وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون. لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٨٧ خطبة

في التحذير من التشبه بالكفار

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام ديناً وجعلنا خير أمة أخرجت للناس إن تمسكنا بشرعه وسرنا على نهجه وابتعدنا عما يخالفه . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في عبادته كما أنه ليس له شريك في ملكه . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله حذر من التشبه بالكفار لما فيه من الضرر في الدين والدنيا - فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن سار على نهجه تمسك بسنته إلى يوم الدين .

أما بعد: أيها المسلمون اتقوا الله واعلموا أن الواجب على المسلم أن يعتز بإسلامه ويشرف بدينه لأن دينه الإسلام الذي يعملو ولا يعلى عليه وقد أظهره الله على الدين كله . تعاليمه رشد وآدابه كمال ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ فلا بد أن يعرف المسلم نبيه حق المعرفة وما جاء به ويصدقه فيما أخبر به ويطيعه فيما أمر فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة إلا على أيدي الرسل ولا سبيل إلى معرفة الطيب من الخبيث على التفصيل إلا من جهتهم ولا ينال رضا الله إلا على أيديهم فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق كله في هديهم وما جاءوا به . فهم الميزان الذي توزن به الأعمال والأقوال والأخلاق ، قال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ .

فما بال أقوام ينتسبون إلى هذا الدين ثم يخالفونه في أخلاقهم وعاداتهم فيتشبهون بالكفار في شتى المجالات عن عمد واصرار. وقد روى أبو داود الحاكم في المستدرک عن ابن عمر عن النبي - ﷺ - أنه قال (من تشبه بقوم فهو منهم). وفي الترمذي عنه - ﷺ - (ليس منا من تشبه بقوم غيرنا) إن التشبه بالكفار في الظاهر يدل على مودتهم في القلب وذلك ينافي الايمان قال تعالى: ﴿لا تجد قوماً عن يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾. إن التشبه بالكفار تنكر للإسلام واستبدال لتعاليمه بغيرها وكفى بذلك ذماً وانما .

أيها المسلمون: إن مما يندي له الجبين ويحزن له القلب ما تنفسي في مجتمعنا من أنواع التشبه بالكفار بين الرجال والنساء والشباب .

فمن أنواع التشبه بالكفار الفاشية بين الرجال حلق اللحاء وتوفير الشوارب فراراً من سنة رسول الله - ﷺ - الثابتة عنه فلقد كان من هديه الكامل وأخلاقه اعفاء اللحية وجز الشارب أو قصه قال جابر ابن سمرة رضي الله عنه كان النبي - ﷺ - كثير شعر اللحية لأنه - ﷺ - كان يعني لحيته. وكذلك الأنبياء الكرام قبله فقد ذكر الله تعالى عن هرون أنه قال لموسى: ﴿يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي﴾ وقد أمر النبي - ﷺ - بتوفير اللحية واحفاء الشوارب ففي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي - ﷺ - قال: (وفروا اللحي وأحفوا الشوارب) فتمسكوا أيها المسلمون بهدى نبيكم - ﷺ - فهو خير لكم في الدنيا والآخرة .

يا من تحلقون لحاكم وتوفرون شواربكم اعلموا أنكم قد عصيتم نبيكم - ﷺ - فبادروا بالتوبة فالرجوع إلى الحق خير من التادي في الباطل - إنكم ربما تنظرون إلى أناس يحلقون لحاهم فتريدون مجاراتهم - وهذا استسلام للهوى وضعف في الايمان لأن الذي يجب

الافتداء به وهو رسول الله - ﷺ - وهذه سنته في اللحية واضحة وضوح الشمس فلا عذر لمن تركها. ربما يظن بعض الناس أن قضية توفير اللحية أو حلقتها من الأمور العادية التي يتبع فيها عادة الناس وهذا ظن باطل - لأن النبي - ﷺ - أمر بتوفير اللحي - وأمره واجب الامتثال وإن خالفه عادات الناس. وإن التمسك بالسنة مع كثرة المخالفين لها دليل على صدق الإيمان وقوة العزيمة. وشهامة الرجولة. ومن استبانت له سنة الرسول - ﷺ - لم يكن له أن يدعها. لأجل الناس.

ومن أنواع التشبه بالكفار ما ابتلى به كثير من شباب المسلمين من ابقاء الشعور واطالة الأظافر وغيرها تقليداً لسفلة العالم المسمين الهيبين والخنفس؛ وجاعة من الشباب ابتلوا بالميوعة وتقليد النساء في النعومة ولبس خواتم الذهب المحرمة والتحلي بالسلاسل وغيرها.

فيا شباب المسلمين لا يجرفنكم سيل المدنية الحديثة الخبيثة. ولا يصرفنكم الشيطان عن صفات الرجولة والشجاعة لا تشبهوا بالنساء في تصفيف الشعر وتنسيق الثياب. انه لا يبالغ في الزينة والعناية بجسمه وثوبه ومركوبه وفراشه ألا مترف لين. لأن الرجل خشن بطبعه وكل ما تلين خفت رجولته ونقصت ذكوريته وعجز عن الكفاح والقيام بما خلق له في معترك الحياة. فرجل العمل لا يشغل وقته بما أصيب به كثير من شباب اليوم الذين لا يخرجون إلى أعمالهم - إن كانت لهم أعمال - إلا بعد أن يمضي ساعة تحت المرأة يخلي وجهه من اللحية ويسرح شاربه وشعر رأسه فيالله أين الرجولة والشهامة. وأين الدين والاستقامة، ومن لنا بشباب الصحابة الذين هم عباد في الليل أسود في النهار.

أيها الشباب خلقتم لتخلفوا آباءكم في الذود عن الدين والجهاد في سبيل الله والحفاظ على المحارم وحماية الذمار والدفاع عن الديار - فكونوا خير خلف لخير سلف. وتسلموا مسئوليتكم بقوة. فلستم كشباب الكفار الضائع الذي لا دين له يدافع عنه ولا عرض له يصونه، ولا كرامة يحافظ عليها.

ومن أنواع التشبه بالكفار ما ابتلى به كثير من نساء المسلمين من التشبه بالكافرات في لباسهن وسمتهن فيلبسن ثيابا لا تسترهن أما لقصرها بحيث تظهر السيقان والأذرع والأعضاء والنحور والصدور. أو ثيابا ضيقة تصف حجم الجسم وتقاطيعه وتظهر مفاتنه. يضاف إلى ذلك التساهل في كشف الوجوه أو سترها بساتر خفيف لا يخفي لونها ولا يستر جلدتها. وكذلك ما يفعلن برؤسهن من جمع شعورهن وربطها من فوق متدلّة إلى القفا. وقد ثبت عن النبي - ﷺ - أنه قال: (صنفان من أهل النار لم أرهما بعد. قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء ماثلات مميلات رؤسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا).

أيها المسلمون: قال الله تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ فقوموا على نساءكم من زوجات وبنات وأخوات وسائر المولات امنعوهن مما حرم الله وألزموهن بما أمر الله - ﴿قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة﴾.

أيها المسلمون: تجنبوا مشابهة الكفار واقتدوا بنبيكم فهو القدوة الحسنة ولا تتساهلوا في هذا الأمر - ادرسوا سيرة نبيكم - ﷺ - وقلدوه فيها فإنها طريق السعادة والرقى والفلاح.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٨٨ خطبة

في خطر السفر الى بلاد الكفر

الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام. وأمرنا التمسك به حتى نصل إلى دار السلام. وأشهد أن لا آله الا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. حذرنا عن كل ما يضر بديننا أو يمس كرامته من الأقوال والأفعال. ليكون لنا هذا الدين عزاً في الدنيا وسعادة في الآخرة. فصلى الله وسلم على هذا النبي الكريم الذي لم يترك خيراً إلا دل الأمة عليه. ولا شراً إلا حذرنا منه رحمة بها ونصحا لها. فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير ما يجزى به نبيا عن أمته ودينه.

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله واحتفظوا بدينكم. أيها المسلمون: إنكم تعلمون اليوم ما تموج به البلاد الخارجية الكافرة من كفر والحاد وانحطاط في الأخلاق والسلوك. فالاحاد فيها ظاهر. والفساد فيها منتشر. فالخمر والزنا والاباحية وسائر المحرمات مبذولة بلا رادع ولا وازع. وإذا كان الحال كذلك وأكثر منه فالسفر إلى هذه البلاد فيه من الخطورة على الدين ما فيه. وأعز شيء لدى المسلم دينه فكيف يعرضه لهذا الخطر الشديد - إن الإنسان لو كان معه مال وسمع أنه سيعترضه خطر يهدده بضياح هذا المال لرأيته يعمل أعظم الاحتياطات لحفظه. فكيف يعظم في عينه المال ويهون عليه الدين. قال بعض السلف: إذا عرض بلاء فقدم مالك دون نفسك. فإن تجاوز البلاء فقدم نفسك دون دينك... نعم يجب

تقديم النفس دون الدين . ولذلك شرع الجهاد الذي فيه القتل حفاظاً على الدين . لأن الإنسان إذا فقد الدين فقد فقد كل شيء . وإذا أعطى الدين فقد أعطى السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة .

أيها المسلمون: إن السفر إلى بلاد الكفار خصوصاً في هذا الزمان الذي عظمت فيه الفتنة وتنوعت - إن السفر إلى تلك البلاد لا يجوز إلا في حالات محدودة تصل إلى حد الضرورة مع التحفظ والحذر والابتعاد عن مواطن الفساد . وتكون إقامة المسلم هناك يقدر الضرورة مع اعتزازه بدينه واطهاره . ومحافظته على الصلوات في أوقاتها .. واعتزاله عن مجتمعات الفساد . وجلساء السوء . فاعتزاز المسلم بدينه يزيده عزاً ورفعة حتى في أعين الكفار . إن المسلم يحمل ديناً عظيماً يشتمل على كل معاني الخير وحيد الخصال . صحة في الاعتقاد . ونزاهة في العرض . واستقامة في السلوك . وصدقاً في المعاملة . وترفعاً عن الدنايا . وكمالاً في الأخلاق . إن المسلم يحمل الدين الكامل الذي اختاره الله لأهل الأرض . كلهم إلى أن تقوم الساعة - إن المسلم هو المثال الصحيح للكمال الإنساني ... وإن ما عدا الإسلام فهو انحطاط وهبوط ورجوع بالانسانية إلى مهاوي الرذيلة ومواطن الهلاك . فيجب على المسلم إذا اضطر إلى السفر إلى تلك البلاد الكافرة أن يحمل هذا الدين بقوة وأن يظهره بشجاعة أمام أعدائه والذين يجهلون حقيقته بالمظهر اللائق حتى يكون قدوة صالحة لغيره . إن كثيراً ممن يذهبون إلى تلك البلاد يشوهون الإسلام بأفعالهم وتصرفاتهم . يشوهونه عند من لا يعرف حقيقته . ويصدون عنه من يتطلع إليه . ويريد الدخول فيه . فحينما يرى تصرفات هؤلاء ينفر عن الإسلام ظناً منه أنهم يمثلونه .

أيها المسلمون: إن بلاد الكفار فيها من مظاهر الحضارة الزائفة ودواعي الفتنة ما يخدع ضعاف الإيمان فتعظم تلك البلاد وأهلها في صدورهم وتهمون في أنظارهم بلاد الإسلام . ويحتقرون المسلمين . لأنهم ينظرون إلى المظاهر ولا ينظرون إلى الحقائق - فبلاد الكفر وإن كانت

تكسي بالمظاهر البراقة الخادعة إلا أن أهلها يفقدون أعز شيء وهو الدين الصحيح الذي به تطمئن قلوبهم وتزكوا به نفوسهم وتصان به أعراضهم وتحقق به دماؤهم وتحفظ به أموالهم - إنهم يفقدون كل تلك المقومات فماذا تفيدهم تلك المظاهر الخادعة . عقائدهم باطلة . وأعراضهم ضائعة . وأسرهم متفككة . فماذا يفيد جمال البنيات مع فساد الإنسان .

أيها المسلمون: إن أعداءكم يخططون الخطط لسلب أموالكم وافساد دينكم والقضاء عليكم . قال تعالى: ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق﴾ . وقال تعالى: ﴿ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم﴾ وقال تعالى: ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم أن استطاعوا﴾ . وقال تعالى: ﴿ودوا لو تفكرون كما كفروا فتكونون سواء﴾ .. إنكم إذا سافرتهم اليهم في بلادهم تمكنوا من اغوائكم واغرائكم بشتى الوسائل حتى يسلبوكم دينكم أو يضعفوه في نفوسكم .. إنهم بثوا دعوة لشباب المسلمين في الصحف اعلنوا لهم فيها عن تسهيل رحلات سياحية إلى بلادهم ووعدوهم أن يبذلوا لهم كثيراً من المغريات .. وغرضهم من ذلك إفساد هؤلاء الشباب واغراقهم في بحار الشهوات البهيمية حتى يرجعوا إلى بلاد المسلمين معاول هدم وتخريب فيتمكن هؤلاء الكفار من القضاء على المسلمين بأيدي أولادهم .

أيها المسلمون: إنه لمن المحزن أن أصبح السفر إلى بلاد الكفار موضع افتخار بعض المخدوعين من المسلمين فيفتخر أحدهم بأنه ابتعث أو سيبعث إلى أمريكا أو أن له ولداً يدرس في أمريكا أو في لندن أو فرنسا . إنه يفتخر بذلك دون تفكير في العواقب أو تقدير للنتائج . ودون تحسب لتلك الأخطار التي تهدد دينه .. وبعض المسلمين يسافرون بعوائلهم للمصيف هناك أو للسياحة . دون اعتبار لحكم الشرع في ذلك السفر هل يجوز أولاً .. ثم إذا ذهبوا هناك ذابت شخصيتهم مع الكفار فلبسوا

لباسهم واقتدوا بأخلاقهم حتى نساؤهم يخلعن لباس الستر ويلبسن لباس الكافرات.. وإذا كان هذا تحول الظاهر فما بالك بتحول الباطن. إن المسلم مطلوب منه أن يتقي الله في أي مكان. وأن يتمسك بدينه ولا يخاف في الله لومة لائم. لماذا يعطي الدنيّة في دينه. إنه دين العزة والكرامة والشرف في الدنيا والآخرة. ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾. وإن أخلاق الكفار وتقاليدهم ذلة ومهانة ونقص. فكيف يستبدل المسلم الذي هو أدنى بالذي هو خير. كيف يتنازل من عليائه إلى الخفيل.. ومن العجيب أن الكفار إذا جاءوا إلى بلاد المسلمين لا يغيرون أزياءهم ولا يتحولون عما هم عليه. ونحن على العكس إذا ذهبنا إليهم فالكثير منا يتحول إلى عاداتهم في لباسهم وغيره.. والبعض يتعلل بأنه لو لم يفعل ذلك لخشى على نفسه أو ماله أن يتعدى عليه. وهذا اعتذار غير مقبول. لأننا نرى الذين يبقون بلباسهم ويعتزون بدينهم يرجعون وهم موفوروا الكرامة لا ينالهم أي أذى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾ ولئن قبلت هذه المعذرة من بعض الأفراد الذين لا يحسب لهم حساب. فلن تقبل ممن هم على مستوى المسئولية ومن يكونون محل اهتمام الدول التي يقدمون عليها ومع هذا يغيرون لباسهم من غير مبرر.. إنه التقليد الأعمى وعدم المبالاة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أيها المسلمون: إن خطر السفر إلى بلاد الكفار عظيم وضرره جسيم وإن من سافر إلى تلك البلاد من غير ضرورة. بل بدافع الهوى وميل النفس الأمارة بالسوء. واقتداء بمن لا يصلحون للقدوة فهذا حريٌّ أن يعاقب وأن يصاب في دينه. وبعض الناس يرسل أولاده الصغار أو بعضهم أو يسمح بابتعائهم إلى بلاد الكفار ليتعلموا اللغة أو غيرها هناك دون تفكير في العواقب ولا تقدير للنتائج ودون خوف من الله الذي حمله مسئولية هؤلاء الأولاد. وإذا كان الأولاد الصغار على خطر وهم في بلادنا وبين المسلمين فكيف إذا أرسلوا إلى بلاد كافرة منحلة وعاشوا في أوكار

الفساد . ومواطن الاحاد . إن الشاب من أولادنا المبتعثين يغمس في وسط عائلة كافرة ليعيش معهم طيلة بقائه هناك . فهاذا تصورون من شاب غريب في وسط كافر منحل ماذا سيبقى معه من الدين والخلق . فاتقوا الله في أولادكم لا تهلكوهم بحجة أنهم سيتعلمون . إن التعلم ميسور هنا . فاللغة يمكن تعلمها هنا بدون مخاطرة . وبقية التخصصات لا يبتعث لها إلا من كبار السن ومن الذين رسخت عقيدتهم وقويت عقليتهم . مع الرقابة الشديدة عليهم . فالدين رأس المال . وماذا بعد ذهاب الدين . واتقوا الله أيها المسلمون وأشكروه على ما أعطاكم من النعم العظيمة التي أجلها نعمة الإسلام فلا تعرضوا هذه النعمة للزوال . حافظوا على دينكم الذي هو عصمة أمركم ﴿واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾ .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون﴾ .

حكم ومواعظ توجب شكر رب العالمين

مختار من كلام أحد العلماء

رحمه الله تعالى

باب

في حكمة خلق الماء

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾ .
وقال سبحانه : ﴿ فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها
إله مع الله بل هم يعدلون ﴾ .

انظر وفقك الله إلى ما مَنَّ به سبحانه وتعالى على عباده بوجود الماء العذب
الذي به حياة كل ما على وجه الأرض من حيوان ونبات ، فلو اضطر الإنسان
إلى شربة منه ومنع لهان عليه أن يبذل فيها جميع ما يمكنه من خزائن الدنيا .
والعجب ما غفله العباد عن هذه النعمة العظيمة ، وانظر مع شدة الحاجة إليها
كيف وسع سبحانه على العباد فيها ؟ ولو جعلها بقدر لَصَاقَ الأمرُ فيها . وعظم
الخرج على كل من سكن الدنيا .

ثم أنظر لطاقة الماء ورقته حتى ينزل من الأرض ويخلخل أجزائها فتتغذى
عروق الشجر ، ويصعد بلطفاته بواسطة حرارة الشمس إلى أعالي الشجر
والنبات ، وهو من طبعه المهبوط . ولما كانت الضرورة تدعو إلى شربه لإماعة
الأغذية في أجواف الحيوان ليتصرف الغذاء إلى موضعه جعل لشاربه في شربه
لذة عند حاجته إليه وقبوله له ، ويجد شاربه فيه نعيماً وراحة وجعله مزيلاً
للأدران عن الأبدان ، والأوساخ عن الثياب وغيرها ، وبالماء يَيْسَلُ الثَّرابُ

فيصلح للبناء والأعمال ، وبه يُرطَّبُ كل يابس مما لا يمكن استعماله يابساً ،
وبه ترق الأشربة فيسوغ شربها ، وبه تطفأ عاذبة النار إذا وقعت فيها ، فلا
تلتهب فيه ، وأشرف الناس منها على ما يكرهون ، وبه تزول الغصة إذا أشرف
صاحبها على الموت ، وبه يغتسل التعب الكل فيجد الراحة لوقته ، وبه تستقيم
المطبوخات وجميع الأشياء التي لا تستعمل ولا تصلح إلا رطبة ، إلى غير ذلك
من مآرب العباد التي لا غنى لهم عنها .

فانظر في عموم هذه النعمة وسهولة تناولها مع الغفلة عن قدرها مع شدة
الحاجة إليها ، فلو ضاقت لكدرت الحياة في الدنيا ، فعلم بهذا أن الله تبارك
وتعالى أراد بإنزاله وتيسيره عمارة الدنيا بما فيها من حيوان ونبات ومعدن إلى
غير ذلك من المنافع التي يقصر عنها الوصف لمن يروم حصرها ، فسبحان
المتفضل العظيم .

باب الحكمة في خلق الهواء

قال الله تعالى : ﴿ وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين ﴾ (١) .

اعلم رحمك الله أن الهواء في خلقه تتخلله الرياح ، ولولا ذلك هلك جميع حيوان البر ، وباستنشاقه تعادل الحرارة في أجسام جميع الحيوانات لأنه لها مثل الماء لحيوان البحر ، فلو انقطع عن الحيوان استنشاقه انصرفت الحرارة التي فيها إلى قلبها ، فكان هلاكها بسبب ذلك .

ثم انظر إلى الحكمة في سوق السحاب به ، فيقطع المطر بانتقال السحاب في موضع يحتاج إلى المطر فيها للزراعة ، فلولا لطف الباري بخلق الرياح لثقلت السحاب وبقيت راكدة في أماكنها ، وامتنع انتفاع الأرض بها .

ثم أنظر كيف تسير السفن بها وتنتقل بحدوثها وهبوبها فتحمل فيها من أقاليم إلى أقاليم مما لا يخلق تلك الأشياء فيها فينتفع أهلها ، فلولا تنقلها بالهواء لم تكن تلك الأشياء إلا بمواضعها التي خلقت فيها خاصة ، ولعسر نقلها بالدواب إلى غيرها من الأقاليم ، وللعباد ضرورات تدعو إلى ما ينقل إليهم مما ليس يخلق عندهم ، ومنافع يكثر تعدادها من طلب أرباح لمن يجلبها ويعلم فوائدها .

ثم انظر إلى ما في الهواء من الطاقة والحركة التي تتخلل أجزاء العالم فينفي بحركته عن الأرض ، فلولا لعفنت المساكن وهلك الحيوان بالبواب والعلل .

(١) سورة : الحجر ، الآية : ٢٢ .

ثم انظر إلى ما يحصل منه من النفع في نقل السواقي والرمال إلى البساتين وتقوية أشجارها بما ينتقل إليها من التراب بسبب حركة الهواء وتستتر وجوه جبال بالسافي ، فيمكن الزراعة فيه وما فصل إلى السواحل مما ينتفع الناس بسببه ، وكل ذلك بحركة البحر بالهواء ، فيقذف البحر العنبر وغيره مما ينتفع به العباد في أمورهم .

ثم أنظر كيف يتفرق المطر بسبب حركة الهواء فيقع على الأرض قطرات ، فلولاً حركة الهواء لكان الماء عند نزوله ينزل انصبابه واحدة فيهلك ما يقع عليه ، ثم يجتمع بلل القطرات فيجتمع أنهاراً وبحاراً على وجه الأرض من غير تضرر ويحصل بذلك مقصودهم على أحسن وجه .

فانظر إلى أثر رحمة الله ، فسبحان اللطيف بخلقه المدبر للملكه .

ثم انظر عموم هذه الرحمة وعظم نفعها ، وشمول هذه النعمة وجليل قدرها كما نبه العقول عليها بقوله تعالى : ﴿ هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شرابٌ ومنه شجر فيه تسيمون ﴾ * ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ .

ثم من تمام النعمة وعظيم الحكمة أن جعل سبحانه الصحو يتخلل نزول الغيث ، فصاراً يتعاقبان لما فيه صلاح هذا العالم ، فلو دام واحد منهما عليه لكان فساداً .

ألا ترى إلى الأمطار إذا توالى وكثرت عفنت البقول والخضروات ، وهدمت المساكن والبيوت ، وقطعت السبل ، ومنعت من الأسفار وكثير من الحرف والصناعات ، ولو دام الصحو لجفت الأبدان والنبات ، وعفن الماء الذي في العيون والأودية ، فأضر ذلك بالعباد ، وغلب اليبس على الهواء فأحدث ضرراً آخر من الأمراض ، وغلت بسببه الأسعار من الأقوات ، وبطل المرعى ، وتعذر على النحل ما يجده من الرطوبة التي يرعاها على الأزهار ، وإذا تعاقبا على العالم اعتدل الهواء ، ودفع كل واحد منهما ضرر الآخر ، فصلحت الأشياء واستقامت ، وهذا هو الغالب من مشيئة الله .

فإن قيل : قد يقع من أحدهما ضرر في بعض الأوقات .

قلنا : قد يكون ذلك لتنبية الإنسان بتضاد الأشياء على نعمة الله تعالى وفضله ورحمته انه هو الغالب ، فيحصل لهم بتلك انزجار عن الظلم والعصيان ، ألا ترى من سقم جسمه احتاج إلى ما يلائمه من الأدوية البشعة الكريهة ليصلح جسمه ويصح ما فسد منه ، قال الله : ﴿ ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير ﴾

شِعْرَا

رَفَعْتَ عَرْشَكَ فِي الدُّنْيَا وَتَهْتَّ بِهٖ
وَبِتَّ فِيهَا عَلَى فُرْشٍ مُّلَيَّةٍ
وَوَظَلْتَ تَسْعَى لِأَمَالٍ وَتَفْرَشُهَا
كَمْ كَانَ قَبْلَكَ مِنْ مَّأْسُورٍ رَغْبَتِهِ
يَمْسِي وَيُصْبِحُ فِي حِلْرِ وَفِي ظَعْنِ
عَطْشَانَ لِلْمَالِ مُحَمَّاهُ جَوَانِحُهُ
حَتَّى إِذَا قِيلَ قَدْ تَمَّتْ مَطَالِبُهُ
مَدَّتْ إِلَيْهِ يَدٌ لِلْمَسُوتِ بَاطِشَةٌ
فَقَصَّعَتْهُ وَقَدْ كَانَ ذَا جِيدٍ
فَبَاتَ مُسْتَلَبًا وَبَاتَ وَارِثُهُ
أَمَّا سَمِعْتَ بِأَمْلَاكِ مَضُوزٍ قَدْ
إِنْ دُوِفُوا دَفَعُوا أَوْ زُوِجُوا زَحَمُوا
جَاءَتْهُمْ مَوَا وَجُنُودُ اللَّهِ غَالِبَةٌ
فَضَعُضِعَتْ جَنَابَاتُ عِزِّهِمْ وَرَمَتْ
لَطَالَمَا أَكَلُوا وَطَالَ مَا شَرَبُوا
مَرُّوا وَلَا أَثَرَ مِنْهُمْ بِدَارِهِمْ
قَدْ كَانَ لِلْقَوْمِ آمَالٌ مَبْسُوطَةٌ

وَمَا بِهَا لِلْيَبِّ تُرْفَعُ الْعُرُشُ
وَلَوْ عَقَلْتَ لَمَّا لَأَنْتَ لَكَ الْفُرُشُ
وَالْمَوَارِثُ مَا تَسْعَى وَتَفْتَرِشُ
بِالْحِرْصِ تُلَدِّغُ جَنْبَاهُ وَتُنْتَهَشُ
يَضُمُّ هَذَا إِلَى هَذَا وَيَخْتَوِشُ
أَلْقَى عَلَى صَدْرِهِ لِسَانَهُ الْعَطَشُ
وَطَافَ مِنْ حَوْلِهِ أَهْلُوهُ وَاحْتَوَشُوا
خَشِنَاءُ لَا دَهْشَ فِيهَا وَلَا رَعَشُ
وَأَجْهَشْتُهُ وَلَمَّا يَدْرِ مَا الْجَهْشُ
وَقَدْ تَعَطَّوْا بِذَلِكَ الْمَالِ وَافْتَرَشُوا
شُمُو الْأَنْثُوفِ بِرُوضِ الْمُلْكِ قَدْ عَرَشُوا
أَوْ غَوَّيُوا غَلَبُوا أَوْ بُوْطِشُوا بَطِشُوا
كَتَائِبُ لِلْمَنَايَا كُلِّهَا حَبَشُ
مَنَارُهُمْ بِظُلَامٍ مَا بِهِ غَبَشُ
وَطَالَ مَا رَفَعُوا الْآجَامَ وَاعْتَرَشُوا
وَلَا حَسِينَسٌ وَلَا رِكْزٌ وَلَا وَقَشُ
فَأَصْبَحُوا قَبْضُوا الْأَمَالِ وَأَنْكَشُمُوا

باب في حكمة خلق النار

قال الله تعالى : ﴿ أفأرأيتم النار التي تورون * أنتم أنشأتم شجرها أم نحن المنشئون * نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين * فسبح باسم ربك العظيم ﴾ اعلم وفقنا الله وإياك ، أن الله خلق النار ، وهى من أعظم النعم على عباده ، ولما علم الله سبحانه وتعالى أن كثرتها وشها في العالم مفسدة جعلها الله بحكمته محصورة ، حتى إذا احتيج إليها وجدت واستعملت في كل أمر يحتاج إليها فيه ، فهي مخزونة في الأجسام ، ومنافعها كثيرة لا تحصى : فمنها ما تصلحه من الطبائخ والأشربة التي لولاها لم يحصل فيها نضج ولا تركيب ولا اختلاط ، ولا صحة هضم لمن يستعملها في أكل وشرب .

فأنظر لطف الباري سبحانه في هذا الأمر المهم ، ثم انظر فيما يحتاج الناس إليه من الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقصدير وغير ذلك ، فلولها لم يكن شيء من الانتفاع من هذه الأشياء ، فيها يذاب النحاس ، فتعمل منه الأواني وغيرها ، وقد نبه الله تعالى على مثل ذلك بأنها نعمة توجب الشكر ، فقال تعالى : ﴿ اعملوا آل داود شكراً ﴾ .

وبه يلين الحديد فيعملون به أنواعاً من المنافع والآلات للحروب ، مثل الدروع ، والسيوف إلى غير ذلك مما يطول تعدادها ، وقد نبه الله تعالى على مثل هذا ، فقال : ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ﴾ .
ومنه يعمل آلات للحرث والحصاد وآلات تتأثر بها النار ، وآلات يطرق بها ،

وآلات لقطع الجبال الصمّ ، وآلات لنجارة الأخشاب مما يكثر تعدادها ، فلولا لطف الله سبحانه بخلق النار لم يحصل من ذلك شيء من المنافع ، ولولاها لما كان يتيها للخلق من الذهب والفضة نقود ولا زينة ولا منفعة ، وكانت هذه الجواهر معدودة من جملة الأتربة .

ثم أنظر إلى ما جعل الله تعالى في النار من الفرح والتروح عندما تغشى الناس ، ظلمة الليل ، كيف يستضيئون بها ، ويهتدون بنورها في جميع أحوالهم من أكل وشرب ، وتمهيد مراقد ، ورؤية ما يؤذيهم ، وموانسة مرضاهم ، وقصدها ، والعمل عليها براً وبحراً ، فيجدون بوجودها أنساً ، حتى كأن الشمس لم تغب عن أفقهم ، ويدفعون بها ضرر الثلوج والرياح الباردة ، ويستعينون بها في الحروب ومقاومة حصون لا تملك إلا بها .

فانظر ما أعظم قدر هذه النعمة التي جعل سبحانه حكمها بأيديهم إن شاءوا حزنوها ، وإن شاءوا أبرزوها .

باب في حكمة خلق الإنسان

قال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سُلالة من طين ﴾ إلى آخر ما وصفه سبحانه .

اعلم وفقك الله تعالى ، أن الله عز وجل لما سبق في علمه خلق الخلق وبهم في هذا الدار ، وتكليفهم فيها للبلوى والاختيار ، خلقهم سبحانه متناسلين بعضهم من بعض ، فخلق سبحانه الذكر والأنثى ، وألقى في قلوبهم المحبة والدواعي حتى عجزوا عن الصبر وعدم الحيلة في اجتناب الشهوة ، فساقتهم الشهوة المفطورة في خلقهم إلى الاجتماع ، وجعل الفكرة تحرك عضواً مخصوصاً به إلى إيداع الماء في القرار المكين الذي يخلق في الجنين ، فاجتمعت فيه النطفة من سائر البدن ، وخرجت ماء دافقاً مندفعاً من بين الصلب والثرائب بحركة مخصوصة ، فانتقلت بسبب الإفلاج من باطن إلى باطن ، فكانت مع أنتقالها باقية على أصلها ، لأنها ماء مهين ، أدنى شيء يياشرها يفسدها ويغير مزاجها ، فهي ماء يختلط جميعه ، مستوية أجزاؤه ، لا تفاوت فيها بحال ، فخلق سبحانه منه الذكر والأنثى بعد نقلها من النطفة إلى العلقة إلى المضغة إلى العظام .

ثم كساها اللحم ، وشدها بالأعصاب والأوتار ونسجها بالعروق ، وخلق الأعضاء وركبها ، فلور سبحانه الرأس ، وشق فيها السمع والبصر والأنف والفم وسائر المنافذ جعل العين للبصر .

ومن العجائب سر كونها مبصرة للأشياء ، وهو أمر يعجز عن شرح سره وركبها من سبع طبقات ، لكل طبقة صفة وهيئة مخصوصة بها ، فلو فقدت طبقة منها أو زالت لتعطلت عن الأبصار .

وانظر إلى هيئة الأشفار التي تحيط بها ، وما خلق فيها من سرعة الحركة لتقي العين مما يصل إليها بما يؤذيها من غبار وغيره ، فكانت الأشفار بمنزلة باب يفتح وقت الحاجة ويغلق في غير وقتها ، ولما كان المقصود من الأشفار جمال العين والوجه جعل شعرها على قدر لا يزيد زيادة تضرّ بالعين ولا تنقص نقصاً يضر بها ، وخلق في مائها ملوحة لتقطع ما يقع فيها ، وجعل طرفيهما منخفضين عن وسطهما قليلاً لينصرف ما يقع في العين لأحد الجانبين ، وجعل الحاجبين جمالاً للوجه ، وسترّاً للعينين وشعرهما يشبه الأهداب في الزيادة المشوّهة ، وجعل شعر الرأس واللحية قابلاً للزيادة والنقص ، فيفعل فيهما ما يقصد به الجمال من غير تشويه .

ثم أنظر إلى الفم واللسان وما في ذلك من الحكم ، فجعل الشفتين سترّاً للفم ، كأنهما باب يغلق وقت ارتفاع الحاجة الى فتحه ، وهو ستر على اللثة والأسنان مفيد للجمال ، فلولاهما لتشوهت الخلق ، وهما معينان على الكلام ، واللسان للنطق والتعبير عما في ضمير الإنسان ، وتقليب الطعام ، وإلقائه تحت الأضراس حتى يستحكم مضغته ، ويسهل ابتلاعه .

ثم جعل الأسنان أعداداً متفرقة ، ولم تكن عظماً واحداً ، فإن أصاب بعضها ثلم انتفع بالباقي ، وجمع فيها بين النفع والجمال ، وجعل ما كان معكوساً زائد العب حتى تطول مدته مع الصف الذي تحته ، وجعلها صلبة ليست كعظام البدن لدعاء الحاجة إليها على الدوام ، وفي الأضراس كبر بلا تسريف لأجل الحاجة إلى درس الغذاء ، فإن المضغ هو الهضم الأول ، وجعلت الثنايا والأنياب لتقطع الطعام وجمالاً للفم ، فأحكم أصولها ، وحدد دروسها ، وبيض لونها مع حمرة ما حوّلها ، متساوية الرؤوس متناسبة التركيب ، كأنها الدر المنظوم .

ثم أنظر كيف خلق في الفم نداوة محبوسة لا تظهر إلا في وقت الحاجة إليها ، فلو ظهرت وسالت قبل ذلك لكان تشويهاً للإنسان ، فجعلت ليل بها ما يعضغ

من الطعام حت يسهل تسويغه من غير عنت ولا ألم ، فإذا فقد الأكل عدمت تلك النداءة الزائدة التي خلقت للترطيب ، وبقي منها ما يبيل اللهوات والحلق لتصوير الكلام ولئلا يجف، فإن جفافه مهلك للإنسان .

ثم انظر إلى رحمة الله ولطفه، إذ جعل للأكل لذة الأكل، فجعل الذوق في اللسان وغيره من أجزاء الفم، ليعرف بالذوق ما يوافقه ويلائمه من الملموذ، فيجد في ذلك راحة في الطعام والشراب إذا دعت حاجة إلى تناوله، وليجنب الشيء الذي لا يوافقه، ويعرف بذلك حد ما تصل الأشياء إليه في الحرارة والبرودة .

ثم إن الله تعالى شق السمع، وأودعه رطوبة مرة يحفظ بها السمع من ضرر الدود، ويقتل أكثر الهوام التي تلج الأذن، وحفظ الأذن بصدفة لتجمع الصوت فترده إلى صماخها ، وجعل فيها زيادة حس لتحس بما يصل إليها مما يؤذيها من هوام وغيرها ، وجعل تعويجات ليطرّد فيها الصوت ، ولتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقه ، فيتنبه فيتأثر ويتنبه صاحبها من النوم .

ثم انظر إلى إدراكه للشمومات بواسطة ولوج الهواء، وذلك سر لا يعلم حقيقته إلا الباري سبحانه، إلى غير ذلك .

ثم انظر كيف رفع الأنف في وسط الوجه ، فأحسن شكله ، وفتح منخريه ، وجعل فيهما حاسة الشم ليستدل باستنشاقه على روائح مطاعمه ومشاربه ، وليتنعم بالروائح العطرة ، ويجنب الخبائث القذرة ، وليستنشق أيضاً روح الحياة غذاء لقلبه وترويحاً لحرارة باطنه .

ثم خلق الحنجرة وهياًها لخروج الأصوات ، ودور اللسان في الحركات والتقطيعات ، فيقطع الصوت في مجاري مختلفة تختلف بها الحروف ليسع طرق النطق ، وجعل الحنجرة مختلفة الأشكال في الضيق والسعة والخشونة والملاسة وصلابة الجوهر ورخاوته والطول والقصر ، حتى اختلفت بسبب ذلك

الأصوات ، فلم يتشابه صوتان ، كما خلق بين كل صورتين اختلافاً فلم تشبه صورتان ، بل يظهر بين كل صورتين فرقان ، حتى يميز السامع بعض الناس عن بعض بمجرد الصوت ، وكذلك يظهر بين كل شخصين فرقان ، وذلك لسر التعارف .

فإن الله تعالى لما خلق آدم وحواء خالف بين صورتيهما ، فخلق منهما خلقاً جعله مخالفاً لحق أبيه وأمه ، ثم توالى الخلق كذلك لسر التعارف .

ثم انظر لخلق اليدين تهديان إلى جلب المقاصد ودفع المضار ، وكيف عرض الكف وقسم الأصابع الخمس ، وقسم الأصابع بأنامل ، وجعل الأربعة في جانب والأبهام في جانب ، فيدور الإبهام على الجميع ، فلو اجتمع الأولون والآخرون على أن يستطيعوا بتدقيق الفكر خلقها على وجه آخر بوضع الأصابع على غير ما وضعت عليه من بعد الإبهام عن الأربعة ، وتفاوت الأربعة في الطول وترتيبها في صف واحد لم يقدرُوا على ذلك ، وبهذا الوضع صلح بها القبض والإعطاء فإن بسطها كانت طبقاً يضع عليه ما يريد ، وإن جمعها كانت آلة يضرب بها . وإن ضمها ضمّاً غير تام كانت مغرفة له ، وإن بسطها وضم أصابعه كانت مجرفة .

ثم خلق الأظفار على رؤوسها زينة للأنامل وعماداً لها من ورائها حتى لا تضعف ، ويلتقط بها الأشياء الدقيقة التي لا تتناولها الأنامل لولاها ، وليحك بها جسمه عند الحاجة إلى ذلك .

فانظر أقل الأشياء في جسمه لو عدمها وظهرت به حكمة لكان أضعف الخلق وأعجزهم عن دفع ما يؤلمه ، وجلب ما ينتفع به في ذلك ولم يقم له غير الظفر مقامه في حك جسده ، لأنه مخلوق لذلك ولغيره ، فهو لا صلب كصلابة العظام ، ولا رخو كرخاوة الجلد ، يطول ويخلق ويقص ويقصر لمثل ذلك .

ثم جعله يهتدي به إلى الحك في حالة نومه ويقظته ويقصد المواضع إلى جهتها

من جسده ، ولو احتاج إلى غيره واستعان به في حركتها لم يعثر الغير على مواضع الحاجة إلا بعد طول وتعب .

ثم أنظر كيف مدّ منه الفخذين والساقين وبسط القدمين ليتمكن بذلك من السعي ، وزين القدمين بالأصابع ، وجعلها زينة وقوة على السعي ، وزين الأصابع أيضاً بالأظفار وقواها بها .

ثم انظر كيف خلق هذا كله من نقطة مهينة ، ثم خلق منها عظام جسده فجعلها أجساماً قوية صلبة لتكون قواماً للبدن وعماداً له ، وقدرها تبارك وتعالى بمقادير مختلفة وأشكال متناسبة ، فمنها صغير ، وطويل ، ومستدير ، ومجوف ومصمت ، وعريض ودقيق .

ثم أودع في أنابيب هذه العظام المخ الرقيق مصاناً لمصلحتها وتقويتها ولما كان الإنسان محتاجاً إلى جملة جسمه ، وبعض أعضائها لتردده في حاجاته لم يجعل الله سبحانه عظامه عظاماً واحداً ، بل عظاماً كثيرة ، وبينها مفاصل حتى تيسر بها الحركة فقدر شكل كل واحد منها على قدر وفق الحركة المطلوبة بها ، ثم وصل مفاصلها وربط بعضها ببعض بأوتاد أثبتها بأحد طرفي العظم وألصق الطرف الآخر كالرباط .

ثم خلق في أحد طرفي العظم زوائد خارجة منها ، ومن الآخر نقرات غائصة فيها توافق لأشكال الزوائد لتدخل فيها وتنطبق ، فصار الإنسان إذا أراد أن يحرك شيئاً من جسده دون غيره لم يمتنع عليه ، فلولا حكمة خلق المفاصل لتعذر عليه ذلك .

ثم أنظر كيف جعل الرأس مركباً من خمسة وخمسين عظماً مختلفة الأشكال والصور ، وألف بعضها إلى بعض بحيث استوت كرة الرأس كما ترى ، فمنها ستة تختص بالقحف ، وأربعة وعشرون للحي الأعلى ، وأثنان للحي الأسفل ، والبقية من الأسنان بعضها عريض يصلح للطحن ، وبعضها حاد يصلح للقطع ، ثم جعل الرقبة مركز الرأس ، فركبها من سبع خرزات مجوفات مستديرات

وزيادات ونقصان ، لينطبق بعضها على بعض ويطول ذكر الحكمة فيها .
ثم ركب الرقبة على الظهر من أسفل الرقبة الى منتهى عظم العجز من أربعة وعشرين خرزة ، وعظم العجز ثلاثة أخرى مختلفة ، ووصل به من أسفله عظم العصعص ، وهو مؤلف من ثلاثة أخرى .

ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر ، وعظام الكتف ، وعظام اليدين ، وعظام العانة ، وعظام العجز ، وعظام الفخذين ، والساقين ، وأصابع الرجلين ، فجملة عدد العظام من بدن الإنسان مائتا عظم وثمانية وأربعون عظماً ، سوى العظام الصغيرة التي حشى بها خلل المفاصل .

فانظر كيف خلق الباري سبحانه وتعالى ذلك كله من نقطة رقيقة سخيفة، والمقصود من ذكر أعدادها تعظيم مدبرها وخالقها ، وكيف خلقها وخالف بين أشكالها وخصها بهذا القدر المخصوص ، بحيث لو ازدا فيها واحد كان وبالأحـتاج الإنسان الى قلعه ولو نقص منها واحد لاحتاج الإنسان الى جبره ، جعل سبحانه وتعالى في هذا الخلق عبرة لأولى الأبصار وآيات بينات على عظـمته وجلاله بتقديرها وتصويرها .

ثم انظر كيف خلق سبحانه آلات لتحريك العظام وهى العضلات، فخلق في بدن الإنسان خمسمائة وتسع وعشرين عضلة ، والعضلة مركبة من لحم وعصب وباط وأغشية ، وهى مختلفة المقادير والأشكال بحسب اختلاف مواضعها وحاجاتها . فأربعة وعشرون منها لحركة العين وأجفانها ، بحيث لو نقصت منها واحدة اختل أمر العين ، وهكذا لكل عضو عضلات بعدد يخصه وقدر يوافقه .

وأما أمر الأعصاب والعروق والأوردة والشرابين ومنابتها وسعتها ، فأعجب من هذا وشرحه يطول .

ثم عجائب ما فيه من المعاني والصفات التي لا تدرك بالحواس أعظم .

ثم انظر الى ما شرف به وخص في خلقه بأنه خلق ينتصب قائماً ، ويستوي جالساً ، ويستقبل الأمور بيديه وجوارحه ، ويمكنه العلاج والعمل ، ولم يخلق مكبواً على وجهه كعدة من الحيوانات ، إذ لو كان كذلك لما استطاع هذه الأعمال .

ثم انظر من حيث الجملة الى ظاهر هذا الإنسان وباطنه ، فتجده مصنوعاً صنعة بحكمة تقضي منها العجب ، وقد جعل سبحانه أعضائه تامة بالغذاء ، والغذاء متوال عليها . لكنه تبارك وتعالى قدرها بمقادير لا يتعدها ، بل يقف عندها ولا يزيد عليها ، فإنها لو تزايدت بتوالى الغذاء عليها لعظمت أبدان بني آدم ، وثقلت عن الحركة ، وعطلت عن الصناعات اللطيفة ولا تناولت من الغذاء ما يناسبها ، ومن اللباس كذلك ، ومن المساكن مثل ذلك ، وكان من بليغ الحكمة وحسن التدبير وقوفها على هذا الحد المقدر رحمة من الله ورفقاً بخلقه ، فإذا وجدت هذا كله صنعة الله تعالى من قطرة ماء ، فما ظنك بصنعيته في ملكوت السموات والأرض وشمسها وقمرها وكواكبها ، وما حكمته في اقدارها وأشكالها وأعدادها وأوضاعها ، واجتماع بعضها وافتراق بعضها ، واختلاف صورها وتفاوت مشارقها ومغاريبها ، فلا تظن أن ذرة في السموات والأرض وسائر عالم الله ينفك عن حكم ، بل ذلك مشتمل على عجائب وحكم لا يحيط بجمعها إلا الله سبحانه وتعالى ، ألم تسمع قوله سبحانه وتعالى : ﴿ أنتم أشد خلقاً أم السماء بناها ﴾ إلى آخر ما نبه به .

وتأمل لو اجتمع الإنس والجن على أن يخلقوا للنطفة سمعاً وبصراً وحياة لم يقدرُوا على ذلك .

فانظر كيف خلقها سبحانه في الأرحام ، وشكلها فأحسن تشكيلها ، وقدرها فأحسن تقديرها ، وصورها فأحسن تصويرها ، وقسم أجزائها المتشابهة الى أجزاء مختلفة ، فأحكم العظام في أرجائها ، وحسن أشكال

أعضائها ، ورتب عروقها وأعصابها ، ودبر ظاهرها وباطنها ، وجعل فيها مجرى لغذائها ، ليكون ذلك سبباً لبقائها مدة حياتها .

ثم كيف رتب الأعضاء الباطنة — من القلب ، والكبد ، والمعدة ، والطحال ، والرئة ، والرحم ، والمثانة ، والأمعاء — كل عضو بشكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص ، فجعل في المعدة لتضج الغذاء عصباً معيناً شديداً لحاجتها ، وبذلك يمكن تقطيعه وطحنه ، وجعل طحن الأضراس أولاً معيناً للمعدة على جودة طحنه وهضمه ، وجعل الكبد لإحالة الغذاء الى الدم فيجذب منه إلى عضو من الغذاء ما يناسبه ، فغذاء العظم خلاف غذاء اللحم ، وغذاء العروق خلاف غذاء الأعصاب ، وغذاء الشعر خلاف غذاء غيره ، وجعل الطحال والمرارة والكلية لخدمة الكبد ، فالطحال لجذب السوداء ، والمرارة لجذب الصفراء ، والكلية المائية عنه ، والمثانة لقبول الماء عن الكلية ، ثم يخرجها في مجرى الإحليل والعروق والكبد في اتصال الدم منه الى سائر أطراف البدن ، وجعل جوهرها أنقى من جوهر اللحم ليصونه ويحصره ، فهي بمنزلة الظروف والأوعية .

ثم انظر كيف دبره في الرحم ولطف به ألطافاً يطول شرحها ، ولا يستكمل العلم بجملة ما إلا خالقها ، ويعجز الواصف عن وصف ما وصل إليه نظره من ذلك ، فمن ذلك جعله فيها لا يحتاج إلى استدعاء ، ولا يحتاج المولود إلى ما بين ذلك لا بوعظ ولا تنبيه ، بل ذلك في الطباع إلى وقت حاجة المولود إلى الإغاثة في غذائه ، ولولا ذلك لنفرت الأمهات عنه من شدة التعب وكلفة التربية حتى اشتد جسمه وقويت أعضاؤه الظاهرة والباطنة لهضم الغذاء ، فحينئذ أنبت له الأسنان عند الحاجة إليها لا قبل ذلك ولا بعده .

ثم انظر كيف خلق الله فيه التمييز والعقل على التدرج الى حين كماله وبلوغه ، وانظر وفكر في سر كونه يولد جاهلاً غير ذي عقل وفهم ، فإنه لو كان ولد عاقلاً فيهما لأنكر الوجود عند خروجه إليه حتى يبقى حيران تائه العقل ، إذ

رأى ما لا يعرف ، وورد عليه ما لم يره ولم يعهد مثله ، ثم كان يجد غضاضة أن يرى نفسه محمولاً وموضوعاً معصباً بالخرق ، ومسجى في المهد مع كونه لا يستغنى عن هذا كله لرقه بدنه ورطوبته حين يولد .

ثم كان لا يوجد له من الرقة له ، والحلاوة والمحبة في القلوب ما يوجد للصغير لكثرة اعتراضه بعقله واختياره لنفسه ، فتبين أن ازدياد العقل والفهم فيه على التدرج أصلح به .

أفلا يرى كيف أقام كل شيء من الخلقة على غاية الحكمة وطريق الصواب وأعلمة تقلب الخطأ في دقيقة وجميلة ؟

ثم انظر فيما إذا اشتد خلق فيه طريقاً وسيئاً للتناسل ، وخلق في وجهة شعراً ليميزه عن شبه الصبيان والنسوان ، ويجمله ويستر به غصون وجهه عند شيخوخته ، وإن كانت أنثى أبقى وجهها نقياً من الشعر لتبقى لها بهجة ونضارة تحرك الرجال لما في ذلك من بقاء النسل .

فكر الآن فيما ذكرناه ودبره سبحانه في هذه الأحوال المختلفة ، هل ترى مثل هذا يمكن أن يكون مهماً ؟

أرأيت لو لم يجر له الدم غذاء وهو في الرحم ، ألم يكن يذوى ويهلك ويجف كما يجف النبات إذا انقطع عنه الماء .

ولو لم يزعه الخاض عند استكمالها ، ألم يكن يهلك ببقائه في الرحم هو وأمه ؟ ولو لم يوافه اللبن عند ولادته ، ألم يكن يموت جوعاً وعطشاً أو يغذي بما لا يوافق ولا يصلح عليه بدنه ؟

ولو لم يخلق له الأسنان في وقتها ، ألم يكن يمتنع عليه مضغ الطعام وازدراؤه ويقيم على الرضاع ولا يشتد جسمه ؟

ولو لم يخرج له شعر الوجه لبقى في هيئة النساء والصبيان ، فلا ترى له هيئة ولا جلاً ولا وقاراً ، ومن ذا الذي يرصده حتى يوفيه بكل هذه المآرب في

وقتها ، إلا الذي أنشأه بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً وتفضل عليه ومنّ عليه بكل هذه النعم .

فكر في شهوة الجماع الداعية لإحيائه ، والآلة الموصلة الى الرحم النطفة ، والحركة الموجبة لاستخراج النطفة ، وما في ذلك من التدبير المحكم .

ثم فكر في جملة أعضاء البدن وتهيئة كل عضو منها للارب الذي أريد منها ، فالعينان للاهتمام بالنظر ، واليدان للعلاج والحذف والدفع ، والرجلان للسعي ، والمعدة لهضم الطعام ، والكبد للتخليص والتمييز ، والقم للكلام ودخول الغذاء ، والمنافذ لدفع الفضلات ، وإذا تأملت كذلك مع سائر ما في الإنسان وجدته قد وضع على غاية الحكمة والصواب .

فكر في وصول الغذاء الى المعدة حتى ينضجه ويبعث صفوه إلى الكبد في عروق دقاق قد جعلت كالمصفاة للغذاء ، ولكيلا يصل إلى الكبد منه شيء غليظ خشن فينكئوها ، فإنها خلقت دقيقة لا تحمل الغث فتقلبه بإذن الله دماً ، وتنفذ الى سائر البدن في مجارٍ مهيأة لذلك ، فيصل إلى كل شيء من ذلك ما يناسبه من يابس ورخو وغير ذلك — فتبارك الله رب العالمين — ثم ينفذ ما يكون من خبث وفضول إلى أعضاء أعدت لذلك — كما ذكرنا قبل هذا — فكونها كالأوعية تحمل هذه الفضلات ، لكيلا تنتشر في البدن فتسقمه .

ثم انظر هل تجد في خلق البدن شيئاً لا معنى له ؟ هل خلق البصر إلا ليدرك الأشياء والألوان ؟ فلو كانت الألوان ولم يكن بصر يدركها ، هل كان في الألوان منفعة ؟ ولو لم يكن لخلق الأبصار نور خارج عن نورها ما كان ينتفع بالبصر ؟ وهل خلق السمع إلا ليدرك الأصوات ، فلو كانت الأصوات ، ولم يكن سمع يدركها لم يكن في الأصوات منفعة ، وكذلك سائر الحواس والله اعلم وصلى الله على محمد .

(قواعد وضوابط وأصول)

إختارناها من طريق الوصول إلى العلم المأمول

- (١) الشكر مبني على خمس قواعد : خضوع الشاكر للمشكور له وحبّه له واعترافه بنعمته والثناء عليه بها ، وأن لا يستعملها فيما يكره .
- (٢) الحياه خلق ناشئ عن حياة القلب ورؤية الآلاء الغزيرة ورؤية التقصير في حقوق ربه ، ويشمر اجتناب المحرمات والقيام بالواجبات ، ولهذا قال ﷺ الحياء لا يأتي إلا بخير .
- (٣) قال تعالى : والذي جاء بالصدق وصدق به ، فالذي جاء بالصدق هو من شأنه الصدق في قوله وعمله وحاله وأعلى مراتب الصدق مرتبة الصديقية وهي كمال الانقياد للرسول ﷺ مع كمال الاخلاص للمرسل .
- (٤) البخل (وهو منع الحقوق الواجبه) ثمرة الشح ، والايتار ثمرة الجود والجود عشر مراتب : الجود بالنفس ، والجود بالراحة ، والجود بالعلم ، والجود بالمال ، والجود بالجاه ، والجود بنفع البدن ، والجود بالعرض ، والجود بالعفو عن جنایات الخلق ، والجود بالخلق والبشر والبسطة ، والجود بتركه ما في أيدي الناس وهذا غير الجود بالمال ، ولكل واحدة من هذه ثمرات جليلة طيبة .
- (٥) الدين كله خلق ، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين ، وحسن الخلق يقوم على اربعة أركان : الصبر والعفة والشجاعة والعدل ، فالصبر يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ والحلم والاناءة والرفق وعدم الطيش والعجلة والعفة تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل . والشجاعة تحمله على عزة النفس وإيتار معالي الأخلاق والشم وعلى البذل والندی الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته

وتحملة على كظم الغيظ والحلم ، فإنه بقوة نفسه وشجاعته ، أمسك عنائها عن النزع والبطش ، وحقيقة الشجاعة ملكة يقتدر بها على قهر خصمه ، والعدل يحمله على اعتدال اخلاقه وتوسطه بين طرفي الافراط والتفريط ، فمنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة . ومنشأ جميع الأخلاق السافلة وبنائها على أربعة أركان : الجهل والظلم والشهوة والغضب .

(٦) في النفس ثلاثة دواع متجاذبة : داع يدعوها إلى الاتصاف بأخلاق الشياطين من الكبر والحسد والعلو والبغي والشر والأذى والفساد والغش ، وداع يدعوها إلى أخلاق الحيوان وهي داعي الشهوة ، وداع يدعوها إلى أخلاق الملك من الاحسان والنصح والبر والعلم والطاعة ، فحقيقة المروءة بغض الداعين الأولين وإجابة الداعي الثالث ، وقلة المروءة أو عدمها هو الاسترسال مع ذينك الداعين والتوجه لدعوتهما .

(٧) الأدب اجتماع خصال الخير في العبد وهو ثلاثة أنواع : أدب مع الله بأن يصون قلبه أن يلتفت إلى غيره أو تتعلق إرادته بما يملكه عليه ويصون معاملته أن يشوبها بنقيضه . وأدب مع الرسول بكمال الأنقياد وتلقي خبره بالقبول والتصديق وأن لا يعارضه بغيره بوجه من الوجوه ، وأدب مع الخلق بمعاملتهم على اختلاف مراتبهم بما يليق بهم ويناسب حالتهم .

(٨) الغنى نوعان : غنى بالله وغنى عن غير الله ، وحقيقة الغنى غنى القلب وهو تعلقه بالله وحده ، وحقيقة فقره المذموم تعلقه بغيره .

(٩) والحكمة نوعان : علميه وعمليه ، فالعلمية الاطلاع على بواطن الأشياء ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها خلقاً وأمراً ، قدراً وشرعاً ، والعملية وضع الشيء في موضعه .

(١٠) وروح العبادة هو الإجلال والمحبة ، فإذا خلى أحدهما عن الآخر فسدت العبودية ، فإذا اقترن بهذين الشئ على المحبوب المعظم فذلك حقيقة الحمد

(١١) وأصل السكينة هو الطمأنينة والوقار والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدة المخاوف ، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه ، ويوجب له زيادة الايمان وقوة اليقين والثبات ، والطمأنينة سكون القلب إلى الشيء وعدم اضطرابه وقلقه فالطمأنينة أثر السكينة .

(١٢) المحبة لله هي روح العبودية والأسباب الجالبة لها عشرة :

١ — قراءة القرآن بالتدبر ٢ — التقرب إلى الله بالنوافل بعد

الفرائض ٣ — دوام ذكره على كل حال ٤ — إثارة على محاب

النفس عند غلبات الهوى ٥ — مطالعة القلب لأسمائه وصفاته

ومعرفتها ٦ — مشاهدة برة ونعمه الظاهرة والباطنة

٧ — انكسار القلب بين يديه ٨ — الخلوة به وقت النزول الإلهي

٩ — مجالسة المحبين الصادقين ١٠ — مباحة كل سبب يحول بين

القلب وبين الله ومراتبها عشر : ١ — العلاقة ٢ — الإرادة

٣ — الصباية ٤ — الغرام ٥ — الوداد ٦ — الشغف

٧ — العشق ٨ — التَّيَمُّم ٩ — التَّعَبُّد ١٠ — الخلّة ، ولها

آثار وثمرات جليلة جميلة كثيرة : كالشوق والانس واليقين والرغبة في

الطاعة وكراهة المعصية ونحوها .

(١٣) كل من التوحيد والذكر والصلاة وسائر القرب نوعان : خاصي ، وهو ما

بذل فيه العامل نضحه وقصده ، بحيث يوقعها على أحسن الوجوه

وأكملها ، والعامية ما لم يكن كذلك ، فالمسلمون كلهم مشتركون في

إتيانهم بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وتفاوتهم في معرفتهم

بمضمون هذه الشهادة وقيامهم بحققها ظاهراً وباطناً أمر لا يحصيه إلا الله .

(١٤) قاعدة شريفة نافعة : اعلم أن كل حي سوى الله فهو فقير إلى جلب ما

ينفعه في دينه ودنياه وإلى دفع ما يضره فيهما ، فلا بد من أمرين أحدهما هو

المطلوب المقصود المحبوب الذي ينتفع به ويتلذذ به ، والثاني هو المعين

الموصل المحصل لذلك المقصود والمانع لحصول المكروه والدافع له بعد وقوعه ، فهنا أربعة أمور : أمر محبوب مطلوب الوجود ، وأمر مكروه مطلوب العدم ووسيلة إلى حصول المطلوب ، ووسيلة إلى دفع المكروه . فالله هو المطلوب المعبود المحبوب وحده لا شريك له وهو المعين للعبد على حصول مطلوبه ، فلا معبود سواه ولا معين على المطلوب غيره وما سواه هو المكروه المطلوب بعده وهو المعين على دفعه ، فهو سبحانه الجامع للأمر الأربعة دون ماسواه ، وهذا معنى قول العبد : إياك نعبد وإياك نستعين ، فإن العبادة تتضمن المقصود المطلوب على أكمل الوجوه والمستعان هو الذي يستعان به على حصول المطلوب ودفع المكروه .

(١٥) وهذا مبني على أصلين :

أحدهما : إن نفس الايمان بالله والتقرب إليه هو غذاء الانسان وقوته وصلاحه وقوامه ، كما عليه أهل الايمان ، لا كما يقوله المتكلفون إنَّه تكليف ومشقة على خلاف مقصود القلب ولذته ، بل لمجرد الامتحان والابتلاء ، بل أوامر المحبوب قرة العيون وسرور القلوب .

الأصل الثاني : كمال النعم في الدار الآخرة أيضاً برؤيته وسماع كلامه وقربه ورضوانه ، فلذتهم ونعيمهم في حظهم من الخالق أعظم مما يخطر بالبال أو يدور في الخيال ، وهذان الأصلان ثابتان بالكتاب والسنة وعليهما أهل العلم والايمان ، ويتكلم عليهما العارفون وهما من فطرة الله التي فطر الناس عليها .

(١٦) قاعدة كمال العبد وصلاحه يتخلف عنه من أحد جهتين : إما أن تكون طبيعته قاسية غير لينة ولا منقاده ولا قابلة لما به كمالها وفلاحها وإما أن تكون لينة منقاده سلسلة الانقياد لكن غير ثابتة ، بل سريعة الانتقال عنه كثيرة التقلب ، فمتى رزق العبد انقياداً للحق وثباتاً عليه فليبشر فقد بشر بكل خير وذلك فضل الله .

(١٧) قاعده : إذا ابتلى الله عبده بشيء من أنواع البلاء فإن رده إلى ربه وصار سبباً لصلاح دينه فهو علامة سعادته وإرادة الخير به ، ولا بد أن تقلع الشدة وقد عوض عنها أجل عوض ، وإن لم يرده ذلك البلاء إليه بل شرد قلبه عنه ورده إلى الخلق وأنساه ذكر ربه فهو علامة الشقاء وإذا أقلع عنه البلاء رده إلى طبيعته وسلطان شهوته ، فبلية هذا وبال ، وبلية الأول رحمة وتكميل والله الموفق .

(١٨) قاعدة في الإنابة التي تكرر ذكرها في القرآن أمراً ومدحاً وترغيباً وآثراً جميلة ، وهي الرجوع إلى الله ، وانصراف دواعي القلب وجواذبه إليه ، وهي تتضمن المحبة والخشية ، والناس في إنابتهم درجات متفاوتة ، فمنهم المنيب إلى الله بالرجوع إليه من المخالفات والمعاصي والحامل عليها الخوف والعلم .

ومنهم المنيب إلى الله في أنواع العبادات ، فهو ساع بجهد ومصدرها الرجاء ومطالعة الوعد والثواب ، وهؤلاء أبسط نفوساً من الأولين وكل منهما منيب بالأمرين ، ولكن يغلب الخوف على الأولين والرجاء على الآخرين ، ومنهم المنيب إليه بالتضرع والدعاء وكثرة الافتقار وسؤال الحاجات كلها مع قيامهم بالأمر والنهي ، ومنهم المنيب إلى الله عند الشدائد فقط إنابة اضطرار لا إنابة اختيار .

وأعلى أنواع الإنابات إنابة الروح بمحملتها إليه لشدة المحبة الخالصة المغنية لهم عما سوى محبوبهم ، وحين أنابت إليه لم يتخلف منهم شيء عن الإنابة ، فإن الأعضاء كلها رعيته وأدت وظائفها كاملة ، فساعة من إنابة هذا أعظم من إنابة سنين من غيره وذلك فضل الله .

(١٩) تكليف مالا يطاق على وجهين . الأول مالا يطاق للعجز عنه ، كتكليف الزمنى المشى ، وتكليف الانسان الطيران ونحو ذلك ، فهذا غير واقع في الشريعة ، والثاني مالا يطاق للاشتغال بضده كاشتغال الكافر بالكفر ،

وهذا واقع ولا ينبغي أن يعبر عنه أنه لا يطاق .

(٢٠) أهل السنة يقولون إن العبد له قدرة وإرادة وفعل وهو فاعل حقيقة الله خالق ذلك كله كما هو خالق كل شيء ، كما دل على هذين الأصلين نصوص الكتاب والسنة وهو الواقع .

(٢١) وفعل العبد حادث ممكن فيدخل في عموم خلق الله للحوادث واتفق أهل السنة أن الله أخص المؤمنين بنعمة دون الكافرين بأن هداهم للإيمان ، ولو كانت نعمته على المؤمنين مثل نعمته على الكافرين لم يكن المؤمن مؤمناً كما قال تعالى ﴿ ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ﴾ والله خالق الملائكة والأنبياء وخالق الشياطين وَالْحَيَّاتِ وَالْعُقَارِبِ وغيرها من الفواسق ، فهذا محمود معظم ، وهذا فاسق يقتل في الحل والحرام ، وهو سبحانه خالق في هذا طبيعة كريمة تقتضي الخير والاحسان ، وفي هذا طبيعة خبيثة توجب الشر والعدوان

(٢٢) الإرادة في كتاب الله نوعان : إرادة تتعلق بالأمر وإرادة تتعلق بالخلق فالإرادة المتعلقة بالأمر أن يريد من العبد فعل ما أمره ، وأما إرادة الخلق فإن يريد ما يفعله هو ، فإرادة الأمر هي المتضمنة للمحبة والرضا وهي الإرادة الدينية ، والإرادة المتعلقة بالخلق هي المشيئة وهي إرادة الكونية القدرية ، فالكفر والفسوق والعصيان ليس مراداً للرب بالاعتبار الأول والطاعة موافقة لتلك الإرادة أو موافقة للأمر المستلزم لتلك الإرادة ، فأما موافقة مجرد النوع الثاني فلا يكون به مطيعاً .

(٢٣) وكما على العبد أن يؤمن بقدر الله وقضائه فعليه أن يوافق الله في حبه وبغضه ، فقضاء الشرور من جهة خلقه الرب لها محبوبة مرضية لأن الله خلقها لما له في ذلك من الحكمة ، والعبد فعلها وهي ضارة له موجبة له العذاب ، فنحن ننكرها وَتَكْرَهُهَا وننأى عنها ، وإذا أرسل الله الكافرين

على المسلمين ، فعلينا أن نرضى بقضاء الله في إرسلهم ، وعلينا أن نجتهد في دفعهم وقتالهم ، وأحد الأمرين لا ينافي الآخر .

(٢٤) أهل السنة متفقون على أن الأنبياء معصومون في تبليغ الرسالة ، ولا يجوز أن يستقر في شيء من الشريعة خطأ باتفاق المسلمين ، وكل ما يبلغونه عن الله من الأمر والنهي فهم مطاعون فيه باتفاق المسلمين ، وما أخبروا به وجب تصديقهم فيه بإجماع المسلمين ، وما أمروهم به ونهواهم عنه فهم مطاعون فيه عند جميع فرق الأمة ، والجمهور الذي يجوزون عليهم الصغائر ومن يجوز الكبائر يقولون إنهم لا يقرون عليها ، بل يحصل لهم بالتوبة منها من المنزلة أعظم مما كان قبل ذلك .

(٢٥) القياس نوعان : مذموم إما لفوات شرطه وهو عدم المساواة في مناط الحكم ، وإما لوجود مانعه وهو النص الذي يجب تقديمه عليه . وصحيح محمود وهو الذي يستوى فيه الاصل والفرع في مناط الحكم ، ولم يعارضه ما هو أرجح منه .

(٢٦) الصديق قد يراد به الكامل في الصدق ، وقد يراد به الكامل في التصديق ، وكإل ذلك علم ما أخبر به النبي ﷺ جملة وتفصيلاً وتصديق ذلك تصديقاً كاملاً في العلم والقصد والقول والعمل ، وأكمل الناس في هذا الوصف أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه .

(٢٧) فمن تكلم في هذا الباب ، أي مدح الصحابة أو القدح فيهم بجهل أو بخلاف ما يعلم كان مستوجباً للوعيد ، ولو تكلم بحق لقصد الهوى لا لوجه الله أو ليعارض به حقاً آخر لكان أيضاً مستوجباً للذم والعقاب ومن علم ما دل عليه القرآن والسنة من الثناء على القوم ورضي الله عنهم واستحقاقهم الجنة ، وانهم خير هذه الأمة التي أخرجت للناس لم يعارض هذا المتيقن المعلوم بأمور مشتبهة ، منها ما لا يعلم صحته ، ومنها ما يتبين كذبه ، ومنها ما لا يعلم كيف وقع ، ومنها ما يعلم عذر القوم فيه ، ومنها

ما يعلم توبتهم منه ، ومنها ما يعلم أن لهم من الحسنات ما يغمره ، فمن سلك سبيل أهل السنة استقام قوله ، وكان من أهل الحق والاستقامة والاعتدال وإلا حصل في جهل ونقض وتناقض كحال هؤلاء الرافضة الضلال .

(٢٨) والرجل الصالح المشهود له بالجنة قد يكون له سيئات يتوب منها أو تمحوها حسناته أو تكفر عنه بالمصائب أو غير ذلك ، فإن العبد إذا أذنب كان لدفع عقوبة النار عنه عشرة أسباب ، ثلاثة منه وثلاثة من الناس وباقها من الله : التوبة والاستغفار والحسنات الماحية ودعاء المؤمنين واهدائهم له العمل الصالح وشفاعة نبينا ﷺ ، والمصائب المكفرة في الدنيا وفي البرزخ وفي عرصات القيامة ومغفرة الله له بفضل رحمته .

(٢٩) الفرقان والسلطان يكون بالحجة والعلم ويكون بالنصر والتأييد كقوله تعالى ﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴾ .

(٣٠) من أمره الشارع بعبادة وطاعة يفعلها فهو أفضل من هذا الوجه ممن لم يؤمر بها ديناً وإيماناً وإن لم يكن الآخر عاصياً ولا معاقباً ، وذلك أن أصل أهل السنة والجماعة أن الإيمان يتفاضل من وجهين : من جهة أمر الله ومن جهة فعل العبد الواقع منه .

(٣١) فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم في شيء من الدين إلا تبعاً لما جاء به الرسول ، ولا يتقدم بين يديه بل ينظر ما قال فيكون قوله تبعاً لقوله وعمله تبعاً لأمره ، فمن قول الله وقول رسوله يتعلم وبه يتكلم ، وفيه ينظر ويتفكر وبه يستدل فهذا أصل أهل السنة ، وأهل البدع بخلاف ذلك ، وكل من خالف ما جاء به الرسول لم يكن عنده علم بذلك ولا عدل بل لا يكون عنده إلا جهل وظلم وظن وماتهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى فان ما أخبر به الرسول حق ظاهراً أو باطناً فلا يناقضه إلا الباطل

والضلال .

الوحي وحيان : وحي رحماني وهو إلهام الخير والواردات الموافقة للحق ووحي شيطاني وهي الواردات والأذواق المنافية لما جاء به الرسول ﷺ (٣٢) ومما ينبغي أن يعلم أن الأمة يقع فيها أمور بالتأويل في دماءها وأموالها وأعراضها ، كالقتال واللعن والتكفير وجماهير العلماء يقولون إن أهل العدل والبغاة إذا اقتتلوا بالتأويل لم يضمن هؤلاء ما أتلفوا لهؤلاء ولا هؤلاء ما أتلفوا لهؤلاء ، كما قال الزهري وقعت الفتنة وأصحاب محمد متوافرون فأجمعوا أن كل دم أو مال أصيب بتأويل القرآن ، فإنه هدر أنزلوهم منزلة الجاهلية في الدماء والأموال ، فكيف بالأعراض كاللعن والتكفير والتفسيق .

(٣٣) ومما ينبغي أن يعلم أن أسباب الفتن تكون مشتركة فيرد على القلوب من الواردات ما يمنع القلوب عن معرفة الحق وقصده ، ولهذا تكون بمنزلة الجاهلية ، والجاهلية ليس فيها معرفة الحق وقصده والاسلام جاء بالعلم النافع والعمل الصالح بمعرفة الحق وقصده .

(٣٤) ويترتب على هذا الأصل أن الرجل العظيم في العلم والدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يوم القيامة قد يحصل منه نوع من الاجتهاد مقروناً بالظن ونوع من الهوى الخفي فيحصل بسبب ذلك ما لا ينبغي اتباعه فيه وإن كان من أولياء المتقين ويصير فتنة لطائفتين ، طائفة تعظمه فتريد تصويب ذلك الفعل واتباعه عليه ، وطائفة تدمه فتجعل ذلك قادحاً في ولايته وتقواه ، بل في بره وكونه من أهل الجنة ، بل في إيمانه حتى تخرجه من الإيمان ، وكل هذين الطرفين فاسد ، ومن سلك طريق الاعتدال عظم من يستحق التعظيم وأحبه ووالاه وأعطى الحق حقه ، فيعظم الحق ويرحم الخلق ، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات

وسيئات ، فيحمد ويذم ويثأب ويُعاقب ويُحب من وَجْهٍ وَيُبْغِضُ من وَجْهِ هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة خلافاً لأهل البدع .

(٣٥) فالدين الذي شرعه الله ورسوله توحيد وعدل وإحسان وإخلاص وصلاح للعباد في المعاش والمعاد ، ومالم يشرعه الله ورسوله من العبادات المبتدعة فيه شرك وإساءة وفساد العباد في المعاش والمعاد ، فإن الله أمر بعبادته والاحسان إلى عباده كما قال ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ﴾ الآية

(٣٦) فالصراط المستقيم هو ما بعث الله به رسوله محمداً ﷺ بفعل ما أمر وترك ما حظر ، وتصديقه فيما أخبر . لا طريق إلى الله إلا ذلك ، وهذا سبيل أولياء الله المتقين .

(٣٧) وبين الخالق والمخلوق من الفروق مالا يخفى على ذي بصيرة منها أن الرب غَنِيَ بنفسه عَمَّا سِوَاهُ وَيَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ مَفْتَقِراً إِلَى غَيْرِهِ بوجه من الوجوه ، والملوك وسادة العبيد محتاجون إلى غيرهم حاجة ضرورية ، ومنها أن الرب وإن كان يحب الأعمال الصالحة ويرضى ويفرح بتوبة التائبين فهو الذي يخلق ذلك وييسره ، فلم يحصل ما يحبه ويرضاه إلا بقدرته ومشيئته ، والمخلوق قد يحصل له ما يحبه بفعل غيره . ومنها أن الرب أمر العباد بما يصلحهم ونهاهم عما يفسدهم ، بخلاف المخلوق الذي يأمر غيره بما يحتاج إليه وينهاه عما ينهاه عنه بخلافه عليه ومنها انه سبحانه هو المنعم بإرسال الرسل وإنزال الكتب ، وهو المنعم بالقدره والحواس وغير ذلك مما يحصل به العلم والعمل الصالح ، وهو الهادي لعباده فلا حول ولا قوة إلا به ، ولهذا قال أهل الجنة (الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) وليس يقدر المخلوق على شيء من ذلك . ومنها أن نعمه على عباده أعظم من أن تحصى ، فلو قدر أن العبادة جزاء النعمة لم تقم العبادة

بشكر القليل منها ، فكيف والعبادة من نعمته أيضاً . ومنها أن العباد لا يزالون مقصرين محتاجين إلى عفوه ومغفرته ، فلن يدخل أحد الجنة بعمله ، وما من أحد إلا وله ذنوب يحتاج فيها إلى مغفرة الله .

فصل ٣٤ :

(٣٨) وفي ذكر الله أكثر من مأبه فائدة يرضي الرحمن وَيَطْرُدُ الشَّيْطَانَ وَيُزِيلُ الْهَمَّ وَيَجْلِبُ السُّرُورَ وَيُقَوِّي الْقَلْبَ وَالْبَدَنَ وَيُنَوِّرُ الْقَلْبَ وَالْوَجْهَ وَيَجْلِبُ الرِّزْقَ وَيَكْسِبُ الْمَهَابَةَ وَالْحَلَاوَةَ وَيُورِثُ مَحَبَّةَ اللَّهِ الَّتِي هِيَ رُوحُ الْإِسْلَامِ وَيُورِثُ الْمَعْرِفَةَ وَالْإِنَابَةَ وَالْقُرْبَ وَحَيَاةَ الْقَلْبِ وَذَكَرَ اللَّهِ لِلْعَبْدِ وَهُوَ قُوَّةُ الْقَلْبِ وَرُوحُهُ وَيَجْلُو صَدَأَهُ وَيَحْطِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ الدَّرَجَاتَ وَيَحْدِثُ الْإِنْسَ وَيُزِيلُ الْوَحْشَةَ وَيَذْكُرُ بِصَاحِبِهِ وَيَنْجِي مِنَ عَذَابِ اللَّهِ . وَيُوجِبُ تَنْزِلَ السَّكِينَةِ وَغَشِيَانِ الرَّحْمَةِ وَحُفُوفِ الْمَلَائِكَةِ بِالذَّاكِرِ وَيَشْغُلُ عَنِ الْكَلَامِ الضَّارِّ وَيَسْعِدُ الذَّاكِرَ وَيَسْعِدُ بِهِ جَلِيسَهُ وَيُؤْمِنُ الْحَسْرَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ مَعَ الْبُكَاءِ سَبَبُ إِظْلَالِ اللَّهِ لِلذَّاكِرِ وَبِهِ تَحْصُلُ الْعَطَايَا وَالثَّوَابُ الْمُنْتَوِعُ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ أَيْسَرُ الْعِبَادَاتِ وَأَفْضَلُهَا وَهُوَ غَرَّاسُ الْجَنَّةِ وَيُؤْمِنُ الْعَبْدُ مِنْ نَسِيَانِ رَبِّهِ وَانْفِرَاطِ أُمُورِ الْعَبْدِ وَيَسِيرُ بِصَاحِبِهِ فِي كُلِّ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِهِ وَهُوَ نُورٌ لِلْعَبْدِ فِي دُنْيَاهُ وَقَبْرِهِ وَيَوْمَ حَشْرِهِ وَبِهِ تَخْرُجُ أَعْمَالُ الْعَبْدِ وَأَقْوَالُهُ وَلَهَا نُورٌ وَهُوَ رَأْسُ الْوَلَايَةِ وَطَرِيقُهَا وَيُزِيلُ خِلَةَ الْقَلْبِ وَيُفَرِّقُ غَمُومَهُ وَهَمُومَهُ وَيُنَبِّهُ الْقَلْبَ مِنْ نَوْمِهِ وَيُثْمِرُ الْمَعَارِفَ وَالْأَحْوَالَ الْجَلِيلَةَ وَالذَّاكِرَ قَرِيبًا مِنْ مَذْكُورِهِ وَاللَّهُ مَعَهُ .

وأكرم الخلق على الله من لا يزال لسانه رطباً من ذكر الله ويزيل قسوة القلب وما استجلبت نعم الله واستدفعت نقمه بمثل ذكره ويوجب صلاة الله وملائكته على الذَّاكِرِ ومجالس الذكر مجالس الملائكة ورياض الجنة وجميع الأعمال إنما شرعت لإقامة ذكر الله . وأفضل كل عامل أكثرهم لله

ذكراً وإدامة الذكر تنوب مناب كثير من الطاعات البدنية والمالية والمركبة منهما وهو يعين على طاعة الله ويسهل كل صعب ويسر الأمور ويعطي الذاكر قوة في قلبه وبدنه والذاكرون أسبق العمال وهو سد بين العبد وبين نار جهنم وتستغفر الملائكة للذاكر وتباهي الجبال وبقاع الارض بمن يذكر الله عليها وتشهد له ، والذكر أمان من النفاق ، ويدخل في ذكر الله ذكر أسمائه وصفاته والثناء عليه بهما وتنزيهه عما لا يليق به ، والخبر عن أحكام ذلك وذكر أمره ونهيه ، ويكون الذكر بالقلب واللسان وهو الأكمل ثم القلب وحده ثم اللسان وحده .

(٣٩) وأفضل أنواع الذكر القرآن ، ثم الذكر والثناء على الله ، ثم أنواع الأدعية (٤٠) وأسماء الله تتضمن صفاته ليست أعلاماً محضة وهو مستحق للكمال المطلق لأنه واجب الوجود بنفسه يمتنع العدم عليه ويمتنع أن يكون مُفتقراً إلى غيره بوجه من الوجوه إذ لو افتقر إلى غيره بوجه من الوجوه لكان مُفتقراً إلى ذلك الغير ، والحاجة إما إلى حصول كمال له وإما إلى دفع ما ينقص كماله ، ومن احتاج في شيء من كماله إلى غيره لم يكن كماله موجوداً بنفسه بل بذلك الغير ، وهو بدون ذلك الكمال ناقص ، والناقص لا يكون واجباً بنفسه بل ممكناً مفتقراً إلى غيره .

(٤١) فأى شيء اعتبرته من العالم وجدته مفتقراً إلى شيء آخر من العالم ، فبدلك ذلك مع كونه ممكناً مفتقراً ليس بواجب بنفسه إلى انه مفتقر إلى فاعل ذلك الآخر حتى ينتهي الأمر إلى الرب الخالق لكل شيء ، ويمتنع أن يكون للعالم فاعلان مفعول كل منهما مستغن عن مفعول الآخر كما قال تعالى ﴿ ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ﴾ ويمتنع أن يكونا مستقلين ، لأنه جمع بين النقيضين ، ويمتنع أن يكونا متعاونين متشاركين كما يوجد ذلك في المخلوقين لاستلزام ذلك العجز والحاجة إلى الآخر .

(٤٥) وهو تعالى مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه ، إذ كل غاية تفرض كمالاً إما أن تكون واجبة له أو ممكنة أو ممتنعة ، والقسمان الأخيران باطلان فوجب الأول ، فهو منزّه عن النقص وعن مساواة شيء من الأشياء له في صفات الكمال ، بل هذه المساواة هي من النقص أيضاً ، وذلك لأن المتماثلين يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر ، ويجب له ما يجب له ويمتنع عليه ما يمتنع عليه ، فلو قدر أنه مائل شيئاً في شيء من الأشياء للزم اشتراكهما فيما يجب ويجوز ويمتنع على ذلك الشيء وكل ماسواه ممكن قابل للعدم ، بل معدوم مفتقر إلى فاعل ، وهو مصنوع مربوب محدث ، فلو مائله لزم اشتراكهما في هذه الأمور ، وقد تبين أن كماله من لوازم ذاته لا يمكن أن يكون مفتقراً فيه إلى غيره ، فضلاً عن أن يكون ممكناً أو مصنوعاً أو محدثاً .

(٤٦) وأما المخالفون للرسول من المشركين والصابئة ومن اتبعهم من الجهمية والفلاسفة والمعتزلة ونحوهم ، فطريقتهم نفى مفصل وإثبات مجمل ينفون صفات الكمال ويشبتون مالا يوجد إلا في الخيال ، فيقولون ليس بكذا ولا بكذا إلى آخر ما يقولون .

(٤٧) والله سبحانه ضرب الأمثال في كتابه لما في ذلك من البيان والانسان لا يرى نفسه وأعماله إلا إذا مثلت له نفسه بأن يراه في مرآة وتمثل له أعماله بأعمال غيره ، ولهذا ضرب الملك المثل للداود ، وضرب الأمثال مما يظهر به الحال ، وهو القياس العقلي الذي يهدي به الله من يشاء من عباده .

(٤٨) العبد كماله في حاجته إلى ربه وعبوديته وفقره وفاقته ، فكلما كانت عبوديته أكمل كان أفضل ، وصدور ما يحوجه إلى التوبة والاستغفار مما يزيده عبودية وفقراً وتواضعاً .

(٤٩) ومن أراد أن يمدح أو يذم فعليه أن يبين دخول الممدوح والمذموم في

الأسماء التي علق الله ورسوله عليها المدح والذم ، فأما إذا كان الاسم ليس له أصل في الشرع ودخول الداخل فيه مما ينازع فيه المدخل بطلت كل من المقدمتين .

(٥٠) فعل الحسنات له آثار محمودة في النفس وفي الخارج ، وكذلك السيئات ، والله تعالى جعل الحسنات سبباً لهذا والسيئات سبباً لهذا ، كما جعل أكل السم سبباً للمرض والموت ، وأسباب الشر لها أسباب تدفع بمقتضاها ، فالتوبة والأعمال الصالحة يمحي بها السيئات ، والمصائب في الدنيا تكفر بها السيئات .

(٥١) ومن العلوم علوم لو علمها كثير من الناس لضرهم ذلك ، ونعوذ بالله من علم لا ينفع ، وليس اطلاع كثير من الناس بل أكثرهم على حكمة الله في كل شيء نافعاً لهم ، بل قد يكون ضاراً قال تعالى ﴿ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾ .

(٥٢) والاحتجاج بالقدر حجة باطلة باتفاق كل ذي عقل ودين من جميع العالمين ، والمحتج به لا يقبل من غيره هذه الحجة إذا احتج به في ظلم ظلمه إياه وترك ما يجب عليه من حقوقه ، بل يطلب منه ماله عليه ويعاقبه على عدوانه عليه ، وإنما هو من جنس شبه « السوفسطائية » التي تعرض في العلوم ، ولا يحتج به أحد إلا مع عدم علمه بالحجة بما فعله ، فإذا كان معه علم بأن ما فعله هو المصلحة وهو المأمور وهو الذي ينبغي فعله لم يحتج بالقدر ، وكذلك إذا كان معه علم بأن الذي لم يفعله ليس عليه أن يفعله أو ليس بمصلحة أو ليس هو مأموراً به لم يحتج بالقدر ، بل إذا كان متبعاً لهواه بغير علم احتج بالقدر .

فالرسل صلوات الله عليهم بعثوا بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها ، فأتباع الرسل أكمل الناس في ذلك والمكذبين للرسل انعكس الأمر في حقهم فصاروا يتبعون المفاسد ويعطلون المصالح ، فهم

شر الناس .

٥٣) تفاضل الأعمال عند الله بتفاضل ما في القلوب من الايمان والاخلاص والمحبة وتوابعها ، فهذا العمل الكامل يكفر. تكفيراً كاملاً والناقص بحسبه
٥٤) المقبول من العمل قسمان :

أحدهما : أن يصلي العبد ويعمل سائر الطاعات وقلبه متعلق بالله عز وجل
ذاكراً لله على الدوام فعمله في أعلى المراتب .

الثاني : أن يعمل العبد الأعمال على العادة والغفلة وينوي بها الطاعة والتقرب إلى الله ، فأركانها مشغولة بالطاعة وقلبه لاه عن ذكر الله وكذلك سائر أعماله . فهذا عمله مقبول ومثاب عليه بحسبه .

٥٥) وفي ذكر الله أكثر من مائة فائدة يرضى الرحمن ويطرد الشيطان ويزيل الهم ويجلب السرور ويقوي القلب والبدن وينور القلب .

٥٦) ومما ينبغي أن يُعلم أن القرآن والحديث إذا عُرف تفسيره من جهة النبي ﷺ لم يحتج في ذلك إلى الاستدلال بأقوال أهل اللغة ولهذا قال الفقهاء الأسماء ثلاثة أنواع نوع يعرف حده بالشرع كالصلاة والزكاة ونوع يعرف حده باللغة كالشمس والقمر . ونوع يعرف حده بالعرف كلفظ القبض ولفظ المعروف في قوله ﴿ وعاشروهم بمعروف ﴾ وكان من أعظم ماأنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة ، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجدته ، فإنه ثبت عندهم بالبراهين القطعية والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم .

٥٧) فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم في شيء من الدين إلا تبعاً لما جاء به الرسول ولا يتقدم بين يديه ، بل ينظر ما قال فيكون قوله تبعاً لقوله وعمله تبعاً لأمره ، فهكذا كان الصحابة ومن سلك سبيلهم من التابعين لهم بإحسان

وأئمة المسلمين ، فلهذا لم يكن فيهم من يعارض النصوص بمعقوله ولا يؤسس ديناً غير ما جاء به الرسول ، وإذا أراد معرفة شيء من الدين والكلام فيه نظر فيما قاله الله والرسول ، فمنه يتعلم وبه يتكلم وفيه ينظر ويتفكر وبه يستدل ، فهذا أصل أهل السنة ، وهذا هو الفرقان بين أهل الإيمان والسنة وأهل النفاق والبدعة فإنهم يخالفون هذا الأصل كل المخالفة

(٥٨) فلما طال الزمان خفى على كثير من الناس ما كان ظاهراً لهم ، ودق على كثير من الناس ما كان جلياً لهم ، فكثرت من المتأخرين مخالفة الكتاب والسنة ما لم يكن مثل هذا في السلف ، وإن كانوا مع هذا مجتهدين معذورين يغفر الله لهم خطاياهم ويثيبهم على اجتهادهم ، وقد يكون لهم من الحسنات ما يكون للعامل منهم أجر خمسين رجلاً يعملون في ذلك الزمان لانهم يجدون من يعينهم على ذلك ، وهؤلاء المتأخرون لم يجدوا من يعينهم على ذلك ، لكن تضعيف الأجر في أمور لم يضعف للصحابة لا يلزم أن يكونوا أفضل من الصحابة ، ولا يكون فاضلهم كفاضل الصحابة فان الذي سبق إليه الصحابة من الإيمان والجهاد ومعاداة أهل الأرض في موالاته الرسول وطاعته فيما يخبر به ويوجهه قبل أن تنتشر دعوته ، وتظهر كلمته ، وتكثر أعوانه وأنصاره ، وتنتشر دلائل نبوته ، بل مع قلة المؤمنين وكثرة الكافرين والمنافقين ، وانفاق المؤمنين أموالهم في سبيل الله ابتغاء وجهه في مثل تلك الحال أمر ما بقى يحصل مثله لأحد .

(٥٩) جُمهُور مسائل الفقه التي يحتاج الناس إليها ويفتون بها ثابتة بالنص أو الاجماع ، وإنما يقع الظن والنزاع في قليل مما يحتاج إليه ، وهذا موجود في سائر العلوم .

(٦٠) العلم ما جاء به الدليل والنافع منه ما جاء به الرسول ، وقد يكون علم من غير الرسول ، لكن في أمور دنيوية مثل الطب والحساب والفلاحة والتجارة ، وأما الأمور الإلهية فهذه العلم فيها ما أخذ عن الرسول ،

فالرسول أعلم الخلق بها وأرغبهم في تعريف الخلق بها وأقدرهم على بيانها وتعريفها ، فهو فوق كل أحد في العلم والقدرة والارادة ، وهذه الثلاثة بها يتم المقصود ، وغير الرسول لا يقاربه. في شئ من ذلك ، وبيان الرسول على وجهين ، تارة يبين الأدلة العقلية الدالة عليها والقرآن مملوء من ذلك وتارة يخبر بها خبراً مجرداً .

(٦١) دل الكتاب والسنة وأقوال الصحابة أن السيئات تحبط الحسنات ، كما أن الحسنات يذهبن السيئات . والحبوط نوعان : عام وخاص فالعام حبوط الحسنات كلها بالردة والسيئات كلها بالتوبة ، والخاص حبوط السيئات والحسنات بعضها ببعض ، وهذا حبوط مقيد جزئياً .

(٦٢) وأولياء الله هم المؤمنون المتقون ، وكراماتهم ثمرة إيمانهم وتقواهم لاثرة الشرك والبدعة والفسق ، وأكابر الأولياء إنما يستعملون هذه الكرامات بحجة للدين أو حليجة للمسلمين والمقتصدين قد يستعملونها في المباحات ، وأما من استعان بها على المعاصي فهو ظالم لنفسه متعدي حد ربه وإن كان سببها الإيمان والتقوى .

(٦٣) فكل عمل لا يراد به وجه الله فهو حابط باطل لا ينفع صاحبه وقت الحاجة إليه ، فكل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل لأن مالم يرد به وجهه ، إما أن لا ينفع بحال ، وإما أن ينفع في الدنيا دون الآخرة فالأول ظاهر والثاني فقد يحصل للإنسان في الدنيا لذات وسرور ، وقد يجزي بأعماله في الدنيا لكن تلك اللذات إذا كانت تعقب ضرراً أعظم منها أو تفوت أنفع منها وأبقى فهي باطلة أيضاً فثبت أن كل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل وإن كان فيه لذة ما .

(٦٤) والله تعالى لم يأمر عباده لحاجته إلى خدمتهم ولا هو محتاج إلى أمرهم وإنما أمرهم إحساناً منه ونعمة أنعم بها عليهم ، فأمرهم بمافيه صلاحهم ونهاهم عما فيه فسادهم وإرسال الرسل وإنزال الكتب من أعظم نعمه على خلقه

(٦٥) ومن تأمل نصوص الكتاب والسنة وجدها في غاية الإحكام والاتقان ،
وانها مشتملة على التقديس لله عن كل نقص والاثبات لكل كمال وانه تعالى
ليس له كمال ينتظر بحيث يكون قبله ناقصاً بل من الكمال انه يفعل ما
يفعله بعد ان لم يكن فاعله وانه إذا كان كاملاً بذاته وصفاته وأفعاله ، لم
يكن كاملاً بغيره ولا مفتقراً إلى سواه ، بل هو الغني ونحن الفقراء وهو
سبحانه في محبته ورضاه ومقته وسخطه وفرحه وأسفه وصبره وعفوه
ورأفته له الكمال الذي لاتدركه الخلائق وفوق الكمال ، إذ كل كمال فمن
كماله يستفاد ، وله الثناء الحسن الذي لا يحصيه العباد ، وإنما هو كما أثنى
على نفسه له الغنى الذي لا يفتقر إلى سواه (إن كل من في السموات
والأرض إلا آتى الرحمن عبداً ، لقد أحصاهم وعدّهم عدا وكلهم آتية
يوم القيامة فرداً) .

(٦٦) يجب أن يعلم أن الكمال ثابت لله بل الثابت له أقصى ما يمكن من الأكملية
بحيث لا يكون وجود كمال لا نقض فيه إلا وهو ثابت للرب تعالى
يستحقه بنفسه المقدسة وثبوت ذلك مستلزم نفي نقيضه ، فثبوت الحياة
يستلزم نفي الموت ، وثبوت العلم يستلزم نفي الجهل ، وثبوت القدرة
يستلزم نفي العجز وأن هذا الكمال ثابت له بمقتضى الأدلة العقلية
والبراهين اليقينية مع دلالة السمع على ذلك .

(٦٧) ودلالة القرآن على الأمور نوعان :
أحدهما : خبر الله الصادق ، فما أخبر الله ورسوله به فهو حق كما أخبر الله
به .

والثاني : دلالة القرآن بضرب الأمثال وبيان الأدلة العقلية الدالة على
المطلوب فهذه دلالة شرعية عقلية ، فهي شرعية لأن الشرع دل عليها
وأرشد إليها . وعقلية لأنها تعلم صحتها بالعقل .

وثبوت معنى الكمال لله قد دل عليه القرآن بعبارات متنوعة دالة على

معاني متضمنة لهذا المعنى فما في القرآن من إثبات الحمد له وتفصيل مجامده وإن له المثل الأعلى ، وإثبات معاني أسمائه ونحو ذلك دال على هذا المعنى وقد ثبت لفظ الكامل في تفسير ابن عباس للصمد ، ان الصمد المستحق للكمال وهو السيد الذي كمل في سؤدده والعليم الذي كمل في علمه والعظيم الذي قد كمل في عظمته ، وهكذا سائر أسمائه الحسنی على هذا المنوال ، وهذا المعنى هو المستقر في فطر الناس ، فكما انهم مفسطورون على الاقرار بالخالق فانهم مفسطورون على إنه أجل وأكبر وأعلى وأعلم وأكمل من كل شيء .

(٦٨) ومن ثبوت الكمال لله بالعقل انه قد ثبت وجوب وجوده وقيوميته وقدمه وسائر أوصافه وإن له المثل الأعلى ، وبيان نقص ما عبد من دونه من المخلوقات وتفضيل حمده الذي يستحقه من صفات كماله وحمده الذي فيه الاحسان المتنوع على خلقه وعلى كمال حكمته وسعة علمه ورحمته وبيان كمال ألوهيته واستحقاقه الجلال والإكرام فله صفات الجلال والعظمة ويستحق من عباده أن يكون مألوهاً معظماً أعظم من كل شيء وأحب إليهم من كل شيء تبارك وتعالى .

(٦٩) وإذا علم العبد من حيث الجملة ان الله فيما خلقه وما أمر به حكمة عظيمة كفاه ذلك ثم كلما ازداد علماً وإيماناً ظهر له من حكمة الله ورحمته ما يهر عقله ويتبين له تصديق ما أخبر الله به في كتابه حيث قال ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ .

(٧٠) والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها قلوبهم واحدة موالية لله ولرسوله ولعباده المؤمنين ، معادية لأعداء الله ورسوله وأعداء الدين فما دام هذا وصفهم فقلوبهم الصادقة وأدعيتهم الخالصة هن العسكر الذي لا يُغلب والجند الذي لا يخذل ، فإنهم هم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة وليعتبر المعبر بسيرة نور الدين وصلاح الدين ثم العادل ، كيف مكنهم الله

وأيدهم وفتح لهم البلاد وأذل لهم الأعداء لما قاموا بذلك بما قاموا به من الدين ، وليعتبر بسيرة من وإلى النصارى كيف أذله الله وكتبته .

(٧١) جعل الدين قسمين : أصولاً وفروعاً لم يكن معروفاً في الصحابة والتابعين ولم يقل أحد من السلف والصحابة والتابعين إن المجتهد الذي استفرغ وسعه في طلب الحق يأثم لا في الأصول ولا في الفروع ، ولكن هذا التفريق ظهر من جهة المعتزلة ، وأدخله في أصول الفقه من نقل ذلك عنهم ، وكل مجتهد لا يأثم عند عامة الأئمة أبي حنيفة والشافعي وأحمد ومالك وغيرهم ، والذين فرقوا بين الأصول والفروع لم يذكروا ضابطاً يعتمد عليه .

(٧٢) والسلف لم يذموا جنس الكلام فان كل آدمي يتكلم ولا ذموا الاستدلال والنظر والجدل الذي أمر الله به ورسوله ، والاستدلال بما بينه الله ورسوله ، بل ولا ذموا كلاماً هو حق ، بل ذموا الكلام الباطل وهو المخالف للكتاب والسنة ، وهو المخالف للعقل أيضاً وهو الباطل .

(٧٣) الطرق الباطلة توصل إلى الجهل والضلال لمن اعتقد صحتها ، وإلى الحيرة والشك لمن تبين له تناقضها من حذاق أهلها ، وإلى اليقين لمن عرف الحق وسلكه بالطرق الصحيحة فانه بمعرفته الباطل يزداد بصيرة بالحق ، وبضدها تتبين الأشياء .

(٧٤) من ضيع الأصول حرم الوصول ، والأصول اتباع ما جاء به الرسول .

(٧٥) والدليل يدل ويقوم على أن كلام الله صفة ذات وصفة فعل ، صفة ذات يقوم بذات الرب والله متصف به ، وصفة فعل يتكلم بمشيئته وقدرته متى شاء وحيث شاء أزلاً وأبداً .

(٧٦) الفرق بين الرجاء وبين التمني أن التمني يكون مع الكسل ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد والرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل ، فالأول كحال من يتمنى أن يكون له أرض يبذر بها ويأخذ

زرعها ، والثاني كحال من يشق أرضه ويفلحها ويبندها ويرجو طلوع
الزراع ، فمن عمل بطاعة الله ورجا ثوابه أو تاب من الذنوب ورجا
مغفرته فهو الراجي ، ومن رجا الرحمة والمغفرة بلا طاعة ولا توبة فهو
متمنى ورجاؤه كاذب ، وللسالك إلى ربه نظران : نظر إلى نفسه وعيوبه
وآفات عمله يفتح عليه باب الخوف ، ونظر إلى سعة رحمة الله وفضله
العام والخاص به يفتح عليه باب الرجا ، وقال شيخ الاسلام : الخوف
المحمود ما حجز العبد عن محارم الله .

(٧٧) ومراتب العلم والعمل ثلاثة : رواية وهي مجرد النقل وحمل المروى ،
ودراية وهي فهمه وتعقل معناه ، ورعاية وهي العمل بموجب ما علمه .
(٧٨) مراقبة الرب علم العبد وتيقنه باطلاع الحق على ظاهره وباطنه ، فاستدامته
لهذا العلم واليقين هي المراقبة وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه وتعالى
رقيب عليه ناظر إليه سامع لقوله ومطلع على عمله كل وقت وكل لحظة
ونفس وكل طرفة .

(٧٩) المعترضون على الله ثلاثة أقسام ، معترضون على أسمائه وصفاته ،
ومعترضون على شرعه ودينه ، ومعترضون على قضائه وقدره ، ولا يتم
للعبد دين وإيمان الا بترك هذا الاعتراض والتسليم لحكمه الديني
والقدرى .

(٨٠) تعظيم حرمات الله ما يجب احترامه وحفظه من الحقوق والأشخاص
والأزمنة والأماكن ، فتعظيمها توفيتها حقها وحفظها عن الاضاعة .

(٨١) حقيقة الاخلاص توحيد المطلوب ، وحقيقة الصدق توحيد الطلب
والإرداء ولا يثمران الا بالاستسلام المحض للمتابعة ، فهذه الأركان
الثلاثة هي أصول الطريق التي لم يبين عليها سيره ، فهو مقطوع ، ومن
اجتمعت له فهو السابق الذي لا يجاري ، وذلك فضل الله .

٨٢) المطلوب من العبد الاستقامة على عبودية الله ، فإن لم يقدر عليها فالمقاربة ، فإن نزل عنها فالتفريط والاضاعة .

٨٣) ولا يتم التوكل الكامل إلا بمعرفة الله وصفاته وأفعاله وإثبات الأسباب والاجتهاد فيها ، وقوة الاعتماد على الله والاستناد إليه والسكون ، بحيث لا يبقى القلب مضطرباً من تشويش الأسباب ، ولا بد من حسن الظن والثقة بالله في نيل ماتوكل العبد على الله فيه ، والتفويض إلى الله واستسلام القلب له ، ويتوكل على الله في كل مطلوب حصوله أو دفع مكروهه ، وأفضل التوكل ما كان في حصول خير ديني خاص أو عام .

٨٤) الصبر ثلاثة أقسام : صبر على طاعة الله ، وصبر على معصية الله ، وصبر على امتحان الله ، فالأول صبر على ما يتعلق بالكسب ، والثالث صبر على ما لا كسب للعبد فيه ، وصبر الاختيار أكمل من صبر الاضطرار ، وتنام الصبر أن يكون كما قال الله تعالى ﴿ والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ﴾ وأقوأة أن يكون بالله معتمداً فيه عليه لا على نفسه ولا على غيره من الخلق سمعت شيخ الاسلام يقول : الصبر جميل هو الذي لا شكوى فيه ولا معه والصفح الجميل هو الذي لا عتاب معه ، والهجر الجميل هو الذي لا أذى معه .

٨٥) قال النبي ﷺ : ذاق طعم الايمان من رضي بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد رسولاً ، وقال من قال حين يسمع النداء : رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً غفرت له ذنوبه . وهذان الحديثان عليهما مدار مقامات الدين وإليهما ينتهي ، وقد تضمنها الرضا بربوبيته سبحانه وألوهيته ، والرضا برسوله والرضا بدينه والتسليم له ، ومن اجتمعت له فهو الصديق حقاً .

٨٦) من أراد أن يحصل له الرضا عن الله الذي هو من أفضل الدرجات فليلزم

ما جعل الله رضاه فيه ، فانه يوصله إلى مقام الرضا .
(٨٧) والله تعالى أخبر انه ينصر رسله في الحياة الدنيا وفي الآخرة والله سبحانه
يجزى الانسان من جنس عمله ، فالجزاء من جنس العمل ، فمن خالف
الرسل عوقب بمثل ذنبه وأرى عباده ذلك عياناً ، وإذا ظهرت البدع التي
تخالف الرسل انتقم الله ممن خالف الرسل وانتصر لرسله .
(٨٨) والإيمان بالرسول والجهاد عن دينه سبب لخير الدنيا والآخرة وبالعكس
البدع والالحاد ومخالفة ما جاء به سبب لشر الدنيا والآخرة .
(٨٩) التوحيد وتصديق الرسل جماع الايمان ، والشرك وتكذيب الرسل جماع
الكفر .

(٩٠) فمن دفع النصوص التي يحتج بها غيره لم يؤمن بها بل آمن بما يحتج هو به
صار ممن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض .

(٩١) وإذا ترك الناس بعض ما أنزل الله وقعت بينهم العداوة والبغضاء إذ لم يبق
هنا جامع يشتركون فيه ، بل تقطعوا أمرهم زبراً كل حزب بما لديهم
فرحون .

(٩٢) ودين الأنبياء كلهم الاسلام وهو الاستسلام لله وحده ، وذلك إنما يكون
بطاعته فيما أمر به في ذلك الوقت ، فطاعة كل نبي هي من دين الاسلام
إذ ذاك ، وكل مبتدع خالف سنة الرسول لا يتبع إلا ديناً مبدلاً أو
منسوخاً .

إنهى ما اخترناه مما جمعه شيخنا عبد الرحمن الناصر السعدي من كتب شيخ الاسلام
رحمهما الله وصلى الله على محمد وآله وسلم

فوائد ومواعظ وحكم وأحكام

قال بعض العلماء : —

(١) أَصْلُ كُلِّ مَعْصِيَةٍ وَغَفْلَةٌ وَشَهْوَةٌ — الرِّضَا عَنْ النَّفْسِ ، وَأَصْلُ كُلِّ طَاعَةٍ وَيقَصَّةٍ وَغَفَّةٌ عَدَمُ الرِّضَاءِ مِنْكَ عَنْهَا وَلَأنَّ تَصَحُّبَ جَاهِلًا لَا يَرْضَى عَنْ نَفْسِهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَصْحَبَ عَالِمًا يَرْضَى عَنْ نَفْسِهِ ، فَأَيُّ عِلْمٍ لِعَالِمٍ يَرْضَى عَنْ نَفْسِهِ ، وَأَيُّ جَهْلٍ لِجَاهِلٍ لَا يَرْضَى عَنْ نَفْسِهِ .

(٢) لَا تَسْتَغْرِبْ وَقُوعَ الْأَكْذَارِ ، مَا دُمْتَ فِي هَذِهِ الدَّارِ ، فَإِنَّهَا مَا أْبْرَزَتْ إِلَّا مَا هُوَ مُسْتَحَقٌّ وَصَفِهَا وَوَاجِبُ نَعْتِهَا .

(٣) لَا يَكُنْ تَأَخَّرُ الْعَطَاءَ مَعَ الْإِلْحَاجِ فِي الدُّعَاءِ مُوجِبًا لِيَأْسِكَ فَهُوَ ضَمَنَ لَكَ الْإِجَابَةَ فِيمَا يَخْتَارُهُ لَكَ ، لَا فِيمَا تَخْتَارُ لِنَفْسِكَ ، وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي يُرِيدُ لَا فِي الْوَقْتِ الَّذِي تُرِيدُهُ ،

قَالَ تَعَالَى ﴿ وَعَسَى أَنْ تَحْبُوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(٤) إِحَالَتُكَ الْأَعْمَالِ إِلَى وُجُودِ الْفَرَاغِ مِنْ رُغُونَاتِ النَّفْسِ ، .

(٥) لَا تَصْحَبْ مَنْ لَا يَنْهَظُكَ حَالُهُ وَلَا يَذُكُّكَ عَلَى اللَّهِ مَقَالُهُ .

(٦) مِنْ عَلَامَاتِ مَوْتِ الْقَلْبِ ، عَدَمُ الْحُزَنِ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنَ الطَّاعَاتِ ، وَتَرْكُ النَّدَمِ عَلَى مَا فَعَلْتَهُ مِنَ الْمَعَاصِي وَالزَّلَّاتِ .

(٧) لَا تَتْرُكْ ذِكْرَ اللَّهِ لِعَدَمِ حُضُورِ قَلْبِكَ لِمَعَانِي الذِّكْرِ ، لِأَنْ غَفَلْتَكَ عَنْ
وُجُودِ ذِكْرِ اللَّهِ أَشَدَّ مِنْ غَفَلَتِكَ مَعَ وُجُودِ ذِكْرِهِ وَاسْأَلْهُ أَنْ يُوقِظَ
قَلْبَكَ وَيُوفِّقَكَ لِحُضُورِهِ ، وَفَهُمْ مَا تَلَفَظَ مِنْ ذِكْرِهِ .

(٨) لَا يَعْظُمُ الذَّنْبُ عِنْدَكَ عَظَمَةً تَصُدُّكَ عَنِ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ وَتُوقِعُكَ
فِي الْقُنُوطِ مِنْ رَحْمَتِهِ فَإِنَّ مَنْ عَرَفَ رَبَّهُ وَكَرَّمَهُ وَجُودَهُ اسْتَصَغَرَ فِي
جَنْبِ كَرَمِهِ وَعَفْوِهِ ذَنْبُهُ

وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا
تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ .

(٩) لَا صَغِيرَةَ إِذَا قَابَلَكَ عَدْلُهُ وَلَا كَبِيرَةَ إِذَا وَاجَهَكَ جُودُهُ وَكَرَّمَهُ
وَفَضَّلَهُ

وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى لَا كَبِيرَةَ مَعَ التَّوْبَةِ وَالنَّدَمِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَلَا صَغِيرَةَ مَعَ
الِإِصْرَارِ وَعَدَمِ التَّوْبَةِ وَالْأَسْتِغْفَارِ .

(١٠) مَنْ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ عَلَى مَا تَفَضَّلَ بِهِ مِنَ النِّعَمِ فَقَدْ تَعَرَّضَ لَزَوَالِهَا وَمَنْ
شَكَرَهَا فَقَدْ قَيَّدَهَا بِعِقَالِهَا وَوَعَدَ بِالْمَزِيدِ .

(١١) خَفَ مِنْ وُجُودِ إِحْسَانِ اللَّهِ إِلَيْكَ مَعَ وَجُودِ إِسَاءَتِكَ مَعَهُ ، أَنْ يَكُونَ
ذَلِكَ اسْتِدْرَاجًا

قَالَ تَعَالَى ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(١٢) الرَّجَاءُ مَا قَارَنَهُ عَمَلٌ ، وَإِلَّا فَهُوَ أُمْنِيَّةٌ إِنَّمَا يُؤْلِمُكَ الْمَنْعُ لِعَدَمِ فَهْمِكَ
عَنِ اللَّهِ فِيهِ .

(١٣) مَتَى أَعْطَاكَ فَقَدْ أَشْهَدَكَ بَرَّهُ وَإِحْسَانَهُ ، وَمَتَى مَنَعَكَ أَشْهَدَكَ حِكْمَتَهُ
وَقَهْرَهُ ، فَهُوَ فِي كُلِّ ذَلِكَ مُتَعَرِّفٌ إِلَيْكَ وَمُقْبِلٌ بِوُجُودِ لُطْفِهِ عَلَيْكَ .

(١٤) نِعْمَتَانِ مَا خَرَجَ مَوْجُودَ عَنْهُمَا ، وَلَا بُدَّ كُلِّ مُكُونٍ مِنْهُمَا ، نِعْمَةُ الْإِيجَادِ وَنِعْمَةُ الْإِمْدَادِ أَنْعَمَ عَلَيْكَ أَوْلاً بِالْإِيجَادِ وَثَانِياً بِتَوَالِي الْإِمْدَادِ .

(١٥) خَيْرُ أَوْقَاتِكَ وَقْتُ تَعْمَلُ فِيهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَتَشْهَدُ فِيهِ وَجُودَ فَاقْتِكَ إِلَى رِضَا اللَّهِ وَعَفْوِهِ وَإِحْسَانِهِ .

(١٦) لَا تَطَالِبْ بِتَأْخُرِ مَطْلَبِكَ ، وَلَكِنْ طَالِبْ نَفْسَكَ بِتَأْخُرِ أَدَبِكَ ، فَهَلْ أَدَيْتَ الْوَاجِبَاتِ وَتَرَكْتَ الْحُرُمَاتِ .

(١٧) لَا يُخَافُ عَلَيْكَ مِنَ التَّبَاسِ الطُّرُقِ ، وَإِنَّمَا يُخَافُ عَلَيْكَ مِنْ غَلْبَةِ الْهَوَى وَالتَّنَفُّسِ وَالشَّيْطَانِ وَالْدُّنْيَا .

(١٨) الْعَاقِلُ إِذَا أَصْبَحَ يَنْظُرُ فِي أُمُورِ دُنْيَاهُ مَاذَا يَفْعَلُ ، وَالْعَاقِلُ الْمُوَفَّقُ يَنْظُرُ مَاذَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَيَعْمَلُهُ ، وَيَحْفَظُ وَقْتَهُ مِنَ الضَّيَاعِ فِيمَا لَا يَعُودُ إِلَى أُمُورِ الْآخِرَةِ ، وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي دُنْيَاهُ .

(١٩) السِّرُّ عَلَى قِسْمَيْنِ سِتْرٌ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَسِتْرٌ فِيهَا ، فَالْعَامَّةُ يَطْلُبُونَ مِنَ اللَّهِ السِّرَّ فِيهَا خَشْيَةً سُقُوطِ مَرْتَبَتِهِمْ عِنْدَ الْخَلْقِ ، وَالْخَاصَّةُ يَطْلُبُونَ مِنَ اللَّهِ السِّرَّ عَنْهَا خَشْيَةً سُقُوطِهِمْ مِنْ نَظَرِ اللَّهِ .

(٢٠) النَّاسُ الَّذِينَ يَمْدَحُونَكَ إِمَّا كَذِبٌ وَإِمَّا لِمَا يَظُنُّونَهُ فِيكَ فَكُنْ ذَآمًا لِنَفْسِكَ لِمَا تَعْلَمُهُ مِنْهَا

قَالَ تَعَالَى ﴿ فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ وَقَالَ ﴿ إِنْ النِّفْسَ لَا أَمَارَةَ بِالسُّوءِ ﴾

(٢١) الْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ الْمُوَفَّقُ إِذَا مَدَّحَ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ أَنْ يُثْنِيَ عَلَيْهِ بِوَصْفٍ لَا يَعْلَمُهُ مِنْ نَفْسِهِ .

- (٢٢) مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ مَنْ تَرَكَ يَقِينَ مَا عِنْدَهُ لِيُظَنَّ مَا عِنْدَ النَّاسِ .
إِذَا وَقَعَ مِنْكَ ذَنْبٌ فَلَا يَكُنْ سَبِيًّا لِيَأْسِكَ مِنْ حُصُولِ الْإِسْتِقَامَةِ فَقَدْ
يَكُونُ ذَلِكَ آخِرُ ذَنْبٍ قُدِرَ عَلَيْكَ .
- (٢٣) حَظُّ النَّفْسِ فِي الْمَعْصِيَةِ ظَاهِرٌ جَلِيٌّ وَحَظُّهَا فِي الطَّاعَةِ بَاطِنٌ خَفِيٌّ ،
وَمُدَاوَاةُ مَا يَخْفَى صَعْبٌ عِلَاجُهُ .
- (٢٤) اسْتَشْرَافُكَ أَنْ يَعْلَمَ الْخَلْقُ بِأَعْمَالِكَ دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ صِدْقِكَ فِي
عُبُودِيَّتِكَ وَأَنْكَ عِنْدَكَ رِيَا فَأَنْتَبِهْ مَنْ عَرَفَ اللَّهَ حَقِيقَةً وَرَأَى نِعْمَهُ
عَلَيْهِ وَإِنَّ نِعْمَهُ جَلٌّ وَعَلَا لَا تُحْصَى وَلَا تُعَدُّ أَحَبُّهُ وَلَمْ يُوَثِّرْ عَلَيْهِ شَيْئًا
- (٢٥) إِذَا التَّبَسَّ عَلَيْكَ أَمْرَانِ فَانْظُرْ أَثْقَلَهُمَا عَلَى النَّفْسِ فَإِنَّهُ لَا يَثْقُلُ عَلَيْهَا إِلَّا
مَا كَانَ حَقًّا .
- (٢٦) مِنْ عَلَامَاتِ إِتِّبَاعِ الْهَوَى وَالنَّفْسِ الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ الْمَسَارَعَةَ إِلَى النَّوَافِلِ
وَالْتِكَاثِلَ عَنِ الْقِيَامِ بِالْوَاجِبَاتِ .
- (٢٧) مَنْ لَمْ يَعْرِفِ النِّعَمَ بَوَاجِدَانِهَا عَرَفَهَا بِوُجُودِ فَقْدَانِهَا .
- (٢٨) لَا تُدْهِشْكَ وَإِرْدَاثُ النِّعَمِ عَنِ الْقِيَامِ بِحُقُوقِ شُكْرِهَا فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا
يَحْطُ مِنْ وُجُودِ قَدْرِكَ .
- (٢٩) تَمَكُّنُ حَلَاوَةِ الْهَوَى مِنَ الْقَلْبِ هُوَ الدَّاءُ الْعُضَالُ .
- (٣٠) لَا يُخْرِجُ الشَّهْوَةَ مِنَ الْقَلْبِ إِلَّا خَوْفُ مُزْعَجٍ أَوْ شَوْقُ مُقْلِقٍ .
- (٣١) لَا تَسْبِطْ مِنَ النَّوَالِ وَلَكِنْ اسْتَبْطِ مِنْ نَفْسِكَ وَجُودَ الْإِقْبَالِ .
- (٣٢) مَا فَاتَ مِنْ عُمْرِكَ لَا عِوَضَ لَهُ وَمَا حَصَلَ لَكَ مِنْهُ لَا قِيَمَةَ لَهُ .

(٣٣) الرَّبُّ جَلٌّ وَعَلَا لَا تَنْفَعُهُ طَاعَتُكَ وَلَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَتُكَ وَإِنَّمَا أَمْرُكَ بِهِذِهِ وَنَهَاكَ عَنْ هَذِهِ لِمَا يُعَوِّدُ عَلَيْكَ .

(٣٤) الرب جل وعلا لا يزيد في عِزِّهِ إِقْبَالَ مَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عِزِّهِ إِذْ بَارَّ مَنْ أَدْبَرَ عَنْهُ .

(٣٥) مِنْ تَمَامِ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ أَنْ يَرْزُقَكَ اللَّهُ مَا يَكْفِيكَ وَيَمْنَعُكَ مَا يُطْعِمُكَ .

(٣٦) إِنْ أَرَدْتَ أَلَّا تُعْزَلَ فَلَا تَتَوَلَّى وَلَايَةً لَا تَدُومُ لَكَ .

(٣٧) خَيْرُ الْعِلْمِ مَا كَانَتْ حَشْيَةُ اللَّهِ مَعَهُ .

(٣٨) إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَغْفُلُ عَنْكَ فَلَا تَغْفُلْ أَنْتَ عَمَّنْ نَاصِيَتِكَ بِيَدِهِ ﴿ مَا مِنْ دَايَةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾

(٣٩) مَنْ أَثَبَّتَ لِنَفْسِهِ تَوَاضُعًا فَهُوَ مُتَكَبِّرٌ إِذْ لَيْسَ التَّوَاضُّعُ إِلَّا عَنْ رِفْعَةٍ .

(٤٠) لَيْسَ الْمُتَوَاضِعُ الَّذِي إِذَا تَوَاضَعَ رَأَى أَنَّهُ فَوْقَ مَا صَنَعَ وَلَكِنْ التَّوَاضُّعُ الَّذِي إِذَا تَوَاضَعَ رَأَى أَنَّهُ دُونَ مَا صَنَعَ .

(٤١) الْمُؤْمِنُ يَشْغَلُهُ التَّنَاءُ عَلَى اللَّهِ عَنْ أَنْ يَكُونَ لِنَفْسِهِ شَاكِرًا وَتَشْغَلُهُ حُقُوقُ اللَّهِ عَنْ أَنْ يَكُونَ لِحُظُوظِهِ ذَاكِرًا . إِنْتَهَى

آخر :

(٤٢) آيَاتُ الْقُرْآنِ الَّتِي يَفْهَمُ مِنْهَا بَعْضُ النَّاسِ التَّعَارُضَ يَجِبُ حَمْلُ كُلِّ نَوْعٍ مِنْهَا عَلَى مَا يَلِيقُ وَيُنَاسِبُ لِمَقَامِ .

مِنْ ذَلِكَ الْإِخْبَارُ فِي بَعْضِ آيَاتِ الْكُفَّارِ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يَتَكَلَّمُونَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَفِي بَعْضِ آيَاتِ أَنَّهُمْ يَنْطِقُونَ وَيُحَاجُّونَ وَيَعْتَذِرُونَ

، ثم إذا ختم على أفواههم ، تكلم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون ، ثم يُخرسوا فلم يَنْطِقُوا قال الله جل وعلا ﴿ هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾

(٤٣) ومن ذلك أن الله جل وعلا أخبر أنه لا يكلمهم ولا ينظر إليهم يوم القيامة ، وأثبت الكلام لهم معه ، فالنفي المراد به الكلام الذي يسرهم ، وكذلك النظر والإثبات واقع على الكلام الواقع بين الله وبينهم على وجه التوبيخ لهم والتقريع ، فالنفي يدل على أن الله سخط عليهم ، والإثبات يوضح أحوالهم ويبين للعباد كمال عدل الله بهم إذ هو يضع العقوبة موضعها .

(٤٤) ونظير ذلك أنه في بعض الآيات أخبر أنه لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان وفي بعض الآيات أنه جل وعلا يسألهم ، قال تعالى ﴿ ماذا كنتم تعبدون ﴾ وقال تعالى ﴿ ماذا أجبتهم المرسلين ﴾ فالسؤال المنفي سؤال الاستعلام والاستيفهام عن الأمور المجهول ، فإنه لا حاجة إلى سؤالهم مع كمال علم الله وإطلاعه قال تعالى ﴿ وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ﴾ والسؤال المثبت واقع على تقريرهم بأعمالهم وتوبيخهم وبيان أن الله حكم فيهم بعدله وحكمته .

(٤٥) ومن ذلك الاختيار أنه لا أنساب بين الناس يوم القيامة وفي آيات أخرى أثبت لهم ذلك فالمثبت هو الأمر الواقع والنسب الحاصل بين الناس كقوله ﴿ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه ﴾ والمنفي هو الانتفاع بها فإن الكفار يدعون أن أنسابهم تنفعهم يوم القيامة فأخبر تعالى أن لا ينفع مال ولا بنون ﴿ إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ .

(٤٦) ومن ذلك الشفاعة فإنه أثبت لها في عدة مواضع ونفاها في مواضع من

القرآن وقيدَها في بعض المواضع بإذن ولَمَنْ إِرْتَضَى مِنْ خَلْقِهِ فَتَعَيَّنَ حَمْلُ الْمُطْلَقِ عَلَى الْمُقَيَّدِ وَأَنَّهَا حَيْثُ تُفِيَتْ فِيهِ الشَّفَاعَةُ الَّتِي بغيرِ إِذْنِهِ وَلِغَيْرِ مَنْ رَضِيَ اللَّهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ وَحَيْثُ أُثْبِتَتْ فِيهِ الشَّفَاعَةُ الَّتِي بِإِذْنِهِ لِمَنْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأُذِنَ فِيهِ .

(٤٧) وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَخْبَرَ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ أَنَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ وَالْفَاسِقِينَ وَالظَّالِمِينَ وَفِي آيَاتٍ أُخْرَى أَنَّهُ يَهْدِيهِمْ وَيُوفِّقُهُمْ فَتَعَيَّنَ حَمْلُ الْمَنْفِيَّاتِ عَلَى مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ اللَّهِ قَالَ تَعَالَى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ وَحَمْلُ الْمُثْبِتَاتِ عَلَى مَنْ لَمْ تَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْكَلِمَةُ وَإِنَّمَا حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللَّهِ بِالْعَذَابِ وَالطَّرْدِ وَالْإِبْعَادِ عَلَى مَنْ إِرْتَكَبُوا فِي حَمَاةِ الثَّقَلَيْنِ وَغَرَقُوا فِي بَحْرِ الْغَفْلَةِ وَأَبَوْا أَنْ يَسْتَجِيبُوا لِدَاعِي آيَاتِ اللَّهِ الْكُونِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ﴿ وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا رَيْبَ فِيهِ .

(٤٨) وَمِنْ ذَلِكَ الْإِخْبَارُ فِي بَعْضِ الْآيَاتِ أَنَّهُ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى قَالَ تَعَالَى ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ وَقَالَ ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ وَفِي آيَاتٍ أُخْرَى أَخْبَرَ أَنَّهُ مَعَ الْعَبْدِ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَا كُنْتُمْ ﴾ وَقَالَ تَعَالَى ﴿ إِنْ اللَّهُ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ أَحْسَنُوا ﴾ وَقَالَ ﴿ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ فَعَلَوْهُ سُبْحَانَهُ أَمْرٌ ثَابِتٌ لَهُ وَهُوَ مِنْ لَوَازِمِ ذَاتِهِ وَدُنُوهُ وَمَعِيَّتُهُ لِعِبَادِهِ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ فَهُوَ سُبْحَانَهُ عَلَى عَرْشِهِ عَلِيٌّ عَلَى خَلْقِهِ

وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ مَعَهُمْ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِمْ وَلَا مُنَافَاةَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ لِأَنَّ اللَّهَ
جَلَّ وَعَلَا ﴿﴾ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نَعُوَّتِهِ وَمَا يُتَوَهَّمُ بِخِلَافِ ذَلِكَ
فَإِنَّهُ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِينَ ﴿﴾ قَالَ بَنَ الْقِيمِ رَحِمَهُ اللَّهُ
وَلَهُ الْعُلُوُّ مِنَ الْوُجُوهِ جَمِيعَهَا

ذَاتًا وَقَدْرًا مَعَ عُلُوِّ الشَّانِ

وَالْمَعِيَةُ تَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ عَامَةً تَأْتِي فِي سِيَاقِ التَّخْوِيفِ وَالتَّحْذِيرِ
وَالْتَّرَاغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ وَتَقَدَّمَتِ الْآيَاتُ لِلْعَامَةِ وَالْخَاصَّةِ وَالْمَعِيَةُ الْخَاصَّةُ
بِالْحَسَنِينَ وَالتَّقِيْنَ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَنَحْوِهِمْ وَهَذِهِ تَتَضَمَّنُ
مَحَبَّتَهُمْ وَتَوْفِيقَهُمْ وَكَلَاءَتَهُمْ وَإِعَانَتَهُمْ فَحَيْثُ وَقَعَتْ فِي سِيَاقِ
التَّحْذِيرِ وَالتَّخْوِيفِ وَالتَّرْهِيْبِ فَهِيَ مِنَ النُّوعِ الْأَوَّلِ .

(٤٩) وَمِنْ ذَلِكَ النَّهْيِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ عَنْ مُوَالَاتِ الْكُفَّارِ وَعَنْ
مُؤَادَّتِهِمْ وَفِي بَعْضِ الْآيَاتِ الْأَمْرُ بِالْإِحْسَانِ إِلَى مَنْ لَهُ حَقٌّ عَلَى
الْإِنْسَانِ مِنْهُمْ وَمُصَاحَبَتِهِ بِالْمَعْرُوفِ كَالْوَالِدِينَ وَالْجَارِ وَنَحْوِهِمْ فَالْآيَاتُ
الْعَامَّةُ مِنَ الطَّرْفَيْنِ قَدْ وَضَّحَهَا اللَّهُ فِي قَوْلِهِ ﴿﴾ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ
لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ أَنْ تَبْرُوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿﴾ ﴿﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ
وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَتَوَلَّوهُمْ وَمَنْ
يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿﴾

فَاللَّهِمَّ وُاقِعْ عَلَى التَّوَلَّى وَالْأَمْرُ بِالْإِحْسَانِ وَالْبِرِّ وَاقِعْ عَلَى الْإِحْسَانِ
لِأَجْلِ الْقَرَاةِ وَالْجِزْرِ ، وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ خَلَقَ الْأَرْضَ ثُمَّ
اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ مِنْ سَبْعِ سَمَوَاتٍ ، وَفِي آيَةٍ أُخْرَى لَمَّا
أَخْبَرَ عَنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ أَخْبَرَ أَنَّ الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ، فَهَذِهِ
الْآيَةُ تُفَسِّرُ الْمَزَادَ وَأَنَّ خَلْقَ الْأَرْضِ مُتَقَدِّمٌ عَلَى السَّمَوَاتِ ثُمَّ بَعْدَ خَلْقِ

السَّمَوَاتِ دَحَا الْأَرْضِ فَأَوْدَعَ فِيهَا جَمِيعَ الْمَصَالِحِ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا
سُكَّانُهَا .

(٥٠) وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمٌ وَأَخْبَرَ تَارَةً بِتَعَلُّقِ عِلْمِهِ
بِبَعْضِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ وَبِبَعْضِ أَحْوَالِهِمْ وَهَذَا الْأَخِيرُ فِيهِ زِيَادَةُ مَعْنَى
وَهُوَيْدُلْ عَلَى الْمُجَازَاتِ عَلَى ذَلِكَ الْعَمَلِ سَوَاءً كَانَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا
فَيَتَضَمَّنُ مَعَ إِحَاطَةِ عِلْمِهِ بِالْترغيبِ وَالتَّرهيبِ .

(٥١) مَبْنَى الَّذِينَ عَلَى قَاعِدَتَيْنِ الذِّكْرَ وَالشُّكْرَ وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالذِّكْرِ مُجَرَّدُ
ذِكْرِ اللِّسَانِ بَلِ الذِّكْرُ الْقَلْبِيُّ وَاللِّسَانِيُّ وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ مَعْرِفَتَهُ وَالْإِيمَانَ
بِهِ وَبِصِفَاتِ كَمَالِهِ وَتُعَوِّتُ جَلَالَهُ وَالثَّنَاءَ عَلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الْمَدْحِ وَذَلِكَ لَا
يَتِمُّ إِلَّا بِتَوْخِيْدِهِ فَذَكَرَهُ الْحَقِيقِيُّ يَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيَسْتَلْزِمُ ذِكْرَ نِعْمَةِ
وَالْآيَةِ وَإِحْسَانِهِ إِلَى خَلْقِهِ

وَأَمَّا الشُّكْرُ فَهُوَ الْقِيَامُ بِطَاعَتِهِ فَذَكَرَهُ جَلَّ وَعَلَا مُسْتَلْزِمٌ لِمَعْرِفَتِهِ
وَشُكْرِهِ وَتَضَمِّنُ لِبَطَاعَتِهِ وَهَذَانِ هُمَا الْعَايَةُ الَّتِي تُحْلَقُ لِأَجْلِهَا الْجَنُّ
وَالْإِنْسُ قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَا حَبَّذَانُومُ الْأَكْيَاسِ وَفَطَرُهُمْ كَيْفَ يَغْنُبُونَ بِهِ
قِيَامَ الْحَقِّ وَصَوْمَهُمْ وَالذَّرَّةُ مِنْ صَاحِبٍ يَغْنُبُونَ بِهِ قِيَامَ الْحَقِّ
وَصَوْمَهُمْ وَالذَّرَّةُ مِنْ صَاحِبٍ تَقْوَى أَفْضَلُ مِنْ أَمْثَالِ الْجِبَالِ مِنْ عِبَادَةِ
الْمُعْتَرِّينَ وَهَذَا مِنْ جَوَاهِرِ الْكَلَامِ وَأَدِلَّهُ عَلَى كَمَالِ فَقِهِ الصَّحَابَةِ
وَتَقَدَّمَ لَهُمْ عَلَى مَنْ بَعْدَهُمْ فِي كُلِّ خَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٥٢) لَا شَيْءَ أَفْسَدَ لِلْأَعْمَالِ مِنَ الْعُجْبِ وَرُؤْيَةِ النَّفْسِ وَلَا شَيْءَ أَصْلَحَ لَهَا مِنْ
شُهُودِ الْعَبْدِ مِنَّةَ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ وَالِاسْتِعَانَةَ بِهِ وَالِافْتِقَارَ إِلَيْهِ وَإِخْلَاصَ
الْعَمَلِ لَهُ .

(٥٣) أَصُولُ الْمَعَاصِي كُلِّهَا كِبَارُهَا وَصِغَارُهَا ثَلَاثَةٌ تَعْلُقُ الْقَلْبَ بِغَيْرِ اللَّهِ ،

وطاعةُ القُوَّةِ الغَضِيَّةِ ، والقُوَّةِ الشَّهَوَانِيَّةِ ، وهي الشَّرْكُ ، والظلم
والفواحش فَعَايَةُ التَّعَلُّقِ بِغَيْرِ اللَّهِ شِرْكٌ ، وغَايَةُ القُوَّةِ الغَضِيَّةِ الْقَتْلُ ،
وَعَايَةُ القُوَّةِ الشَّهَوَانِيَّةِ الزَّنا ، وَلِهَذَا جَمَعَ اللَّهُ الثَّلَاثَةَ فِي قَوْلِهِ ﴿ وَالَّذِينَ
لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
وَلَا يَزْنُونَ ﴾ .

(٥٤) هَجَرُ الْقُرْآنِ أَنْوَاعٌ ، هَجَرُ سَمَاعِهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ وَهَجَرُ الْعَمَلِ بِهِ وَهَجَرُ
تَحْكِيمِهِ وَهَجَرُ تَدْبِيرِهِ وَهَجَرُ الِاسْتِشْفَاءِ بِهِ فِي أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ
وَالْأَبْدَانِ وَكُلُّ هَذَا دَاخِلٌ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ
إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ .

(٥٥) لِلْقَلْبِ سِتَّةٌ مَوَاطِنَ يَجُولُ فِيهَا ثَلَاثَةُ سَافِلَةٍ دُنْيَاً تَتَزَيَّنُ لَهُ ، وَنَفْسٌ
تُحَدِّثُهُ ، وَعَدُوٌّ يُؤَسِّسُ لَهُ وَثَلَاثَةُ عَالِيَةٍ ، عِلْمٌ يُبَيِّنُ لَهُ ، وَعَقْلٌ
يُرْشِدُهُ وَرَبٌّ يَعْبُدُهُ ، وَالْقُلُوبُ جَوَالَةٌ فِي هَذِهِ الْمَوَاطِنِ .

(٥٦) إِنَّمَا يَجْدُ الْمَشَقَّةَ فِي تَرْكِ الْمَأْلُوفَاتِ مَنْ تَرَكَهَا لِغَيْرِ اللَّهِ فَأَمَّا مَنْ
تَرَكَهَا صَادِقاً مُخْلِصاً مِنْ قَلْبِهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَجْدُ فِي تَرْكِهَا مَشَقَّةً إِلَّا فِي
أَوَّلِ وَهْلَةٍ ، لِيُمْتَحَنَ أَصَادِقُ هُوَ فِي تَرْكِهَا أَمْ كَاذِبٌ ، فَإِنْ صَبَرَ عَلَى
تَرْكِ الْمَشَقَّةِ اسْتَحَالَتْ لَذَّةٌ ، مَنْ تَرَكَ شَيْئاً لِلَّهِ عَوَّضَهُ اللَّهُ خَيْراً مِنْهُ ،
وَالْعَوَّضُ أَنْوَاعٌ مُخْتَلِفَةٌ وَأَجَلٌ مَا يُعَوَّضُ بِهِ الْإِنْسُ بِاللَّهِ وَمَحَبَّتُهُ
وَطُمَأْنِينَةُ الْقَلْبِ بِهِ وَقُوَّتُهُ وَنَشَاطُهُ وَفَرَحُهُ وَرِضَاؤُهُ عَنْ رَبِّهِ .

(٥٧) الْعَبْدُ يَتَرَقَّى مِنْ مَعْرِفَةِ أَفْعَالِ اللَّهِ إِلَى الصِّفَاتِ وَمِنْ مَعْرِفَةِ الصِّفَاتِ إِلَى
مَعْرِفَةِ الذَّاتِ فَإِذَا شَاهَدَ شَيْئاً مِنْ جَمَالِ الْأَفْعَالِ اسْتَدَلَّ بِهِ عَلَى جَمَالِ
الصِّفَاتِ ثُمَّ اسْتَدَلَّ بِجَمَالِ الصِّفَاتِ عَلَى جَمَالِ الذَّاتِ فَمَا ظَنُّكَ
بِجَمَالِ حُجْبٍ بِأَوْصَافِ الْكَمَالِ وَسُتْرِ بُنُوعِ الْعِظَمَةِ وَالْجَلَالِ

ولهذا كان له الحمد كله من جميع الوجوه .

(٥٨) أَنْفَعُ النَّاسِ لَكَ مَنْ نَفَعَكَ فِي ذَنْبِكَ وَحَذَرَكَ مِنْ قَطْعِ وَقْتِكَ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ .

(٥٩) لِلْعَبْدِ مَوْقِفَانِ يَتَنَزَّلُ فِي يَدَيِ اللَّهِ مَوْقِفٌ يَتَنَزَّلُ فِيهِ فِي الصَّلَاةِ وَمَوْقِفٌ يَتَنَزَّلُ فِيهِ يَوْمَ لِقَائِهِ فَمَنْ قَامَ بِحَقِّ الْمَوْقِفِ الْأَوَّلِ هُوَ عَلَى الْمَوْقِفِ الْآخِرِ ، وَمَنْ اسْتَهَانَ بِهَذَا الْمَوْقِفِ وَلَمْ يُؤْفِقْ حَقَّهُ شُدَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْمَوْقِفُ .

(٦٠) الْعَارِفُ لَا يَأْمُرُ النَّاسَ بِتَرْكِ الدُّنْيَا فَإِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى تَرْكِهَا وَلَكِنْ يَأْمُرُهُمْ بِأَنْ لَا يَصْرِفُوا كُلَّ أَوْقَاتِهِمْ فِي طَلِبِهَا ، وَيَجْعَلُوا جُلَّ أَوْقَاتِهِمْ لِلْآخِرَةِ فِيمَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَى اللَّهِ وَيَأْمُرُهُمْ بِتَرْكِ الذُّنُوبِ مَعَ إِقَامَتِهِمْ عَلَى مَا يَخْصُلُ لَهُمْ بِهِ الْكَفَافُ مِنْ طَلَبِ الْمَعَاشِ ، فَإِنْ صَغُبَ عَلَيْهِمْ تَرْكُ الذُّنُوبِ فَلْيَجْتَهِدْ فِي أَنْ يُحِبِّبَ إِلَيْهِمْ رَبَّهُمُ الَّذِي رَبَّاهُمْ وَرَبِّي جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعْمَةِ ، وَيُذَكِّرُهُمْ بِآلَائِهِ وَصِفَاتِ كَمَالِهِ ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ مَفْطُورَةٌ عَلَى مَحَبَّتِهِ ، فَإِذَا اتَّعَلَّقَتْ بِحُبِّهِ هَانَ عَلَيْهَا تَرْكُ الذُّنُوبِ وَالْإِقْلَالُ مِنْهَا .

(٦١) الْإِيمَانُ لَهُ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ فَظَاهِرُهُ قَوْلُ اللِّسَانِ وَعَمَلُ الْجَوَارِحِ ، وَبَاطِنُهُ تَصَدِّيقُ الْقَلْبِ وَانْقِيَادُهُ وَمَحَبَّتُهُ ، فَلَا يَنْفَعُ ظَاهِرٌ لَا بَاطِنٌ لَهُ ، وَلَا يَجْزِي بَاطِنٌ لَا ظَاهِرٌ لَهُ ، إِلَّا إِذَا تَعَذَّرَ بَعْجَزٌ أَوْ إِكْرَاهٌ أَوْ خَوْفٌ هَلَكَ ، فَتَخَلَّفَ الْعَمَلُ ظَاهِرًا مَعَ عَدَمِ الْمَانِعِ دَلِيلٌ عَلَى فَسَادِ الْبَاطِنِ وَخُلُوهُ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَنَقْصُهُ دَلِيلٌ عَلَى نَقْصِهِ وَقُوَّتُهُ دَلِيلٌ عَلَى قُوَّتِهِ فَلَا إِيمَانَ قَلْبُ الْإِسْلَامِ وَلَبُّهُ ، وَالْيَقِينُ قَلْبُ الْإِيمَانِ وَلَبُّهُ ، وَكُلُّ عِلْمٍ وَعَمَلٍ لَا يَزِيدُ الْإِيمَانَ وَالْيَقِينَ قُوَّةً فَمَدْخُولٌ ، وَكُلُّ إِيمَانٍ لَا يَبْعَثُ عَلَى الْعَمَلِ فَمَدْخُولٌ .

جَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ لِأَنَّ تَقْوَى اللَّهِ يُصْلِحُ مَايُنِ الْعَبْدَ وَيُنِ رَبَّهُ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ يُصْلِحُ مَايُنُهُ وَيُنِ خَلْقَهُ ، فَتَقْوَى اللَّهِ تَوْجِبُ لَهُ مَحَبَّةَ اللَّهِ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى مَحَبَّتِهِ ، وَجَمَعَ ﷺ بَيْنَ الْاسْتِعَاذَةِ مِنَ الْمَآثِمِ وَالْمُعْزِمِ ، لِأَنَّ الْمَآثِمَ يُوجِبُ خَسَارَةَ الْآخِرَةِ ، وَالْمُعْزِمَ يُوجِبُ خَسَارَةَ الدُّنْيَا وَجَمَعَ ﷺ فِي قَوْلِهِ ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمَلُوا الطَّلَبَ ﴾ بَيْنَ مَصَالِحِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَإِنَّ مَنْ اتَّقَى اللَّهَ أَذْرَكَ نَعِيمَ الْآخِرَةِ ، وَمَنْ أَجْمَلَ فِي الطَّلَبِ اسْتَرَاخَ مِنْ تَكْدِ الدُّنْيَا وَهَمُومِهَا .

قَبُولُ الْمَحَلِّ لِمَا يُوضَعُ فِيهِ مَشْرُوطٌ بِتَفْرِيعِهِ مِنْ ضِدِّهِ وَهَذَا كَمَا إِنَّهُ فِي الذُّنُوبِ وَالْأَعْيَانِ فَكَذَلِكَ فِي الْإِعْتِقَادَاتِ وَالْإِرَادَاتِ فَإِذَا كَانَ الْقَلْبُ مُمْتَلِئًا بِالْبَاطِلِ إِعْتِقَادًا وَمَحَبَّةً لَمْ يَبْقَ فِيهِ لِعَقْدِ الْحَقِّ وَمَحَبَّتِهِ مَوْضِعٌ كَمَا أَنَّ اللِّسَانَ إِذَا اشْتَغَلَ بِمَا لَا يَنْفَعُ لَمْ يَتِمَكَّنْ صَاحِبُهُ مِنَ التَّنَطُّقِ بِمَا يَنْفَعُهُ إِلَّا إِذَا أَفْرَغَ لِسَانُهُ مِنَ التَّنَطُّقِ بِالْبَاطِلِ وَكَذَلِكَ الْجَوَارِحُ إِذَا اشْتَغَلَتْ بِغَيْرِ الطَّاعَةِ لَمْ يُمَكِّنْهَا شُغْلُهَا بِالطَّاعَةِ إِلَّا إِذَا أَفْرَغَهَا مِنْ ضِدِّهَا .

إِنْتَهَى

«مواعظ وفوائد»

ما أقبح الغفلة عن طاعة مَنْ لا يغفل عن بَرِّكَ وعن ذِكْرِ مَنْ أَمَرَكَ
بذِكْرِهِ.

قال أبو حازم: يَسِيرُ الدُّنْيَا يُشْغِلُ عَنْ كَثِيرِ الْآخِرَةِ، وقال: ما أَحَبَّبَتْ
أَنْ يَكُونَ مَعَكَ فِي الْآخِرَةِ فَقَدَّمَهُ الْيَوْمَ، وما كَرِهَتْ أَنْ يَكُونَ مَعَكَ فِي
الْآخِرَةِ فَاتْرَكَهُ الْيَوْمَ.

وقال بعضهم يُوصِي ابْنَهُ: إِنَّهُ مَنْ قَنَعَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ اسْتَغْنَى، وَمَنْ
دَاخَلَ السُّفَهَاءَ حُقِرَ، وَمَنْ خَالَطَ الْعُلَمَاءَ وُقِّرَ.

وَمَنْ دَخَلَ مَذَاخِلَ السُّوءِ أَتَاهُمْ، يَا بُنَيَّ قُلْ الْحَقُّ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، وَإِيَّاكَ
وَالنِّمِيمَةَ فَإِنَّهَا تَزْرَعُ الشُّحْنَاءَ.

وعنه رضي الله عنه أنه قال: مَنْ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَارَعَ إِلَى الْخَيْرَاتِ
وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ النَّارِ انْتَهَى عَنِ الشَّهَوَاتِ وَمَنْ تَيَقَّنَ بِالْمَوْتِ انْهَدَمَتْ عَلَيْهِ
اللَّذَاتُ وَمَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا هَانَتْ عَلَيْهِ الْمُصِيبَاتُ.

وقال: بُدِّلَ الْعُقَيْلِيُّ مَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ وَجْهَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ
بِوَجْهِهِ وَأَقْبَلَ بِقُلُوبِ الْعِبَادِ إِلَيْهِ، وَمَنْ عَمِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ صَرَفَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ عَنْهُ وَجْهَهُ وَصَرَفَ قُلُوبَ الْعِبَادِ عَنْهُ.

وقال محمد بن واسع: إِذَا أَقْبَلَ الْعَبْدُ بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَقْبَلَ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ بِقُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ.

نصائح وفوائد وحكم وقواعد ومواعظ وأحكام

٧ - بَادِرْ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي يَرْضِي اللَّهُ مَهْمَا أَمَكْنَكَ فَإِنْ لِأَجْلِ يَأْتِي بَغْتَةً، فَكُنْ عَلَى أَهْبَةِ الْإِسْتِعْدَادِ لَهُ.

٨ - تِلَاوَةُ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَتَفْهَمُهُمَا، وَمُطَالَعَةُ كُتُبِ السَّلَفِ وَسِيرَتِهِمْ مَنَفَعَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَسْلَاةٌ عَنِ الْهُمُومِ وَالْأَحْزَانِ وَالْمُنْغَصَاتِ وَالْمُكْدَّرَاتِ.

٩ - الْعَطْفُ وَالتَّوَدُّدُ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِينَ عَلَى اتِّبَاعِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ عِلَامَاتِ رَجَاحَةِ الْعَقْلِ.

١٠ - أَمْسِكْ لِسَانَكَ عَنْ مَا يَضُرُّكَ يَسْلَمْ بِدُنُوكَ وَجَنَانُكَ وَأَشْغِلْهُ بِتِلَاوَةِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

١١ - إِنْ قَدِرْتَ أَنْ لَا تَسْمَعَ أَذْنُكَ إِلَّا مَا يَنْفَعُكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ وَكَلَامِ رَسُولِهِ أَوْ مَا هُوَ مُسْتَمِدٌّ مِنْهُمَا فَلَا تَذْخَرْ وَاجْتَهِدْ فِي ذَلِكَ.

إِجْعَلْ جَلِيسَكَ قِرَانًا تَفْهَمُهُ وَمَا أَتَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ كَلِمٍ وَاتْرُكْ مَجَالِسَ قَوْمٍ لَيْسَ عَنْدهُمْ سِوَى الْمَآثِمِ مِنْ قَوْلٍ وَمِنْ كَلِمٍ

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ عَلَى سَبِيلِ النُّصْحِ وَالْإِرْشَادِ يَا هَذَا إِنَّمَا خُلِقْتَ الدُّنْيَا لِتَجُوزَهَا لَا لِتَحُوزَهَا وَلِتَعْبُرَهَا لَا لِتَعْمُرَهَا فَاقْتُلْ هَوَاكَ الْمَائِلَ إِلَيْهَا وَلَا تَعُولْ عَلَيْهَا وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا مَزْرَعَةُ النَّوَائِبِ وَمَشْرَعَةُ الْمَصَائِبِ وَمُفَرِّقَةُ الْمَجَامِعِ وَمُجَرِّبَةُ الْمَدَامِعِ.

نَبَّكِي عَلَى الدُّنْيَا وَمَا مِنْ مَعْشِرٍ جَمَعَتْهُمْ الدُّنْيَا فَلَمْ يَتَفَرَّقُوا
 أَيْنَ الْأَكَاسِرَةُ الْجَبَابِرَةُ الْأُولَى كَنَزُوا الْكُنُوزَ فَمَا بَقِينَ وَلَا بَقُوا
 مِنْ كُلِّ مَنْ ضَاقَ الْفَضَاءُ بِجَشِيهِ حَتَّى ثَوَى فَحَوَاهُ لَحْدٌ ضِيقُ
 خُرْسٍ إِذَا نُودُوا كَأَنَّ لَمْ يَفْهَمُوا أَنَّ الْكَلَامَ لَهُمْ حَلَالٌ مُطْلَقٌ
 فَالْمَوْتُ آتٍ وَالنُّفُوسُ نَفَائِسُ وَالْمُسْتَغْرِبُ مَا لَدَيْهِ الْأَحْمَقُ
 وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مَنْ تَفَرَّدَ بِالْعِلْمِ لَمْ تُوحِشْهُ الْخَلْوَةُ وَمَنْ تَسَلَّى
 بِالْكِتَابِ لَمْ تَفْتِهِ سَلْوَةٌ وَإِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ فَابْتَغُوا لَهَا
 طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ.

وَالْحِكْمَةُ مُوقِظَةٌ لِلْقُلُوبِ مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ وَمُنْقِذَةٌ لِلْبَصَائِرِ مِنْ سِنَةِ
 الْحَيْرَةِ وَمُخَيِّئَةٌ لَهَا بِإِذْنِ اللَّهِ مِنْ مَوْتِ الْجَهَالَةِ وَمُسْتَخْرِجَةٌ لَهَا مِنْ ضِيقِ
 الضَّلَالَةِ لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ .

١٢- رَوْضَةُ الْعِلْمِ النَّافِعِ وَهُوَ مَا جَاءَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ أَحْسَنُ رَوْضَةٍ
 وَأَنْفَعُ رَوْضَةٍ وَأَرْفَعُ رَوْضَةٍ .

١٣- الْفِكْرُ فِي الْمَعَادِ يُنْسِي أُمُورَ الْعِبَادِ وَيَحِثُّ عَلَى الْإِسْتِعْدَادِ وَالتَّأَهُّبِ
 لِيَوْمِ الْمَعَادِ فَعَلَيْكَ بِهِ .

١٤- حُسْنُ التَّذْيِيرِ مَعَ الْكَفَافِ خَيْرٌ مِنَ التَّذْيِيرِ مَعَ الْيَسَارِ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ
 وَعَلَا: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ
 فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ . وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُبْذَرِينَ كَانُوا
 إِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ﴾ . وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا وَتَقَدَّسَ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ
 يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ .

بَيْنَ تَبْذِيرٍ وَتُخْلٍ رُتْبَةٌ وَكِلَا هَذَيْنِ إِنْ زَادَ قَتْلَ
١٥- أَشْرَفَ الْأَوْقَاتِ الَّتِي يَعْمُرُهَا الْإِنْسَانُ مَا تَقْضَى بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَمَنْ أَرَادَ
حِفْظَ أَوْقَاتِ عُمُرِهِ فَلْيَجْعَلْ كَلَامَهُ ذِكْرًا وَصَمْتَهُ تَفْكَرًا وَنَظَرَهُ عِبْرَةً
وَعَمَلَهُ بَرًا وَذَهَابَهُ وَإِيَابَهُ فِيمَا يَرْضَى اللَّهُ .

١٦- وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ جَمَعَ سِتَّ خِصَالٍ لَمْ يَدْعُ
لِلْجَنَّةِ مَطْلَبًا، مَنْ عَرَفَ اللَّهَ فَاطَاعَهُ، وَعَرَفَ الشَّيْطَانَ فَعَصَاهُ، وَعَرَفَ
الْحَقَّ فَاتَّبَعَهُ، وَعَرَفَ الْبَاطِلَ فَاتَّقَاهُ وَعَرَفَ الدُّنْيَا فَرَفَضَهَا وَعَرَفَ
الْآخِرَةَ فَطَلَبَهَا، لَمَّا عَرَفَ الْقَوْمُ قَدْرَ الْحَيَاةِ أَمَا تُؤَافِيهَا الْهَوَى فَعَاشُوا
فَانْتَهَبُوا بِأَكْفِ الْجِدِّ مَا نَثَرَ فِي زَمَنِ الْبَطَالَةِ .

وَرَكِبُ سَرَوْا وَاللَّيْلُ مُلِقَ رُؤُؤُهُ عَلَى كُلِّ مُغْبِرٍ الطَّوَالِعِ قَاتِمِ
حَدَّوْا عَزَمَاتٍ ضَاقَتْ الْأَرْضُ بَيْنَهَا فَصَارَ سُرَاهُمْ فِي ظُهُورِ الْعَزَائِمِ
تُرْبِهِمْ نُجُومُ اللَّيْلِ مَا يَتَتَغَوْنَهُ عَلَى عَاتِقِ الشَّعْرِى وَهَامِ النَّعَائِمِ
إِذَا طَرَدُوا فِي مَعْرَكِ الْجِدِّ قَصَفُوا رِمَاحَ الْعَطَايَا فِي صُدُورِ الْمَكَارِمِ
اللَّهُمَّ اعْطِنَا مِنَ الْخَيْرِ فَوْقَ مَا نَرْجُو وَاصْرِفْ عَنَّا مِنَ الشُّوءِ فَوْقَ مَا
نَحْذَرُ. اللَّهُمَّ عَلِّقْ قُلُوبَنَا بِرَجَائِكَ واقْطَعْ رَجَاءَنَا عَمَّنْ سِوَاكَ. اللَّهُمَّ إِنَّكَ
تَعْلَمُ عُيُونَنَا فَاسْتُرْهَا وَتَعْلَمُ حَاجَاتِنَا فَاقْضِهَا كَفَى بِكَ وَلِيًّا وَكَفَى بِكَ نَصِيرًا
يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِسُلُوكِ سَبِيلِ عِبَادِكَ الْأَخْيَارِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا
وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

١٧- فصل : قَالَ بَعْضُهُمْ يَعْزُ أَخَاهُ فِي اللَّهِ وَيُخَوِّفُهُ فِي اللَّهِ فَقَالَ : يَا أَخِي
إِنَّ الدُّنْيَا دَحْضُ مَزَلَّةٍ، وَدَارَ مَذَلَّةٍ عُمُرَانُهَا إِلَى خَرَابٍ صَائِرٍ وَعَامِرُهَا

إلى القبور زائر، شملها على الفرقة موقوف، وغناها إلى الفقر
مصرف الإكثار فيها إعسار، والإعسار فيها يسار، فافزع إلى الله
وارض برزق الله، لا تتسلف من دار فئاتك إلى دار بقائك، فإن
عيشك في الدنيا في زائل وجدار مائل فأكثر من عملك وأقل من
أملك. وأكثر من ذكر الله والاستغفار.

١٨- وقال آخر: العقلا ثلاثة من ترك الدنيا قبل أن تتركه وبني قبره قبل أن
يسكنه، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه واستعد للموت قبل أن يصله.
وأكثر من ذكر الله وحمده وشكره.

١٩- وقال لقمان لابنه يا بني إنك استدبرت الدنيا من يوم نزلتها
واستقبلت الآخرة فأنت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تباعدت
منها.

٢٠- وقال آخر: الدنيا جيفة فمَنْ أَرَادَ مِنْهَا شَيْئاً فَلْيَصْبِرْ عَلَى مُعَاشَرَةِ
الْكِلَابِ وَنَحْوِهَا.

وقال الشافعي :

وما هي إلا جيفةٌ مُستَحِيلَةٌ عليها كِلَابٌ هُمٌّ إجتذبها
آخر:

أيها المغتر بالدنيا كم خدعت ما واصل وصلها محبٌ إلا قطعت
يأحب الدنيا الغرور إغتراراً ركباً في طلابها الأخطاراً
يا محب الدنيا الغرور إغتراراً ركباً في طلابها الإخطاراً
يتغني وصلها فتأبى عليه وترى أنسه فتبدي نفاراً

خَابَ مَنْ يَبْتَغِي الْوَصَالَ لَدَيْهَا جَارَةٌ لَمْ تَزَلْ تُسِيءُ الْجَوَارَا
كَمْ مُحِبَّ أَرْتُهُ أَنْسَأَ فَلَمَّا حَاوَلَ الزَّوْرَ صَيَّرْتُهُ أَزْوَارَا
شَيْبَ حُلُوِّ اللَّذَاتِ مِنْهَا بِمُرٍّ إِنْ حَلَّتْ مَرَّةً أَمَرْتُ مِرَارًا
فِي اكْتِسَابِ الْحَلَالِ مِنْهَا حِسَابٌ وَاكْتِسَابِ الْحَرَامِ يُضْلِي النَّارَا
وَلِبَاغِي الْأَوْطَارِ مِنْهَا عَنَاءٌ سَوْفَ يَقْضِي وَمَا قَضَى الْأَوْطَارَا
كُلُّ لَذَاتِهَا مُنْغَصَّةُ الْعَيْشِ وَأَرْبَاحُهَا تَعُودُ خُسَارَا
وَلِيَالِي الْهُمُومِ فِيهَا طَوَالٌ وَلِيَالِي السُّرُورِ تَمْضِي قِصَارَا
وَكَفَى أَنَّهَا تَظُنُّ وَإِنْ جَادَتْ بِنَزْرِ أَفْنَتْ بِهِ الْأَعْمَارَا
وَإِذَا مَا سَقَتْ خُمُورَ الْأَمَانِي صَيَّرَتْ بَعْدَهَا الْمَنَايَا خِمَارَا
كَمْ مَلِكٍ مُسَلِّطٍ ذَلَّلْتُهُ بَعْدَ عِزٍّ فَمَا أَطَاقَ انْتِصَارَا
وَنَعِيمٍ قَدْ أَغْقَبَتْهُ بُؤُوسٌ وَمَغَانٍ قَدْ غَادَرَتْهَا قِفَارَا
أَيُّهَا الْمُسْتَعِيرُ مِنْهَا مَتَاعاً عَنْ قَلِيلٍ تَسْتَرْجِعُ الْمُسْتَعَارَا
عَدُّ عَنْ وَضَلٍ مَنْ يُغَيِّرُكَ مَا يَفْنَى وَيَبْقَى إِثْمًا وَيَكْسِبُ عَارَا
قَدْ أَرْتَكَ الْأَمْثَالَ فِي سَالِفِ الدَّ هَرٍ وَمَا قَدْ أَرْتَكَ فِيكَ اعْتِبَارَا

اللَّهُمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ النَّارِ وَعَافِنَا مِنْ دَارِ الْخِزْيِ وَالْبَوَارِ وَأَدْخِلْنَا
بِفَضْلِكَ الْجَنَّةَ دَارَ الْقَرَارِ وَعَامِلْنَا بِكَرَمِكَ وَجُودِكَ يَا كَرِيمُ يَا غَفَّارُ وَاعْفِرْ لَنَا
وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ .

٢١- قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بُنِيَتْ الْفِتْنَةُ عَلَى ثَلَاثَ ،
النِّسَاءِ وَهُنَّ فَخٌ إِبْلِيسُ الْمَنْصُوبُ ، وَالشَّرَابُ وَهُوَ سَيْفُهُ الْمُرْهَفُ ،
وَالدِّينَارُ وَالْدِرْهَمُ وَهُمَا سَهْمَاهُ الْمَسْمُومَانِ ، فَمَنْ مَالَ إِلَى النِّسَاءِ لَمْ

يَصِفُ لَهُ عَيْشَهُ، وَمَنْ أَحَبَّ الشَّرَابَ لَمْ يُمَتِّعْ بِعَقْلِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ
الدَّرْهَمَ وَالدِّينَارَ كَانَ عَبْدًا لَهُمَا.

شِعْرًا تَفَكَّرْتُ فِي الدُّنْيَا فَأَبْصَرْتُ رُشْدَهَا وَذَلَّلْتُ بِالتَّقْوَى مِنَ اللَّهِ حَدَّهَا
أَسَاتُ بِهَا ظَنًّا فَأَخْلَفْتُ وَعْدَهَا وَأَصْبَحْتُ مَوْلَاهَا وَقَدْ كُنْتُ عَبْدَهَا
آخِر:

سُرُورُ الْوَقْتِ مَقْرُونٌ بِحُزْنٍ فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ شَدِيدٍ
فَفِي يَمْنَاهُ تَاجٌ مِنْ نِصَارٍ وَفِي يُسْرَاهُ قَيْدٌ مِنْ حَدِيدٍ

٢٦- الْأُمُّ الْخَلْقِ وَأَحْسُهُمْ وَأَرْذَلُهُمْ وَأَكْفَرُهُمْ لِلإِحْسَانِ وَالْمَعْرُوفِ مَنْ نَسِيَ
اللَّهَ جُلًّا وَعَلَا وَاسْتَهَانَ بِأَوَامِرِهِ وَاقْتَحَمَ نَوَاهِيَهُ وَلَمْ يُبَالِ بِعِلْمِهِ بِهِ
وَاطْلَاعِهِ عَلَيْهِ وَقَدَرْتَهُ عَلَيْهِ نَسَأَ اللَّهُ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ.

٢٧- ثَلَاثَةٌ مِنْ أَقَلِّ الْأَشْيَاءِ لَا يَزِدُّدَنَّ إِلَّا قِلَّةً، دَرْهَمٌ حَلَالٌ تُنْفِقُهُ فِي طَاعَةِ
اللَّهِ وَأَخٌ مُسْتَقِيمٌ عَلَى إِتِّبَاعِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ تَأْنَسُ بِهِ وَتَسْكُنُ إِلَيْهِ
وَأَمِينٌ مُخْلِصٌ تَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ وَتُسْتَرِيحُ إِلَى الثِّقَةِ بِهِ.

قُلْ لِمَنْ فَاخَرَ بِالدُّنْيَا وَحَامَى قَلَّتْ قَبْلَكَ سَامَا وَحَامَا
نَذْفُنُ الْخِلَّ وَمَا فِي دَفْنِنَا بَعْدَهُ شَكٌّ وَلَكِنْ نَتَعَامَى
إِنْ قَدَّامَكَ يَوْمًا لَوْ بِهِ هُدَدَتْ شَمْسُ الضُّحَى عَادَتْ ظِلَامَا
فَانْتَبَهَ مِنْ رَقْدَةِ اللَّهْوِ وَقَمَ وَانْفَ عَنْ عَيْنِ تَمَادِيكَ الْمَنَامَا
صَاحِ صَبْحٍ بِالقَبْرِ يُخْبِرُكَ بِمَا قَدْ حَوَى وَأَقْرَأَ عَلَى الْقَوْمِ السَّلَامَا
فَالْعَظِيمُ الْقَدْرُ لَوْ شَاهَدْتَهُ لَمْ تَجِدْ فِي قَبْرِهِ إِلَّا الْعِظَامَا

اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا لِصَاحِ الْأَعْمَالِ وَآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً
وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(فصل)

٢٨- رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ يُؤْتَى بِالدُّنْيَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
عَلَى صُورَةِ عَجُوزٍ شَمْطَاءٍ زَرْقَا، أَنْبَاطُهَا بَادِيَةٌ مُشَوَّهَةٌ خِلْقَةً لَا يَرَاهَا
أَحَدٌ إِلَّا كَرِهَهَا فَتُشْرَفُ عَلَى الْخَلَائِقِ فَيُقَالُ لَهُمْ أَتَعْرِفُونَ هَذِهِ فَيَقُولُ
لَهُمْ هَذِهِ الَّتِي تَفَاخَرْتُمْ وَتَحَارَيْتُمْ عَلَيْهَا ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهَا إِلَى النَّارِ فَتَقُولُ
يَا رَبِّ أَتَيْنَ أَتْبَاعِي وَأَصْحَابِي وَأَحِبَّائِي فَيُلْحَقُونَهَا وَوَجْهُهُ الْقَائِمُ فِي النَّارِ
لِيَنْظُرَ إِلَيْهَا أَهْلُهَا فَيَرَوْنَ هَوَانَهَا عَلَى اللَّهِ جَلًّا وَعَلَا.

٢٩- وَذَكَرَ فِي الْخَبَرِ عَنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ مَاشِيًا إِذْ نَظَرَ
إِلَى امْرَأَةٍ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِينَةٍ فَذَهَبَ لِيُعْطِيَ وَجْهَهُ عَنْهَا فَقَالَتْ اكْشِفْ
عَنْ وَجْهِكَ فَلَسْتُ بِامْرَأَةٍ أَنَا الدُّنْيَا، فَقَالَ لَهَا أَلَيْكَ زَوْجٌ فَقَالَتْ لِي
أَزْوَاجٌ كَثِيرٌ فَقَالَ أَكُلُّ طَلْقِكَ أَمْ كُلًّا قَتَلْتَ فَقَالَتْ بَلْ كُلًّا قَتَلْتُ فَقَالَ
حَزَنْتِ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ فَقَالَتْ هُمْ يَحْزَنُونَ عَلَيَّ وَلَا أَحْزَنُ عَلَيْهِمْ
وَيَبْكُونَ عَلَيَّ وَلَا أَبْكِي عَلَيْهِمْ.

يُسِيءُ امْرُؤٌ مِنَّا فَيَبْغُضُ دَائِمًا وَدُنْيَاكَ مَازَالَتْ تُسِيءُ وَتُؤْمَقُ
أَسْرَ هَوَاهَا الشَّيْخُ وَالْكَهْلُ وَالْفَتَى بِجَهْلٍ فَمِنْ النُّوَاطِرِ تَرْمَقُ
وَمَا هِيَ أَهْلٌ أَنْ يُؤْمَلَ مِثْلُهَا لَوْ دُونَ وَلَكِنْ ابْنُ آدَمَ أَحْمَقُ

آخر: مَثَلُ الدُّنْيَا وَأَنْخِدَاعُ الْجُهَالِ وَالْحُمُقُ بِهَا كَمَثَلِ الصَّبِيِّ فِي الْمَهْدِ تُرَضُّعُهُ أُمُّهُ وَتُسَدِّلُ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْغِطَاءُ وَتَهْدُهُ وَتُغْنِي لَهُ حَتَّى يَنَامَ فَكَذَلِكَ الدُّنْيَا تُرَضُّعُهُ حَلَاوَتُهَا وَلَذَاتُهَا وَتُعْطِي عَلَيْهِ الْهَوَى وَتَتَابِعُ عَلَيْهِ الْأُمَانِي وَتُطَوِّلُ لَهُ فِي الْأَمَلِ حَتَّى يَنَامَ عَنِ الْآخِرَةِ فَكَلِمَا إِزْدَادَ أَمَلُهُ طَوْلًا كَانَ أَثْقَلَ نَوْمًا ثُمَّ سَقَتْهُ شَرِيَّةٌ فِي نَوْمِهِ مِنْ ذَلِكَ السَّمِ النَّافِعِ وَهُوَ حُبُّ الدُّنْيَا فَفِي ذَلِكَ هَلَاكُهُ وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ . فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ أَعْمَاهُ وَأَصَمَّهُ حُبُّ الدُّنْيَا عَنْ اللَّهِ تَعَالَى وَقَالَ آخِرُ: كَمْ تُنْذِرُ الدُّنْيَا وَمَا تَسْمَعُ وَكَمْ تُؤْنَسُ مُحِبِّهَا مِنْ وَصْلِهَا وَيَطْمَعُ فَالْعَجَبُ مِنْ ذِكِّي فَطَنَ غَرَّةَ سَرَابٍ يَلْمَعُ .

شعر:

خَسِيسَتْ يَادَارُ دُنْيَانَا وَرُبَّمَا يَرْضَى الْخَسِيسَةَ أَوْ بَاشُ أَحْسَاءُ
إِذَا تَعَطَّفَتْ يَوْمًا كُنْتَ قَاسِيَةً وَإِنْ نَظَرْتَ بَعَيْنٍ فَهِيَ شَوْسَاءُ
وَقَدْ نَطَقَتْ بِأَصْنَافِ الْعِظَاتِ لَنَا وَأَنْتِ فِيمَا يَرَاكِ النَّاسُ خَرْسَاءُ
أَيْنَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ وَمَنْ كَانَتْ لَهُمْ عِزَّةٌ فِي الْمَلِكِ قَعْسَاءُ
نَالُوا يَسِيرًا مِنَ اللَّذَاتِ وَارْتَحَلُوا بِرَغْمِهِمْ فَإِذَا النِّعْمَاءُ بَاسَاءُ

٣٠- التِّفَازُ وَأَفْلَامُ السِّينِمَاءِ وَالْفِيدْيُو وَالْمِذْيَاحُ وَالِدُخَانُ وَالْكُورَةُ وَأَوْرَاقُ
الْلَّعْبِ وَالْمَجَلَّاتُ الْخَلِيعَةُ وَالْجَرَائِدُ وَصُورُ ذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ قَتَالَاتٌ لِلْأَوْقَاتِ
وَمُفْسِدَاتٌ لِلْأَمْوَالِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْجَاهِ وَالْأَدْيَانِ وَالْعُقُولِ وَالْأَوْلَادِ وَالْأَهْلِ
وَالْأَقَارِبِ وَالْأَصْدِقَاءِ وَالْجِيرَانِ وَنَحْوُ ذَلِكَ .

شعرا :

إَجْعَلْ قَرِينَكَ قُرْآنًا تَفْهَمُهُ وَمَا أَتَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ كَلِمٍ
وَاتَرُكَ مَجَالِسَ قَوْمٍ لَيْسَ عِنْدَهُمْ سِوَى الْمَآثِمِ مِنْ فَعْلٍ وَمِنْ كَلِمٍ
آخِر:

لَوْ يَعْلَمُ الْعَبْدُ مَا فِي الذِّكْرِ مِنْ شَرَفٍ أَمْضَى الْحَيَاةِ بِتَسْبِيحٍ وَتَهْلِيلٍ

٣١- الزُّورُ يَسْمِلُ كُلُّ مُنْكَرٍ وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الشِّرْكَ وَالْكَفْرَ وَأَعْيَادُ
الْمَشْرُوكِينَ وَالْاجْتِمَاعَ عَلَى شُرْبِ الْخُمُورِ، وَأَصْلُ الزُّورِ تَحْسِينُ
الشَّيْءِ وَوَصْفُهُ بِخِلَافِ صِفَتِهِ فَهُوَ تَمْوِينُهُ الْبَاطِلَ بِمَا يُوهَمُ أَنَّهُ حَقٌّ
وَهَذَا هُوَ الْوَاقِعُ مِنْ أَهْلِ الْبَاطِلِ فَإِنَّهُمْ يُحْسِنُونَ الْمُنْكَرَاتِ بِوَصْفِهَا
بِغَيْرِ حَقِيقَتِهَا حَتَّى يَرْغَبَ فِيهَا النَّاسُ وَحَتَّى لَا يَنْفُرُوا مِنْهَا فَيَكُونُ عَلَى
فَاعِلِ ذَلِكَ إِنْهُمْ مَا عَمِلَ وَاتَّمَّ الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ الدَّعْوَةُ إِلَى
الْمُنْكَرِ بِالْقَوْلِ فَقَدْ صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى
كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا
وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ
ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا».

اللَّهُمَّ يَا مَنْ لَا تَضُرُّهُ الْمَعْصِيَةُ وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَةُ أَيْقِظْنَا مِنْ نَوْمِ الْغَفْلَةِ
وَنَبِّهْنَا لَاغْتِنَامِ أَوْقَاتِ الْمُهِلَةِ وَوَفِّقْنَا لِمَصَالِحِنَا وَاعْصِمْنَا مِنْ قَبَائِحِنَا وَلَا
تَوَاحِدْنَا بِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ ضَمَائِرُنَا وَآكَتْهُ سَرَائِرُنَا مِنْ أَنْوَاعِ الْقَبَائِحِ
وَالْمَعَائِبِ الَّتِي تَعَلَّمَهَا مِنَّا، وَامْنُنْ عَلَيْنَا يَا مَوْلَانَا بِتَوْبَةٍ تَمْحُوبُهَا عَنَّا كُلُّ ذَنْبٍ
وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْمَيِّتِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا
أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

(فصل)

٣٢- قال بعضهم يا هذا مثْلُ لِنَفْسِكَ صَرَعَةَ الموت وما قد عَزَمْتَ أن تَفْعَلَ
حِينَئِذٍ وَقْتَ الْأَسْرِ فافْعَلْهُ وَقْتَ الْإِطْلَاقِ وَمِثْلُ نَفْسِكَ فِي زَاوِيَةٍ مِنْ
زَوَايَا جَهَنَّمَ وَأَنْتَ تَبْكِي أَبَدًا وَأَبْوَابُهَا مُغْلَقَةٌ، وَسُقُوفُهَا مُطْبَقَةٌ وَهِيَ
سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ لَا رَفِيقَ تَأْنَسَ بِهِ، وَلَا صَدِيقَ تَشْكُو إِلَيْهِ، وَلَا نَوْمَ يُرِيحُ
وَلَا نَفْسَ وَلَا طَعَامَ إِلَّا الزُّقُومَ وَلَا شَرَابَ إِلَّا الْحَمِيمَ وَالصَّدِيدَ قَالَ
كَعْبُ إِنَّ أَهْلَ النَّارِ لَيَأْكُلُونَ أَيْدِيَهُمْ إِلَى الْمَنَاقِبِ مِنَ النَّدَامَةِ عَلَى
تَقْرِيطِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ بِذَلِكَ، فَانْتَبِهْ يَا غَافِلٌ لِإِغْتِنَامِ عُمْرِكَ وَازْرَعْ فِي
رَبِيعِ حَيَاتِكَ قَبْلَ جُدُوعِ أَرْضِ شَخْصِكَ، وَادْخِرْ مِنْ وَقْتِ قُدْرَاتِكَ
لِزَمَنِ عَجْزِكَ، وَاعْتَبِرْ رَحْلَكَ قَبْلَ رَحِيلِكَ، فَكَأَنَّكَ بِحَرْبِ التَّلَفِ قَدْ
قَامَتْ عَلَى سَاقٍ وَأَنْهَزَمَتْ جُيُوشُ الْأَمَلِ، وَإِذَا مَلَكَ الْمَوْتُ قَدْ بَارَزَ
الروح.

قال أَحَدُ الْعُلَمَاءِ فِي مَوْعِظَةٍ لَهُ أَحْذَرُكَ يَا أَخِي وَنَفْسِي يَوْمًا آلَ اللَّهِ فِيهِ
عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يَتْرَكَ عَبْدًا أَمْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَنَهَاهُ حَتَّى يَسْأَلَهُ عَنْ عَمَلِهِ كُلِّهِ
دَقِيقِهِ وَجَلِيلِهِ سِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ فَاَنْظُرْ بِأَيِّ بَدَنٍ تَقِفُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَبِأَيِّ لِسَانٍ
تُحْيِيهِ، فَأَعِدْ لِلسُّؤَالِ جَوَابًا، وَلِلْجَوَابِ صَوَابًا فَتَفَكَّرِ الْآنَ وَانْظُرْ بِأَيِّ قَدَمٍ
تَقِفُ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ، وَبِأَيِّ أُذُنٍ تَسْمَعُ ذَلِكَ الْكَلَامِ، فَكَمْ مِنْ قَلْبٍ
يَنْخَلَعُ، وَكَمْ مِنْ كَبِدٍ تَتَصَدَّعُ وَكَمْ مِنْ لِسَانٍ يَتَلَجَّلَجُ وَكَمْ مِنْ أَحْشَاءٍ
تَتَمَوَّجُ، وَكَمْ مِنْ نَفْسٍ تُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ فَلَا تُتْرَكُ أَنْ تَخْرُجَ فَاَنْظُرْ مَا أَشَامَ تِلْكَ
الْأَرْبَاحَ الَّتِي رَبِحَتْهَا وَأَخْسَرَ تِلْكَ الْمَعَامِلَاتِ الَّتِي عَامَلْتَ بِهَا أَنْظُرْ كَيْفَ

ذَهَبَتْ مَسْرَتَهَا وَبَقِيَتْ حَسْرَاتُهَا وَالشَّهَوَاتُ الَّتِي فِي ظِلْمِ الْعِبَادِ أَنْفَذَتْهَا كَيْفَ
 ذَهَبَ عَنْكَ الْفَرْحُ بِهَا وَبَقِيَتْ تَبَعْتُهَا وَانْظُرْ الْآنَ بِكُمْ تَفْتَدِي مِنْ ذَلِكَ
 الْمَوْقِفِ وَبِكُمْ تَتَخَلَّصُ مِنْ ذَلِكَ السُّؤَالِ هَيْهَاتَ أَنْ يُقْبَلَ مِنْكَ شَيْءٌ فِي
 ذَلِكَ الْمَوْقِفِ حَتَّى لَوْ بَدَّلْتَ مِلءَ الْأَرْضِ ذَهَبًا.

أَلَيْسَ إِلَى الْأَجَالِ نَهْوَى وَخَلَفْنَا مِنْ الْمَوْتِ حَادٍ لَا يَغِيبُ عَجُولُ
 دَعِ الْفِكْرَ فِي حُبِّ الْبَقَاءِ وَطَوْلِهِ فَهَمْكَ لَا الْعُمُرَ الْقَصِيرُ يَطُولُ
 وَمَنْ نَظَرَ الدُّنْيَا بَعَيْنِ حَقِيقَةٍ تَيَقَّنُ أَنَّ الْعَيْشَ سَوْفَ يَزُولُ
 وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا فَوَارِسُ تُطَارِدُنَا وَالنَّائِبَاتُ خِيُولُ

٣٣- قَالَ بَعْضُ الْوُعَاظِ: أَيَا رَاحِلَيْنِ بِالْإِقَامَةِ يَا هَالِكَيْنِ بِالسَّلَامَةِ أَيْنَ مَنْ
 أَخَذَ صَفْوًا مَا أَنْتُمْ فِي كَدَرِهِ، أَمَا وَعَظَكُمْ فِي سَيْرِهِ بِسِيرِهِ، بَلْ قَدْ
 حَمَلَ بَرِيدَ الْإِنْذَارِ أَخْبَارَهُمْ وَأَرَاكُمْ تَصْفُحُ الْأَثَارِ آثَارَهُمْ. وَقَالَ الْعُمُرُ
 يَسِيرُ وَهُوَ يَسِيرُ فَاقْصُرْ عَنِ التَّقْصِيرِ فِي الْقَصِيرِ مَرَّ الْعُمُرِ وَالْغُمُرُ
 مَشْغُولٌ عَنِ مَا ذَهَبَ بِالذَّهَبِ. شِعْرًا.

تَفَوُّزُ بَنَى الْمَنُونِ وَتَسْتَبِيدُ وَنَهْلُكَ فِي الزَّمَانِ وَنُسْتَرْدُ
 وَنَنْظُرُ مَاضِيًا فِي إِثْرِ مَاضٍ لَقَدْ أَيْقَنْتُ أَنَّ الْأَمْرَ جَدُّ
 رُويْدًا بِالْغِرَارِ مِنَ الْمَنَايَا فَلَيْسَ يَفُوتُهَا السَّارِي الْمَجْدُ
 فَأَيْنَ مُلُوكُنَا الْمَاضِينَ قَدَمًا أَعْدُوا وَالنَّوَائِبِ وَاسْتَعْدُوا
 أَصَابُوا فِي الزَّمَانِ نَعِيمَ عَيْشٍ فَيَا سَرْعَانَ مَا اسْتَلْبُوا وَرَدُّوا
 هُمُومًا فَرَطَ لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ نَمُدُّهُمْ وَإِنْ لَمْ يَسْتَمِدُّوا

٣٤- وقال رحمه الله :

يا طالباً ما لا يُدْرِكُ تَمَنَّى البَقَاءَ وما تُتْرَكُ وهَلْ غَيْرُ الحَصَادِ لِزُرْعٍ قَدْ
استوى وأفركَ .

وَكَيْفَ أَشِيدُ فِي يَوْمِي بِنَاءٍ وَأُعْلَمُ أَنَّ فِي غَدٍ عَنْهُ ارْتِحَالِي
فَلَا تَنْصِبْ خِيَامَكَ فِي مَحَلٍ فَإِنَّ الْقَاطِنِينَ عَلَى احْتِمَالِي
إِسْمَعْ يَأْمَنُ أَعْمَالُهُ رِبَاءٌ وَسُمْعَةُ يَأْمَنُ أَعْمَى الْهَوَى بِصَرَهُ وَأَصَمَّ سَمْعُهُ
يَأْمَنُ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ لَمْ يُخْلِصْ رَكْعَةً، يَانَاثِمَا فِي انْتِبَاهِهِ إِلَى مَتَى هَذِهِ
الْهَجْعَةُ، يَاغَافِلًا عَنْ الْمَوْتِ كَمْ قَلَعَ الْمَوْتُ مِنْ قَلْعَةٍ، وَكَمْ دَخَلَ دَارَكَ
فَأَخَذَ غَيْرَكَ، وَإِنَّ لَهُ لِرَجْعَةٍ وَكَمْ طَرَقَ جَبَّارًا فَشَتَّتَ شَمْلَهُ، وَخَرَّبَ رَيْعَهُ .

شِعْرًا :

كَمْ لِمَنَايَا فِي بَنِي آدَمَ تَوَسَّعَ مِنْهُ تَضَيُّقُ الصُّدُورِ
فَالْوَقْتُ لَا يَحْدُثُ بِسَاعَاتِهِ إِلَّا الرَّدَى الْمَحْضُ بِوَشْكِ الْمُرُورِ
أَيَّامُنَا السَّبْعَةُ أَيْسَارُنَا وَكُلُّنَا فِيهَا شَبِيهُ الْجَزُورِ
طَهَّرْتَ ثَوْبًا وَاهِيًا ثُمَّ مَا قَلْبُكَ إِلَّا عَادِمًا لِلطُّهُورِ
لَوْ فِطَنَ النَّاسُ لِدُنْيَاهُمَا لَا قَتَنَعُوا مِنْهَا اقْتِنَاعَ الطُّيُورِ

نصائح ومواعظ وفوائد وحكم

٣٥- مَنْ بَدَلَ لَكَ نَصَحَهُ فِي الدِّينِ فَاحْتَمِلْ غَضَبَهُ .

٣٦- لَنْ يَذْهَبَ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ وَحَثَّكَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ .

٣٧- مَنْ اجْتَرَأَ عَلَى مَعَاصِي اللَّهِ تَعَرَّضَ لِلْهُوَانِ وَالْخِزْيِ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ خَلْقِهِ وَابْتَعَدَ النَّاسَ الصَّالِحُونَ عَنْهُ .

٣٨- فَقَدْ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ وَالصَّبْرَ عَلَى فَقْدِهِ أَعْظَمَ الْمَصَائِبِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

٣٩- أَشَدُّ الْأَشْيَاءِ تَأْيِيداً لِلْعَقْلِ سُؤَالُ اللَّهِ التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ وَاسْتِخَارَةَ اللَّهِ وَمَشَاوَرَةَ الْعُلَمَاءِ الْمَخْلُصِينَ لِلَّهِ فِي أَعْمَالِهِمُ الْمُسْتَقِيمِينَ عَلَى طَاعَتِهِ النَّاصِحِينَ لِعِبَادَةِ الْمُؤْمِنِينَ .

٤٠- مَنْ أَضَرَّ الْأَشْيَاءَ عَلَى الْإِنْسَانِ كَثْرَةُ الْإِتِّصَالِ بِأَعْدَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالتَّذَلُّ لِهِمْ وَالسُّكْنَى حَوْلَهُمْ أَوْ مَعَهُمْ .

٤١- مَوْتُ الْوَلَدِ الْمُتَحَرِّفِ عَنِ الدِّينِ وَالْعَاقِ لِوَالِدَيْهِ وَالْمَرْأَةِ غَيْرِ الْمُسْتَقِيمَةِ نِعْمَةً سَابِغَةً عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَشْكُرَ اللَّهَ إِذَا حَصَلَ لَهُمَا مَوْتُ أَوْ فِرَاقٌ .

٤٢- الدُّخَانُ وَالْخَمْرُ وَالْفَسَادُ سُوسُ الْمَالِ وَالْأَبْدَانِ وَالْجَاهِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَوْلَادِ وَالْأَهْلِ وَالْأَصْحَابِ وَالْجِيرَانِ .

٤٣- شِفَاءُ الصُّدُورِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ وَتَدْبِيرِهِ، وَالْعَمَلُ بِهِ وَبِسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ .

٤٤- الْكَذِبُ قَبِيحٌ وَعَارٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَرِيئٌ مَا نَفَعَ إِذَا قُصِدَ بِهِ إِنْقَازُ مُسْلِمٍ أَوْ مَالِهِ أَوْ أَهْلِهِ مِنْ ظَالِمٍ أَوْ فِي حَرْبِ الْكُفَّارِ أَوْ فِي الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ .

٤٥- فَقَدْ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ وَالصَّبْرَ عَلَى فَقْدِهِ أَعْظَمَ الْمَصَائِبِ .
وَكُلُّ كَسْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَجْبُرُهُ وَمَا لِكَسْرِ قَنَاةِ الدِّينِ جُبْرَانُ

٤٦- أَصْدَقُ النَّاسِ الْمَخْلَصُ لِلَّهِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ الثَّابِتُ عَلَى تَوْبَتِهِ مِنَ الذُّنُوبِ.

٤٧- الْإِصْرَارُ عَلَى الذُّنُوبِ وَعَاءُ الذُّنُوبِ فَاحْذَرُهُ.
تُشَوُّبُ مِنَ الذُّنُوبِ إِذَا مَرَضْتَ وَتَرْجِعُ لِلذُّنُوبِ إِذَا بَرَيْتَ إِذَا مَا الضَّرُّ مَسَّكَ أَنْتَ بَاكِ وَأُخْبِتُ مَا تَكُونُ إِذَا قَوَيْتَ فَكَمْ مِنْ كُرْبَةٍ نَجَّاكَ مِنْهَا وَكَمْ كَشَفَ الْبَلَاءُ إِذَا بُلَيْتَ وَكَمْ غَطَّاكَ فِي ذَنْبٍ وَعَنْهُ مَدَى الْأَيَّامِ جَهْرًا قَدْ نُهَيْتَ أَمَا تَخْشَى بَانَ تَأْتِي الْمَنَايَا وَأَنْتَ عَلَى الْخَطَايَا قَدْ ذُهَيْتَ وَكَمْ عَاهَدْتَ ثُمَّ نَقَضْتَ عَهْدًا وَأَنْتَ لِكُلِّ مَعْرُوفٍ نَسَيْتَ فَذَارِكْ قَبْلَ نَقْلِكَ مِنْ دِيَارِكَ إِلَى قَبْرِ تَصِيرُ وَقَدْ نَعَيْتَ
اللَّهُمَّ افْتَحْ لِدُعَائِنَا بَابَ الْقَبُولِ وَالْإِجَابَةِ وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

٤٨- قَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِخْوَانِي ذَهَبَتِ الْأَيَّامُ وَكُتِبَتِ الْأَثَامُ، وَإِنَّمَا يَنْفَعُ الْكَلَامُ مُتَبَقِّظًا وَالسَّلَامُ إِسْمَعُ يَا مَنْ صَحِيفَتُهُ بِالذُّنُوبِ قَدْ خَفَّتْ، وَمَوَازِينُهُ لِكَثْرَةِ الْعُيُوبِ قَدْ حُقَّتْ، وَالْمُرْجَعَاتُ عَلَيْهِ قَدْ اتَّفَقَتْ لَا تَغْتَرُّ بِأَغْصَانِ الْمُنَى وَإِنْ أَوْرَقَتْ وَرَفَّتْ، فَكَأَنَّكَ بِهَا قَدْ صَوَّحْتَ وَذَبَلْتَ وَجَفَّتْ أَمَا رَأَيْتَ أَكْفًا عَنْ مَطَالِبِهَا قَدْ كُفَّتْ، أَمَا شَاهَدْتَ عَرَائِسَ الْأَجْسَادِ إِلَى الْأَلْحَادِ زُفَّتْ.

شعرا:

رَأَيْتُكَ فِي النُّقْصَانِ مُذْ أَنْتَ فِي الْمَهْدِ تُقَرِّبُكَ السَّاعَاتُ مِنْ سَاعَةِ اللَّحْدِ
نَظَرُ شَابٍ إِلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ السِّنُّ ضَعِيفُ الْحَرَكَةِ فَقَالَ لَهُ يَا شَيْخُ مَنْ الَّذِي
قَيْدَكَ فَقَالَ الَّذِي خَلَفْتُهُ يَفْتُلُ قَيْدَكَ .

مَنْ أَخْطَأَتْهُ سِهَامُ الْمَوْتِ قَيْدُهُ طُولُ السِّنِّينِ فَلَا لَهُوَ وَلَا غَزْلُ
وَضَاقَ مِنْ نَفْسِهِ مَا كَانَ مُتَّسِعاً حَتَّى الرَّجَاءُ وَحَتَّى الْعِزْمُ وَالْأَمَلُ
٤٩- المرأةُ الصَّالِحَةُ الْعَفِيفَةُ ذَاتُ الدِّينِ الْمُوَافِقَةُ جَنَّةِ الدُّنْيَا فَمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ
لَهَا فَلْيَسْتَمْسِكْ بِهَا .

وَخَيْرُ النِّسَاءِ مَنْ سَرَتْ الزَّوْجَ مَنْظَرًا وَمَنْ حَفِظَتْهُ فِي مَغِيبٍ وَمَشْهَدٍ
قَصِيرَةٌ أَلْفَاظُ قَصِيرَةٌ بَيْنَهَا قَصِيرَةٌ طَرْفِ الْعَيْنِ عَنْ كُلِّ أَبْعَدٍ
عَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَضْفَرُ بِالْمُنَى الـ وَدُودِ الْوُلُودِ الْأَصْلِ ذَاتِ التَّعْبُدِ

٥٠- الْكِتَابُ الْمُسْتَمَدُّ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ مُفِيدٌ لِلْإِنْسَانِ فِي
الدُّنْيَا وَنَافِعٌ لِلْإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُوَ الَّذِي يَسْتَمِرُّ نَفْعُهُ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

٥١- إِمْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ وَإِنْ كَانَتْ عِنْدَهُ قَبِيحَةً .

٥٢- لَا شَيْءَ أَحْلَى وَأَحْسَنَ وَالَّذِي مِنْ سَمَاعِ كَلَامِ اللَّهِ وَكَلَامِ رَسُولِهِ ﷺ .
أَعِدْ ذِكْرَ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ هُمَا الْمِسْكُ مَا كَرَّرْتُهُ يَتَضَوُّعُ
آخِر:

عَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ فَمَا خَابَ عَبْدٌ لِلْمُهَيِّمِينَ يَذْكُرُ
٥٣- أَحْسَنُ الْقَوْلِ مَا وَافَقَ الْعَمَلَ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا

- مِمَّنْ دَعَى إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٥٤﴾
- ٥٤- مِنَ التَّوَّانِي مَا يَكُونُ سَبَبًا لِلْجِرْمَانِ وَعُرْضَةً لِلآفَاتِ ، وَالْغَالِبُ فِيهِ السَّلَامَةُ وَهُوَ ضِدُّ الْعَجَلَةِ .
- ٥٥- مَا أَحَقُّ مَنْ غَدَرَ أَلَّا يُوفَى لَهُ .
- ٥٦- مَنْ نَظَرَ أَبْصَرَ وَمَنْ فَكَّرَ اعْتَبَرَ .
- ٥٧- فِي الْوُجُوهِ تَظْهَرُ الْمَوَدَّاتُ غَالِبًا .
- ٥٨- لَا تُرْسِلَ الْكَسْلَانَ فِي حَاجَتِكَ فَتَنْدَمَ .
- ٥٩- الَّذِي يُكْثِرُ الْكَلَامَ عَلَى الْمَائِدَةِ يُسْتَنْقَلُ وَيُسْتَكْرَهُ وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى غِيْبَتِهِ فِي الْغَالِبِ .
- ٦٠- مَنْ حَفِظَ سِرَّهُ مَلَكَ أَمْرَهُ وَصَارَ الْخِيَارُ لَهُ فِي كَتْمِهِ أَوْ نَشْرِهِ وَلَا يَكْتُمُ السِّرَّ إِلَّا الْعَاقِلُ .
- ٦١- الْكَرِيمُ يُوَاسِي إِخْوَانَهُ الْمُسْتَقِيمِينَ بِمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ .
- ٦٢- مَنْ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى مُكَافَأَتِهِ فَادْعُ لَهُ وَانصَحْ لَهُ .
- ٦٣- مَنْ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى الْبَلَاءِ وَتَسَخَّطَ لَمْ يَرْضَ بِالْقَضَاءِ .
- ٦٤- الْغَرِيبُ وَالْبَعِيدُ النَّاصِحَانِ خَيْرٌ مِنَ الْقَرِيبِ وَالصَّدِيقِ الْغَاشِ فَتَأْمَلْ وَتَدَبَّرْ .
- ٦٥- مَنْ لَمْ يَرْضَ بِرِزْقِهِ عَذَّبَ نَفْسَهُ وَضَرَّهَا .
- ٦٦- فَقَدْ الصَّبْرُ عَنِ الْمَعَاصِي وَفَقْدَهُ عَلَى الطَّاعَاتِ وَفَقْدَهُ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ .

(فصل)

- ٦٧- إْحْذَرْ عَدُوَّكَ فِي الدِّينِ وَإِنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ .
- ٦٨- الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ تَضْيِيعُ مَا فَرَضَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ .
- ٦٩- سَاعَاتُ السُّرُورِ قَدْ تَكُونُ جَالِبَةً لِلْمَحْذُورِ .
- ٧٠- الِهْمُّ ظَلَمَةٌ جَلَاؤُهَا الْفَرْجُ مِنَ اللَّهِ جَلٌّ وَعَلَا .
- ٧١- مَنْ تَسَلَّطَ عَلَى النَّاسِ ظُلْمًا وَعُدُوَانًا لَمْ يَسْلَمْ مِنَ الْهَوَانِ .
- ٧٢- مَنْ لَمْ يُنْلِكِ الْبِرَّ فِي حَيَاتِهِ لَمْ تَبْكِ عَيْنَاكَ عَلَى وَفَاتِهِ فِي الْغَالِبِ .
- ٧٣- مَنْ جَهِلَ شَيْئًا عَادَاهُ فِي الْغَالِبِ وَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا اسْتَعْبَدَهُ فِي الْغَالِبِ .
- ٧٤- مِنْ مَأْمَنِهِ قَدْ يُؤْتَى الْحَذِرِ .
- ٧٥- رُبَّ بَزَّةٍ وَهَيْئَةٍ ظَاهِرَةٍ تَحْتَهَا حَاجَةٌ بَاطِنَةٌ .
- ٧٦- الاجْتِهَادُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَرْبَحُ بِضَاعَةٍ .
- ٧٦- اجْعَلْ سِرَّكَ لِوَاحِدٍ تَتَّقُ بِهِ وَمَشُورَتَكَ لِمَنْ شِئْتَ مِمَّنْ يُوثِقُ بِدِينِهِمْ وَأَمَانَتِهِمْ .
- ٧٦- اجْعَلْ لِدُنْيَاكَ نَصيبًا وَلِدِينِكَ النَّصيبَ الْأَوْفَرَ مِنْ وَقْتِكَ وَمَالِكَ حَتَّى تَرْتَحَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ .
- قال بعض العلماء تأملت أمر الدنيا والآخرة فوجدت حوادث الدنيا حسية طبيعية وحوادث الآخرة إيمانية يقينية والحسيات أقوى جذباً لمن لم يقو علمه ويقينه والحوادث إنما تبقى بكثرة أسبابها، فمخالطة الناس ورؤيته المستحسنات والتعرض بالملذذات يقوي حوادث الحس ، والعزلة

والفكر والنظر في العلم يُقوي حَوَادِثَ الآخِرَةِ، وَيُبَيِّنُ هَذَا أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا
 خَرَجَ يَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ وَيَبْصُرُ زِينَةَ الدُّنْيَا ثُمَّ دَخَلَ إِلَى الْمَقَابِرِ فَتَفَكَّرَ وَرَقَّ
 قَلْبُهُ فَإِنَّهُ يَحْسُ بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ فَرَقًا بَيْنَا وَسَبَبُ ذَلِكَ التَّعَرُّضُ بِأَسْبَابِ
 الْحَوَادِثِ فَعَلَيْكَ بِالْعُزْلَةِ وَالذِّكْرِ وَالنَّظَرِ فِي الْعِلْمِ فَإِنَّ الْعُزْلَةَ حُمِيَّةٌ وَالْفَكْرَ
 وَالْعِلْمَ أَذْوِيَّةٌ وَالِدَّوَاءَ مَعَ التَّخْلِيْطِ لَا يَنْفَعُ إِهـ.

مِنْ وَاجِبِ النَّاسِ أَنْ يَتَوَبُّوا لَكِنْ تَرَكَ الذُّنُوبَ أَوْجَبَ
 وَالِدَهْرُ فِي صَرْفِهِ عَجِيبَ وَغَفْلَةُ النَّاسِ عَنْهُ أَعْجَبَ
 وَالصَّبْرُ فِي النَّائِبَاتِ صَعْبٌ لَكِنْ فَوَاتُ الثَّوَابِ أَصْعَبُ
 وَكُلُّ مَا تَرْتَجِي قَرِيبُ وَالسَّوْقُوتُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ أَقْرَبُ

وقال بعضهم :

إِخْوَانِي السَّنُونَ مَرَاجِلَ وَالشُّهُورُ فَرَاسِخُ وَالْأَيَّامُ أُمِّيَالُ وَالْأَنْفَاسُ خَطَوَاتُ
 وَالطَّاعَاتُ رُؤُوسُ الْأَمْوَالِ وَالْمَعَاصِي قُطَاعُ الطَّرِيقِ وَالرِّيحُ الْجَنَّةُ
 وَالْخُسْرَانُ النَّارُ لِهَذَا الْخُطْبِ شَمَرُ الْمُتَّقُونَ عَنْ سُوقِ الْجِدِّ فِي سُوقِ
 الْمُعَامَلَةِ كُلَّمَا رَأَوْا مَرَكَبَ الْحَيَاةِ تَخِطَفُ فِي بَحْرِ الْعُمْرِ شَغْلُهُمْ هَوْلُ مَا هُمْ
 فِيهِ عَنِ التَّنَزُّهِ فِي عَجَائِبِ الْبَحْرِ فَمَا كَانَ إِلَّا قَلِيلٌ حَتَّى قَدَمُوا مِنَ السَّفَرِ
 فَاعْتَنَقَتْهُمْ الرَّاحَةُ فِي طَرِيقِ التَّلَقِّي فَدَخَلُوا بَلَدَ الْوَصْلِ وَقَدْ حَازُوا الرِّيحَ .

وَصَلُّوا إِلَى مَوْلَاهُمْ وَبَقَيْنَا وَتَنَعَّمُوا بِوَصَالِهِ وَشَقِينَا
 ذَهَبَتْ شَبِيبَتُنَا وَضَاعَ زَمَانُنَا وَذَنُتْ مَنِيتُنَا فَمَنْ يُنْجِينَا
 فَتَجَمَّعُوا أَهْلَ الْقَطِيعَةِ وَالْجَنَّا نَبْكِي شُهُورًا قَدْ مَضَتْ وَسِينَا

آخر:

تَرَاهُمْ وَأَمْلَأُكَ الرِّضَا يَقْدُ مُوْنَهُمْ
يَسِيرُونَ فِي أَمْنٍ إِذَا الْخَلْقُ فُزِعَ
آخر: فَلِلَّهِ كَمُ مِنْ خَيْرَةٍ قَدْ تَهَيَّئْتُ
يُنَاجُونَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِلَهُهُمْ
آخر: وَلِلَّهِ أَلْطَافٌ بَطِيٌّ قَضَائِهِ
فَمُوسَى بِقَذْفِ أَلِيمٍ تَمَّ عُلوُّهُ
وَبِالصَّبْرِ وَالتَّقْوَى تُنَالُ هِبَاتُهُ
وَأَتَقَى الْوَرَى عِنْدَ الْمُهَيِّمِينَ أَكْرَمُ
إِلَى جَنَّةٍ طَابَتْ وَطَابَ نَعِيمُهَا
وَقَدْ بَرَزَتْ نَارٌ وَشَبَّ جَحِيمُهَا
لِقَوْمٍ عَلَى الْأَقْدَامِ بِاللَّيْلِ قَوْمٌ
فَتَسْرِي هُمُومُ الْقَوْمِ وَالنَّاسُ نَوْمٌ
أَخُو الْفَهْمِ فِي أَسْرَارِهَا يَنْفَعُهُمْ
تَرْقَى إِلَى أَعْلَى الذُّرَى وَهُوَ مُكْرَمٌ
وَأَتَقَى الْوَرَى عِنْدَ الْمُهَيِّمِينَ أَكْرَمُ

وقال رحمه الله :

السَّنةُ شَجَرَةٌ وَالشُّهُورُ فُرُوعُهَا وَالْأَيَّامُ أَغْصَانُهَا وَالسَّاعَاتُ أَوْرَاقُهَا
وَالْأَنْفَاسُ ثَمَرُهَا فَمَنْ كَانَتْ أَنْفَاسُهُ فِي طَاعَةٍ فَثَمَرَةُ شَجَرَتِهِ طَيِّبَةٌ وَمَنْ كَانَتْ
فِي مَعْصِيَةٍ فَثَمَرَتُهُ حَنْظَلٌ وَإِنَّمَا يَكُونُ الْجَدَادُ يَوْمَ الْمَعَادِ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَبَيَّنُ
حُلُوُّ الثَّمَارِ مِنْ مُرِّهَا .

وَالْإِخْلَاصُ وَالتَّوْحِيدُ شَجَرَةٌ فِي الْقَلْبِ فُرُوعُهَا الْأَعْمَالُ وَثَمَرُهَا طَيْبُ
الْحَيَاةِ فِي الدُّنْيَا وَالنَّعِيمُ الْمُقِيمُ فِي الْآخِرَةِ وَكَمَا أَنَّ ثِمَارَ الْجَنَّةِ لَا مَقْطُوعَةً
وَلَا مَمْنُوعَةً فَثَمَرَةُ التَّوْحِيدِ وَالْإِخْلَاصِ فِي الدُّنْيَا كَذَلِكَ .

وَالشِّرْكُ وَالْكَذِبُ وَالرِّيَاءُ شَجَرَةٌ فِي الْقَلْبِ ثَمَرُهَا فِي الدُّنْيَا الْخَوْفُ
وَالْهَمُّ وَالْغَمُّ وَضِيقُ الصَّدْرِ وَظُلْمَةُ الْقَلْبِ وَثَمَرُهَا فِي الْآخِرَةِ الزُّقُومُ
وَالْعَذَابُ الْأَلِيمُ الْمُقِيمُ وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ هَاتَيْنِ الشَّجَرَتَيْنِ فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ .

وقال رَحِمَهُ اللهُ : اشْتَرِ نَفْسَكَ فَالسُّوقُ قَائِمَةٌ وَالثَّمَنُ مَوْجُودٌ وَلَا بُدَّ مِنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ وَرُقَادِ الْهَوَى وَلَكِنْ كُنْ خَفِيفَ النَّوْمِ فَحِرَّاسُ الْبَلَدِ يَصْحَوْنَ دَنَا الصَّبَاحُ نُورُ الْعَقْلِ يُضِيءُ فِي لَيْلِ الْهَوَى فَتَلُوحُ جَادَةُ الصَّوَابِ فَيَتَلَمَّحُ الْبَصِيرُ فِي ذَلِكَ النُّورِ عَوَاقِبَ الْأُمُورِ أُخْرِجْ بِالْعَزْمِ مِنْ هَذَا الْفِنَاءِ الضَّيِّقِ الْمَحْشُوبِ بِالْآفَاتِ إِلَى ذَلِكَ الْفِنَاءِ الرَّحْبِ الَّذِي فِيهِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ.

فَهُنَاكَ لَا يَتَعَذَّرُ مَطْلُوبٌ وَلَا يُفْقَدُ مُحِبُّوبٌ يَا بَائِعًا نَفْسَهُ بِهَوَى مَنْ حُبَّهُ ضَنَا وَوَضَلُهُ أَدَى وَحُسْنُهُ إِلَى فَنَاءٍ لَقَدْ بَعْتَ أَنْفَسَ الْأَشْيَاءِ بِثَمَنِ بَخْسٍ كَأَنَّكَ لَمْ تَعْرِفْ قَدْرَ السِّلْعَةِ حَتَّى إِذَا قَدِمْتَ يَوْمَ التَّغَابُنِ تَبَيَّنَ لَكَ الْغَبْنُ فِي عَقْدِ التَّبَايُعِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ سِلْعَةُ اللهِ مُشْتَرِيهَا، وَثَمْنُهَا الْجَنَّةُ.

اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى قَوْلِكَ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ اللَّهُمَّ وَائِدْنَا بِنَصْرِكَ وَارْزُقْنَا مِنْ فَضْلِكَ وَنَجِّنَا مِنْ عَذَابِكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدَيْنَا وَلِجَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

٧٧- مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ مَنْ يَفْعَلُ الشَّرَّ وَيَتَوَقَّعُ الْخَيْرَ.

٧٨- إِحْذَرِ التَّلَوُّنَ فِي الدِّينِ لِأَنَّهُ صِفَةُ الْمُنَافِقِينَ .

٧٩- إِحْذَرِ الْكِبَرَ وَالْغَضَبَ وَالْحَسَدَ وَالطَّمَعَ وَالْبُخْلَ .

٨٠- الذِّكْرُ لِلَّهِ لَهُ شَرَطَانِ حُضُورُ الْقَلْبِ فِي تَحْرِيرِهِ وَبِذَلِ الْجَسَدِ فِي

تَكْثِيرِهِ .

- ٨١- مِنْ أَحْسَنِ الْأَشْيَاءِ الْعَفْوُ عَنْ مَقْدِرَةٍ .
- ٨٢- أَحْسِنْ إِلَى إِخْوَانِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَطَعْتَ .
- ٨٣- أَحْسَنْ مَا صَانَ الرَّجُلُ أَمْرَ دِينِهِ عَمَّا يَضُرُّهُ أَوْ يُنْقِصُهُ .
- ٨٤- احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ .
- ٨٥- أَحَقُّ النَّاسِ بِالْبِرِّ وَالِدَيْكَ وَبَعْدَهُم قَرَابَتُكَ أَهْلُ الدِّينِ الْأَقْرَبِ ثُمَّ الْأَصْدِقَاءِ فِي اللَّهِ ثُمَّ الْجِيرَانِ الْأَقْرَبِ فالأقرب .
- ٨٦- إِخْوَانُ هَذَا الزَّمَانِ جَوَاسِيسُ الْعُيُوبِ فِي الْغَالِبِ .
- ٨٧- أَخُوكَ مَنْ وَاسَاكَ فِي الشِّدَّةِ وَالرِّخَاءِ .
- ٨٨- أَدَبُ نَفْسِكَ بِمَا كَرِهَتْهُ مِنْ غَيْرِكَ تَكُنْ حَكِيمًا .
- ٨٩- اخْتِلَافُ الْقَوْمِ يُمَكِّنُ عَدُوَّهُمْ مِنْهُمْ فِي الْغَالِبِ .
- ٩٠- إِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَحْدَهُ .
- ٩١- عِنْدَ انْتِهَاءِ الشِّدَّةِ يَكُونُ الْفَرْجُ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى .
- فَمَنْ نَزَلَتْ بِهِ بَلِيَّةٌ فَأَرَادَ تَخْفِيفَهَا وَتَمْحِيقَهَا فَلْيَتَصَوَّرْ أَكْثَرَ مِمَّا هِيَ تَهْنُ وَالْيَرْجُو ثَوَابَهَا وَلْيَتَصَوَّرْ أَعْظَمَ مِنْهَا يَرَى الرِّيحَ فِي الْاِقْتِصَارِ عَلَيْهَا وَلْيَتَلَمَّحْ سُرْعَةَ زَوَالِهَا ، فَإِنَّهُ كُرْبُ الشِّدَّةِ مَا رُجِيتْ سَاعَاتُ الرَّاحَةِ وَالْيَعْلَمُ أَنَّ مَقَامَهَا عِنْدَهُ كَمُدَّةِ مَقَامِ الضَّيْفِ يَتَفَقَّدُ حَوَائِجَهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ فَيَا سُرْعَةَ انْقِضَاءِ مَقَامِهِ فَكَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ فِي الشِّدَّةِ يَنْبَغِي أَنْ يُرَاعِيَ السَّاعَاتِ وَيَتَفَقَّدَ فِيهَا أَحْوَالَ النَّفْسِ ، وَيَتَلَمَّحِ الْجَوَارِحَ مَخَافَةَ أَنْ يَبْدُ مِنَ اللِّسَانِ كَلِمَةٌ تَسْخُطُ أَوْ مِنَ الْقَلْبِ تَسْخُطُ فَكَأَنَّ قَدْ لَاحَ فَجَرُّ الْأَجْرِ فَانْجَابَ لَيْلُ الْبَلَاءِ وَمُدِحَ السَّارِي بِقَطْعِ الدُّجَى فَمَا طَلَعَتْ شَمْسُ الْجَزَاءِ إِلَّا وَقَدْ وَصَلَ إِلَى مَنْزِلِ السَّلَامَةِ اهـ .

- ٩٢- إِذَا قَوَّيْتَ فَاقُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ يُعِينَكَ رَبُّكَ .
- ٩٣- إِذَا كَرَّمْتَ السَّجِيَّةَ حَسُنَتِ الطُّوبَى فِي الْغَالِبِ .
- ٩٤- إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ .
- ٩٥- إِذَا غَلَبَ الْهَوَى بَطَلَ الرَّأْيُ .
- ٩٦- أَرْجُ مِنْ اللَّهِ أَنْ يَقْبَلَ أَحْسَنَ عَمَلِكَ ، وَيَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِكَ ، وَيَجْعَلَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْجَنَّةِ .
- ٩٧- أَخْسَرُ النَّاسِ صَفْقَةً مَنْ بَاعَ دِينَهُ بِالْدَّرْهِمِ وَالْدِينَارِ أَوْ نَحْوِهِمَا وَأَخْسَرُ مِنْهُ مَنْ بَاعَ دِينَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ .
- ٩٨- أَسْتُرْ عَيْبَ أَخِيكَ الْمُسْلِمَ لِمَا تَعْلَمَ مِنْ عُيُوبِكَ .
- ٩٩- اسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِكُمْ بِالْكِتْمَانِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فصل)

يحتوي على حكم ومواعظ وآداب

- ١٠٠- اسْتَشِيرُوا ذَوِي الْعُقُولِ النَّيِّرَةِ بِطَاعَةِ اللَّهِ .
- ١٠١- الْإِسْتِقَامَةُ عَيْنُ الْهَدَايَةِ بِإِذْنِ اللَّهِ .
- ١٠٢- أَشَقَى الْوَلَاةِ مَنْ شَقِيَتْ بِهِ رَعِيَّتُهُ .
- ١٠٣- أَصْدَقُ النَّاسِ الْمَخْلُصُ لِلَّهِ الثَّابِتُ عَلَى تَوْبَتِهِ .
- ١٠٤- الْإِضْرَارُ عَلَى الذُّنُوبِ وَعَاءُ الذُّنُوبِ فَاحْذَرُهُ .
- ١٠٥- اطْلُبْ الرَّحْمَةَ بِالرَّحْمَةِ ﴿ إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ عْبَادَهُ الرَّحْمَاءُ ﴾ .

- ١٠٦- إظهار النعم والتحدث بها من الشكر لله .
- ١٠٧- الإعتبار بمنذر ناصح . قال تعالى ﴿فاعتبروا يا أولي الأبصار﴾ .
- ١٠٨- أصل المحاسن طاعة الله ثم الكرم وفق الشرع .
- ١٠٩- أطع أخاك فيما يرضي الله وإن عصاك .
- ١١٠- أطلب واستعن بالله تظفر بإذن الله .
- ١١١- الإعتراف بالذنوب سبيل إلى التوبة بإذن الله .
- إِلَهُ لَا إِلَهَ لَنَا سِوَاهُ رَوْفٌ بِالْبَرِيَّةِ ذُو أَمْتِنَانِ
أَوْحَدُهُ بِإِخْلَاصٍ وَحَمِيدٌ وَشُكْرٍ بِالضَّمِيرِ وَبِاللِّسَانِ
وَأَفْنَيْتُ الْحَيَاةَ وَلَمْ أَصْنَهَا وَزُغْتُ إِلَى الْبَطَالَةِ وَالتَّوَانِي
وَأَسْأَلُهُ الرِّضَا عَنِّي فَإِنِّي ظَلَمْتُ النَّفْسَ فِي طَلَبِ الْأَمَانِي
إِلَيْهِ أَتُوبُ مِنْ ذَنْبِي وَجَهْلِي وَإِسْرَافِي وَخَلْعِي لِلْعِنَانِ
- ١١٢- الاعتبار يهديك إلى الرشاد بإذن الله .
- ١١٣- الإعجاب ضد الصواب ويمنع الإزدياد .
- ١١٤- مخالفة الأمر توجب سخط الأمر والإصرار على المعصية أعظم .
- ١١٥- إغص هواك وأطع مولاك تغنم الفلاح .
- ١١٦- إذا تم عقل المرء قل كلامه إلا يذكر الله وما ولأه .
- ١١٧- إخرن لسانك عن الكلام إلا بذكر الله وتلاوة كتابه وما ورد عن
رسوله ﷺ .
- عليك بذكر الله في كل ساعة فما خاب عبد للمهمين يذكر
آخر:
- أعد ذكر قال الله قال رسوله هما المسك ما كررته يتضوع

- ١١٨- مَنْ صَنَعَ إِلَيْكَ مَعْرُوفًا فَكَافَتْهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَادْعُ لَهُ لِلْحَدِيثِ .
- ١١٩- إِذَا اسْتَشَارَكَ أَحَدُ الْمُسْلِمِينَ صَدِيقٌ أَوْ عَدُوٌّ فَجَرَّدَ لَهُ النَّصِيحَةَ .
- ١٢٠- إِذَا اضْطَنَعَتِ الْمَعْرُوفَ فَاسْتُرَهُ .
- ١٢١- إِذَا تَنَاهَتْ الشِّدَّةُ قَرَّبَ الْفَرْجُ بِإِذْنِ اللَّهِ
- ١٢٢- أَعْقَلَ النَّاسِ الْمُعْظَمُ لِلَّهِ الْمِمْتَلُ لِأَوَامِرِهِ الْمَجْتَنِبَ لِمَا نَهَى عَنْهُ .
- ١٢٣- اغْتَنِمِ أَيَّامَ صِحَّتِكَ قَبْلَ سَقَمِكَ وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ وَحَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ .
- ١٢٤- أَلْلَامُ النَّاسِ وَأَخْسُهُمْ وَأَرْذَلُهُمْ وَأَفْسَقُهُمْ .
- ١٢٥- مَنْ نَسِيَ اللَّهَ فَاسْتَهَانَ بِأَوَامِرِهِ وَاقْتَحَمَ نَوَاهِيَهُ وَلَمْ يُبَالِ بِقُدْرَتِهِ عَلَيْهِ وَنَظَرِهِ إِلَيْهِ وَعِلْمِهِ بِسِرِّهِ وَعَلَانِيَتِهِ .
- ١٢٦- الْأَصْحَابُ الْمُخْلِصُونَ لِلَّهِ الْمُحِبُّونَ فِيهِ الدَّاعُونَ إِلَيْهِ قَلِيلُونَ فِي هَذَا الزَّمَانِ .
- ١٢٧- أَرْجُ مِنْ اللَّهِ أَنْ يَقْبَلَ مَحَاسِنَ عَمَلِكَ .
- ١٢٨- الْاسْتِمَاعُ أَسْلَمُ مِنَ الْقَوْلِ لِأَنَّ الْقَوْلَ يُخْطِي وَيُضَيِّبُ .
- ١٢٩- آفَةُ الْجُودِ السَّرَفُ وَالتَّبَذِيرُ .
- ١٣٠- آفَةُ السَّمَاخَةِ الْمِنَةُ .
- ١٣١- آفَةُ الشَّجَاعَةِ الْبَغْيُ وَالتَّهَوُّرُ وَالْعُجْبُ .
- ١٣٢- آفَةُ الْعَقْلِ الْعُجْبُ وَالْكِبَرُ .
- ١٣٣- آفَةُ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ الْكِبَرُ وَحُبُّ الرِّيَاسَةِ وَالْدُنْيَا .
- ١٣٤- أَفْضَلُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

(فصل)

- ١٣٥- أُعِفُّ عَنْ النَّاسِ عَمَلًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ .
- ١٣٦- الْاِقْتِصَادُ سَبِيلُ الرِّشَادِ .
- ١٣٧- الْاِقْتِصَادُ يُنَمِّي الْيَسِيرَ بِإِذْنِ اللَّهِ .
- ١٣٨- إِغْتَنِمِ الْفُرْصَةَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَالْوَقْتُ لَا يَعُودُ .
- ١٣٩- أَكْثَرُ مُحَادَثَةٍ مِنْ يُخْبِرُكَ عَنْ عُيُوبِكَ إِنْ كَانَ نَاصِحًا .
- ١٤٠- أَكْرَمُ الْأَخْلَاقِ التَّوَاضُّعُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ .
- ١٤١- مِنَ اللَّوْمِ الْبَغْيُ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ عَلَى مَنْ لَمْ يَبْغِ .
- ١٤٢- الْإِلْحَاحُ عَلَى الْمَخْلُوقِ سَبَبُ الْحَرَمَانِ .
- ١٤٣- الْآلِفُ لِلدُّنْيَا الْمُطْمَئِنُّ إِلَيْهَا مَغْرُورٌ .
- ١٤٤- اللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ .
- ١٤٥- مِنْ أَمَارَاتِ الْكُذِبِ وَالْغِشِّ كَثْرَةُ الْإِيمَانِ .
- ١٤٦- الْأَمَانَةُ جَالِبَةٌ لِلرِّزْقِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى .
- ١٤٧- أَمْلِكُ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَكْثَمُهُمْ لِسِرِّهِ فِي الْغَالِبِ .
- ١٤٨- إِمْسَاكُ الْمَالِ خَيْرٌ مِنْ سُؤَالِ النَّاسِ .
- ١٤٩- إِخْلَاصُ الْأَعْمَالِ لِلَّهِ مِنْ أَكْبَرِ الْأَسْبَابِ لِحَصُولِ كُلِّ خَيْرٍ وَانْدِفَاعِ كُلِّ شَرٍّ قَالَ تَعَالَى : ﴿كَذَلِكَ لَنَصْرَفُ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ فِي قِرَاءَةٍ بِكَسْرِ اللَّامِ .
- ١٥٠- الْاعْتِمَادُ عَلَى اللَّهِ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ عُدَّةٍ . قَالَ تَعَالَى : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ .

قال أحد العلماء من المتزهدين أقوام يَرَوْنَ التَّوَكُّلَ قَطَعَ الأسباب كُلَّهَا وهذا جَهْلٌ بِالْعِلْمِ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الْغَارَ وَشَاوَرَ الطَّبِيبَ وَلَبَسَ الدَّرْعَ وَحَفَرَ الْخَنْدَقَ وَدَخَلَ مَكَّةَ فِي جِوَارِ الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِي وَكَانَ كَافِرًا وَقَالَ لِسَعْدٍ لَأَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ تَدْعُهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فَالْوُقُوفُ مَعَ الْأَسْبَابِ مَعَ نِسْيَانِ الْمُسَبِّبِ غِلَظٌ وَالْعَمَلُ عَلَى الْأَسْبَابِ مَعَ تَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِالْمُسَبِّبِ هُوَ الْمَشْرُوعُ أَهـ.

قُنُوعِي بِدُونِ الدُّوْنِ لَا تَنْقُصْ هِمَّةً وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ أَصُونُ بِهِ نَفْسِي إِذَا كَانَ لِي فِي مَنْزِلِي قُوتٌ سَاعَةً فَمَا دُونَمَا قَدَّرْتُ أَنِّي فِي عُرْسٍ ١٥١- الْإِنْصَافُ رَاحَةٌ وَعُنْوَانٌ عَلَى الذِّكَاةِ وَالنِّبْلِ.

١٥٢- الْإِنْفِرَادُ بِكُتُبِ الْعِلْمِ لِلتَّعَلُّمِ وَالتَّفْهَمِ وَالتَّالِيفِ رَاحَةٌ وَمَنْفَعَةٌ وَمَسْلَاةٌ عَنِ الْهَمُومِ وَالْغُمُومِ.

١٥٣- الْإِنْتِقَامُ مِنْ ظَلَمَ عَذْلٌ وَالتَّجَاوُزُ فَضْلٌ.

١٥٤- الْأَنَاةُ فِي الْأُمُورِ وَحُسْنُ التَّوَدُّدِ لِلْمُسْلِمِينَ يُمْنٌ.

١٥٥- الْأَمِينُ آمِنٌ وَالْخَائِنُ قَلِقٌ وَخَائِفٌ.

١٥٦- الْأَمَالُ لَا نِهَايَةَ لَهَا مَا دَامَ الْإِنْسَانُ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ.

١٥٧- مِنْ أَفْضَلِ الْمَعْرُوفِ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

١٥٨- إِفْشَاءُ السِّرِّ مِنْ أَسْتَأْمَنَكَ خِيَانَةٌ.

١٥٩- أَفْضَلُ الزُّهْدِ إِخْفَاءُ الزُّهْدِ.

١٦٠- أَنْفَعُ الْكُنُوزِ الْعَمَلُ الصَّالِحُ.

١٦١- أَنْفَقَ فِي حَقٍّ وَلَا تَكُنْ خَازِيًا لِغَيْرِكَ.

١٦٢- إِذَا غَلَا عَلَيْكَ الشَّيْءُ فَاتْرُكْهُ يَكُونُ رَخِيصًا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام أسألك بأسمائك الحسنی وصفاتك العلیاء أن تعز الاسلام والمسلمین وأن تذل الشرك والمشرکین وان تدمر أعداء الدین اللهم صل علی محمد وعلی آله وصحبه.

اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفه عين وأصلح لی شأني كله لا إله إلا أنت.

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم. اللهم صل علی محمد وعلی آله وصحبه.

اللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً طيباً وعملاً متقبلاً يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام.

اللهم ارحم في الدنيا غربتي وارحم في القبر وحشتي وارحم في الآخرة وقوفي بين يديك.

اللهم اعتق رقبتی من النار وأوسع لي من الرزق الحلال واصرف عني فسقة الجن والانس.

اللهم إني أسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه وظاهره وباطنه وأوله
وآخره وعلايته وسره اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه.

اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والعزيمة على
الرشد والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم والفوز بالجنة
والنجاة من النار يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام.

اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى اللهم صل على
محمد وعلى آله وصحبه.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.
ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت
الوهاب.

ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار.
ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار.
ربنا آتنا من لدنك رحمة وهىء لنا من أمرنا رشداً.
ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً.
اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء
وشماتة الأعداء.

اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك
وجميع سخطك.

اللهم إنا نعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل
وغلبة الدين وشماتة الأعداء.

اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخري التي إليها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير والموت راحة لي من كل شر. اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري وتلهمني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء.

اللهم طهر قلبي من النفاق ولساني من الكذب وعملي من الرياء وعيني من الخيانة إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

اللهم إني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم. اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه.

اللهم إني أسألك من خير ما سألك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وعبادك الصالحون وأعوذ بك من شر ما استعاذ بك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وعبادك الصالحون. رب قني عذابك يوم تبعث عبادك.

اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل.

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا. رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري رب اغفر خطيئتي يوم الدين.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام.

رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب.

رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين. وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين.

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين. آمين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(خَاتَمَةٌ ، وَصِيَّةٌ ، نَصِيحَةٌ)

إِغْلَمْ وَفَقَّنَا اللَّهَ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ أَنْ مِمَّا يَجِبُ
الاعْتِنَاءُ بِهِ حِفْظًا وَعَمَلًا كَلَامُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَكَلَامُ رَسُولِهِ ﷺ .
وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَحْتَّ أَوْلَادَهُ عَلَى حِفْظِ الْقُرْآنِ وَمَا تَبَسَّرَ
مِنْ أَحَادِيثِ النَّبِيِّ ﷺ الْمُتَّفَقِ عَلَى صَحِّحَتِهَا عَنْهُ كَالْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ .
وَمِنْ الْفَقْهِ مَخْتَصَرِ الْمُقْنَعِ لِتَبَسُّرٍ لَهُ اسْتِخْرَاجُ الْمَسَائِلِ وَيَجْعَلُ لأَوْلَادِهِ مَا
يَحْتُجُّهُمْ عَلَى ذَلِكَ .

فَمَثَلًا يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ الْقُرْآنَ عَلَى صُدْرِهِ حِفْظًا صَحِيحًا عَشْرَةَ آلَافٍ أَوْ
أَزِيدَ أَوْ أَقَلَّ حَسَبَ حَالِهِ فِي الْغِنَى .
وَمِنْ الْأَحَادِيثِ عُقُودُ اللَّوْلُو وَالْمَرْجَانِ فِيمَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْإِمَامَانِ الْبُخَارِيُّ
وَمُسْلِمٌ ، يَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ ذَلِكَ سِتَّةَ آلَافٍ مِنَ الرِّيَالَاتِ
فَإِنْ عَجَزُوا عَنْ حِفْظِهَا فَالْعُمْدَةُ فِي الْحَدِيثِ يَجْعَلُ لِمَنْ حَفِظَهَا ثَلَاثَةَ
آلَافٍ أَوْ الْأَرْبَعِينَ النَّوَاوِيَّةَ وَيَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُهَا أَلْفًا مِنَ الرِّيَالَاتِ
وَيَجْعَلُ لِمَنْ يَحْفَظُ مُخْتَصَرَ الْمُقْنَعِ فِي الْفَقْهِ أَلْفَيْنِ مِنَ الرِّيَالَاتِ فَالْغَيْبُ
سَبَبٌ لِحِفْظِ الْمَسَائِلِ وَسَبَبٌ لِسُرْعَةِ اسْتِخْرَاجِ مَا أُرِيدَ مِنْ ذَلِكَ وَمَا أَشْكَلَ
مَعْنَاهُ أَوْ يُدْخِلُهُمْ فِي مَدَارِسِ تَحْفِيزِ الْقُرْآنِ فَمَدَارِسُ تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ هِيَ
مَدَارِسُ التَّعْلِيمِ الْعَالِمِي الْمُتَمَازِ الْبَاقِي النَّافِعِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

فَمَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ لِذَلِكَ وَعَمِلَ أَوْلَادُهُ بِذَلِكَ كَانَ سَبَبًا لِحُصُولِ الْأَجْرِ مِنَ
اللَّهِ وَسَبَبًا لِرَبِّهِمْ بِهِ وَدُعَائِهِمْ لَهُ إِذَا ذَكَرُوا ذَلِكَ مِنْهُ وَلَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ سَبَبًا مُبَارَكًا
يَعْمَلُ بِهِ أَوْلَادُهُ مَعَ أَوْلَادِهِمْ فَيَزِيدُ الْأَجْرَ لَهُ وَلَهُمْ نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوفِّقَ الْجَمِيعَ
لِحُسْنِ النِّيَّةِ إِنَّهُ الْقَادِرُ عَلَى ذَلِكَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

تَمَّ هَذَا الْجُزْءُ الثَّانِي بِعَوْنِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ وَنَسْأَلُ اللَّهَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمَ
 ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ الْوَاحِدَ الْأَحَدَ الْفَرْدَ الصَّمَدَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ
 يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أَنْ يُعِزَّزَ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ يَخْذُلَ الْكُفْرَةَ وَالْمُشْرِكِينَ
 وَأُغَوَّاتِهِمْ وَأَنْ يُصْلِحَ مِنْ فِي صَلَاحِهِ صَلَاحَ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَيُهْلِكَ مَنْ فِي
 هَلَاكِهِ عِزٍّ وَصَلَاحٍ لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَنْ يَلْتَمَّ شَعْبُ الْمُسْلِمِينَ وَيَجْمَعَ
 شَمْلُهُمْ وَيُوَحِّدَ كَلِمَتَهُمْ وَأَنْ يَحْفَظَ بِلَادَهُمْ وَيُصْلِحَ أَوْلَادَهُمْ وَيَشْفِ مَرْضَاهُمْ
 وَيُعَافِي مُبْتَلَاهُمْ وَيَرْحَمَ مَوْتَاهُمْ وَيَأْخُذَ بِأَيْدِينَا إِلَى كُلِّ خَيْرٍ وَيَقْصِمَنَا وَإِيَاهُمْ
 مِنْ كُلِّ شَرٍّ وَيَحْفَظْنَا وَإِيَاهُمْ مِنْ كُلِّ ضَرٍّ وَأَنْ يَغْفِرَ لَنَا وَلِوَالِدِينَا وَجَمِيعِ
 الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَتِهِ إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
 أَجْمَعِينَ .

والله المستول أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به نفعاً
 عاماً إنه سميع قريب مجيب على كل شيء قدير .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد
 خاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين . وَمَنْ
 تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَسَلِمَ تَسْلِيماً كَثِيراً .

عبد العزيز محمد السلطان

المدرس في معهد إمام الدعوة بالرياض

سابقاً

(فَصْل)

إِعْلَمَ وَفَقَّنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ وَجَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ لَمْ يُؤَثَّرْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ تَعْظِيمٍ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالْمُؤَلِّينَ لِأَهْلِ الْبِدْعِ وَالْمُنَابِئِينَ بِمُؤَالَاتِهِمْ ، لِأَنَّ أَهْلَ الْبِدْعِ مَرَضَى قُلُوبَ ، وَيَخْشَى عَلَى مَنْ خَالَطَهُمْ أَوْ اتَّصَلَ بِهِمْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ مِنْ مَا بِهِمْ مِنْ هَذَا الدَّاءِ الْعُضَالِ ، لِأَنَّ الْمَرِيضَ يُعْدِي الصَّحِيحَ وَلَا عَكْسَ ، فَالْحَذَرُ الْحَذَرُ مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْبِدْعِ وَمِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ الَّذِينَ يَجِبُ الْبُعْدُ عَنْهُمْ وَهَجْرَانُهُمْ ، الْجَهْمِيَّةُ ، وَالرَّافِضَةُ ، وَالْمُعْتَزَلَةُ ، وَالْمَاتَرِيئِيَّةُ ، وَالْخَوَارِجُ ، وَالصُّوْفِيَّةُ ، وَالْأَشَاعِرَةُ وَمَنْ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ مِنَ الطَّوَائِفِ الْمُنْحَرِفَةِ عَنْ طَرِيقَةِ السَّلَفِ ، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَهُمْ وَيُحْذِرَ عَنْهُمْ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

(فَضْلُ) فائدة

وَقَفَّ قَوْمٌ عَلَى عَالَمٍ فَقَالُوا إِنَّا سَائِلُوكَ أَفَمَجِيتُنَا أَثْنْتَ قَالَ سَلُّوا وَلَا تُكْثِرُوا ، فَإِنَّ
النَّهَارَ لَنْ يَرْجِعَ وَالْعُمُرُ لَنْ يَعُودَ ، وَالطَّالِبُ حَتِيثٌ فِي طَلْبِهِ ، قَالُوا فَأَوْصِنَا ، قَالَ
تَزَوَّدُوا عَلَى قَنْدَرٍ سَفَرَكُمْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ مَا أَبْلَغَ الْبُغْيَةَ ، ثُمَّ قَالَ الْإِيَّامُ صَحَائِفُ الْأَعْمَارِ
فَخَلِّدُوهَا أَحْسَنَ الْأَعْمَالِ ، فَإِنَّ الْفُرْصَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ، وَالتَّوَانِي مِنْ أَخْلَاقِ الْكُسَالَى
وَالْخَوَالِفِ ، وَمَنْ اسْتَوْطَنَ مَرْكَبَ الْعَجْزِ عَثَرَ بِهِ ، وَتَزَوَّجَ التَّوَانِي بِالْكَسَلِ فَوُلِدَ بَيْنَهُمَا
الْخُسْرَانُ اهـ .